المسلمون في غرب إفريقيا

تاريخ وحضارة

تأليف

محمد فاضل علي باري

و

سعيد إبراهيم كريدية





المسلمون في غرب إفريقيا

تاريخ وحضارة

تأليف

محمد فاضل علي باري و سعيد إبراهيم كريدية



Title: **AL-MUSLIMŪN FĪ ǦARB IFRĪQIYAH**
(Moslems in West Africa *History and civilization*)

Author: Muḥammad Fāḍil ʿAli Bāri and Saʿīd Ibrāhīm Kraydiyyah

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 344

Year: 2007

Printed in: Lebanon

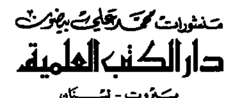
Edition: 1st

الكتاب: المسلمون في غرب إفريقيا
تاريخ وحضارة
المؤلف: محمد فاضل علي باري
وسعيد إبراهيم كريدية
الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت
عدد الصفحات: 344
سنة الطباعة: 2007 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١١ / ١٢ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيد الدعاة إلى الله، وعلى أصحابه البررة الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله ونشروا رايات الإسلام خفّاقة في أرجاء المعمورة حتى علت كلمة الله، وتحرر الناس من الشرك والوثنية. وبعد،

فمِن المعلوم أن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها بِعدّة طُرق من أهمّها: التجارة والفتوحات والدّعاة والطرق الصوفية، وهذا ما حصل في غرب إفريقيا. وفي هذا البحث سوف يكون هدفنا هو استعراض مراحل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا لإزالة التشويه المُتعمد لتاريخ هذا الانتشار وإبراز الدور الرئيسي الذي لعبه الإسلام في تغيير مجرى الحياة في تلك البقعة من العالم.

إن فترات انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في القارة السوداء دفعتنا لأن نركز ملاحظاتنا على دور الإسلام في غرب إفريقيا بين الماضي والحاضر من خلال إبراز الدور الرئيسي الذي لعبه المسلمون هناك كتجار او دعاة او رجال الصوفية أو كحكام في إمبراطوريات عريقة. لذا فنحن حينما نتناول دعاة المسلمين بالذكر إنما نقع على خطوط أساسية لمعرفة كيف سارت دعوة الإسلام بشكل قوي وفعّال وسط أعاصير من الوثنية وحملات التبشير المسيحية. ولولا أن لنا من العقيدة الإسلامية وشائج ربطت شعوبنا في وحدة قوية يدعمها الواقع وتشهد بها الآثار لما كان للإسلام في يومنا هذا بتلك الربوع وهذه القوة وهذه المكانة[1].

يقول الكاتب الفرنسي جويلي: "إن العصر التاريخي لإفريقيا السوداء لم يبدأ إلا منذ ظهور الإسلام، وأنه بالإسلام وحضارته ولغته، تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأوا كبيرا في المدنيّة"[2]. ومن المعلوم أن إفريقيا هي القارة الثانية بعد آسيا في انتشار الإسلام، وفي

---

(1) العقيلي، أحمد محمد، أمة التجارة : **دور التجارة في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، الرياض: دار المؤتمن، 1419هـ، ص 60.

(2) حسن، عيسى عبد الظاهر، **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني**، الرياض: إدارة =

عـدد المسلمين ، وذلـك لأن القارات الثلاث الأخرى (أوروبا وأميركا وأوستراليا) تعد قـارات مسيحية لطغيان أتباع المسيحية فيها. كما أن إفريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تـسميتها بالقـارة المـسلمة بـين قـارات العـالم، وكـل شـيء يشير إلى أن الإسلام هو دين المستقبل في هذه القارة وأنها قارة المستقبل للإسلام، حيث تشهد الدعوة الإسلامية صدى وتجاوبًـا لدى الأفارقة، وتسير بخطى واسعة إذ وصل معدل نمو الإسلام في هذه القارة إلى 2.15٪.[1] فـالأرض والـسكان والتاريخ والواقع بكل أبعاده كل هذا يعيش حاضره فيها ممتزجا بالإسلام لا انفصام عنه[2] فتستحق عن جدارة تسميتها : القارة المسلمة.

والـذي يلفـت النظر أن المسيحية في إفريقيا - باستثناء الحبشة ومصر- طارئة دخلت إلى تلـك القـارة مـنذ القـرن الخامس عشر الميلادي مع الاستعمار الاوروبي حيث لاقت الدعـوة إلى المسيحية نجاحاً في وسط وجنوب وبعض مناطق شرق القارة الإفريقية بعكس المـناطق الأخـرى مـن القارة. وقد جاء في تقرير أحد لجان المؤتمر التبشيري الذي عُقد في إدنبره في اسكتلاندا سنة 1910 "أن الموقف في [إفريقيا] صار حرجاً لسرعة تقدم الإسلام مـن مركـزه الواسـع في الـشمال ومعاقلـه في الـسواحل إلى الجنوب والغرب الإفريقي، والمبشرون كانوا أخطأوا في تقديراتهم السابقة لأنه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التي كانـوا يحـسبونها خالـية مـن الأديـان المعـروفة هي إما إسلامية محضة وإما أنها على أهبة الدخـول في الإسـلام".[3] إلا أن الإفريقي المتنصر لم يشعر بالأخوة مع المسيحي الأوروبي لأن المبـشر الأخـير قـد أنكـر عليه تلك الأخوة عندما روج للاستعمار وعمل له، بل إن بعـض المبـشرين شعورا بسمو الرجل الأبيض مما أخذ شكل التمييز العنصري.[4] ويقول بعض المؤرخين المستشرقين أن الإسلام يضم ثلثي القارة بما فيها من مختلف القبائل وشتى الأجـناس، أما عن مستقبل إفريقيا الديني فيكاد محتوما أن الإسلام هو دين المستقبل وهو

=

الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1401هـ- 1981 م ، ص 9.

(1) Statistics on the Muslims' population around the world. **www.islamicweb.com/begin/results.htm/**(24/6/2002).

(2) المـصري، جميل عبد الله محمد، **حاضر العالم الإسلامي**، ط5 ، الرياض: مكتبة العبيكان، 1421 هجرية، الجزء الثاني، ص 645.

(3) لوشـاتلييه، أ.، **الغـارة علـى العـالم الإسـلامي**، لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، ص 41.

(4) قـدّاح، نعـيم، **إفـريقيا الغـربية في ظـل الإسـلام**، مراجعة عمر الحكيم، دمشق: مكتبة أطلس، (مقدمة: 1960)، (سلسلة الثقافة الشعبية؛6)، ص 25.

يبدو للإفريقيين دينا إفريقيا كما أن النصرانية دينا غربيًا.[1]

وفي ظل غياب الوعي الحضاري الكافي الذي ينظم آليات الصراع القائمة بين أتباع الأديان المختلفة في إفريقيا من جهة وأنظمة حاكمة هشة وأوضاع اقتصادية ومالية مرتبكة ومتدنية من جهة ثانية ستكون القارة ميدان صراع عالمي يدار محلياً برموز الكيانات والأنظمة الحاكمة وهو ما سيؤهل القارة لتصبح ميدان تنافس عالمي مستقبلي بهدف خلق بؤر وتبعية عالمية مواليه لها القارة الإفريقية.

تُعد غربي إفريقيا منطقة إسلامية وإن كانت تنخفض نسبة المسلمين في بعض أجزائها التي تُعد دولا الآن إلى دون النصف، ولكن إذا اعتبرنا المنطقة جزءا واحدا فإن نسبة المسلمين ترتفع إلى النصف تقريباً، وذلك بسبب انتشار الإسلام على نطاق واسع في أجزاء كثيرة من تلك المنطقة.[2] وتشكل الدراسات الإسلامية عن ماضي الإسلام وحاضره ومستقبله في إفريقيا الغربية حلقات متصلة، فتاريخ الدعوة الإسلامية في القارة السوداء هو نفسه التاريخ الحضاري الناضج لهذه القارة، فهي بالدعوة الإسلامية افتتحت لنفسها صفحات التاريخ، وسارت في موكب الحضارة الإنسانية وارتبطت بالعالم الإسلامي من حولها.

دخل الإسلام غرب إفريقيا في القرن العاشر الميلادي، وخلال القرون الوسطى نشأت هناك إمبراطوريات إسلامية لعبت دورا بارزا في نشر الدعوة وتأسيس صرح الأمة الإسلامية في تلك الأصقاع. وما أن حل القرن الخامس عشر الميلادي حتى افتتحت البرتغال الاستعمار الأوروبي لغربي إفريقيا، وكان دافع البرتغاليين هو العداوة الشديدة للمسلمين والحصول على ذهب غينيا وتأمين طرق التجارة مع الهند.[3] وبعد البرتغاليين جاء الإسبان والفرنسيون والبريطانيون ونفثوا سموم الاستعمار في غرب القارة السوداء فاسحين المجال لجمعيات التبشير بممارسة نشاطها هناك، وقد بقي المستعمرون على أرضها لغاية النصف الثاني من القرن 20م حين بدأوا ينحسرون عن كل أرجاء القارة الإفريقية ومنها القسم الغربي مخلفين وراءهم إرثاً ثقيلاً من التغييرات الإجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكان التبشير بشقيه الكاثوليكي والبروتستانتي الرفيق الدائم لهذا الاستعمار

---

(1) العقيلي، ص 8.

(2) أنظر جدول توزيع الأديان في غرب إفريقيا في الفصل الثاني من الباب الأول فقرة رقم: 1.2.8.

(3) Griffiths, I. Ll, **The Atlas of African Affairs**, 2nd ed. London: Routledge, 1994, p. 42.

متذرعاً بهداية الناس تارة وبنشر المدنية تارةً أخرى مستغلاً جهل وحاجة الناس، فانتشرت المسيحية في غرب إفريقيا لكن ما زال أتباعها حتى الآن أقل عدداً من المسلمين[1].

ومع بداية الفترة الاستعمارية لغربي إفريقيا كان ساحل هذه المنطقة بدءاً من جنوب موريتانيا وحتى بنين مصدراً رئيسياً للبرتغاليين "لإصطياد" الأفارقة ونقلهم بسفن بنيت بشكل خاص حيث كانت مقسمة تقسيماً أفقياً على هيئة رفوف عرض كل منها 3 أقدام يرص فوقها الرقيق وأيديهم مصفدة،[2] وكانت الرحلات شاقة وطويلة تستغرق من 5 إلى 8 أسابيع وكلفت الأفارقة العديد من الضحايا حيث مات الكثير منهم أو ألقي بهم أحياء في عرض البحر بعد تعرضهم لأمراض مستعصية.[3] وبعد اكتشاف القارة الأميركية تحول بيع سكان غرب إفريقيا إلى هذه القارة الجديدة ولم تتوقف هذه الممارسات إلا في عام 1833 حين ألغيت تجارة الرقيق كلياً.

(1) أنظر جدول توزيع الأديان في غرب إفريقيا في الباب الأول الفصل الثاني فقرة رقم: 1.2.8 .

(2) بكر، سيد عبد المجيد، **الأقليات المسلمة في إفريقيا**، مكة المكرمة: إدارة الصحافة برابطة العالم الإسلامي، 1405هـ، الجزء الثاني، (سلسلة دعوة الحق)، ص 25، 28.

(3) المصدر السابق، ص 27-28.

منهج البحث

اتبعنا في هذا البحث المنهج العلمي الاستقرائي، فتتبعنا أخبار غربي القارة من المصادر القديمة الموثوقة والمراجع والإحصائيات الحديثة وأوزنا بينها ، وذكرنا ما اتفقت عليه دونما اختلفت فيه، وحاولنا عزو كل قول لصاحبه بأمانة علمية وتجرد في النقل. وقد عدنا في هذا البحث إلى مراجع عدة بعضها مطبوع كالكتب والدوريات والآخر إلكتروني، أما لغات المراجع فكانت العربية والإنكليزية والفرنسية.

لقد قُسم البحث إلى أربعة أبواب وملحق وفهرس أعلام وثبت بالمراجع. الباب الأول ويتألف من فصلين يسرد لمحة جغرافية عن إفريقيا والقسم الغربي منها، الباب الثاني يتألف من خمسة فصول ويتكلم عن دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا مع الإشارة إلى المنافذ الجغرافية التي دخل منها وأساليب وطرق انتشاره وأسباب نجاحه في تلك المنطقة. الباب الثالث يعالج بإسهاب الدول الإسلامية في غرب إفريقيا قبل مجيء الاستعمار الأوروبي وذلك في خمسة فصول، فصل لكل دولة. أما الباب الرابع فيلقي الضوء على الاستعمار والتنصير والحركات الإصلاحية والجهادية الإسلامية في غرب إفريقيا بين القرنين 18 و19 الميلاديين وقد وضعت كلها في ثلاثة فصول. الملحق في هذا البحث يتناول بإيجاز كل دولة من دول غرب إفريقيا في العصر الحديث، أما فهرس الإعلام فهو عرض لسير وتراجم الأشخاص الذين ذُكروا في البحث، وتنتهي الدراسة بلائحة المراجع.

وفي الختام نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في عملنا هذا ويجعلة خيراً لمصلحة المسلمين، وأن تكون غاية الكتاب قد حققت أهدافها في التعريف ببلاد المسلمين وبتاريخ انتشار الإسلام فيها وما قدمه هذا الانتشار من تطور لتلك البلاد.

والله ولي التوفيق

محمد فاضل علي باري و **سعيد إبراهيم كريديه**

(كوناكري – غينيا) (بيروت – لبنان)



تحويل الحروف اللاتينية
إلى العربية

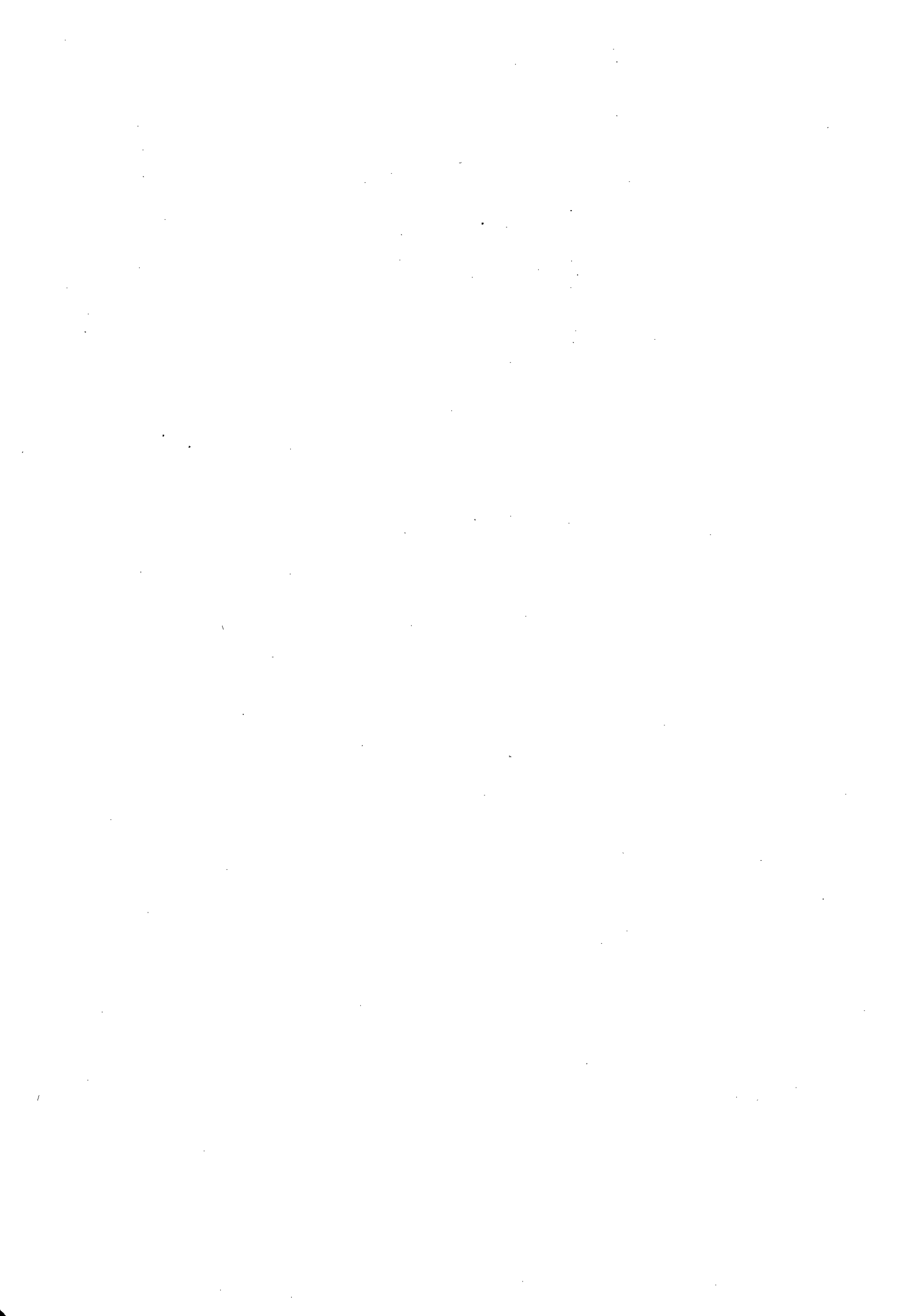
استُعْمِل في هذا البحث الكثير من الأسماء الأجنبية التي تحتوي على حروف لاتينية غير موجودة في اللغة العربية، ولجعلها مقروءة بالعربية استعملنا التحويل التالي :

G g حُوِّلَت إلى غ

V حُوِّلَت إلى ف

P حُوِّلَت إلى ب

E e حُوِّلَت إلى ِ (كسرة) مثل: Niger تصبح بالعربية النيجِر

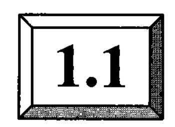


1 الباب الأول

لمحة جغرافية عن إفريقيا والقسم الغربي منها

يتألف هذا الباب من فصلين:

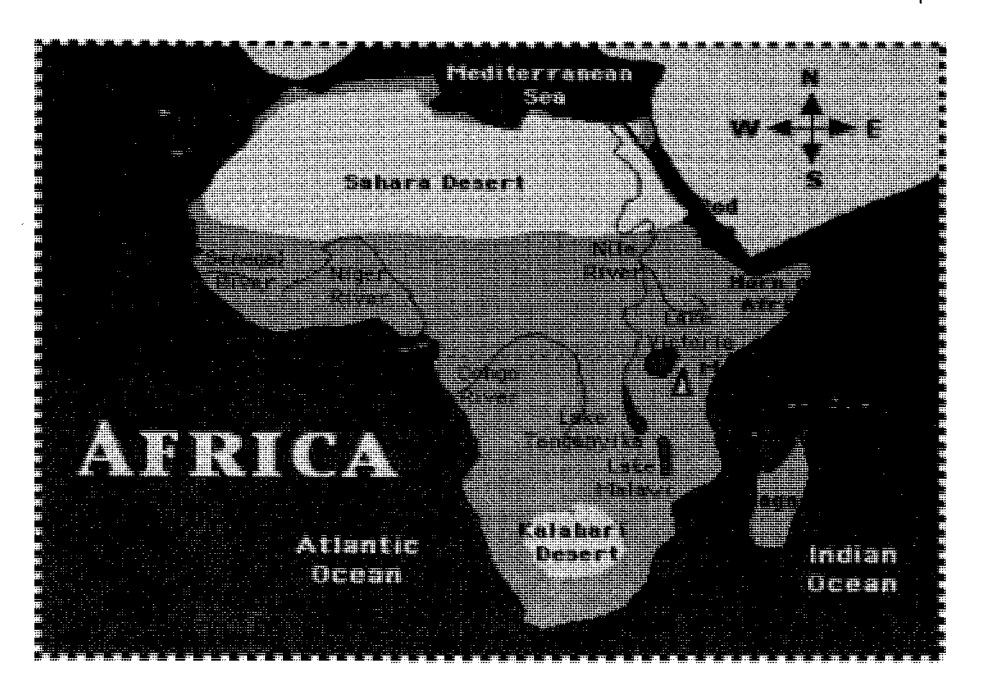




الفصل الأول

جغرافية القارة الإفريقية

1.1.1 الموقع: تقع إفريقيا في وسط الكرة الأرضية ويمر بها خط الإستواء ليشطرها إلى شطرين متساويين تقريباً (انظر الخريطة). تحيط البحار والمحيطات بإفريقيا من جميع الجوانب، ففي الغرب يقع المحيط الأطلسي وفي الشرق المحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر وقناة السويس، وفي الشمال تترامى أمواج البحر الأبيض المتوسط فاصلاً إفريقيا عن اوروبا، أما في الجنوب فيلتقي المحيطان الهندي والأطلسي على صخور رأس الرجاء الصالح. وقبل افتتاح قناة السويس عام 1869 شكلت شبه جزيرة سيناء والبحر الأحمر الطريق الرئيسية لاتصال إفريقيا بشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وسائر آسيا، أما البحر الأبيض المتوسط فكان المعبر الأساسي بين إفريقيا وأوروبا خصوصاً عند مضيق جبل طارق، وبسبب هذا الموقع الإستراتيجي تعتبر القارة الإفريقية جزءاً أساسياً من العالم القديم ومهداً عريقاً لعدة حضارات غابرة، كما أغرى موقع إفريقيا خلال العصر الحديث معظم القوى الاستعمارية للتكالب والإنقضاض عليها.



1.1.2 اسم إفريقيا: اسم القارة الحالي حديث، فكانت تسمى قديما 'ليبيا' وكانت مقسمة إلى مناطق رئيسية، ثم أُطلق عليها خلال العصور الوسطى: 'أثيوبيا'[1] أي قارة السود وهي مشتقة من اليونانية. ثم استعملت في التعبير عنها كلمة 'إفريقيا' وكانت تشير لدى القدماء إلى منطقة في تونس تدعى 'رأس أفري' الذي سمي بذلك نسبة إلى قبيلة من البربر، وقد اشتقت الكلمة من تعبير قديم عن المغارة أو الكهف أيضا حيث كان أهل المنطقة يسكنون ما يشبه الكهوف، ثم استخدم العرب هذا المصطلح 'إفريقيا' وتخصّصت ليبيا وأثيوبيا للتعبير عن المنطقتين الجغرافيتين المعروفتين بهذين الاسمين بينما استخدمت كلمة إفريقيا للتعبير عن القارة جملة[2].

1.1.3 المساحة: تبلغ مساحة قارة إفريقيا حوالي 30 مليون كم مربع وتشكل خمس مساحة الكرة الأرضية وتأتي في المرتبة الثالثة بين القارات من حيث المساحة بعد آسيا وأميركا.

1.1.4 التضاريس: تتميز القارة الإفريقية بأنها هضبة شاسعة تقطعها القليل من السلاسل الجبلية، ويحيط ببعض جهاتها سهل ساحلي ضيق، كما أن جزرها قليلة وأكبرها جزيرة مدغشقر. تمتد في شمال القارة أكبر صحراء في العالم وهي الصحراء الكبرى بمساحة تقارب 9 ملايين كلم مربع أي ما يعادل ثلث مساحة القارة. وفي إفريقيا أطول نهر في العالم هو نهر النيل الذي يجري لمسافة 6400 كلم شمال شرقي القارة ويصب في البحر الأبيض المتوسط. وبالإضافة إلى نهر النيل تخترق الأراضي الإفريقية أنهار كبيرة غزيرة المياه مثل: نهر الكونغو ونهر النيجر ونهر أورانج ونهر السنغال.

ومن أهم ملامح هذه القارة التي أسهمت في عزلتها في العصور القديمة والوسيطة:

1- يقسمها خط الاستواء إلى قسمين شمالي وجنوبي وتمتاز إفريقيا الاستوائية بغاباتها الكثيفة وشدة حرارتها ورطوبتها دون تمييز بين الفصول[3].

2- قِصَر سواحل القارة بالنسبة لمساحتها إذ يبلغ طول كل الشريط الساحلي للقارة حوالي 16000 كم، وهذا الأمر يؤدي إلى قلة الرؤوس والخلجان وينتج عن ذلك قلة الموانئ الطبيعية.

---

(1) اثيوبيا كلمة يونيانية تعني : الوجه المحترق.

(2) المصري، الجزء الثاني، ص 646.

(3) المصدر السابق، الجزء الثاني ، ص 646.

3- امتداد معظم جبالها على السواحل مما يؤدي إلى عزل الداخل ، والى ضيق السهول الساحلية.

4- قلة الجزر القريبة من الساحل، لأن إفريقيا إجمالا كتلة واحدة خالية الأطراف تقريباً، باستثناء بعض الجزر الصغيرة في غرب القارة أهمها جزر الكناري التي يطلق عليها بعض العرب إسم "جزر الخالدات" وتقع مقابل الساحل المغربي ثم جزر الرأس الأخضر مقابل ساحلي موريتانيا والسنغال وجزيرتي ساوتوم وبرنسيب (SăoTomé&Principe) في خليج غينيا، أما في شرق القارة فهناك جزر القمر وجزر موريشس وجزر السيشل وجزيرة مدغشقر وكلها صغيرة جداً باستثناء الأخيرة التي تبلغ مساحتها 587041 كلم مربع.

5- قلة صلاحية أنهارها للملاحة: لأن هذه الأنهار أغلبيتها تنتهي إلى البحر بدلتات كثيرة الفروع والمستنقعات والسدود أو مساقط مائية.

6- اتساع صحاريها : لان معظم القارة تقع في المناطق المدارية من الهضبة الشمالية يمر مدار السرطان وفي الجنوبية مدار الجدي وأشهر هذه الصحاري هي الصحراء الكبرى التي تقع في شمال القارة.

1.1.5 الثروات الطبيعية: تتمتع إفريقيا بثروة معدنية هائلة ففيها تكوينات ضخمة من النحاس والماس والذهب والنفط كما تملك ثروة غابية قيمة تضم أصنافاً من الأخشاب النادرة يستغل القليل منها فقط. تنتج إفريقيا معظم المحصول العالمي من المينهوت(1) والكاكاو والبقوليات واليام(2).

كما تشتهر إفريقيا بأنها موطن كثير من الطيور والحيوانات اللبونة والمفترسة والزواحف مثل الأسود والنمور والفيلة والقرود والزراف والحمير الوحشية والأفاعي والتماسيح.

1.1.6 السكان: بلغ عدد سكان إفريقيا عام 2000م حوالي 824,767,000 نسمة(3) منتشرين في 53 دولة مستقلة. ينتمي الأفارقة إلى عدة مجموعات عرقية وقبلية متنوعة يغلب عليها الطابع الزنجي باستثناء القسم الشمالي منها حيث يتواجد العرب والبربر

---

(1) نبات يستخرج من جذوره نشاء مغذٍ.

(2) وهو نوع من البطاطا.

(3) "Africa". **World Book Encyclopedia**. Chicago: World Book, 2000, v.1, p.98.

بـشرة الـبعض منهم بيضاء والآخر سمراء، كما يقطن مدغشقر شريحة كبيرة من السكان تعـود أصـولهم إلى اندونيـسيا، وينتشر في جنوب القارة عدد من الأوروبيين البيض يقدر بحوالـي 5 ملـيون نـسمة معظمهـم من أصول بريطانية وفرنسية وهولندية أتوا إلى إفريقيا أبـان فـترة الاسـتعمار الأوروبـي، كمـا يـتواجد في شـرق وجنوب القارة حوالي مليون شـخص ينتمون إلى العرق الهندي هاجروا إليها خلال القرن 19م[1] بمساعدة الاستعمار البريطانـي. وفي إفريقيا أقليات صينية وعربية-لبنانية أتت إلى القارة السوداء للعمل فيها، وقـد بقي بعضها عدة عقود من الزمن حتى حصل الكثير منها على جنسية البلد المقيمين فيه.

1.1.7 الأديـان: تذكـر بعـض المـراجع الإسلامية أن عدد مسلمي إفريقيا عام 1996 حوالـي 426,282,000 نسمة أي ما يعادل 59٪ من سكانها[2] الغالبية العظمى منهم من أهـل الـسنة ويتبعون المذهب المالكي مع وجود بعض الشيعة والإسماعيلية بين الجاليات الهندية ، بينما يدرج مرجع غربي[3] إحصاءات عن أديان العالم لعام 2000 فيذكر أن عدد المـسيحيين في إفـريقيا هـو 360,232,000 أي 45,9٪ مـن مجمـوع سـكان القـارة الـبالغ 784,445,000 نـسمة مـنهم 120,386,000 كاثوليكـي أي 15,4٪ و89,000,000 بروتـستانتي أي 11,4٪ و83,841,00 أي 10,6٪ ينـتمون إلى كنائس محلية ومستقلة منهم 25,537,000 مـن الأقـباط الـذين ينتـشرون بـشكل حـصري في كل من مصر والحبشة. ويـشكل المسلمون حسب ذلك المصدر 41,1٪ من سكان إفريقيا أي 317,374,00 نسمة بيـنما يـبلغ عـدد أتـباع الـديانات المحلـية الوثنية 96,805,00 أي 15,1٪ من مجموع عدد الـسكان، وهناك أعداد قليلة من الهندوس والبوذيين والبهائيين واليهود. وحسب **النشرة الدولية لأبحاث التنصير**[4] لسنة 1998م فقد كان النصارى يمثلون 10٪ من سكان إفريقيا وفي سـنة 1990م ارتفعـت النـسبة لتـصل إلى 57٪ فـيما كـان عـدد النـصارى في القـارة

(1) المصدر السابق، مج 1، ص 104.

(2) Statistics on the Muslims' population around the world. **www.islamicweb.com/begin/ results.htm** /(24/6/2002).

(3) Melton, G J. & Baumann, M. (Eds), **Religions of the World: A Comprehensive Encyclopedia of Beliefs and Practices**, Santa Barbara, California: ABC-CLIO, 2002, vol 1,p. xxxi.

(4) نقلاً عن مجلة البلاغ الكويتية عدد 1454، الأحد 29/ 7/ 2001م، ص 17.

الإفريقية سنة 1970م حوالي 121 مليون نسمة وارتفع سنة 1999م إلى 334 مليون نسمة.

1.1.8 اللغـات: يـتواجد في إفـريقيا مـا بـين 1000 و3000 لغـة محلية[1]، أما اللغات الأكثـر شـيوعاً فهي العربية في شمال القارة والسواحلية في شرقها ولغة الهوسا في شمال نيجِـريا ومحـيطها، وتنتـشر لغـة الأفريكان (Afrikaan) في جنوب إفريقيا حيث ينطق بها حوالـي 6 ملايـين شـخص معظمهـم في جمهـورية جـنوب إفريقيا التي جعلتها من لغاتها الـرسمية[2]، وهـذه اللغـة هـي فـرع مـن اللغـات الجرمانية ومشتقة من اللغة الهولندية. بالإضـافة إلى هـذه اللغـات تنتـشر الإنكليزية والفرنسية والبرتغالية في المناطق التي كانت مستَعمَرة من قِبل هذه الدول.

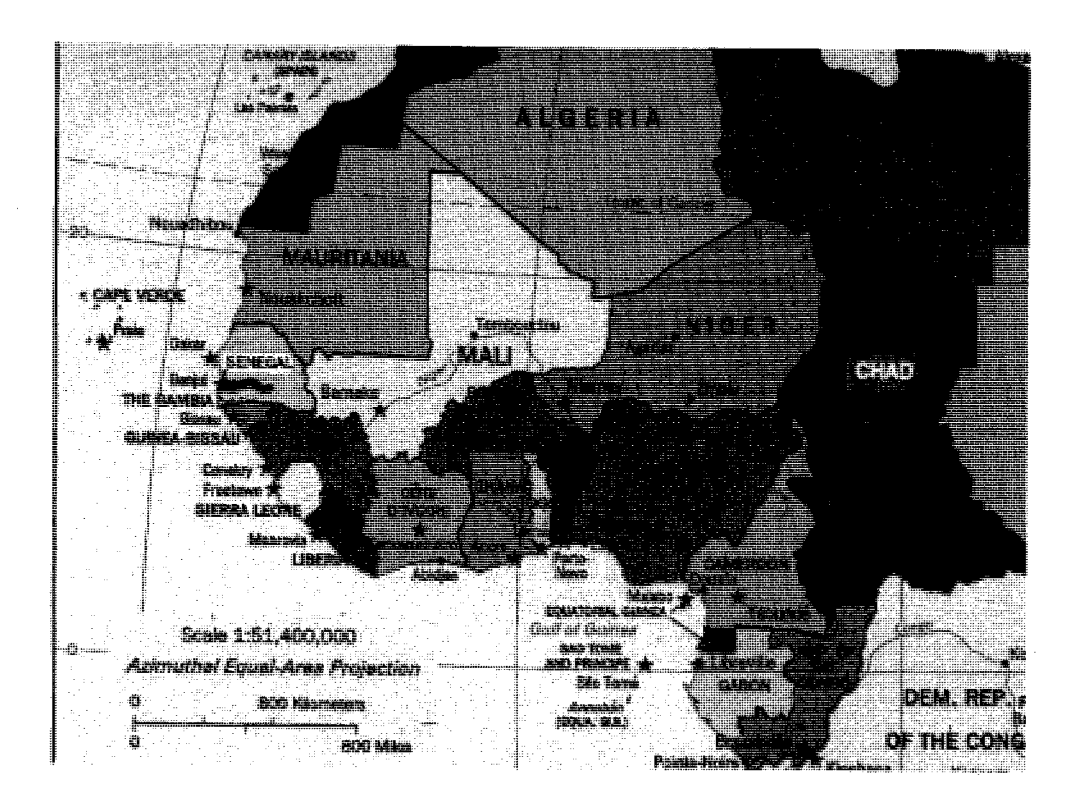
(1) Crystal, D, **An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages**, London: Penguin Books, 1992, p 9.

(2) المصدر السابق ص 10.



1.2

الفصل الثاني
جغرافية غرب إفريقيا



1.2.1 الموقع: تقع أراضي غرب إفريقيا ما بين خطي العرض 4° و16° شمال خط الاستواء في الجنوب وخط الدول 13° و17° غرب خطّ غرينتش، وتحدّها من الشمال الصحراء الكبرى، ومن الشرق الكامِرون وبحيرة تشاد، ومن الجنوب خليج غينيا ومن الغرب المحيط الأطلسي[1] (أنظر الخريطة في الأعلى).

1.2.2 **التعريف السياسي لإفريقيا الغربية:** يشمل التعريف السياسي لغربي إفريقيا

---

(1) جارا، الحسن عمر الفاروق ، **الأوضاع السياسية وانعكاساتها على المسلمين في غرب إفريقيا**، (رسالة إعداد لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، المقاصد عام 1994 م – 1995 م .1415 هـ - 1416 هـ)، بيروت، ص 15.

الأجزاء الواقعة ما بين حافة الصحراء الكبرى في الشمال ، وحدود تشاد في الشرق، ومحور جبال الكامِرون في الجنوب الشرقي بينما يحيطها المحيط الأطلسي من الجهتين الجنوبية والغربية.[1]

تقسم إفريقيا الغربية سياسياً إلى جزأين متوازيين رئيسيين هما:

1) الجزء الغربي الذي يتمثل بالسودان الغربي West Sudan[2].

2) المنطقة الساحلية أو ساحل غينيا Costal Region.

وكل من هذين القسمين يتميز بجغرافيته وثقافته وتاريخه. فالجزء الأول يتمثل في الدول الموجودة في غرب السودان وتشمل:

بوركينا فاسو	BURKINA FASO
الرأس الأخضر	CAPE VERD
غامبيا	GAMBIA
مالي	MALI
النيجر	NIGER
السينغال	SENEGAL
موريتانيا	MAURITANIA

أما المنطقة الساحلية هي ذلك الواقعة على الساحل الغيني فتشمل:

بنين	BENIN
ساحل العاج	COTE D'IVOIRE
غانا	GHANA
غينيا (بيساو)	GUINEE BISAO
ليبريا	LIBERIA
نيجريا	NIGERIA
سيراليون	SIERRA LEONE
توغو	TOGO
غينيا (كوناكري)	GUINEE CONAKRY

(1) المصدر السابق، ص 15.

(2) يُقصد هنا بالسودان الغربي كل البلاد الإفريقية غير العربية التي تقع في الصحراء الكبرى.

وستتكلم عن دولة من هذه الدول على حِدة في ملحق هذا البحث.

1.2.2 التضاريس: تتشكل إفريقيا الغربية من هضبة عملت العوامل الطبيعية في تغيير قشرتها الخارجية، ففيها الصحاري الواسعة والأودية الخصبة والسهول المنبتة، وتمتد تضاريسها من تشاد إلى الأطلسي تنقسم من الشمال إلى الجنوب إلى الأقسام التالية:

1- المنطقة الشمالية: تقع بين الصحراء الكبرى شمالاً إلى وادي النيجر الأوسط جنوباً، وهذه المنطقة صحراوية في أغلب مساحتها تتخللها بعض الهضاب والوديان والواحات والعيون.

2- المنطقة الوسطى: تمتد من بحيرة تشاد شرقاً حتى منطقة FoutaToro فوتا تورو السنِغالية غرباً وترتفع في وسطها هضاب النيجر. وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مراعٍ خصبة.

3- المنطقة الجنوبية: والمنطقة المشرفة على خليج غينيا وتضم عدة كتل جبلية أهمها Fouta Djallon فوتا دجالون. تغطي هذه المنطقة الغابات الإستوائية الكثيفة وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية.

ويدخل في إفريقيا الغربية القسم الأكبر من منطقة "الساحل" الشبه جافة والتي تقع جنوب الصحراء الكبرى ابتداءاً من السودان شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً مرورا بالسنغال وموريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وأقصى الشمال الشرقي لنيجريا. تبلغ مساحة الساحل حوالي 4 مليون كلم مربع[1] ويؤلف هذا الإقليم منطقة عازلة بين الصحراء الكبرى ذات المناخ الجاف والمناطق الاستوائية الرطبة والتي تعرف باسم سافانا. وقد شهدت منطقة الساحل ابتداءاً من القرن الثامن الميلادي ظهور مراكز سياسية وثقافية نشطة بسبب أهميتها الاستراتيجية لعبور التجارة إلى إفريقيا الشمالية.

تنحصر الجبال في المنطقة الغربية والشرقية من غرب إفريقيا ففي الغرب تعتبر فوتا دجالون أهم المناطق الجبلية وتمتد في كلٍ من غينيا (كوناكري) وغرب ليبريا وشمال سيراليون. ويعتبر جبل نيمبا Nimba -الذي يقع في جنوب غينيا (كوناكري) قرب الحدود مع ليبيريا وساحل العاج- أعلى قمم جبال فوتا دجالون إذ يصل ارتفاعه إلى 1752م بينما يبلغ الارتفاع الوسطي في شمال هذه الجبال قرب حدود السنِغال نحو

(1) Callot, Y. "Sahil", **Encyclopaedia of Islam**, New edition, Leiden: E. J. Brill, 1995, v. VIII, p. 837.

1500م، أما المنطقة الوسطى من هذه الجبال فإنها تقوم في دولة توغو ومتوسط ارتفاعها هو 900م. أما في الشرق فتوجد مرتفعات آداماو Adamoua التي تقع في الكامرون ويبلغ معدل ارتفاعها حوالي 1035م[1].

أما الشواطئ في إفريقيا الغربية فبعضها صخري والآخر رملي. ترتفع الشواطئ الصخرية في كل من موريتانيا والسنغال، أما الشواطئ الرملية فتبدأ في غينيا (بيساو) وتنتهي في نيجريا مشكلةً بعض الخلجان القليلة التي تؤلف موانئ صالحة لرسو السفن مثل أبيدجان في ساحل العاج. أما الجزر فقليلة أهمها أرخبيل "بيجاغوس Bijagós" قبالة ساحل غينيا (بيساو) وجزر الرأس الأخضر وجزيرتي ساوتوم وبرنسيب (SăoTomé & Principe).

1.2.3 الأنهار: تعتبر كتلة فوتا جالون مصدراً رئيسياً للمياه نظراً لكثرة أمطارها ولطبيعة تركيبها الجيولوجي الذي يسمح بتخزين المياه. وتنبع من هذه الكتلة أكثر أنهار إفريقيا الغربية، وأشهر هذه الأنهار:

1.2.3.1 نهر السنغال: يبلغ طوله حوالي 1600 كلم وينبع من وسط غينيا (كوناكري) ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة سان لوي السنغالية. القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة وهو مصدر الخصب للأراضي التي يمر بها.

1.2.3.2 نهر النيجر: يبلغ طوله حوالي 4200 كلم وينبع من الحدود الغينية (كوناكري) مع سيراليون. يرفد هذا النهر كثير من الأنهار ويمر في كل من غينيا (كوناكري) ومالي والنيجر حيث يئلف قسم من الحدود بين هذه الدولة وبنين ثم يتجه إلى نيجريا ليصب هناك في دلتا كبيرة. ونهر النيجر صالح للملاحة وهو مصدر هام لصيد السمك، وقد قامت على ضفافه وخاصة في مالي حضارات أهم المدن الإسلامية التي برزت في غرب إفريقيا خلال الفترة التي سبقت الاستعمار الأوروبي.

وبالإضافة إلى هذين النهرين هناك أنهار أقل أهمية مثل نهر "كاسمانس Casmance" في السنغال ونهر غامبيا في دولة غامبيا وأنهار فولتا (الأبيض والأحمر والأسود) والتي تقع في بوركينا فاسو. أما البحيرات فهي شبه معدومة باستثناء بحيرة فولتا في غانا.

1.2.4 المناخ: المناخ في إفريقيا الغربية شبه استوائي يتميز بارتفاع الحرارة وزيادة كبيرة

(1) "Cameroon", **Encyclopedia Americana**, 1995, v. 5, p. 283.

في الرطوبة. تكثر الأمطار في إفريقيا الغربية على العموم، غير أنها تقل كلما اتجهت نحو الشمال في الداخل، وتبقى المناطق الساحلية غزيرة الأمطار وتصل إلى درجة تصعب معها رؤية الأشياء.

1.2.5 الثروات الطبيعية:

1.2.5.1 النباتات: تتميز المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية بكثرة الغابات وذلك بسبب كثرة الأمطار وشدة الرطوبة وتتكاثف بشكل عظيم في بعض المناطق حتى يصبح من الصعب اجتيازها. وتعتبر هذه الغابات مراتع طبيعية للحيوانات كالفيل والثور الوحشي وحصان البحر والزرافات وبعض الأسود والنمور والغزلان.

وتشتهر في إفريقيا الغربية أشجار البن التي تتركز في ساحل العاج وأشجار الكاكاو التي تنتشر في كل من ساحل العاج أيضاً وغانا ونيجِريا.

1.2.5.2 المعادن: لقد كان من شأن التغيرات والتقلبات المناخية خلال عهود جيولوجية طويلة أن تغطت أرض إفريقيا الغربية بتربة حمراء غنية بالمعادن ناتجة عن تفتت الصخور. وينتشر الحديد في موريتانيا والفوسفات في السِنِغال والبوكسيت في غانا وغينيا (كوناكري) والمنغنز في غينيا (كوناكري) أيضاً، وتحوي أراضي سيراليون وغانا على الماس وأراضي مالي والنيجِر على الأورانيوم، أما الذهب فيتواجد في غانا ومالي وبوركينا فاسو، كما يتواجد الملح في كل من السِنِغال ومالي والنيجِر وبوركينا فاسو وغانا، وقد لعب كل من الذهب والملح دوراً هاماً جداً في تاريخ وتقرير مصير الأمبراطوريات الإسلامية التي قامت في تلك المنطقة في العصور الوسطى. ولعل أهم معادن إفريقيا الغربية الآن هو النفط الذي يتواجد بكثرة في نيجِريا حيث يشكل حيزاً واسعاً من المدخول القومي لهذه الدولة.

1.2.6 السكان: لم تستطع تضاريس إفريقيا الغربية من أن تصد قدوم المهاجرين أو الفاتحين إليها، فشعوب تلك المنطقة هم مزيج من الجماعات والقبائل التي أتت من الخارج وامتزجت مع السكان القاطنين فيها. لكذلك لم يجمع العلماء على نظرية واحدة تشير إلى أصول سكان إفريقيا الغربية، وقد وجدت عدة فرضيات حول المُواطن الأول لسكان غرب إفريقيا ومؤداها أن إفريقيا الشرقية ووادي النيل كانا في عهود بعيدة المنطلق الأول لهجرات متتابعة إلى غرب القارة عن طريق تشاد أو الصحراء الكبرى، ويستنتج بعض العلماء من التقارب في الأصول اللغوية والكلمات المشتركة بين بعض اللغات

كأدلـة على وحدة أصل الشعوب في إفريقيا الغربية حتى أنهم ذهبوا في القول أن اللغات الإفـريقية هـي تطـور للغـات مـصر القديمة[1]. وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم مواطني إفريقيا الغربية إلى المجموعات السكانية التالية:

1.2.6.1 الـزنوج: وهـم أسـاس الـسكان الحاليين، ينقسمون إلى عدة إثنيات وقبائل ويمـتازون بجمـاجم مستطيلة وبشرة سوداء وشعر مفلفل وبأنف عريض وبأقدام مفلطحة وبـشفاه سمـيكة وغلـيظة. ويـدخل ضـمن هـذه المجمـوعة زنـوج 'بيغمي Pygmy' الذين يـتواجدون في الغابـون الكامـرون ويتميـزون بقامـة قصيرة جداً حيث يصل معدل طول الـشخص العـادي منهم بين 120 و150 سم كحد أقصى ويميل لون بشرتهم إلى السمرة، وأرجلـهم قـصيرة بالنـسبة لأيـديهم وبطـونهم بـارزة وبياض عيونهم نقي لا يحوي نقط سـوداء كبقـية الـزنوج كمـا أن أجـسام ووجـوه الذكور منهم مغطاة الشعر بعكس باقي الذكـور الـزنوج. يـسكن زنـوج بيغمـي في الغابات ويعيشون على الصيد وقطف الثمار وينتشرون على شكل جماعات صغيرة منعزلة تعتنق الوثنية.

1.2.6.2 الحاميون: هم مجموعة من الشعوب التي تنتمي إلى العرق الأبيض القوقازي وتعـود أصـولها إلى آسـيا ومن الأرجح إلى جنوب الجزيرة العربية وقد استقرت في القرن الإفريقـي وغـرب وشمـال إفـريقيا. يمتاز الحاميون بالقامة الطويلة وببشرة سمراء نحاسية ووجـه بيـضوي وبأنـف دقـيق وضـيق وأجـسامهم علـى العموم نحيلة وأكتافهم عريضة وصـدورهم مخـروطية الشكل. وقد استقر قسم منهم بينما بقي القسم الآخر على شكل قـبائل رحـل. ويـندرج في هـذه المجمـوعة البربـر؛ وأهم فروع البربر في غرب إفريقيا هم الطـوارق الذين يتواجدون في مالي والنيجر ويعرفون أحياناً بالملثمين بسبب تغطية الوجه عـند رجـالهم للحماية من لهب وغبار الصحراء. يدين الطوارق بالإسلام ويتكلمون لغة تماشيك التي تنتمي إلى عائلة اللغات البربرية.

1.2.6.3 الفولانـي: اخـتلفت أقـوال المـؤرخين في أصـل الفلانيين الذين استقروا في غـرب إفـريقيا فمـنها مـن أنهـم من الفرس نزحوا من آسيا ومنها أنهم من اليهود، ومنها أنهم من العرب الأمويين أو من اليونان أو من الإيطاليين أو من أصول إثيوبية[2]، وهناك نظـريات أخرى تقول أن الفولانيين هـم نتيجة احتكاك الزنوج والحاميون بشعوب بيضاء

(1) قدّاح، ص 12.

(2) Cornevin, R."Fulani", **Encyclopaedia of Islam,** New edition, Leiden:E.J.Brill, 1965, v.2, p.939.

من زمن طويل وهذه الشعوب هي العرب والبربر والطوارق.[1] ومهما يكن من اختلاف في وجهات النظر حول أصل هذه الشعب إلا أن الواقع الآن يفيد أن الفولانيين ينتشرون في غرب إفريقيا في المنطقة الممتدة من السنغال وحتى الكمرون، لكن السواد الأعظم من هذا الشعب يتواجد الآن في نيجريا، وقد اعتنق شعب الفولاني الإسلام في القرن 11 الميلادي[2] وأسست مجموعة منه دولة إسلامية في شمال نيجريا خلال القسم الأول من القرن التاسع عشر الميلادي[3]. لغتهم تدعى الفولا وكانت تكتب بأحرف عربية قبل الاستعمار، لكن معظمهم يتكلم لغة البلاد التي يسكنون فيها والغالبية العظمة منهم الآن رعاة ماشية.

1.2.6.4 المور: يتواجدون بشكل أساسي في موريتانيا وبنسبة أقل في كل من السنغال وغامبيا ومالي، وهم مزيج من العرب والبربر ويتكلمون اللغة العربية باللهجة الحسانية، ويتصفون بسمرة البشرة وبطول القامة وضمور الجسم وهم يشبهون إلى حد كبير عرب اليمن والحجاز[4]. يتألف المور من فئتين: المور البيضان (أو البيض) والمور السود. لا يدخل لون البشرة في تصنيف هاتين الفئتين إذ أفراد كلتهما يتصفون بسمرة البشرة، لكن الفرق بينها يعود إلى وضعهم التراتبي في المجتمع، إذ يشكل المحاربون ورجال الدين والتجار الفئة الأولى، أما الفئة الثانية فتشمل الرعاة والعمال، وكان أفراد هذه الفئة في الماضي عبيداً عن الفئة الأولى إلا أن القانون الذي أصدرته الحكومة الموريتانية في عامي 1960 و1980 ألغى كل أشكال الرق والعبودية[5]. وكلمة "مور" غير عربية وهي تعبير غامض كانت تعني لغاية القرن 19م في اللغات الأوروبية مسلمي الأندلس وسكان موانئ شمال إفريقيا، أما في العصر الحديث فإن هذا التعبير يطلق على سكان موريتانيا ومسلمي سريلانكا وعلى مسلمي جنوب الفلبين[6] ولذا فإن هذه الكلمة لها مدلول إسلامي بحت

---

(1) قداح، ص 12.

(2) أنظر:

شاكر، محمود ونافذ أيوب بيلتو، مالي، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1986، (سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، رقم : 14)، ص 32. وأنظر أيضاً:

Lystad, A., " Fulani", **Encyclopedia Americana** , 1995, v.12, p.153

(3) لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(4) قدّاح، ص 96.

(5) Levinson, David, **Ethnic Groups Worldwide: A ready Reference handbook,** Phoenix, Arizona: Oryx Press, 1998, p. 150.

(6) Levi-Provençal, E. " Moors ", **Encyclopaedia of Islam**, New edition, Leiden: E. J. =

في كثير من اللغات.

وبالإضافة إلى هذه المجموعات السكانية المحلية يوجد جاليات صغيرة من خارج إفريقيا أتت للعمل في غرب القارة، وقد استغل معظمها الظروف الاقتصادية للمنطقة فجمعت ثروة هائلة فسحت المجال لها للإستثمار هناك وإنشاء فرص عمل لأبناء جلدتها وللسكان المحليين على السواء. ولعل أهم هذه الجاليات هم العرب-اللبنانيون الذين ينتشرون في كل دولة من دول من غرب إفريقيا تقريباً ولهم نفوذ اقتصادي قوي وخاصة في مجال تجارة الماس في سيراليون(1)، وبالرغم من وجود دراسة أكاديمية(2) عنهم إلا أنه لا يوجد إحصاءات موثقة ودقيقة لعددهم مع العلم أن معظم قد حصل على جنسية البلد التي هاجر إليها. وينتمي اللبنانيون في غرب إفريقيا إلى عدة طوائف وأديان ومذاهب ويواجهون اليوم منافسة شديدة من الجالية اليهوديه هناك والتي يرتبط معظمها مع إسرائيل. وبالإضافة إلى اللبنانيين واليهود هناك جاليات أخرى تتواجد في غرب إفريقيا أهمها الجالية البريطانية والفرنسية والأميركية والهندية والصينية واليابانية. وقد عانت هذه الجاليات من الإضطرابات الداخلية والحروب الأهلية التي عصفت في بعض دول غرب إفريقيا وخاصة في ليبريا وسيراليون وساحل العاج وإضطر الكثير من أفرادها للرحيل وترك جنى عمرهم وجميع ممتلكاتهم وأعمالهم والهروب إلى دول أكثر أمناً أو العودة إلى وطنهم الأم بالرغم من حصول العديد منهم على جنسية البلد الذي أتوا إليه.

1.2.7 اللغات: يوجد في إفريقيا الغربية أكثر من 150 لغة(3) ومع ذلك فإن لغة المستعمر ما زالت طاغية في كثير من مجتمعات إفريقيا الغربية التي استعمرها، إلا أن أكثر اللغات شيوعاً في هذه المنطقة هي لغة الهوسا التي يتكلم بها حوالي 25 مليون شخص منهم 20 مليون في نيجريا والباقي موزعون في النيجر وبعض مناطق الكامرون وغانا(4).

=

Brill, 1965, v.VII, p. 236.

(1) Diamonds, Corruption and the Lebanese Connection ,
www.expotimes.net/backissuesnov2/nov002300. htm. (4.5.2003).

(2) أنظر:

Van der Laan, L., "Migration, Mobility and Settlement of the Lebanese in West Africa", In: **The Lebanese in the World: A Century of Emigration**, edited by Albert Hourani and Nadim Shehadi, London: The Centre for Lebanese Studies, 1991, pp 530-547.

(3) قدّاح ، ص:22.

(4) Lystad, p. 168.

وتعتبر العربية اللغة الرسمية في موريتانيا وهي الدولة العربية الوحيدة في غرب إفريقيا، كما تسود اللغة العربية الأوساط الدينية الإسلامية في باقي دول إفريقيا الغربية وخاصة في السينغال ومالي والنيجر.

1.2.8 الأديان: دين معظم سكان غرب إفريقيا بالإسلام الذي دخلها في القرن العاشر الميلادي، فهو ديانة الأكثرية في كل من بوركينافاسو وغامبيا وغينيا-كوناكري ومالي وموريتانيا والنيجر والسينغال وسيراليون. ومع قدوم الإرساليات التبشرية الأوروبية مع الاستعمار إلى غرب إفريقيا في القرن الخامس عشر والسادس عشر دخلت المسيحية تلك الأصقاع وأصبحت الآن الديانة الثانية فيها وتتركز في ليبريا وسواحل غانا وساحل العاج ونيجيريا وتوغو وبنين. وتسود الوثنية في المناطق الداخلية حول الغابات مثل غانا وساحل العاج وليبريا وبنين وغينيا-بيساو. وبالإضافة إلى هذه المجموعات الدينية الثلاثة تتواجد أقليات بهائية وديانات آسيوية (هندوسية وبوذية وكونفوشية) ويهودية وهي كلها طارئة دخلت المنطقة مع العمال ورجال الأعمال بإستثناء البهائية التي انتشرت بفضل المبشرين البهائيين الذين دخلوا إفريقيا بمساعدة الاستعمار. وإذا أردنا البحث في عدد أتباع كل ديانة في غرب إفريقيا فلن نظفر بدراسة علمية موضوعية ودقيقة، فالسجلات المدنية مضطربة وغير منظمة في كثير من المناطق الريفية والدراسات الإحصائية تقريبيّة دائماً. ومن بين هذه الدراسات الإحصائية وجدنا مرجع غربي[1] لا يعطي المسلمين حقهم مر ذكره في الهوامش ويمكن الرجوع إليه لإدراج جدول يُبَوِّب نسب المسلمين والمسيحيين وأتباع الديانات الإفريقية المحلية في إفريقيا الغربية وفي كل دولة منها، أما نسب أتباع الأديان الأخرى فهي غير مذكورة بسبب ضآلة عددها وقلة وجودها وهي تشمل البهائيين والأديان الآسيوية واليهود. والجدول هو كالتالي:

اسم الدولة أو المنطقة	نسبة المسلمين	نسبة المسيحيين	ديانات محلية
غرب إفريقيا	٪47,2	٪34,4	٪18
بنين	٪20	٪28	٪51,5

(1) هو:

Melton, J. G. & Bauman, M (eds). **Religions of the World: A comprehensive Encyclopedia of Beliefs and Practices**. 4 vols. Santa Barbara, California: ABC-Clio, 2002.

وقد يحمل هذا المرجع عدة مغالطات إلا أنه من المصادر القليلة المتوفرة والتي تفي بغرضنا.

بوركينا فاسو	%48,6	%16,7	%34,1
جزر الرأس الأخضر	%2,8	%95	%1,1
غامبيا	%86,8	%3,9	%7,8
غانا	%19,7	%55,4	%24,4
غينيا (كوناكري)	%67,3	%4	%28,5
غينيا (بيساو)	%39,9	%13,2	%45,2
ساحل العاج	%30,1	%31,8	%37,6
ليبريا	%16	%39,3	%42,9
مالي	%81,9	%2	%16
موريتانيا	%99,1	%0,3	%0,5
النيجر	%90,7	%0,6	%8,7
نيجريا	%43,9	%45,9	%9,8
السنغال	%87,6	%5,5	%6,2
سيراليون	%45,9	%11,5	%40,4
توغو	%18,9	%42,6	%37,7

وقبل أن نختتم هذا الباب لا بد من الإشارة إلى التنوع الجغرافي والسكاني في غرب إفريقيا مما أدخلها الآن في البرامج السياحية العالمية. فالغابات والأنهار والصحراء والقرى الإفريقية وثقافات الشعوب المتنوعة وحضاراتها كلها تشكل رصيداً ضخماً من الموارد والمعطيات الغريبة التي لا توجد في القارات الأخرى، وفي حال استغلالها في طريقة صحيحة ستدر على المنطقة مدخولاً عظيماً يساعدها في حل مشاكلها الاقتصادية الحادة التي ترزح تحتها ولكن... هل سيُترك المجال لسكان إفريقيا الغربية تقرير مصرهم بشكل جيد وبدون تدخلات خارجية؟

2 الباب الثاني

دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا

يتألف هذا الباب من خمسة فصول:

2.1 الفصل الأول: رحلة الإسلام من قريش إلى إفريقيا

2.2 الفصل الثاني: المنافذ الجغرافية التي دخل منها الإسلام غرب إفريقيا

2.3 الفصل الثالث: أساليب وطرق انتشار الإسلام في غرب إفريقيا

2.4 الفصل الرابع :أسباب نجاح انتشار الإسلام في غرب إفريقيا وما قدمه هذا الانتشار للقارة

2.5 الفصل الخامس: دخول اللغة العربية مع الإسلام إلى غرب إفريقيا



2.1

الفصل الأول

رحلة الإسلام من قريش إلى إفريقيا

يرجع أول نص إسلامي صحيح عن إفريقيا إلى المؤرخ العربي المسلم ابن عبد الحكم[1] في كتابه **فتوح مصر والمغرب** (و تقول بعض المصادر أن عنوان الكتاب هو **فتوح مصر وأخبارها**) الذي يُعد أقدم وثيقة محفوظة في فتوح مصر وإفريقيا الشمالية والأندلس[2].

عرفت إفريقيا الإسلام لأول مرة إبّان البعثة النبوية التي سبقت الهجرة إلى المدينة حين أشار النبي محمد ﷺ على المسلمين بأن يفرّقوا في الأرض بعدما ذاقوا الأذى والتعذيب والقتل من قريش، فلما سألوه "أين نذهب" نصحهم بالذهاب إلى الحبشة المسيحية لأن "بها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه". فخرج فريق من المسلمين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم. وخرجوا في هجرتين[3]: كانوا في الأولى أحد عشر رجلاً وأربع نساء وأقاموا في خير جوار من النجاشي[4] حتى ترامى إليهم أن المسلمين بمكة أصبحوا بمأمن من أذى قريش فعادوا، لكن آمال المسلمين لم تكن في محلها فلقوا من قريش نفس الموقف من الكره والأذى فعادوا إلى الحبشة في ثمانين رجلاً غير نسائهم وأطفالهم وأقاموا فيها إلى ما بعد هجرة النبي إلى يثرب.[5]

و في عام 18هـ – 639م دخلت القوات الإسلامية إفريقيا من فلسطين عبر سيناء بقيادة عمرو بن العاص فتم فتح مصر كلياً عام 642م بالإضافة إلى برقة وطرابلس.

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(2) معلوف، لويس وتوتل، فردينان، **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، ط 15 ، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1956، القسم الثاني، ص 382.

(3) حصل ذلك بين عامي 615م و622م، أنظر:

مؤمن، مصطفى، **قسمات العالم الإسلامي**، بيروت: دار الفتح، 1974، ص 353. وأنظر أيضاً:

Nanji, Azim A. (ed.), **The Muslim Almanac**, New York: Gale Research Inc., 1996, p. 28.

(4) هو لقب ملك الحبشة.

(5) هيكل، محمد حسنين، **حياة محمد**، ط9، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1965، ص 153.

وفي زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (26هـ -646م -- 86هـ -705م) هاجر بعض الأمويين إلى شرقي إفريقيا، وعاشوا في ربوعها، وكان هذا الاستقرار قد حدث بهدوء وبدون أي قوة أوعنف، ولا يذكر لنا التاريخ حروباً أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين. وقد أثر الإسلام في شرق إفريقيا حتى أصبحت اللغة السائدة هناك لغة أفريقية مطعمة بكلمات عربية وعرفت باللغة السواحلية، وأصبح للعرب المسلمين إمارات في سواحل القارة الشرقية لها اتصالات بالجماعات الإسلامية في شبه الجزيرة العربية وبالتجار والقبائل في القارة الإفريقية. وتتابعت الهجرات الإسلامية إلى شرق إفريقيا أو (بر الزنج) كما دعاه المسلمون، فانتشر أولا في بعض الجزر الساحلية مثل : "مافيا" و"زنجبار" و"بما" (و كلها الآن جزء من تانزانيا)، ثم في المراكز الساحلية الشهيرة مثل "سُفالة" على الساحل الموزامبيقي، و"مالندي" و"موموباسا" على الساحل الكيني، و"كلوا" و"دار السلام" على ساحل تانزانيا، وقد ازدهرت هذه المدن واختلط فيها العرب المسلمون بالأفارقة. وقد زار ابن بطوطة[1] في القرن الرابع عشر الميلادي "مقديشو" على الساحل الصومالي و"كلوا"، و"موموباسا" وشاهد ما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة رخاء، فوصف الشوارع المنظمة التي رآها وذكر أن للمنازل حدائق غناء ومنازل العرب مبنية هناك من الحجارة والمونة والنوافذ خشبية مزينة بالنقوش المحفورة، وشاهد المساجد المزينة بالنقوش، كما تكلم عن اختلاط العرب بالسكان بالأفارقة. وعن هذا الطريق تعمق الإسلام إلى قلب القارة الإفريقية بالقدوة والتزاوج مع السكان الأصليين (البانتو) بل وتكونت سلطات عربية داخلية مثل سلطنة حمد بن محمد الرجبي شرق الكونغو.[2]

وفي عام 670م فتح عقبة بن نافع تونس وأنشأ مستعمرة عسكرية أسماها "القيروان"، وفي عام 682م وصل هذا القائد إلى شواطئ الأطلسي، وما أن حل عام 688م حتى كان الشمال الإفريقي كله في قبضة المسلمين.

أما عن غرب إفريقيا، موضوع بحثنا، فيذكر الجغرافي الأندلسي عبد الله البكري[3] أن بني أمية أرسلوا جيشاً إسلامياً لفتح بلاد السودان[4] في صدر الإسلام، واستقرت ذرية

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(2) المصري، الجزء الثاني، ص 650 – 651 .

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(4) يُقصد بها العمق الإفريقي.

من هذا الجيش في بلاد غانة[1]، وحملوا الإسلام إلى أهلها، ثم جاء الإسلام بعد ذلك عن طريق التجار وهجرات العرب والبربر كما سنذكر ونفصل لاحقاً. وهكذا بدأ الإسلام يتغلغل في غرب إفريقيا إلا أن دخل المرابطون مملكة غانة الوثنية في القرن التاسع الميلادي فأسلم سكانها على نطاق واسع. ويقول القلقشندي[2] عن إسلام أهل غانة في هذه الفترة: "وكان أهلها أسلموا في أول الفتح"،[3] وبذلك لم يظهر الإسلام مرة واحدة في إمبراطورية غانة وفي وقت قصير[4].

توالى من بعد هذا الفتح الإسلامي لغربي إفريقيا نشر الدعوة بشكل منظم أعطى نتائج مشرقة في تاريخ تلك المنطقة، إذ بعد أن تثبت وتعزز الإسلام فيها حدث من هناك وبإتجاه الجنوب إختراق إسلامي قوي كان له الأثر الفعال في انتشار الدين الحنيف في تلك الأصقاع.

---

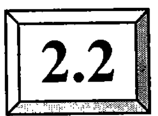
(1) البكري، أبو عُبيد، **المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب** وهو جزء من كتاب السالك والممالك، بغداد: مكتبة المثنى (دون تاريخ)، ص 179 .العنوان الأصلي:
Description de l'Afrique Septentrionale par Abou-Obeid-el-Bekri, texte Arabe revue sur quatre manuscrits par Le Bon de Slane, Alger: Imprimerie du gouvernement, 1857.

(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(3) القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى**، القاهرة : المطبعة الأميرية، 1913 – 1938، مج 5، ص 284.

(4) سانا، صالح عبد الله ، **مدخل قضايا المسلمين في غرب إفريقيا**، د.م.: القارئ العربي للتوثيق والإعلام والتأليف والتراث والنشر، د. ت.، ص 136 – 137.





الفصل الثاني

المنافذ الجغرافية التي دخل منها الإسلام غرب إفريقيا

دخل الإسلام غرب إفريقيا من شمال القارة متبعاً في أغلب الأحيان طُرق القوافل والمراكز التجارية عبر الصحراء الكبرى وعلى طول الساحل الأطلسي حيث تتجه هذه المسالك إلى مناطق اتصال الرمال بمياه المحيط والتقاء مجاري الأنهار بالأطراف الجنوبية للصحراء وذلك في مواقع ثلاثة:

2.2.1 الثنية الشمالية لنهر السنغال:

حيث وصل الإسلام على يد التجار والبربر والعرب الأوائل.

2.2.2 المنحنى الشمالي لنهر النيجر:

حيث يصل النهر إلى أطراف الصحراء عند تمبكتو وغاو (Gao) وجني (Djénné) وكلتاهما الآن في دولة مالي. وبذلك انتشرت العقيدة الإسلامية على يد التجّار ومن اقتفى أثرهم من الدعاة في بلاد غانة وبين شعب السوننكي[1] والماندينغ[2]. ونتيجة لذلك أصبح الإسلام واسع الانتشار في مملكة غانة الوثنية، فلما جاء فتْح المرابطين بقيادة أبي بكر اندفعت الجموع الوثنية لاعتناق الإسلام، وتكوّنت أول نواة للإسلام في مملكة غانة التي اصبح الإسلام طابعها، حيث بُنِيَت على أنقاضها إمبراطوريتي مالي وصنغاي الإسلاميتان العظيمتان.

2.2.3 منطقة بحيرة تشاد وشمال نيجريا:

حيث هبط الإسلام مع التجار والدعاة إلى مناطق المجاري المائية التي تصب في البحيرة، وتأسست حول البحيرة إمبراطورية كانم وبرنو[3] الإسلامية كما تكونت في

---

(1) وهي أحد فروع قبيلة الماندينغ الزنجية والتي تعتبر أكبر قبائل غرب إفريقية وأكثرها انتشاراً. ويعتبر السوننكي الحجر الأساس في سكان مملكة غانة.

(2) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(3) لمزيد من المعلومات عن هذه الدولة الفصل الرابع للباب الثالث في هذا البحث.

شمـال نيجـريا إمـارات الهوسـا[1] الإسـلامية ، وبقـي الإسلام مدة ثلاثة قرون ينتشر في السـودان الغربـي علـى هـذا الشكل من اتصال القبائل وارتحال التجار والقبائل والدعاة والمصاهرة.

(1) لمزيد من المعلومات عن هذه الإمارات راجع الفصل الخامس للباب الثالث في هذا البحث.

2.3

الفصل الثالث

أساليب وطرق انتشار الإسلام في غرب إفريقيا

انتشر الإسلام في غرب افريقيا بعدة أساليب وطرق قلما نجدها مجتمعة في مناطق إخرى دخلها الدين الحنيف. فالفتوحات العسكرية كانت الحجر الأساس لانتشار الإسلام في فارس والمشرق العربي وشمال إفريقيا، ووصل دين الحق إلى جنوب شرق آسيا وجنوب الهند بفضل النشاط الدعوي للتجار المسلمين وأخلاقهم الحميدة، وفي شمال القوقاز شقت الصوفية طريقها لتثبت دعائم وأركان الإسلام في تلك المنطقة الجبلية. أما في غرب إفريقيا فقد اجتمعت عدة طرق دخل الإسلام بواسطتها إلى تلك المنطقة، وهذه الطرق هي:

2.3.1 الدعاة:

مما عمل على نشر الإسلام في غرب إفريقيا هم الدعاة الذين لا يخلو منهم وقت، وإذا لم يكن هناك جمعيات خاصة للدعوة، ولا مسؤولون مدرّبون لهذا الغرض، ولا هيئات تشرف على الدعوة، كما هي الحال في الإرساليات التبشيرية[1] التي تدعمها أوروبا والاستعمار والتي لها غايات وأغراض من وراء ذلك، فإن الإسلام يختلف تمام الاختلاف حيث أن الداعية الإسلامي يعمل من دون واسطة بينه وبين وربه، كما أن الدعوة الإسلامية واجبة على كل فرد، بل يحصل منها المسلم على أفضل الثواب الذي يعمل في حياته الدنيا جاهداً له وهذا هو الهدف، وهذه هي الغاية وكلها لله، فعن سهل ابن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النّعم». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[2].

---

(1) لمزيد من المعلومات عن التبشير في إفريقيا الغربية راجع الفصل الثاني من الباب الرابع لهذا البحث.

(2) أخرجه مسلم في كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة (4831)، دار إحياء الكتب العربية، (1985م) ط1.

وهنا شعور بالمسؤولية التي ألقيت على كواهل المؤمنين من الأفراد بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] إذ أن الداعية أكثر تشدداً واهتماماً في أداء واجباته الدينية وأشد تحملاً للمتاعب في سبيل الدعوة، ولم يكن بحاجة إلى الخوف من مراقبة سلطة دنيوية عُليا كما هي الحال في الإرساليات التبشيرية، لذا كان يعمل بنشاط ولنفسه ويعلم أنه إن أخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران وإنما عليه أن يكون حسن الكلام وحكيما في دعوته كما يقول الحق: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[2].

وكان السلوك الطيب لهؤلاء الدعاة هو الذي يجلب الناس إلى اعتناق الدين الحنيف، ولنأخذ أمثلة من عمل هؤلاء الدعاة حديثا، ففي عام 1955م ظهر مبشر[3] إفريقي يدعى "نواغي" Nwagui أتمّ دراسته الدينية في الكليات التبشيرية وأتقن اللغة الإنكليزية. عمل هذا المبشر على نشر الدين المسيحي وبناء الكنائس وإذ به ذات يوم يعتنق الإسلام بعد أن سافر إلى السنغال والتقى بأحد الدعاة هناك، وقد اهتدى إلى شيخ الطريقة التيجانية[4] الحاج أحمد إبراهيم أنياس في مدينة كوالاك Kaolack في السنغال، وتتلمذ علي يديه ثلاث سنوات، تلقى خلالها مبادئ التيجانية إلى أن صار داعية وعالما يدعو إلى الدين الإسلامي وعندما عاد إلى نيجريا اعتنق الإسلام ستة آلاف شخص من بلدته التي يعيش فيها وهدموا الكنيسة التي أنشأوها وأشعلوا فيها النار، ويعد "نواغي" أحد دعاة الإسلام في شرقي نيجريا.

و لعل أهم من اتبع طريق الدعوة في غرب إفريقيا هم التجار ورجال الصوفية، وسيأتي الحديث عن نشاطهم في السطور القادمة.

2.3.2 التجار:

لعبت التجارة في غرب إفريقيا دوراً هاماً في خدمة الإسلام، وهذا يدل على صلة انتشار الإسلام بها. فإذا برزت مدينة تجارية كان يؤمها البائع والمشتري وسرعان ما تصبح مركزاً ثقافياً يؤمها المعلم والمريد حتى أصبح من الشائع أن مراكز الاحتكاك

---

(1) سورة آل عمران، الآية 104.

(2) سورة النحل، الآية 125.

(3) لمزيد من المعلومات عن التبشير في إفريقيا الغربية راجع الفصل الثاني من الباب الرابع لهذا البحث.

(4) لمزيد من المعلومات عن الطريقة التيجانية أنظر الفقرة 2.3.3.1.2 من هذا الباب.

تبودلت فيها السلع والأفكار، وقد تغلب الجانب الاقتصادي على بعض المراكز مثل مدينة "جني" في مالي وتغلب جانب العلم على مراكز اخرى مثل ميدنة "كانو" في نيجِريا، واشتهرت مدينة "تمبكتو" في مالي بالأمرين معًا[1]. وعلى كانت القوافل تصل تلك المدن من الشمال عبر الصحراء موردةً إليها الخيل والسيوف والأقمشة والملح ثم تعود نحو الشمال حاملةً الذهب والعبيد والأخشاب ومنتجات المناطق الإستوائية. وكانت هذه المدن غنية وقوية ذات نفوذ تفرضه على المناطق المجاورة حتى اعتُبِرت ميلانو ونورمبرغ العصور الوسطى[2].

وصل الإسلام إلى غرب إفريقيا في القرن العاشر الميلادي عبر الطرق التجارية التالية[3]:

1) طريق شمال إفريقيا نحو تمبكتو ابتداءاً من فاس وتلمسان والقيروان وطرابلس الغرب.
2) طريق شمال إفريقيا نحو منطقة بحيرة تشاد انطلاقاً من المهدية في تونس وطرابلس الغرب وطبرق.
3) طريق القاهرة – منطقة بحيرة تشاد عبر وادي النيل.

وللتجار المسلمين الدور الجليل في انتشار الدين الحنيف في تلك البقاع، وبالرغم من أن القليل منهم كان يجيد الفقه والفكر الإسلامي لعدم استطاعته التفرغ لها فان معظمهم قام باستقدام الفقهاء والعلماء لهذه المناطق وخاصة عندما يكثر عدد المسلمين بها ليتولى هؤلاء العلماء تعليم الناس أمور دينهم وشرح حضارته لهم. وعمد بعض التجار إلى تشييد المدارس والمساجد وكثيراً ما كانوا يختارون أفذاذ الطلاب من السكان الأصليين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة في مصر أو الشمال الإفريقي ليتلقوا مزيداً من العلم وليعودوا قادة للفكر الإسلامي في بلادهم، وعندما كثر إقبال الإفريقيين على السفر للتعلم في المعاهد العلمية الشهيرة عمد كثير من التجار المسلمين ببناء بيوت لهم يعيشون بها طيلة التحاقهم بهذه المعاهد، كما قدم هؤلاء التجار ما احتاجه الطلاب من نفقات ومصروفات[4].

(1) شلبي، أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1981–1982، مج 6، ص 194.

(2) Davidson, Basil, **The Lost Cities of Africa**, Boston: Little, Brown, 1970, p. 90.

(3) شلبي، مج 6، ص 194.

(4) المصدر السابق ، مج 6، ص 206.

ولعب ثراء التجار المسلمين آنذاك دوراً كبيراً في تحسين صورة الإسلام في غرب إفريقيا فساعد ذلك الغنى التاجر المسلم على بناء منزل جميل وعلى الظهور بمظهر الكرم والسخاء مما جعل هذه المنزل ملاذاً للمحتاجين ومكاناً يتطلع له الأذكياء ومحبو الإستطلاع والطمحون.(1) كما اهتم التجار المسلمون بالطرق والأمن وحددوا المكاييل والموازين والمقاييس السليمة(2) وكان التاجر المسلم لا يستطيع أن ينسى وهو يعامل الآخرين قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾(3). وقد أشاع هذا التعامل جواً من الثقة والتقدير فلقي التاجر المسلم ترحاباً أنى حل مما سهل عملية تبادل السلع والأفكار فهيأ ذلك للإسلام فرصة الانتشار والذيوع مع التجارة والتجار.

وكان التجار المسلمون يقيمون الصلاة سواء كانت فرداً أم جماعة أم جمعة ولا يشروبون الخمر ولا يأتون المنكر ومستواهم الخلقي غالباً طيب للغاية. وقد جذبت هذه الصفات الحميدة كثيراً من السكان المحليين للإنضمام إلى دين هؤلاء التجار. وقد تزوج كثير من التجار المسلمين المقيمين من النساء المحليات وكن هؤلاء في معظم الأحيان من بيوت رؤساء القبائل وأصحاب النفوذ مما ساعد دخول هؤلاء الرؤساء في دين أصهارهم فتتبعهم باقي القبيلة، وقد لعب تعدد الزوجات دوراً مهماً في خدمة الإسلام، فكان هذا الزواج معروفاً في تلك البقاع ولكن من دون ضوابط أو حدود فجعله الإسلام مشروطاً بالعدالة ولم يسمح بأن يتجاوز عدد الزوجات أربعاً، وكانت الضرورة تقضي في هذه الظروف بعدد الزوجات فالتاجر ترك زوجته في وطنه ويعسر عليه أن يعيش عدة شهور دون زوجته ومن هنا يتخذ له زوجة في المكان الذي يتجر فيه ويصبح بيته مركزاً إسلامياً يلعب دوراً كبيراً في خدمة الإسلام.(4)

وقد لعبت التجارة أيضاً دوراً في وصول الإسلام إلى الطبقة الحاكمة في بعض ممالك إفريقيا الغربية، فمع ازدياد العلاقات التجارية خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين تطور الحضور الإسلامي في هذه الممالك مثل مملكة غانة إلى وجود مستشارين

---

(1) المصدر السابق ، مج 6، ص 205

(2) المصدر السابق ، مج 6، ص 202.

(3) سورة المطففين، الآيات 1-5 .

(4) شلبي، مج 6، ص 205.

مسلمين في البلاط الملكي[1] وهذا ساعد على توطيد وتعزيز الإسلام في تلك المنطقة.

2.3.3 الصوفية:

الصوفية هي حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي كردة فعل مضادة للإنغماس في الترف الحضاري[2]، وذلك من خلال الإعتكاف على العبادة والانقطاع إلى الله والتقرب إليه والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس من لذة ومال وجاه[3]. وقد اختلفت الآراء حول أصل كلمة "صوفية" فقال البعض إنها نسبة إلى رجل يقال له صوفه واسمه "الغوث ابن مر" ظهر في العصر الجاهلي وقال البعض الآخر إنها اشتقاق من الكلمة اليونانية "صوفيا" Sophia أي الحكمة، وقيل أيضاً إن الصوفية من الصوف لاشتهار أتباعها بلبسه[4] أو لأنهم كانوا يركنون إلى صفة المسجد[5].

بدأت الصوفية في أول عهدها كخلايا صغيرة ومجموعات حرة لا تسير على نظام خاص أو ترتيب موضوع وكل ما كان يربط بين قلوب أفراد الخلية هو التوجه الروحي وتشابه المقاييس الأدبية وإتفاق القيم الروحية، ثم أخذت دائرة هذه المجاميع تتسع شيئاً فشيئاً في أقطار الإسلام المختلفة حتى أصبحت شبكة واسعة الحلقات شملت العالم الإسلامي بتعاليمها وآدابها وأهدافها ومدارسها[6]. وقد لعبت الصوفية دوراً هاماً في انتشار الدعوة الإسلامية في كثير من مناطق العالم وذلك من خلال التخلق بالفضائل ومراقبة القلوب والخواطر والربط بين العقل والدين[7].

وكانت إفريقيا - وخاصة قسمها الغربي حيث كان فيه فراغ روحي وحيث لا تبتلع الأعمال أوقات الناس- من المناطق التي دخلها الإسلام عبر الصوفية التي واجهت

---

(1) Nanji, Azim A. (ed.), **The Muslim Almanac**, New York: Gale Research Inc., 1996, p. 47.

(2) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ط 2، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1989، ص341.

(3) "الصوفية"، **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996، مج 15، ص201.

(4) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ص341.

(5) "الصوفية" ، **الموسوعة العربية العالمية**، مج 15، ص201.

(6) عياد، أحمد توفيق، **التصوف الإسلامي**: تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره، القاهرة: مكتبة الأنجلوالمصرية، 1970، ص 271.

(7) المصدر السابق، ص 265، 266.

الوثنية والديانات المحلية، فلاقى الدين الحنيف تجاوباً واسعاً من قِبَل الشعب الذي وجد في شعائر الصوفية والإنضمام لحلقات الذكر ما يشبع ظمأه ويسد حاجته للشعور باستقرار روحي. وكان الشيخ ومريدوه ينزلون على القبيلة ويقيمون بها حلقات الذكر وينشدون الأناشيد والتراتيل الدينية والشيخ تكسوه حالة من وقار والمريدون يُبرِزون له أسمى الولاء والطاعة ويتلمسون منه البركة والدعوات الصالحات.

وفي إفريقيا الغربية كان لأسلوب الطرق الصوفية ميزات غير موجودة في أسلوب التجار، فإذا كان التجار ينزلون المدن فإن رجال الطرق الصوفية كانوا يميلون للقرى والأرياف، وإذا كان التجار يسعون للربح فرجال الطرق الصوفية لا يكترثون بالمال ولا يسعون إلا للكفاف ومن هنا كان المريد يلقب بالفقير، وإذا كان نشاط التجار يغلب أن يكون بالنهار فإن نشاط الطرق الصوفية يرتبط بالليل.

لعبت الطرق الصوفية في غرب إفريقيا دورا رياديّا في نشر الإسلام وتصحيح العقيدة بعد أن مارس السكان بعض العادات الوثنية التي اختلطت بالمُثل والقيم الإسلامية، وصار من الضروري ظهور رجال الإصلاح والتجديد ليؤسّسوا مجتمعات إسلامية تتخذ من الشريعة الغراء منهاجا وسبيلا للحكم. والإصلاح والتجديد في غرب إفريقيا كان في قالبٍ صوفيٍ لا يمت بصلة لما قام به ما قام به كل من محمد عبده والأفغاني في مصر أو المهدي في السودان أو محمد بن عبد الوهاب في الحجاز. وتصادف قيام تلك الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا مع بدايات التوسع والتكالب الأوروبي على مناطق القارة الإفريقية ، فصار جهاد زعماء المسلمين في جبهتين جبهة ضد الوثنيين، وأخرى ضد الأوروبيين، وهذا ما أعطى جهاد المسلمين صفة الحروب الصليبية، والتي سجّل فيها زعماء الإسلام بطولات فائقة، ووقفوا سدًا منيعًا ضد محاولات التوسع الأوروبي وكبّدوا العدوّ خسائر فوق طاقاته، ونجحوا في إرساء أسس العقيدة الإسلامية على أساس صحيح. وما زالت شعوب غرب إفريقيا الإسلامية تدين إلى زعماء هذه الحركات الإصلاحية، ومن أبرز الزعماء الذين ساهموا بشكل فعال في مقاومة التوسع الأوروبي ذلك المجاهد التيجاني الحاج عمر الفوتى التكروري الذي توفي عام 1864م[1].

ومما هو جدير بالملاحظة أن نشاط الصوفية في غرب إفريقيا هو من ضمن تلك

---

(1) إبراهيم، عبد الله عبد الرزاق، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب 1409 هـ- 1989م ،(سلسلة عالم المعرفة، عدد 139)، ص 79-80 .

الحركات الإصلاحية والدعوية وكان يقوم في الغالب على الإرشاد، ويعتمد على انتشار التعاليم الإسلامية، ويحث على حبّ الجار والتسامح مع المسيحيين واستعمال كل وسائل الترغيب في نشر الدعوة إلى الإسلام، رغبة في نشر الدين ابتغاء مرضاة الله وحسن الثواب في الآخرة وهداية الناس.

2.3.3.1 الطرق الصوفية:

يرتبط معظم غالبية المسلمين في غرب إفريقيا برجال الدين بوساطة إحدى الطريقتين "القادرية" أو "التيجانية". ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين، ولاسيما الطريقة "التيجانية"، واسعاً جدا خلال القرن 19م. وسرعان ما أصبح الالتحاق بإحدى الطريقتين: القادرية أو التيجانية مرادا لاعتناق الإسلام، وأضحى كل مسلم يتبع واحدة من الطريقتين. ولا يمكن تفهم انتشار الدعوة الإسلامية على حقيقتها تماما وكذلك المنافسات الداخلية ضمن المجموعات الإسلامية في غرب إفريقيا، دون النظر إلى ارتباط الزعماء المسلمين هناك بإحدى الطرق الدينية، لأن النفوذ السياسي لأحدهم كان يرتبط إلى حد كبير بمدى الزعامة الدينية التي يتمتعون بها. وعلى سبيل المثال يمكن القول بأن إسلام منطقة فوتا جالون Fouta Djallon (التي تقع اليوم في غينيا- كوناكري) وارتباطها بالقادرية سارا معاً في نهاية القرن الثامن عشر. وبالإضافة إلى القادرية والتيجانية كان هناك طريقة ثالثة وصلت إلى غرب إفريقيا وهي الطريقة السنوسية لكن نفوذها كان أقل من نفوذ الطريقتين السابقتين، إلا أن تعاليم كل تلك الفرق الصوفية كالقادرية، والتيجانية والسنوسية دخلت في حكم الثغور والرُبُط، تلك التعاليم التي تعمقت فيها هذه الفرق الصوفية، وعكفت على الرياضة الروحية، المقسمة بين التقشف والرياضة النفسية. وفيما يلي تعريف عن كل طريقة من تلك الطرق الثلاث.

2.3.3.1.1 الطريقة القادرية:

تعد طائفة القادرية التي تأسست في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) على يد عبد القادر الجيلاني[1]، من أوسع الفرق الصوفية انتشارا. وقد دخلت إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر الميلادي على أيدي مهاجرين من توات[2]، وهي واحة في النصف الغربي من الصحراء الكبرى ، واتخذوا من مدينة ولاته[3] أول مركز لطريقتهم

(1) للاطلاع على ترجمة حياتة أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(2) تقع اليوم في غربي الجزائر.

(3) تقع الآن في جنوب موريتانيا.

ثــم لجـئوا إلى تِمبكتو في مالي. ولم يكتف أتباع القادرية بما عرف عن الطرق الصوفية من حلقـات ذكـر بـل اتـبعوا أساليب مختلفة في نشر الدعوة الإسلامية قربتهم من الجماهير، فكـثير مـنهم جلـسوا معلمـين للـصبية أو تفقهوا بالدين فأصبحوا علماء وخطباء وكتاباً واتجه بعضهم إلى كتابة التمائم والتعاويذ. وكان أغنياء الصوفية يفتحون المدارس للطلاب أو يخـتارون أذكـى الـشبان ويرسلونهم إلى مراكز العلم والثقافة في شمال إفريقيا ليعودوا قـادة بـين أهلهم. وفي مستهلّ القرن التاسع عشر نجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الإسلامي تأثيرا عميقا تدفع بأتباع القادرية الذين كانوا يقيمون في الصحراء الكـبرى وفي الـسودان الغربـي إلى حـياة ونـشاط جديـدين وعلـى يـدهم تحول الدخول للإسلام من حالات فردية إلى حالات جماعية[1].

وكانـت مـا يـسمى اليوم "غينيا كوناكري" من أهم المراكز الرئيسية لتنظيم دعوة الفرقة القادريـة، وقـد لعـبت مـدنها ومناطقها مثل كنكان (Kankan) وتِمبو (Timbo) ومنطقة جـبال فـوتا جالـون (FoutaDjallon) وحـوض نهـر غامبيا دوراً رئيسياً في تثبيت وإبراز الـنفوذ الإسـلامي وسـط شـعب وثـني رحـب بـرجال القادريـة باعتـبارهم كُتّابا وفقهاء ومعلمين[2].

وكـان أول من نشر القادرية في بلاد السودان الغربي هو الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلـي[3] التلمـساني الـذي اتجـه بجهـوده إلى الجـزء الأوسط من الصحراء الكبرى وإلى شمـال نيجِـريا، ثم سيدي أحمد البكاء الكنتي في القرن الخامس عشر الميلادي الذي عمل على نشر دعوته في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، وتعرف طريقته بالطريقة البكائية ثـم انتـشرت القادريـة علـى يد الشيخ المختار الكنتي والشيخ السيد التأرازي الذي عمل علـى نـشر القادريـة في كـل من ما يسمى اليوم غامبيا وغينيا (بيساو) وليبريا وغانا، وفي مطلـع القـرن العـشرين بـرز الـشيخ سيدي بابا فكان عالماً وأديباً واسع الفكر عمل على القضاء على كثير من البدع والخرافات التي تفشت بين مسلمي غرب إفريقيا.[4]

(1) حسن، حسن إبراهيم، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ط2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963، ص 43-44.

(2) حسن، حسن إبراهيم، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ط2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963، ص 43-44.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) شلبي، مج6، ص 212-213.

2.3.3.1.2 الطريقة التيجانية:

نشأت هذه الرابطة الروحية في الجزائر على يد الشيخ أحمد التيجاني[1] عام 1781، وأول من نشر هذه الرابطة في غرب إفريقيا وهو الحاج "عمر الفوتي"[2] الذي ولد عام 1795 م وأخذ الطريقة من الشيخ "علي حرازم"[3] صاحب **جواهر المعاني** والتلميذ الأكبر للشيخ أحمد التيجاني. وجدت هذه الطريقة لها أنصاراً عديدين في الصحراء الكبرى وغربي إفريقيا ووسطها، وقد انتسب "محمد بللو بن عثمان" سلطان سوكوتو الواقعة في شمال غرب نيجريا الى التيجانية بعد أن اتصل به الحاج عمر الفوتي لنشر هذه الطريقة هناك.

ارتبطت التيجانية بمسألة اللجوء للسيف والقوة عند الضرورة وبهذا اختلفت التيجانية عن القادرية التي عُرفت بالتسامح[4]، وأهم الحركات الحربية التي قام بها أفراد من التيجانية هي تلك الحركة التي قادها الحاج عمر الفتوني الذي جاهد وحارب ضد الاستعمار.

ومن جلة المشايخ التجانيين الذين نشروا هذه الطريقة في غرب إفريقيا السيد "أحمد سكيرج"[5] صاحب **كشف الحجاب عمن تلاقى مع التيجاني من الأصحاب** الذي نُشِر في فاس عام 1907م – 1325 هـ. أما أهم كتاب يجمع بين مذاهب أتباع التيجانية ورياضتهم فهو **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني** تأليف التيجاني نفسه والذي قام بجمعه تلميذه علي حرازم ونُشِر في القاهرة عام 1926م – 1345 هـ. وللتجانيين عموما في هذا العهد قطب كبير هو الشيخ إبراهيم عبد الله أنياس وهو أكثر المشايخ أتباعا في غرب إفريقيا.

2.3.3.1.3 الطريقة السنوسية:

وهي فرقة دينية صوفية تهدف إلى إصلاح شأن الإسلام ونشر العقيدة الإسلامية. كان لها أثر بعيد في نشر الإسلام في غرب القارة الإفريقية وفي حوض نهر النيجر بشكل خاص خلال القرن التاسع عشر الميلادي. أسس هذه الطريقة سيدي "محمد بن علي

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(2) أنظر الفقرة 4.3.2 من الفصل الثالث للباب الرابع للاطلاع على ترجمة حياته وإنجازاته.
(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(4) شلبي، مج 6، ص 214.
(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

السنوسي[1] الذي أنشأ زوايا وأربطة في الواحات حول برقة وفزان في ليبيا وحول بحيرة تشاد في كانم[2] (Kanem) وبُرنو[3] (Bornu)، وعمل على نشر الإسلام والعلم في تلك الربوع.

وقد ضرب السنوسية أمثلة رائعة للناس في مواقفهم الحاسمة مع فرنسا التي انتزعوا منها مدينة زندِر (Zinder)[4] ودامت بأيديهم حتى استردها الفرنسيون منهم عام 1940، كما تمكنوا من الصمود أمام القوات الإيطالية حتى انهزامها في الحرب العالمية الثانية.

استطاع السنوسيون أن يقيموا دولتهم السنوسية وعلى رأسها الملك إدريس الأول الذي نودي ملكاً على برقة عام 1947 وقاد ليبيا إلى التحرير التام عام (1951)[5]. كما كان لهم فضل كبير في إسلام كثير من القبائل بعد كانوا مسلمين اسميًا مثل شعب بيدِيات (Bideyat)[6] وتيبستي[7] (Tibesti) وغيرهما.

وفي ختام حديثنا عن الطرق الصوفية لا بد من أن نفيد أن ظهور هذه الطرق بدأ متأخراً جداً في غرب إفريقيا ولم يتضح إلا في القرن التاسع عشر كما تبين من استعراض نشاط الطرق الثلاث التي قمنا بدراستها، فقد سبق التجارُ رجالَ الطرق الصوفية بحوالي عشرة قرون ومن هنا نقرر حقيقة مهمة هي أن دور الصوفية كان استمرارياً وليس تأسيسيًا،[8] ومع هذا فقد كان له نجاح واسع المدى في مجال الدعوة وفي اعتناق الإسلام بشكل جماعي من قِبل الوثنيين.

2.3.4 الممالك الإسلامية في شمال وغرب إفريقيا قبل الاستعمار الأوروبي:

عندما قامت دولة المرابطين في شمال إفريقيا في القرن الحادي عشر الميلادي كونت جبهة إسلامية قوية امتدت من غرب إفريقيا إلى بلاد المغرب والأندلس وكان لها فضل كبير في انتشار الإسلام في هذه الجهات، وانتشر دعاة المرابطين من السنغال إلى ما يسمى

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(2) تقع الآن في غرب تشاد وسنخصص فصل عنها.

(3) تقع الآن في شمال شرق نيجريا سنخصص فصل عنها.

(4) تقع الآن في جنوب دولة النيجر غرب بحيرة تشاد.

(5) الآلوري، آدم عبد الله ، **الإسلام في نيجريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني**، ط2، دون مكان: دار كانو، 1398هـ ، ص 46.

(6) يقطن هذا الشعب في السودان وفي تشاد، وكان يدعى في الماضي بلِ Bäle.

(7) يقطن هذا الشعب منطقة تبستي التي تقع شمال اليوم تشاد.

(8) شلبي، مج 6، ص 219.

اليوم غينيا (كوناكري) وساحل العاج والنيجر، ودخلوا إمبراطورية غانة الوثنية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر أي في عام 1076م، وصارت إمبراطورية ذات صبغة إسلامية رغم بقاء حكامها وثنيين حتى ذلك التاريخ، وعندما أسلمت تماماً اشتهر أهلها بالحماس الديني، وصاروا دعاة الإسلام في السودان الغربي[1]. وبعد فلول نجم إمبراطورية غانة ذات الوجود الإسلامي الكثيف قامت على آثارها إمبراطورية أخرى هي دولة مالي التي ساعدت على نشر الإسلام وحضارته، وذهب بعض ملوكها إلى بيت الله الحرام وسط مظاهر كبيرة، وطافوا ببلاد إسلامية في رحلتهم حاملين معهم الإسلام في كل مكان حلوا به، وأشهرهم السلطان "منسى موسى" 1307-1332م الذي مر بمصر عام 1324م. وكان هذا السلطان من دعاة الإسلام حيث امتدّ بدولته إلى النيجر، بل اخترق الصحراء وتوغل في المنطقة الاستوائية جنوبا، لكن انتهت هذه الدولة الإسلامية لتقوم على أنقاضها دولة أخرى هي دولة "صنغاي" التي حملت أيضا لواء الإسلام وتوسّعت جنوبا، ولولا غزو دولة السعديين المغربية لها في أواخر القرن السادس عشر الميلادي لكان لهذه الدولة شأن كبير في نشر الإسلام في إفريقيا[2].

ونظراً لأهمية دور هذه الممالك في نشر الإسلام في غرب إفريقيا سوف يُكرّس باب خاص عنها يتناول تاريخها السياسي والخدمات التي أدتها للإسلام في تلك المنطقة.

2.3.5 هجرة القبائل العربية والبربرية:

انتشر الإسلام في غرب إفريقيا أيضاً بفضل هجرات القبائل العربية وقبائل البربر التي أخذت تهاجر إلى غرب القارة وتبسط نفوذها ودينها الإسلامي هناك وخصوصا بني سليم وبني هلال التي تقدّمت تجاه الصحراء الكبرى باحثة عن ظروف تتشابه مع الحياة السائدة في بيئتها الأصلية في الجزيرة العربية، وترتّب على هذا التحرّك وتلك الهجرات أن اضطرت القبائل المحلية من البربر والزنوج إلى التوسع جنوبا بعد اعتناقها الدين الإسلامي، فتحرّكت قبيلة جدالة جنوبا وعبرت نهر النيجر في طريقها إلى السودان الغربي. وكانت هذه القبائل حلقة الاتصال بين المغرب بشعوبه وثقافته والمحيط الزنجي الذي يمتدّ حتى بحيرة تشاد.

---

(1) يُقصد هنا بالسودان الغربي كل البلاد الإفريقية غير العربية التي تقع في الصحراء الكبرى.

(2) إبراهيم، ص 38.

2.3.6 دور قبائل الفولاني:

اعتنقت قبائل الفولاني[1] الإسلام في القرن 11 الميلادي وكانت تتألفت من مجموعات صغيرة متناثرة ومستعمرات من الرعاة والزراع في المنطقة الممتدة من تشاد حتى السنغال مروراً بشمال نيجريا، وكان لهم دور لا يقل أهمية عن دور الممالك الإسلامية السابقة. فبعد تفكك دولة "صنغاي" ساد منطقة السودان الغربي فترة من الفوضى استمرت حوالي قرنين من الزمن تعرض فيها المسلمون لكثير من ألوان الاضطهاد حتى نهض الفولاني بثورتهم الكبرى مع إشراقة القرن التاسع عشر بقيادة الداعية الفقيه الشيخ "عثمان دان فودي"[2]. بدأت هذه الثورة عندما تفاقم الوضع بين الشيخ عثمان وبين حاكم إمارة "غوبير Gobir" الوثنية شمال نيجريا على أثر اضطهاد الرعايا المسلمين فيها، فأعلن الشيخ عثمان الجهاد وفتح تلك الإمارة ونشر الإسلام فيها[3]، وسيوضع فصل خاص عن هذا الشيخ في سياق البحث لإظهار تأثيره في حماية ورعاية الإسلام.

2.3.7 الفتوحات والغزوات:

بإستثناء الحملتين على مملكة غانة الوثنية (الأولى بقيادة الأمويين في صدر الإسلام والثانية في القرن الحادي عشر الميلادي بزعامة المرابطين) يكون دور الفتوحات والغزوات في نشر الإسلام في غرب إفريقيا صغيراً بالمقارنة مع الأساليب الأخرى التي دخل من خلالها دين الحق هذه المنطقة، إذ كان الحيز الأكبر من نشر الدعوة الإسلامية في تلك الأصقاع تم بالطرق السلمية وخاصة على يد التجار ورجال الصوفية، مما يضع إفريقيا الغربية في خانة المناطق التي انتشر فيها الإسلام بالإقناع وليس بالإكراه، وهذا أمر يعتز به كل مسلم ويمكن إعتباره نموذج يُحتذى لهداية شعوب غير إسلامية.

---

(1) راجع أيضاً الفقرة 1.2.6.3 في القصل الثاني من الباب الأول.

(2) لمزيد من المعلومات عن الشيخ عثمان راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(3) شاكر، محمود، **نيجريا**، ، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1971، (سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، رقم :2)، ص20-21.

2.4

الفصل الرابع

أسباب نجاح انتشار الإسلام في غرب إفريقيا وما قدمه هذا الانتشار للقارة

من أهم الأسباب التي سهلت انتشار الإسلام في غرب القارة هو أن هذا الدين سرعان ما أصبح فكرا محلّيا وثقافة قوية فلم يصبح كسواه من الأديان التي عاشت قرونا طويلة وهي غريبة عن البلدان التي دخلها عاجزة عن اجتذاب الأفئدة لاعتناقها، ويذكر أحد المؤرخين مبيّنا الفرق بين توقّف انتشار المسيحية وذيوع الإسلام وهو أن رجال الدين المسلمين يمكن إعدادهم بعد تدريب بسيط بحفظ سورة من القرآن الكريم أو معرفة أصول الدين، كما أنهم لا يختلفون عن أهل البلاد الأصليين في شيء، ومن الممكن أن نجد في القرية الواحدة أكثر من معلم من هؤلاء الناس، على حين نجد الكهنوت الغربي برسومه وتقاليده معقدا غاية التعقيد، مما ينفر النفس البشرية منه، بينما الدين الإسلامي لا يأخذ المجتمعات الإنسانية بالطفرة وإنما يأخذ بالرفق والأناة حتى لا تكون النقلة مفاجئة[1].

ولم يتمالك الناس من إظهار إعجابهم بالإسلام الذي يتميّز بالبساطة والوضوح وتمشيه مع المنطق السليم والفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، قال الرسول عليه الصلاة والسلام (كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه)[2]، فالإسلام خال من الطقوس والتعقيدات الموجودة في الديانات الأخرى، وكذلك أثر الدين الإسلامي على أهالي القارة السوداء وفتح ذراعيه لاستقبال هؤلاء كأخوة في الله ثم لم يكلّفهم من العبادات أو التعاليم بادئ ذي بدئ لإعتناقه سوى ترديدهم لجملة واحدة وهي: النطق بالشهادتين[3]. إن نمو الإسلام بين السود يرجع لبساطة قواعده وأحكامه وتشريعاته، وسماحة تعاليمه، التي تنسجم مع الفطرة السليمة.

---

(1) العقيلي، ص 248 .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (1296)، القاهرة، دار الريان ط1 (1407هـ).

(3) العقيلي، ص 248- 249.

ومما ساعد على انتشار الدين الإسلامي حضارة المسلمين والتزامهم بتعاليم هذا الدين ومبادئه التي تدعو للمساواة. فإن ما كان يلقاه السود الوثنيون من ترحيب المسلمين بدخولهم في الإسلام كان يرغبهم في الانضمام إلى مجتمع ديني تتطلب حضارته التي تفوق حضارتهم أن يُؤْثِر التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البرية، فكان مجرد الدخول في الإسلام يدل ضمنا على الترقي في الحضارة وأنه خطوة جد مميزة في تقدم القبيلة الإفريقية عقليًا وماديًا. وكانت الجهود الحميدة التي بذلها المسلمون الأوائل الذين دخلوا غرب إفريقيا تسير جنباً إلى جنب مع العقيدة الإسلامية السمحاء لتبلغ من القوة والبأس إلى حد أن البربرية والجهل والخرافات الدينية والوثنية، تلك الأمور التي كان يَجِدّ الدين الإسلامي في القضاء عليها، لا تجد فرصة في صد الأفارقة عن الدخول في دين الله.

رأى الأفارقة أنه بالإسلام يصبح المسلمون كتلة واحدة لا تفرقهم القبائل ولا يميزهم اللون، وهذه الكتلة يمكن أن تلعب دورا كبيرا في القتال الذي هو أهم مفاخر الحياة الصحراوية في غرب إفريقيا والذي تحول فيما بعد إلى الجهاد ضد الوثنيين والمستعمرين والمبشرين. وكان والمستعمرون المبشرون ينظرون إلى الأسود الإفريقي نظرة خاصة فيها الكثير من الاحتقار والازدراء. ويكفي أن نعلم الأعداد الكبيرة التي سيقت من إفريقيا إلى القارة الأميركية في مطلع عصر الاستعمار كالبهائم، والمعاملة اللاإنسانية التي لا يزال يلقاها أحفاد أولئك الأفارقة، والتمييز العنصري القائم حتى الآن في بعض الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية التي تعد نفسها في طليعة الأمم الراقية[1]، حتى نعرف نظرة المستعمرين والمبشّرين إلى سكان إفريقية الأصليين، هذه النظرة التي تختلف تمام الاختلاف عما يلاقيه الإفريقيون من المسلمين، فإن لون الإفريقي وجنسه في الإسلام لم يحملا بأية حال إخوانه الجدد في الدين على أن يتعصبوا ضده، ولا شك أن نجاح الإسلام قد تقدم في إفريقيا تقدما جوهريا بسبب عدم أي إحساس بالاحتقار للأسود.

وفي الحق يظهر أن الإسلام لم يعامل الأسود فقط على أنه من طبيعة منحطة، وهذا يفسر نجاح دعوة المسلمين بين السود أكثر من دعوة الإرساليات التبشيرية النصرانية إذ غالبًا ما يحسّ الأسود المتنصّر كل الإحساس بأن أبناء دينه من الأوروبيين ينتمون إلى لون من الحضارة لا يلائم طبائعه في الحياة، على حين يشعر المسلم في مجتمعه بأنه أكثر تعلقا به

---

(1) أيّ رقي لا يحمل بين جوانحه المعاني الإنسانية يعد تأخرا وجمودا وحضارته أولى بالزوال كما زالت الأمم الغابرة التي لم تراع المعاني الإنسانية في حضارتها كاليونان والرومان القدماء.

واطمئنانًا إليه، وعلى كل حال فطبيعة الإسلام وما فيه من تشريعات ونظم أخلاقية واجتماعية تتلاءم وفطرة البشر جميعا على اختلاف شكلهم وجنسياتهم قد ساعد على قبول الأفارقة لفكرة الدين الإسلامي على حين أن هذا لا يوجد في بقية القوانين الوضعية والأديان الأخرى.

ماذا قدم الإسلام لإفريقيا:

لعل أبلغ إجابة على هذا السؤال تأتي من التقرير الذي أمر مجلس العموم البريطاني بطبعه سنة 1802م وجاء فيه :"منذ مدة لا تزيد على سبعين عاما استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في بلاد تبعد عن سيراليون بما يقرب 40 ميلاً وفتحوا المدارس لتدريس اللغة العربية والعقيدة الإسلامية وجروا على عادة المسلمين في عدم بيع أبناء دينهم بيع الرقيق، واستنبطوا شريعتهم من القرآن الكريم واستأصلوا ما كان هناك من عادات تساعد على تخريب الساحل من السكان وجلبوا للبلاد حضارة بلغت درجة عظيمة نسبياً كما جلبوا إليها الإتحاد والطمأنينة وكان من أثر ذلك أن إزداد السكان زيادة سريعة وانتقل النفوذ إلى أيديهم شيئاً فشيئاً، أما الذين تعلموا في مدارسهم فإنهم يسيرون نحو الثراء والقوة في البلاد المجاورة ويعودون ومعهم قسط وافر من الدين والشريعة." [1] ومما قدمه الإسلام لغرب إفريقيا أيضاً هو تغيير سلوك السكان المحليين في عدة نواحي [2] أهمها:

1) محاربة العري وتحريم الاختلاط: إذ كان الكثير من أفراد القبائل الإفريقية يسيرون عراة ولا تستتر العورة إلا بعد الزواج، أما بعد إسلامهم أخذوا يسترون عوراتهم وبدأ العري يختفي تدريجياً بين القبائل التي إعتنقت الإسلام. كما كان العديد من القبائل الإفريقية لا تعرف الحجاب بين الذكور والإناث وكان اختلاط الجنسين تقليد شائع بين مجتمعاتها منتشراً في المراعي والأسواق، وقد أخذت هذه الظاهرة بعد دخول الإسلام بالتلاشي عند معظم القبائل.

2) تنظيم الزواج: إذ كان يشوب الزواج في القبائل الوثنية بإفريقيا عادات وتقاليد غريبة فقام الإسلام بتهذيبها وبإعطاء المرأة حرية اختيار الزوج، كما نظم العلاقة بين الزوجين وحدد عدد الزوجات.

3) تنظيم الحياة الأسرية والإجتماعية: حدد الإسلام في غرب إفريقيا علاقة الآباء

---

(1) بكر، ص 30.

(2) المصدر السابق، ص 30-31.

بالأبـناء وحد من حق الآباء في حضانة الأطفال، ومنح الأم هذا الحق ومنع قتل الأبـناء كمـا أعطـى المـرأة حـق المـيراث الـشرعي ومنع التفرقة العنصرية وطبق العقـاب الإسـلامي على الجرائم وحرم الزنى والخمر والقرابين البشرية، وهكذا أصلح الإسلام شأن المجتمعات الإفريقية.

2.5

الفصل الخامس

دخول اللغة العربية مع الإسلام إلى غرب إفريقيا

بدأ الانـدفاع الحقيقي للعرب في إفريقيا منذ دخول الإسلام وانتشاره في القارة تحت قيادة عمرو بن العاص عام 640 م وكان لانتشار العرب في إفريقيا اثر في انتشار الإسلام واللغة العربية وكانت هجرة المسلمين للحبشة أول اتصال رسمي للإسلام بإفريقيا، وبعد مـوجة الفتوحات الإسلامية للشمال الإفريقي تتالت هجرة القبائل العربية وزاد حجمها وتأصّلت في تلك المنطقة جذور الحضارة الإسلامية والثقافة العربية[1].

وبالـرغم مـن أن اللغـة العـربية كانت معروفة لدى بعض شعوب غرب إفريقيا قبل الإسـلام إلا أنهـا انتشرت انتشارا واسعا بعد دخوله إلى القارة، وأصبحت لغة رسمية في بعض الدول مثل موريتانيا وأساسية إلى جانب اللغة الأصلية كما هو الحال في تشاد، كما تستخدم في التخاطب في جزء من النيجر والسنغال. ويوجد قرابة 20٪ من أساس أصول مـصطلحات اللغـتين الـسواحلية والهوسـا المنتـشرتين في العديـد من دول القارة الشرقية والغـربية مـن اللغة العربية، ولقد خضع انتشار العقيدة الإسلامية للظروف التي خضعت لهـا الـثقافة الإسـلامية وواجهـا المـشكلات نفسها، فكما التقت الثقافة العربية بالثقافات القديمـة، كـذلك التقـى الإسـلام بـديانات قديمـة وتـوطّدت أقدامها في القارة . ولم يكن الإسـلام ديـنا فحـسب، وإنمـا كـان دينا وثقافة متآلفين، وكان لهذا الارتباط أثر عظيم في حـياة الإفريقيين ، فالمرء لا يكاد يشهر إسلامه حتى يتعلم القراءة والكتابة، ويرتفع قدره اجتماعـيا، كلمـا زادت ثقافـته وفي كـل مكـان تـسرّب إليه الإسلام وانتشرت الكتاتيب وأقبل الإفريقيون عليها[2].

وتجـدر الإشـارة إلى أن اللغـة العـربية أخذت مكانتها في مؤسسات التعليم العالي في بعض دول غرب إفريقيا، حيث نظم بعض الكليات الجامعية بالجامعات الإفريقية أقساما

(1) جارا، ص 28 – 39.

(2) المصدر السابق، ص 35-36.

لتدريس اللغة العربية، كما توجد كليات متخصصة لتعليم اللغة العربية والشريعة الإسلامية كما هو الحال في السنِغال، حيث قامت الحكومة هناك بدور كبير في تطوير دراسة اللغة العربية[1].

وفي نهاية هذا الباب يمكن الجزم استنادًا إلى حقائق تاريخية لا يتطرق إليها الشك بأن الوجود الإسلامي في إفريقيا عمومًا وفي جزئها الغربي خصوصًا سابق على الوجود الاستعماري بعدة قرون ، كما أن هذا الوجود لا يتوقف عند السبق الزمني فحسب وإنما يتعداه إلى السبق الحضاري والفكري والإنساني.

فبعد أن وطد الإسلام دعائمه في تلك البلاد تأصّلت المدنيّة الإسلامية هناك، وتأسست إمبراطوريات إسلامية عزيزة الجانب. وكان لدخول الإسلام في تلك المنطقة من القارة الإفريقية الأثر الحضاري الواضح عليها، فقد ساعد على تحوّل الحياة من القبلية الصرفة إلى نظام الدولة بمفهومه الحديث كأرض وشعب وحكومة وعملت الإمبراطوريات التي نشأت في هذه المناطق على توطيد أجزاء شاسعة وتجمع مجموعات بشرية عديدة في ظل النظم الإسلامية التي أخذت بها، وطوّرت الحياة فيها إلى مستويات حضارية وثقافية عالية، إذا قيست بمقياس عصرها وظروفها الجغرافية.

فتاريخ الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الغربي هو نفسه السجل الحضاري الناضج لهذه البلاد، فبالدعوة الإسلامية افتتحت لنفسها صفحات التاريخ الناصعة، وسارت في موكب الحضارة الإنسانية وارتبطت بالعالم الإسلامي من حولها بعد أن أخرجت إنسانها من الغابة ومؤانسة الوحوش إلى رحلة الحجيج ومراكز الثقافة والعلم، التي يرى فيها النور والناس، وبدلوا بدين الله حياته تبديلا، وقد كتب أحد المؤرخين الإفريقيين يصف أثر الإسلام في إصلاح المعارف الإنسانية على أيام أمبراطورية صنغاي وتكييفه لها فقال: إن الإسلام لم يأت في هذا المجال إلا بكل جديد وطريف، وبذلك، فقد طوّر الحياة الحضارية وطبع التاريخ الإفريقي بطابع عميق منذ ذلك الحين"[2].

(1) المصدر السابق، ص 41.

(2) العقيلي ، ص 180.

3 الباب الثالث

الدول الإسلامية في غرب إفريقيا قبل مجيء الاستعمار الأوروبي

يعرض هذا الباب التاريخ السياسي والحضاري للدول الإسلامية التي قامت في غرب إفريقيا وبالتحديد في منطقة الساحل[1] قبل مجيء الاستعمار الأوروبي إلى تلك المنطقة. تجلى نفوذ هذه الدول في مجالين، فكان إما تأثيراً وحضوراً بارزين في ممالك وثنية أو كان حكماً مباشراً لبعض منها، ويمثل وضع مملكة غانة النموذج الأول وممالك مالي وصنغاي وكانم-برنو وإمارات الهوسا ومملكة يوروبا النموذج الثاني. وعلى هذا الأساس سيقسم هذا الباب إلى الفصول الخمسة التالية:

(1) للتعريف بمنطقة الساحل انظر الفقرة 1.2.2 من الفصل الثاني للباب الأول.



3.1

الفصل الأول

مملكة غانة

3.1.1 الموقـع: تعتبر مملكة غانة أقدم دولة عُرفت في غربي إفريقيا[1] (أنظر الخريطة) وأول أمـبراطورية ذات نفـوذ إسـلامي ظهـرت في تلك المنطقة خلال العصور الوسطى. وكانـت هذه المملكة تقع في المنطقة الممتدة بين ما هو الآن جنوب شرق موريتانيا وغرب مالـي وغـرب الـسنِغال وشـرق غيـنا (كوناكـري) والتي عُرفت آنذاك بلغة البلاد بإسم "واغادو Wagadou"[2]. وقد سُميت دولة غانا[3] الحديثة باسم تلك الدولة إعتزازاً بدورها التاريخـي في غـرب إفـريقيا وإن لم تكـن قد قامت في مكانها الجغرافي تماماً، وسنتكلم عن غانا الحديثة لاحقاً في ملحق هذا البحث.

3.1.2 أصـل اسـم غانـة: اقتبـست مملكـة غانة اسمها من المدينة التي كانت عاصمة للدولـة أي مدينـة "غانـة"، وبعـد القـرن التاسـع المـيلادي عُـرفت العاصـمة باسم "كومبي صالح"[4] وهي الآن مندثرة وتقع اليوم في جنوب شرق موريتاينا.[5]

---

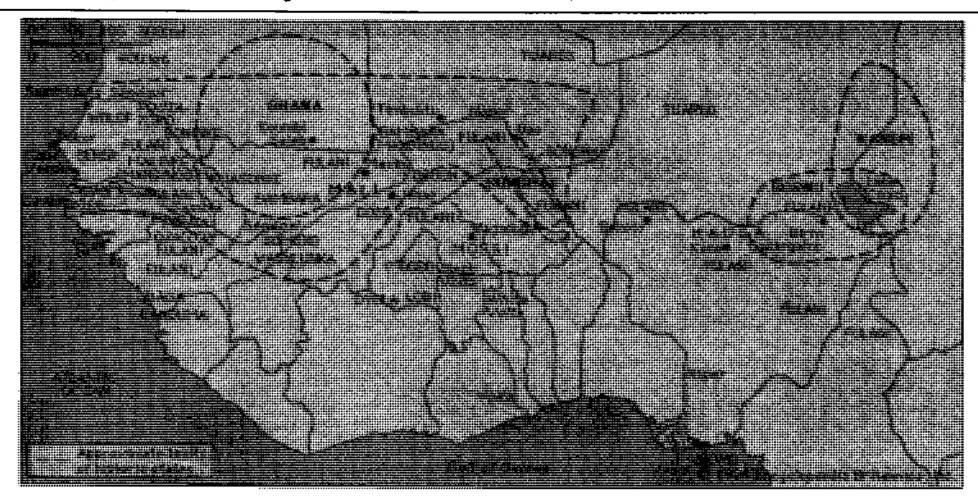
(1) قدّاح، ص 28.

(2) المصدر السابق، ص 28-29.

(3) استبدلنا التاء المربوطة بألف في كلمة "غانة" للتمييز بين (غانة) القديمة و(غانا) الحديثة.

(4) قدّاح، ص 31-32.

(5) عثـر الفرنسيون على أطلال مدينة بالقرب من كومبي صالح يعتقد أنها هي كومبي التي نتكلم عنها والتي كانت عاصمة غانة القديمة، ويذكر K. M. Panikkar في كتابه: **Serpent and Crescent**، المنشور في نيويورك عن دار Asia Pub. House عام 1963 صفحة 67 أنه يوجد يقين معقول قائم على حقيقة أن كـومبي هـي الـبلد الوحيد الذي ورد ذكره في المراجع الوسيطة وأن الأساطير المحلية تربط ما بين كومبي صـالح وغانـة، والخرائب التي عُثر عليها في كومبي ذات أهمية كبيرة تعبر عن فن معماري على جانب كبير من الاتقان. راجع أيضاً شلبي، مج 6 ص 103.



وكلمة "غانة" في لغة قبيلة السوننكي[1] تعني "القيادة العسكرية"، ومن هنا اطلقت هذه الكلمة على المدينة التي كان بها مركز القيادة[2]، لذلك يرى البكري[3]، المؤرخ الإسلامي الذي زار تلك المنطقة في القرن 11م، أن كلمة "غانة" هي صفة وسمة لملوكها[4] ربما لأنها تحمل معنى القيادة العسكرية؛ ثم اتسع مدلول الكلمة فأطلقت على العاصمة التي يعيش فيها الملوك.[5]

3.1.3 غانة في كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين قبل مجيء الاستعمار: إن أولى المراجع والمصادر عن غانة ذُكِرت في كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين منذ القرن الثامن الميلادي. فقد ذكر الفزاري[6] في القرن الثامن الميلادي أن غانة هي بلاد الذهب،[7] وذكرها الخوارزمي[8] في خريطة أعدها حوالي عام 833م[9] تحت عنوان

(1) وهي أحد فروع قبيلة الماندينغ الزنجية والتي تعتبر أكبر قبائل غرب إفريقية وأكثرها انتشاراً. ويعتبر السوننكي الحجر الأساس في سكان مملكة غانة.

(2) قدّاح، ص 28.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) البكري، ص 174 .

(5) شلبي، مج 6 ص 102.

(6) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(7) Cornevin, R., "Ghana", **Encyclopaedia of Islam. New edition**, Leiden: E. J. Brill, 1965, v.II, p.1002.

(8) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(9) "Le Sénégal: histoire et géographie: Le Royaume de Ghana",

=

كتاب صورة الأرض. وفي القرن التاسع الميلادي تكلم عن غانة كل من اليعقوبي(1) وابن الفقيه الهمذاني(2) الذي وصف صحراء غانة في كتابه **كتاب البلدان** وذكر أن الذهب في رمالها مثل نبات الجزر ويعيش سكانها من نباتي الذرة واللوبياء ويلبسون جلود النمور لكثرة هذه الحيوانات في بلادهم.(3) ويُعد الرحالة ابن حوقل(4) الذي زار غانة في القرن العاشر الميلادي، أول من قدّم وصفاً عن غانة بأم العين، فوصف ملوك هذه الدولة في كتابة **كتاب المسالك والممالك** بأنهم أغنى ملوك على وجه الأرض بفضل امتلاكهم مناجم ذهب(5)؛ كذلك كتب عن غانة في ذلك القرن أيضاً المسعودي(6) في كتابه **أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**. وفي القرن الحادي عشر الميلادي كتب البكري عن غانة في مصنفه **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، أما الشريشي(7) المتوفي عام 1222م فذكر أن "غانة بلد مملكة السودان وانتشر الإسلام في أهلها وبها مدارسٌ للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيُصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر فيشترون بها خدماً للتسري ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة."(8) وتكلم عن غانة أيضاً الإدريسي(9) خلال القرن 12 الميلادي في كتابه **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، وفي هذا القرن أيضاً ذُكرت غانة أيضاً في كتاب **الاستبصار في عجائب الأمصار**(10) الذي كتبه مؤلف مجهول من مراكش. أما ياقوت الحموي(11) فقد ذكر في القرن 13 الميلادي أن غانة "مدينة كبيرة جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار ومنها يدخل إلى بلاد التبر"(12). وبالإضافة إلى هؤلاء الكتّاب تطرق كل من

=

www.chez.com/afroweb/sen_his.htm#GHANA, 8.8.2003.

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(3) Cornevin, R, "Ghana", v.II, p.1002.

(4) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(5) Cornevin, R, "Ghana", v.II, p.1002.

(6) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(7) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(8) **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**، جمعها وعلق عليها وقدم لها صلاح الدين المنجد، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1963، ص 11-12.

(9) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(10) نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية: مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958.

(11) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(12) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار بيروت، 1957، مج 4، ص 184.

القلقشندي[1] (توفي عام 1418م) والفقيه محمود كعت[2] (1463م - 1548م) والمؤرخ الإفريقي المسلم عبد الرحمن السعدي[3] (1595-1656) للحديث عن غانة في كتاباتهم.

3.1.4 تاريخ مملكة غانة: ما زال التاريخ الدقيق والصحيح لولادة هذه الدولة غامضاً وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ظهور مملكة غانة، فذكر المؤرخ الفقيه محمود كعت (1463م - 1548م) أنه مضى على ملوك "كيمع" (أي غانة) عشرون ملكاً قبل ظهور محمد رسول الله،[4] وفي القرن السابع عشر الميلادي ذكر المؤرخ الإفريقي المسلم عبد الرحمن السعدي أن عدد ملوك غانة أربعة وأربعون نصفهم كانوا قبل البعثة [المحمدية].[5]

لكن هناك رأي بهذا الموضوع سنأخذ به ونعتمد عليه وهو رأي للمؤرخ أحمد شلبي[6] كون الأخير عاش في القرن العشرين الميلادي واطلع على عدة مراجع عربية وغربية، وهذا الطرح يعتبر أن نقطة الإنطلاق لتاريخ مملكة غانة تبدأ في القرن الأول الميلادي[7] حين استطاعت قبائل من البيض[8] قدِمت من شمال إفريقيا ومن برقة بصورة خاصة أن تستولي على تلك المنطقة وإخضاع سكانها الأصليين الذين انتموا إلى عشيرة السوننكي[9]،[10] واختلطت هذه الجماعة بالوطنيين السوننكي حتى تغير لونها بطول الزمن وأخذت لغة الوطنيين.[11] وكان ثراء المنطقة بالذهب والملح ووقوعها على أهم الطرق التجارية العامل الأساسي الذي دفع تلك القبائل للقيام بهذا الغزو. تمكن الغزاة

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) كعت، محمود ، **تاريخ الفتاش في اخبار البلدان، والجيوش واكابر الناس**، باريس: مكتبة اميركا والشرق، 1964، ص 41.

(5) السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله، **تاريخ السودان**، انجى: مطبعة بردين، 1898، ص 9.

(6) أنظر باب المراجع تحت اسم "شلبي".

(7) شلبي، مج 6 ص 103.

(8) لا توجد مراجع تحدد هوية هذه القبائل بالرغم من أن بعضها يرجح أنهم من الصنهاجة البربر (أنظر شلبي، مج 6 ص 103) .

(9) السوننكي هي أحد فروع قبيلة الماندينغ الزنجية والتي تعتبر أكبر قبائل غرب إفريقية وأكثرها انتشاراً. ويعتبر السوننكي الحجر الأساس في سكان مملكة غانة.

(10) شاكر، محمود ونافذ أيوب بيلتو، **مالي**، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1986،(سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، رقم: 14)، ص 25.

(11) طرخان، إبراهيم علي، **امبراطورية غانة الإسلامية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص 22.

الذين سرعان ما امتزجوا بالسكان الأصليين من تأسيس دولة كانت الأولى في غرب إفريقيا عرفت باسم مملكة غانة. اعتمدت هذه الدولة على الزراعة والتجارة واتسع نفوذ هذه الدولة فشمل مناطق واسعة بين أعالي نهري السنغال والنيجر. وفي القرن الثالث الميلادي نشطت التجارة بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها مروراً بأراضي غانة، وكان التجار يحملون من الشمال الأقمشة والحلي يعودون من الجنوب بالذهب والعبيد والعاج، إلا أن الذهب كان السلعة التي اشتهرت بها غانة حتى أن ملوكها كانوا يُسمون "كَيَمَع" أي ملوك الذهب[1].

وخلال القرن الثامن الميلادي وبالتحديد عام 770م تمكنت سلالة من السوننكي[2] كانت مزيجاً من البربر والزنوج من طرد قبائل البيض واستلام زمام الحكم في غانة التي ما لبث أن اتسع نفوذها ليشمل مناطق واسعة بين أعالي نهري السنغال والنيجر حتى تخوم الصحراء الكبرى.

وفي عام 990م تمكنت غانة من استعادة مدينة "أوداغست"[3] (Audaghost) التي تتحكم في طرق التجارة بين غرب وشرق وشمال إفريقيا. وكانت هذه المدينة حاضرة مهمة لمملكة اسلامية تحكمها قبيلة من الملثمين[4] البربر تدعى "لمتونة"[5] انتزعتها من غانة في وقت سابق، إلا أن انتكاسة أصابت هذه المملكة الإسلامية بعد وفاة ملكها عام 960م، فاستفادت غانة من هذه النكسة وأخذت بالثأرها منها[6]. وكانت أوداغست سوقاً كبرى تمر القوافل عبرها، كما كانت تحوي على "مخزون وافر من المياه ويزرع بها الدخن والقمح والعنب والتين والنخيل وتُربى المواشي في محيطها"[7]، وقد تحدث عدد من الرحالة والمؤرخين المسلمين، فقال عنها اليعقوبي[8] في كتابه **صفة المغرب** المأخوذ كتاب

---

(1) كعت، ص 41.

(2) وهي أحد فروع قبيلة الماندينغ الزنجية والتي تعتبر أكبر قبائل غرب إفريقية وأكثرها انتشاراً. ويعتبر السوننكي الحجر الأساس في سكان مملكة غانة.

(3) تقع الآن في جنوب موريتانيا.

(4) عرفوا بالملثمين لأنهم كانوا يضعون اللثام ليلاً ونهاراً حضراً وبدواً ولعلهم اتخذوه إما اتقاءاً من البرد والحر ورمال الصحراء أو خدعة وتنكراً في الحروب.

(5) تعتبر قبيلة لمتونه من أشهر قبائل الملثمين التي هي فرع من الصنهاجة البربر.

(6) شلبي، مج 6 ص 105.

(7)"Africa, to 1500: West Africa". **www.fsmitha.com/h3/h15-af.htm**. 2/7/2002 .

(8) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

البلدان أنها من أهم محطات القوافل[1]، أما ياقوت الحموي[2] فيذكر ان في هذه المدينة أسواقاً قليلة وهي مصر من الأمصار جليل، والسفر إليها متصل من كل بلد، وأهلها مسلمون يقرأون القرآن ويتفقهون، ولهم مساجد واسعة.[3] بعد الاستيلاء على أوداغست وضع ملك غانة حاكماً من السوننكي عليها إضافة إلى أنه كان يقيم فهيا بعض حكام المملكة مما جعلها المركز الثاني لحكمهم.[4]

امتد نفوذ مملكة غانة بعد ذلك فوصل إلى بلاد البربر في الشمال وأطراف المنطقة الاستوائية في الجنوب بالإضافة إلى كل المنطقة الواقعة بين أعالي نهري السنغال في الغرب والنيجر في الشرق. لكن هذا الإتساع الجغرافي شمل عدة ولايات وإمارات على كل منها ملك أو وال. وقد قال المسعودي[5] عن هذا الوضع :"تحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك"[6] منها:

1- "أوكار" وهي قاعدة الحكم لمملكة غانة وهي اليوم في جنوبي شرقي موريتانيا وغرب مالي.
2- "هود" وتقع غربي ولاتة جنوب الموريتانيا.
3- "ديارا" تقع إلى الشرق من السنغال الأوسط.
4- "بامبوك" على نهر السنغال إلى الغرب من ديارا.
5- "التكارنة" وهي على حوض السنغال الأسفل.
6- "تاغانت" عند أوداغست.
7- "وانغارا Wangara" في أعالي نهر السنغال وهي اليوم في مالي.
8- "كانياغا" تقع في الجنوب عند أعالي نهري السنغال والنيجر وهي مركز قبائل "الصوصو"، وتقع الآن في دولة مالي.
9- "باسيكور" شرقي العاصمة كوبي صالح جنوب شرقي موريتانيا.
10-"كانغابا" عند أعالي نهر النيجر ومركز قبائل الماندينغ[7] وهي الآن في مالي.

---

(1) شلبي، مج 6 ص 105.
(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(3) شلبي، مج 6 ص 105.
(4) شاكر، محمود ونافذ أيوب بيلتو، ص 26.
(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(6) شلبي، مج 6 ص 106.
(7) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

11-"البامبار" تقع إلى الشرق من "كانغابا" وسكنها الماندينغ وهي في مالي.

12-الممالك البربرية وكلها في الشمال وأشهرها ممالك "لمتونة" و"جدالة".

3.1.5 عاصمتي غانة: وفي منتصف القرن 11 الميلادي، حين وصلت مملكة غانة إلى أوج عظمتها، كانت لها عاصمتان منفصلتان تقومان على هضبتين بينهما تسعة كيلو مترات.[1] العاصمة الأولى للوثنيين وكانت تسمى "الغابة El-Ghaba"[2] وهي المقر الإداري الرسمي للمملكة، وفيها يعيش الملك وبلاطه، وكبار الوزراء ورجال الدين. أما العاصمة الثانية حيث كان يقطن المسلمون فهي مدينة "كومبي صالح" وقد بُنِيَت على طراز مدن المغرب.[3] وكانت العاصمة بشطريها آنذاك تقع على نهر[4] وبالأرجح هو أحد روافد نهر النيجر، أما الآن ومع التغيرات المناخية والجيولوجية جف هذا الرافد ولم يعد متواجداً، إذ يبدو أن المنطقة كانت في ذلك الوقت أكثر أمطاراً فظهرت أودية وروافد تجري نحو نهر النيجر ومن بينها الرافد الذي كانت تقع عليه عاصمتي غانة.[5]

وقد وُصِف شطري العاصمة في عدد من كتابات بعض الرحالة والمؤرخين المسلمين، فذكر البكري[6] أن "مدينة غانة مدينتان سهليتان، إحداهما التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً أحدها يجمعون فيه الجمعة، ولهم الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة عِلم، وحواليها آبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات. ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط. وللملك قصر وقباب وقد أحاط بذلك كله حايط كالسور. وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك، وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم وهم الذين يقيمون دينهم وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم، ولتلك الغابات حرس ولا يمكن أحد دخولها ولا معرفة ما فيها"[7]. أما القلقشندي[8] فقد ذكر أن غانه "مدينتان على ضفتي

---

(1) قدّاح، ص 32 .
(2) عرفت بهذا الاسم لكثرة الأشجار التي تحيط بها (شاكر، محمود ونافذ أيوب **بيلتو**، ص 29).
(3) قدّاح، ص 32.
(4) وذلك حسب ما ذكر الرحالة والمؤرخون آنذاك الذين كتبوا عن هذه المنطقة، وستتطرق إلى كتاباتهم لاحقاً.
(5) شاكر، محمود ونافذ أيوب، **بيلتو**، ص 29.
(6) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(7) البكري، ص 175 .
(8) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

نيلها[1] إحداهما يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار."[2] ومن الذين تكلموا عن مدينة غانة أيضًا الإدريسي[3]، فقال: "غانة مدينتان على ضفتي البحر الحلو[4] وهي أكبر بلاد السودان قطراً وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً."[5] أما عن حركة سكانها فيقول: "و لهم زوارق يصيدون فيها ويتصرفون بين المدينتين."[6] كما تكلم عن مملكة غانة أيضاً ابن الوردي[7] فقال: "هي مدينتان على ضفتي النيل، ويقصدها التجار من سائر البلاد."[8] أما في كتاب الإستبصار فقد ورد ما يلي: " ومدينة غانة مدينتان، إحداهما يسكنها الملك والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة، بينهما الدور والمساكن نحو 6 أميال متصلة. وفي مدينة الرعية جامع كبير ومساجد كثيرة، وفيها الأئمة المؤذنون والفقهاء والعلماء وحواليها آبار عذبة منها يشربون، وعليها الخضر والمقاتي. ومدينة الملك تسمى الغابة وللملك بها قصر عظيم وقباب وغابات وشعراء يسكنها السحرة وأهل ديانته، وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم ولها حرس فلا يمكن أحد من الغرباء دخولها ولا معرفة ما فيها، وهناك سجون الملك فإذا سجن أحداً انقطع خبره. وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من تجار المسلمين."[9]

3.1.6 الأوضاع الاقتصادية لغانة: وكانت الأحوال الاقتصادية لغانة مزدهرة جداً وكانت الحياة بها حياة رخاء وغنى. وقد اعتمد اقتصاد غانة على العوامل التالية:

3.1.6.1 الذهب: يعتبر الذهب أهم عامل في ازدهار اقتصاد غانة، إذ اكتسبت هذه المملكة شهرة عظيمة من وجود هذا المعدن الثمين في أراضيها حتى أن ملكها كان يدعى "ملك الذهب". تواجد الذهب في مملكة غانة في منطقة "بامبوك" Bambouk الواقعة بين نهر

---

(1) كان يُعتقد في ذلك الوقت ان الأنهار الموجودة في تلك المنطقة هي جزء من نهر النيل. أما النهر الذي يتكلم عنه القلقشندي فهو بالأرجح الرافد الذي مر ذكره.

(2) **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**، جمعها وعلق عليها وقدم لها صلاح الدين المنجد، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1963، ص 107.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) يقصد به بالأرجح الرافد الذي مر ذكره.

(5) شاكر، محمود ونافذ أيوب **بيلتو**، ص 29.

(6) المصدر السابق، ص 29.

(7) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(8) طرخان، **امبراطورية غانة الإسلامية**، ص 32.

(9) ص 220.

السينغال ورافده الجنوبي "فالِم" Falémé[1] وفي منطقة "بورِ" Bouré[2] الواقعة إلى الجنوب الشرقي من المنطقة الأولى حيث سيطرت غانة على منجم ذهب هائل،[3] كما وُجِد الذهب أيضاً في منطقة "ونقارة"[4] التي تقع في جنوب المملكة[5] وهي أحد الممالك التي خضعت لحكم غانة لذلك يعتبر المؤرخ شلبي[6] أنها خارج أراضي مملكة غانة. وقد تكلم عدد من الرحالة والمؤرخين المسلمين عن ذهب غانة فقال ابن الفقيه الهمذاني[7] أن الذهب في رمال غانة،[8] وذكر الفزاري[9] أن غانة هي بلاد الذهب[10] ونقل لنا المسعودي[11] أن: "تحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك فيها الذهب يظهر على وجه الأرض يستخرجه أهله ويعملونه قوالب كاللّبِن"[12]. ومن جهة أخرى يصف ابن حوقل[13] غنى ملك غانة من الذهب فيقول: "و ملك غانة أيسر مَن على الأرض بما لديه من الأموال المدخرة من التِبر[14]".[15] ويتحدث اليعقوبي[16] عن مملكة غانة فيقول: "وملكها عظيم الشأن وفي بلاده معادن الذهب".[17] أما البكري[18] فيذكر أن ملك غانة كان يستصفي لنفسه أجود الذهب ويدع ما سواه لشعبه حتى لا تهون قيمة هذا المعدن، وكان عند بعض الملوك قطعاً كبيرة من الذهب تصل إلى حجم الحجر الضخم[19]. وقد احتوت الخزائن الملكية ألواح الذهب التي كانت رمز للعظمة، وكان حجمها كبيراً فوصل

---

(1) تقع هذه المنطقة اليوم في شرق مالي على الحدود مع السينغال.
(2) تقع هذه المنطقة اليوم في شمال شرق غينيا (كوناكري).
(3) قدّاح، ص 38-39.
(4) تقع الآن في غرب مالي.
(5) شلبي، مج 6، ص 111.
(6) مج 6، ص 111.
(7) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(8) Cornevin, R," Ghana", v.II, p.1002.
(9) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(10) Cornevin, R," Ghana", v.II, p.1002.
(11) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(12) شلبي، مج 6، ص 111.
(13) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(14) التِبر يعني الذهب غير المسبوك.
(15) شلبي، مج 6، ص 111-112.
(16) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(17) شلبي، مج 6، ص 111-112.
(18) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(19) البكري، ص 176-177.

وزن الواحدة منها ثلاثين رطلاً وكان الملك يقيد بها حصانة المفضل[1]. وكانت تجارة الذهب رائجة جداً وبخاصة مع العرب المسلمين الذين كانوا يأتون لشرائه من التجار الغانيين وينقلونه إلى أسواق شمال إفريقيا ثم يصدر من هناك إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط،[2] وفي المقابل حملت القوافل العربية إلى غانة النسيج والملح ومصنوعات الزينة.

3.1.6.2 التجارة: ومن ناحيةٍ اخرى كانت غانة محطة للقوافل القادمة من مصر والقيروان والمغرب وللقوافل القادمة من المناطق الجنوبية في أعالي نهري السينغال والنيجر. وكان القسم الإسلامي من العاصمة، أي مدينة كومبي صالح، المركز التجاري للإمبراطورية وكانت تعتبر من أهم الأسواق التجارية الضخمة في زمانها خصوصا في تجارة الجملة، حيث يعاد توزيع البضائع والسلع المتداولة في هذا السوق الى مناطق أخرى داخل وخارج إمبراطورية غانة[3] وكانت تزدحم فيها القوافل التجارية وتكثر فيها مستودعات التجار الأجانب الذين كانوا يقيمون في بيوت بنوها فوق مخازنهم.[4] أما صادرات غانة إلى شمال إفريقيا فكانت العاج وبيض النعام والصمغ وبعض الجلود وجوز ثمرة الكولا بالإضافة طبعاً إلى الذهب الذي كان المادة الأولى في الثروة الوطنية. ومن جهةٍ أخرى تعارف التجار المسلمون العرب والتجار الغانيون على أصول معينة للتعامل التجاري. غير أن رواج التجارة بشكلٍ عام يعود إلى الأمن الذي كان سائداً في جميع طرقات مملكة غانة مما ساعد في انتعاش الحياة الاقتصادية فيها وشجع نشوء المدن التجارية فيما لاحقاً.[5]

3.1.6.3 نظام الضرائب: عرفت غانة نظام الضرائب، وكانت تفرضة لتستوفي رسوماً على القوافل القادمة أو العابرة[6] فكان مثلاً على كل حمار ملح دينار ذهب في إدخاله البلد وديناران في إخراجه، وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل.[7]

(1) شلبي، مج6، ص 112.
(2) قدّاح، ص 39.
(3) جوان، جوزيف، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**، ترجمه مختار السويف، بيروت: دار الكتب الإسلامية، 1984 م- 1404 هـ ،ج1، ص 57.
(4) قدّاح ، ص 39.
(5) المصدر السابق، ص 40.
(6) المصدر السابق، ص 40.
(7) البكري، ص 176.

3.1.7 السياسة والحكم: كان ملك غانة الحاكم المطلق للدولة وقراراته نهائية[1] وكان يُنظر إليه على أنه ممثل للآلـه لأنه زعيم عظيم لأقوى القبائل ويملك أصفى ذهب المملكة.[2] وكان الملك أيضاً القائد الأعلى للجيش وتقع على عاتقه حماية جميع الأراضي التابعة للمملكة وتأمين الإستقرار فيها إذا تعرضت لهجوم خارجي أو وقعت فيها إضطرابات داخلية أو قلاقل، وقد وصل عدد الجيش إلى مائتي ألف منهم رماة من أربعين ألفاً[3]، وكان معظم أفراد هذا الجيش من قبيلة الملك ومن بعض المرتزقة.[4] وإلى جانب المهمات الأمنية كان على الملك تأمين التسهيلات الضرورية لإنعاش التجارة بين أبناء شعبه والعالم الخارجي.[5] وكان للملك وزراء يساعدونه في حكمه بالإضافة إلى عدد من الموظفين المتدربين معظمهم من المسلمين الذين ينتمون لقبيلة السوننكي والذين يجيدون القراءة والكتابة ولديهم معرفة كبيرة في شؤون العالم.[6]

وفي الشأن الإداري كان الملك يعن حاكماً على العاصمة 'كومبي صالح' وحاكماً آخر على المناطق التي كانت مصدر قلق في شق الطاعة عن المملكة، أما المناطق التي كانت تبدي ولاءاً له فكان نصيبها الحكم الذاتي.[7]

وعند وفاة الملك فإن ابن الأخت هو الذي يملي المُلك بعد خاله لأن الملك لا يشك فيه أنه ابن اخته بينما يشك الملك في ابنه[8]. ولم يكن الملك يُدفن بل كان يبني له الشعب قبة عظيمة من خشب الساج توضع في موضع قبره، ثم يُدخل جثمان الملك في تلك القبة ومعه حليه وسلاحه وآنيته التي كان يستعملها ويدخلوا فيها الأطعمة والأشربة ويدخلوا رجالاً ممن كان يخدم طعامه وشرابه ويغلقوا عليهم باب القبة.[9] ويصف الإدريسي[10] ملك غانة بعد دخول الإسلام إليها بأن من سيرته قربه من الناس وعدله وكان يفد له من

(1) Adams, Nazif, "**History of the Ancient Nation of Ghana**", www.ibsa-inc.org/ghana.htm. 9/16/03.

(2) قدّاح، ص 35.
(3) البكري، ص 175-176.
(4)قدّاح، ص 36.

(5) Adams, Nazif, "**History of the Ancient Nation of Ghana**", www.ibsa-inc.org/ghana.htm. 9/16/03.

(6) المصدر السابق.
(7)المصدر السابق.
(8) البكري، ص 175.
(9) المصدر السابق، ص 176.
(10) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

يحس بالظلم فلا يعود إلا وقد أنصفه الملك.[1]

3.1.8 ظهور المرابطون وأثره في سقوط غانة وانتشار الإسلام فيها: بعد هذا العرض لوصف مملكة غانة وتبيان الحياة فيها نعود للحديث عن قبائل الملثمين ونحلل ما حصل بينهم من تطورات جعلتهم قوة لا يُستهان بها في المنطقة كانت السبب الرئيسي في سقوط وانتهاء مملكة غانة الوثنية وانتشار الإسلام فيها.

3.1.8.1 نشأة المرابطون: على اثر هزيمة قبيلة "لمتونة" أمام مملكة غانة الوثنية في أوداغست عام 990م بدأ التصدع يدب في الحلف الإسلامي لقبائل الملثمين والمسيطر على المنطقة الممتدة من شمال تلك المملكة حتى شمال المغرب مروراً بالساحل الأطلسي. وبعد نزاع مرير بين هذه القبائل استطاعت قبيلة "جدالة" بزعامة أميرها "يحيى بن إبراهيم" أن تتولى قيادة الملثمين. كان مجتمع الملثمين في ذلك الوقت لا يعرف من الإسلام إلا إسمه فلم يقلعوا عما إعتادوه في جاهليتهم من مساوئ قضى عليها الإسلام. وقد حز هذا الأمر في نفس يحيى بن إبراهيم فعزم على هداية قومه وتوحيد صفوفهم معتصمين بحبل الإسلام على هدىَ الصراط المستقيم. فمر على القيروان أثناء عودته من الحج[2] والتقى بالفقيه المالكي "ابن عمران الفاسي" وطلب منه فقيهاً من تلاميذه ليصحبه إلى بلاده ليقوم بتفقيه أبناء قبائل الملثمين ويُمَكّن الإسلام في قلوبهم، فوقع الاختيار على عبد الله ابن ياسين. أقبل عبد الله بن ياسين على الأمر وتحمس له ورأى فيه لوناً من الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الإسلام.[3] دخل عبد الله بن ياسين بلاد الملثمين فاتجه إلى ديار قبيلة لمتونة وفي نيته تأليف قلوبهم وإقامة نوع من التوحيد بين القبائل المتناحرة على أسس من الدين الصحيح والخُلق القويم. استطاع عبد الله بن ياسين بسبب إلمامه باللهجات البربرية وصدق يقينة وإخلاصه أن يجذب إليه الطلبة من كافة مناطق الملثمين ليحضروا حلقاته ويستمعون إلى دروسه[4]، فأمر الناس المعروف ونهاهم عن المنكر وحاول أن يقيم حدود

---

(1) شلبي، مج 6، ص 118.

(2) تضاربت أقوال المؤرخين في تحديد تاريخ هذه الرحلة، لكن ما يمكن أن يُتّفق عليه هو أنها تمت بين عامي 427هـ - 1035م و430هـ - 1038م لأن كتب التراجم والطبقات والتاريخ تجمع على أن أبا عمران قد توفي عام 430هـ . أنظر: محمود، حسن أحمد، قيام دولة المرابطين: **صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957، ص: 108-109.

(3) محمود، حسن أحمد، **قيام دولة المرابطين**: صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957، ص: 113.

(4) المصدر السابق، ص 119.

الشرع من معاقبة للسارق والزاني ومتعاطي الخمر. لكن السواد الأعظم من اللمتونيين لم يتقبلوا هذه التوجيه إذ لم يألفوا الخضوع لقانون يحد من نزواتهم ويوقف شهواتهم، كما عارض هذه الإصلاحات أيضاً عدد من زعماء الملثمين الذين رأوا فيها ما ينتقص من حقوقهم التقليدية ويضع حداً لجبروتهم وينشر المساواة بين الموالي والسادة، فسخطوا عليه.[1] اضطرعبد الله خوفاً على نفسه أن يخرج من مضارب لمتونة، فاتجه جنوباً بصحبة بعض مريديه ويحيى بن إبراهيم ولجأوا إلى ربوة في جزيرة تقع على مصب نهر السنِغال[2] جعلوا منها 'رباطاً' اي قاعدة يرابطون فيها للجهاد ضد الكفار ويفرغون فيها للعبادة والتأملات الروحية وإصلاح خلق الفرد. وقد تم اختيار هذه الجزيرة لقربها من ممالك الزنوج الوثنية ومن بينها مملكة غانة التي كانت تهدد مضارب الملثمين ولطبيعتها المميزة حيث تتوفر فيها المياه العذبة والنباتات والأشجار البرية بالإضافة إلى سهولة الصيد البري والبحري، وخلال الصيف تصبح صلة هذه الجزيرة بالبر ميسورة وفي الشتاء تنقسم إلى جُزيرات صغرى[3]. وقد اتخذ عبد الله بن ياسين في هذا المجتمع دور الإمام الذي يعلم ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، أما دور الأمير أو الحاكم الذي ينفذ أوامر الإمام كانت منوطة بيحيى بن إبراهيم الذي توفي عام 440هـ - 1048م فخلفة يحيى بن عمر من قبيلة لمتونة.

وبعد مضي عشر سنوات من التثقيف والتعليم أمرعبد الله بن ياسين جماعته التي كانت تتألف من 3000 مقاتل[4] بالخروج للجهاد في سبيل الله ورد قبائل الملثمين إلى حظيرة الطاعة وتطهير المجتمع من أدران الفساد قائلاً لهم :'أخرجوا على بركة الله تعالى وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم حجته، فإن تابوا وأنابوا ورجعوا إلى الحق وأطاعوا فخلوا سبيلهم وإن أبوا وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا'[5]، ومنذ ذلك الوقت دخلت هذه الجماعة التاريخ الإسلامي تحت اسم 'المرابطون'.

3.1.8.2 هجوم المرابطون على غانة ونشرهم للإسلام فيها: لم يتجه عبد الله بن ياسين إلى الشمال نحو مضارب جدالة لإدخالها في الدعوة بل سار إلى الشرق نحو منحى

(1) المصدر السابق، ص 120-122.
(2) تقع على هذه الجزيرة الآن مدينة 'سان لوي' السِنِغالية (شلبي، مج 6 ص 107).
(3) المصدر السابق، ص 125-126.
(4) المصدر السابق، ص 146.
(5) المصدر السابق، ص 145.

نهر النيجر صوب مدينة أوداغست لاستردادها من غانة الوثنية وحمل الأخيرة على اعتناق الإسلام[1] محققاً بذلك الأهداف التالية:

أولا: نشر الإسلام في بلاد الوثنيين.

ثانياً: الاستيلاء على مدينة أوداغست التي تتحكم بأهم الطرق التجارية التي تجتاز الصحراء.

ثالثاً: الثأر لما لحق بالملثمين المسلمين من هزيمة على أيدي الغانيين الوثنيين.

رابعاً: التفرغ بعد ذلك لمهاجمة ديار قبيلة "جدالة" في الشمال بعد إزالة خطر غانة.

هاجم المرابطون مملكة غانة عام 1056م واستبسلوا فيها استبسالاً عظيماً وألحقوا بهذه المملكة هزيمة نكراء ومن ثم استولوا على أوداغست في نفس العام وأعلنوا الجهاد ضد الوثنية فأسلمت بعض القبائل الزنجية وتحالفت مع المرابطين. استشهد في الهجوم على غانة يحيى بن عمر فخلفه أخوه أبو بكر بن عمر فحول انتباهه نحو الشمال بمساعدة ابن عمه يوسف بن تاشفين.

توفي عبد الله بن ياسين سنة 450هـ - 1058م خلال معركة مع قبيلة "برغواطة" الضالة والمسيطرة على الطرق المؤدية إلى مدينة طنجة المطلة على المحيط الأطلسي في أقصى شمال المغرب[2]، وبعد وفاته قامت حركات ضد المرابطون في الجنوب قام بها الملوك الزنوج وقبائل عاصية، فتوجه أبو بكر إلى مناطق النزاع وترك قيادة الشمال لابن عمه. وبعد أن فرغ أبو بكر من القتال في الجنوب عاد إلى الشمال سنة 465هـ - 1072م فوجد أن ابن عمه يوسف أصبح أميراً على إقليم المغرب يأمر وينهي، ولما علم الأخير بقدوم ابن عمه جهز هدية فتجنب أبو بكر التصادم مه وترك له حكم المغرب، ومن حينها اعتبر يوسف ابن تاشفين المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين في المغرب حيث عبر من هناك لاحقاً إلى الأندلس وهزم الملك ألفونسو السادس ملك قشتالة[3] في معركة الزلاقة[4] الشهيرة عام 1086م. أما أبو بكر فرجع إلى الجنوب وأخذ ينشر الإسلام بين الزنوج، فدخل الناس في

(1) المصدر السابق، ص 149.

(2) المصدر السابق، ص 197، 211.

(3) تقع هذه المقاطعة الآن في شمال إسبانيا وتعرف بالإسبانية بإسم Castilla.

(4) جرت هذه المعركة بالقرب من مدينة "بطليوس" وتعرف بالإسبانية بإسم Badajoz وتقع الآن في جنوب غرب إسبانيا على بعد خمسة أميال من حدود مع البرتغال.

دين الله أفواجاً وبخاصة في منطقة نهر السينغال حيث تحول كثير من شعب الفولاني[1] إلى الإسلام عام 469هـ - 1076م،[2] كما اتجه أبو بكر إلى مملكة غانة الوثنية وأخذ يهاجمها بقوة وثبات مستعيناً بالفولانيين المسلمين الأعداء التجاريين لقبائل السوننكي الغانية. وفي عام 469هـ - 1076م سقطت مدينة "كومبي صالح" عاصمة غانة وضمها المرابطون إلى أراضيهم. قَبِل ملك غانة - وكان يدعى "تانكامِنين"- الدخول في الإسلام والخضوع لسلطان المرابطين، وبإسلامه دخل الكثير من رعاياه في الإسلام وأصبحت غانة جزءاً من دولة المرابطين.

توفي أبو بكر عام 480هـ - 1087م واختلف أتباعه في هذه البقاع من بعده مما أدى إلى ضعف أمر المرابطين. استغل الغانيون هذه الفرصة، وشنوا هجوماً على المرابطين واستعادوا عاصمتهم وحريتهم[3] وأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسي في بغداد مباشرة فغانة الجديدة لم تكن كغانة السابقة من ناحية الدين، فالإسلام قد انتشر فيها وأصبح ملوكها مسلمين وأجبروا شعوبهم على لبس العمامة وادعوا الانتساب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب،[4] وأصبح سكان غانه من السوننكي مسلمين بل وشديدي الحماسة لنشر الإسلام، وتفرغ بعضهم للدعوة وأضحت كلمة "سوننكي" مرادفة لكلمة داعية عند كثير من قبائل الماندينغ[5]، كما كثرت المساجد وعم تعليم القرآن الكريم وقواعد الدين واللغة العربية وألحق كل مسجد بمدرسة وغدت اللغة العربية اللغة الوحيدة للعبادة والثقافة والتجارة[6] .

3.1.8.3 نهاية غانة: كان من أهم نتائج هجوم المرابطين على غانة -بالإضافة إلى انتشار الإسلام فيها- هو تفكك ممالكها واستقلال بعض أقاليمها وانفصال كثير من القبائل الزنجية عنها بالرغم من عودة السوننكي للسلطة. وكانت مقاطعة "كانياغا"[7] مركز

---

(1) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(2) شاكر، محمود ونافذ أيوب **بيلتو**، ص 32.

(3) شلبي، مج 6 ص 109.

(4) شاكر، محمود ونافذ أيوب **بيلتو**، ص 33.

(5) الماندينغ قبائل زنجية بدأت في اعتناق الإسلام منذ القرن 11م وتسكن المناطق التي هي الآن ضمن دولة مالي، وكانت هذه القبائل تحت حكم غانة لغاية القرن 13م حين استطاعت هذه القبائل من تأسيس مملكة خاصة بها في مالي. لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(6) شاكر، محمود ونافذ أيوب **بيلتو** ، ص 33.

(7) تقع الآن في جنوب مالي على نهر النيجر.

قبائل الصوصو "Susu"[1] إحدى هذه الأقاليم والتي كانت تدفع الجزية لغانة أبان حكم الأخيرة لها، وخلال فتح المرابطين أعلنت هذه القبائل استقلالها واحتلت مقاطعات أخرى كانت تابعة لغانة وأصبح ملك الصوصو زعيماً لتكتل ممالك زنجية وثنية يضم بالإضافة إلى مملكته كل من مملكة "غالام" Galam ومملكة "ديارا" Diara وتقع كلها في المنطقة الواقعة بين نهري النيجر والسِنِغال.[2] وفي عام 600هـ - 1203م هاجم هذا الملك مدينة كومبي صالح عاصمة غانة واستولى عليها وضم مملكة غانة إلى امبراطوريتهم الناشئة. وقد هرب عدد من السلمين والتجار من مدينة كومبي صالح إلى الصحراء وأسسوا مركزاً تجارياً جديداً في بلدة "ولاته"[3] إلى الشمال الشرقي من كومبي صالح التي دمرها الصوصو ومن ثم مُحِيَ أثرها من التاريخ. وهكذا اختفت أول إمبراطورية في غرب إفريقيا ظهرت وازدهرت خلال العصور الوسطى.

3.1.9 التأثير الإسلامي في مملكة غانه: تحدثنا في السطور السابقة عن نشاة مملكة غانة وكيفية اندثارها على يد جيرانها في أوائل القرن 11م، وتكلمنا أيضاً عن أحوال هذه المملكة وكيف كان الحكم فيها وثنياً حتى دخول المرابطين عام 1076م فاستنار شعبها بنور الحق. ومع ذلك كان الإسلام في مملكة غانة الوثنية حاضراً وله تأثير قوي على عدة أصعدة وهذا ما جعلنا ندرج هذه المملكة في خانة النفوذ الإسلامي في غرب إفريقيا قبل فترة الاستعمار. وبناءاً عليه سوف نستعرض التأثير الإسلامي في غانة الوثنية على الصعد التالية:

3.1.9.1 الصعيد الإداري: ومن الظواهر الإسلامية البارزة في تاريخ إمبراطورية غانة في عهد الحكومة الوثنية أن المسلمين لكثرتهم وأهميتهم وثقافتهم ونشاطهم سواء أكانوا من السوننكي الوطنيين أو من المستوطنين من العرب والبربر تمتعوا باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين، وقد أورد البكري أن تراجمة الملك وأكثر وزرائه كانوا من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله[4] وهو ما يعادل وزير الخزينة في أيامنا، وقد أدخل هذا الأخير نظام الضرائب العينية على البضائع المصدرة والمستوردة نظراً لعدم وجود النقد المسكوك.[5]

(1) هذه القبائل هي فرع من شعب الفولاني.
(2) قدّاح، ص 31.
(3) تقع الآن في جنوب شرق موريتانيا.
(4) البكري، ص 174-175.
(5) قدّاح، ص 41.

كذلك كان أكثر جنود الملك من المسلمين[1] وهذا جعل للإسلام تأثيراً على السلطة السياسية. وقد ترفع المسلمون عن الركوع أما الملك بعكس الوثنيين، وفي هذا المجال قال البكري[2] :"إن أهل دين الملك كانوا إذا دنوا منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم، فتلك تحيتهم له، أما المسلمون فإنما كان سلامهم عليه تصفيقاً باليدين ... إذ كان الملك وهو وثني يؤثر المسلمين."[3]

3.1.9.2 الصعيد السكاني: كما ذكرنا سابقاً[4] فقد كان للمسلمين شطر خاص بهم من العاصمة وكان لهم فيه مساجد وأئمة ومؤذنين وفقهاء وحملة علم وكان هذا الشطر الإسلامي أكثر تحضراً من الشطر الوثني،[5] وهذا يدل على الاحترام والمكانة اللتين تمتعا بها المسلمون في غانه رغم كون الحكم وثنياً فيها. وقد كثر المسلمون في مملكة غانة الوثنية حتى أصبحت هناك بلاد خاصة بهم.[6]

3.1.9.3 الصعيد الحضاري: عندما قدم التجار المسلمون إلى كومبي صالح، وهي الشطر الإسلامي من العاصمة، بنوا بيوتاً على طراز مغربي جميل فاستقدم الملك والأشراف المهندسين المعماريين المسلمين من فاس لبناء القصور على هذا الطراز الذي لم يكن معهوداً في المملكة. كما أنشأ التجار عدد من المدارس التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية، فأقبل المؤمنون الغانيون على هذه المدارس بشغفٍ كبير مما جعل الغة العربية لغة الثقافة الوحيدة في البلاد بالإضافة ألى أنها كانت اللغة التجارية المستعملة في التبادل التجاري والمراسلات.[7] كما انتشرت العادات والتقاليد الإسلامية في غانة ومنها لبس العمامة.[8]

وفي نهاية هذا الفصل نقول أليس كل هذا التأثير الإسلامي في مملكة غانة الوثنية يستحق الدراسة والإهتمام كما لو كانت غانة أصلاً مملكة إسلامية؟

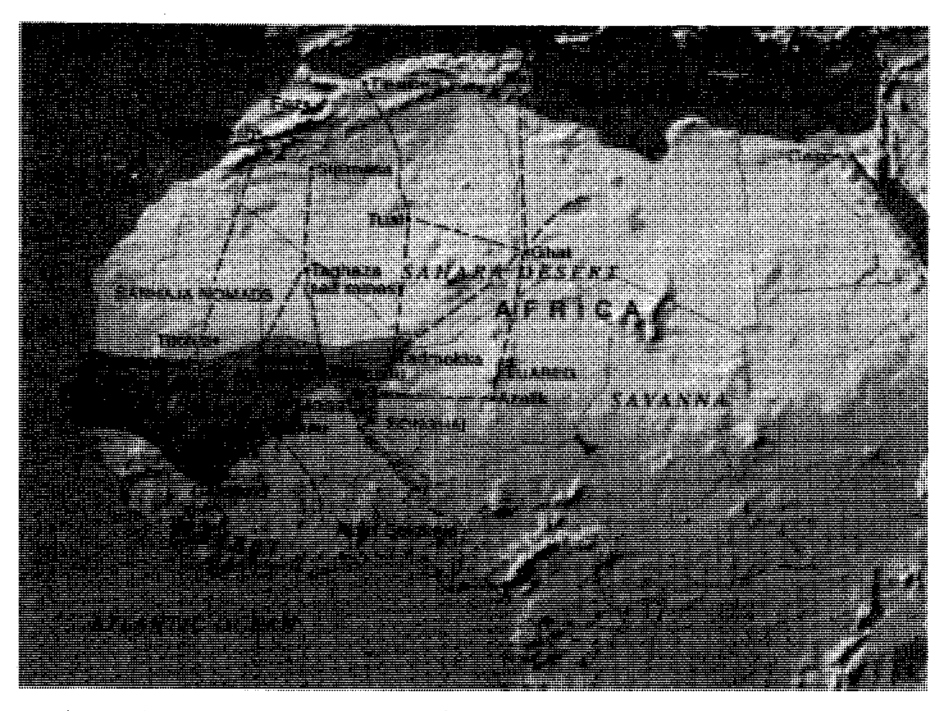
---

(1) شلبي، مج 6 ص 116.
(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(3) ص 176، 174.
(4) راجع الفقرة 3.1.4 من هذا الفصل.
(5) أنظر البكري، ص 176، للاطلاع على وصف شطري العاصمة بالتفصيل.
(6) المصدر السابق، ص 177.
(7) قدّاح، ص 41.
(8) طرخان، **امبراطورية غانة الإسلامية**، ص 84.



3.2

الفصل الثاني
مملكة مالي



تعد مملكة مالي الإسلامية من أقوى وأغنى الدول الإفريقية التي ظهرت في غربي إفريقيا ومنطقة الساحل[1] (أنظر الخريطة) خلال الفترة التي سبقت دخول الاستعمار إلى تلك المنطقة، حيث امتدت من المحيط الأطلسي غرباً إلى أواسط الصحراء الكبرى شرقاً شاملةً ما يُعرف اليوم بدول مالي والسِنِغال وغامبيا وشمال بوركينا فاسو وغرب النيجِر وجنوب موريتانيا وشمال غينيا بما في ذلك الجهة الغربية والشمالية لحوض نهر النيجر ومدن "تمبكتو" و"جني" و"غاو"[2]، قد زارها الرحالة المسلم ابن بطوطة[3] بين عامي 753هـ -

---

(1) تقع منطقة الساحل جنوب الصحراء الكبرى ابتداءاً من السودان شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً مروراً بما يُعرف اليوم بالسنغال وموريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجِر وأقصى الشمال الشرقي لنيجِريا.

(2) تقع هذه المدن الثلاث الآن في جمهورية مالي على حوض نهر النيجر.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب فهرس الأعلام في هذا البحث.

734هـ (1352م-1353) وكتب عنها في كتابه.

وكلمة "مالي" حسب **الموسوعة الأميركية**[1] تعني: "حيث يقطن الحاكم أو المَلِك"، أما مصطفى مؤمن[2] فيذكر ان كلمة مالي تعني بلغة أهل البلاد "البرنق أو فرس النهر" وهو رمز القوة والبأس براً وبحراً. كما اشتهرت مالي بإسم "بلاد التكرور" (بضم التاء) واشتهر ملكها باسم "ملك التكرور أو "سلطان التكرور" وهذا ما ذكره القلقشندي[3][4]، والصواب أن "تكرور" هي احدى المدن أو الممالك أو الأقاليم التي خضعت لسيادة مالي، وذلك حسب ما أكده العمري،[5][6] كذلك فقد عُرفت هذه الدولة بإسم "مملكة مالي" وبإسم "بلاد التكرور" في الحوليات المصرية التي كُتِبت في ذلك العصر[7]. وخلاصة القول إن مملكة مالي اشتهرت بأكثر من أسم فهي تارة دولة "الماندينغ"[8] واخرى "مالي" ثم هي "مملكة التكرور".[9]

وبالرغم من أن مملكة مالي قد امتازت على مملكة غانة بخصوبة أراضيها الزراعية إلا أن كلتيهما قامتا على احتكار الطرق التجارية التي تصل غرب وجنوب افريقيا بشرق وشمال القارة ومنها إلى سائر العالم الإسلامي وخاصة خطوط تجارة الذهب التي ازدهرت على ضفاف نهر النيجر.

3.2.1 تاريخ مملكة مالي:

عُرف التاريخ القديم لمالي من خلال مصدرين: المصدر الأول هو الروايات والأخبار الشفهية التي تناقلت بين الشعب في تلك المنطقة والمصدر الثاني هو المراجع العربية المدونة. ففي حين طغت الأفكار الوثنية على الحكايات الشفهية الإفريقية نرى أن المصادر والروايات العربية شددت على النواحي الإسلامية للحياة، وعلى الرغم من أن

---

(1) Fage, J. D., " Mali Empire" , **Encyclopedia Americana**, 1995, v. 18, p. 176.

(2) **قسمات العالم الإسلامي المعاصر**، بيروت: دار الفتح، 1974، ص 390.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) طرخان، ابراهيم علي، **دولة مالي الإسلامية**: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص31.

(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(6) طرخان، ابراهيم علي، **دولة مالي الإسلامية**: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي، ص31.

(7) Levtzion ,N., v .VI, p.258.

(8) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(9) طرخان، ابراهيم علي، **دولة مالي الإسلامية**: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي، ص 32.

هـذين المصدرين اختلفا بوجهات النظر إلا أنهما كانا مكملين لبعضهما.[1] ومن المصادر العـربية المدونة عن مالي ما ذكره كل من القلقشندي والعمري وما دونه ابن بطوطة[2] في رحلته عام 1353م، كما أشار إليها ليون الإفريقي[3] الذي زارها في القرن السادس عشر الميلادي. أما إبن خلدون[4] فقد استقى معلوماته عن تاريخ مالي من الشيخ عثمان مفتي مدينة كـومبي صالح عاصمة غانة الذي زار القاهرة عام 1394م في طريقه إلى الحج ومن شخـصيات أخـرى عاشـت في تلـك الـبلاد.[5] ثم نجد بعد ذلك إشارات عن مالي عند الإدريسي[6] وأبحاثاً مستفيضة عنها في كتاب **تاريخ السودان** للسعدي[7] وفي كتاب **تاريخ الفـتاش** لمحـمـود كعـت[8] كمـا هـنـاك روايـات إفـريقية مخطوطة بالعربية محفوظة في دكار وتُرجم بعضها إلى الفرنسية.[9]

3.2.1.1 بزوغ مملكة مالي:

تأسـست مملكـة مالـي منذ زمن بعيد ويقال أنه يعود لقبل عام 1000ق م[10]، وكان العـرق الطاغـي مـن شـعبها يتألف من قبائل الماندينغ[11] التي عُرفت أيضاً بإسم مالينكِ Malinke أي شـعب مالـي وتـتكلم لغـة Mande المانـدِ[12]. ويقال أن المملكة تعرضت لجفـاف شديد عام 1050م ضاق به أهلها، ولما سأل ملك مالي أحد التجار المسلمين عن الحـل إقترح هذا التاجر على الملك أن يعتنق الإسلام ويقيم صلاة الاستسقاء لكي يرسل الله المطر، فهطل المطر وأصبح هذا الملك تقياً وورعاً.[13] خضعت مالي لمملكة غانة ردحاً مـن الـزمن، وبـين نهايـة القـرن 12 وبداية القرن 13 الميلاديين استولت قبائل الصوصو

(1) Levtzion, N."Mali", **Encyclopaedia of Islam,** New edition. Leiden: E. J. Brill, 1991, v .VI, p.257.

(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(5) قدّاح، ص 46.

(6) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(7) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(8) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(9) قدّاح، ص 46-47.

(10) "Mali", **The New Encyclopædia Britannica**: Micropædia, 15ed. London: Encyclopædia Britannica, 2002, vol. 7, p. 735.

(11) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(12) Levtzion, N., v. VI, p.257.

(13) المصدر السابق، v. VI, p.257 وقدّاح، ص 45-46.

الزنجية الوثنية على مملكة غانة وعلى منطقة كانغابا Kangaba[1] التي كانت تقطنها قبائل الماندينغ. إلا أن الأخيرة استطاعت التصدي للصوصو والإستقلال عنهم بقيادة "سوندياتا" أو كما عُرف باسم "ماري جاطة" ("ماري" معناها أمير و"جاطة" معناها الأسد)[2] وهو أحد قادة الماندينغ الذي ينتسب إلى أسرة "كيتا" التي كانت آخر إسرة حكمت مالي أيام خضوعها لمملكة غانة. فتمكن سوندياتا من أن يؤسس جيشاً قوياً ويقوده لقتال الصوصو وينتصر عليهم في معركة "كيرينا" إلى الشمال من كانغابا عام 633هـ-1235م حيث قُتِل خلال المعركة الأمبراطور المعادي الذي مُزقت دولته من بعده. وفي عام 638هـ -1240م سار سوندياتا نحو كومبي صالح واحتلها ودمر ما تبقى منها[3] وأسس دولة إسلامية من قبائل الماندينغ لمع نجمها بين القرنين 11 و13 الميلاديين بسطت نفوذها على معظم أراضي مملكة غانة المنهارة وكان لها الدور البارز في نشر الإسلام بغربي إفريقيا. ومن خلال هذه المساحة الشاسعة فرضت مالي سيطرتها على القبائل والممالك الإفريقية الموجودة في تلك المنطقة فأضحت تتحكم بأراضي زراعية ومناطق غنية بالموارد الطبيعية بما في ذلك الذهب، كما أصبحت مركزاً مهماً للتجارة مع شمال إفريقيا[4]. سنعرض في السطور التالية تاريخ هذه المملكة والدور التي لعبته في غربي إفريقيا لنشر الإسلام والحضارة الإسلامية، كما سنتناول علاقة مملكة مالي ونهايتها.

3.2.1.2 مالي في عهد سوندياتا (1240م-1255م) :

ارتقى سوندياتا عرش بلاده كما مر معنا بعد إلحاق الهزائم النكراء بملك قبائل الصوصو الوثنية واستولى على مملكة غانة، لذلك اقترن اسمه بالحكايات الشعبية التي تمجد هذا البطل الوطني وتعتبره المؤسس الفعلي لمملكة مالي. وتقول الحكايات أن ملك الصوصو قتل خلال حروبه مع الماندينغ أحد عشر أخاً لسوندياتا، فصمم الأخير على الإنتقام لاخوته للتخلص من حكم الصوصو. وقد سرت بين المتحاربين إشاعة مفادها أن ملك الصوصو لا يُقتل إلا إذا عُرِف السر الذي يحميه، فتطوعت إحدى أخوات سوندياتا لمعرفة ذلك فتزوجت ملك الصوصو هذا، وما كان من هذا الملك إلا أن أفضى

---

(1) مدينة تقع على نهر النيجر وهي اليوم في غرب مالي قرب حدود غينيا (كوناكري).

(2) شلبي، مج 6 ص 242.

(3) شاكر وبيلتو، ص 36.

(4) Trimingham, J. P, **A History of Islam in West Africa**, London: Oxford University Press, 1962, pp. 61.

لزوجته بالسر وعندئذٍ أخبرت أخاها به وهو أن يرمي بسهم ملوث بدماء ديك أبيض.[1] فجمع سونددياتا زعماء البلاد تحت قيادته وانتصر على الصوصو كما مر سابقاً. وقد رافقت هذه الحوادث أساطير طابعها المبالغة تنسب لسوندياتا أعمالاً ليست له منها أنه غرق في نهر سانكاراني وتحول إلى شكل فرس البحر، وقد نظمت الأناشيد التي تمجد بطولته وتجعله من الرجال المميزين في تاريخ مالي، وما زالت هذه الأناشيد منترة هناك حتى الآن.[2]

استقر الأمر بعد الفتوحات وتمتعت البلاد بالإستقرار مما أتاح لسوندياتا تنظيم مملكته على الشكل الآتي:

أولاً: نقل عاصمة الدولة[3] عام 1240م من مدينة "جارب"[4] إلى موقع آخر يقع إلى الشرق منها على نهر سانكاراني،[5] وقد عُرف هذا المكان بمدينة "نياني Niani"[6] وإشتهرت بإسم مالي[7]، ومن هنا اتخذت هذا المملكة إسمها. ولم تلبث العاصمة الجديدة أن اجتذبت تجّار المغرب، الذين فاتخذوها مركزا لنشاطهم التجاري كما أقام البعض فيها. وفي عام 1352م زار إبن بطوطة مدينة مالي وكتب عنها في كتابه **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** والمعروف أيضاً بإسم **رحلة ابن بطوطة**.[8]

ثانياً: قسّم مملكته إلى مقاطعات وولى عليها أقرباءه وجعل الحكم فيها وراثياً.

ثالثاً: قام بجباية الضرائب من السكان القاطنين في الأراضي التي كانت تابعة لغانة.[9]

---

(1) قدّاح، ص 48-49.

(2) المصدر السابق، ص 49.

(3) هناك جدل كبير حول موقع عاصمة مالي، لإن كان الموقع قليل الأهمية بالنسبة لحكام غربي إفريقيا بسبب تغيره المستمر، ومع ذلك لم ينقل الحكام عواصمهم إلى مدن تجارية بل فضلوا التجمعات السكنية الزراعية (أنظر: Trimingham, p. 61).

(4) مدينة تقع الآن في غينيا (كوناكري) على نهر النيجر جنوبي مدينة "سيغويري Siguiri" (أنظر: شاكر وبيلتو، ص 38).

(5) هو أحد روافد نهرالنيجر في غينيا (كوناكري).

(6) تقع الآن في شمال شرق غينيا (كوناكري)، ولمزيد من المعلومات عنها أنظر: شلبي، مج 6 ص 241، و Labouret, Henri, "Mali", **Encyclopaedia of Islam**, Leiden: E. J. Brill, 1954, v .V, p.203-204.

(7) شاكر وبيلتو، ص 38-39.

(8) تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975، مج 2، ص:781-791.

(9) Trimingham, p. 65.

ثالثاً: اتبع سياسة الصداقة بين مختلف قبائل مملكته من خلال تزوجه لعددٍ من نسائها ومن خلال استقباله في بلاط قصرة لشعراء يمثلون مختلف القبائل.

رابعاً: أدخل سوندياتا إلى دولته زراعة وحياكة القطن،[1] وكلف بها الأسرى الذين وقعوا في الأسر أثناء الحروب.[2]

خامساً: شجع تجارة الذهب الذي اعتُبر آنذاك الثروة الأساسية للبلاد.

وهكذا غدت مالي من أهم دول غرب إفريقيا في ذلك الوقت وأكثرها هيبة وقوة، وهذا ما دفع سوندياتا للذهاب للحج شكراً لله على ما أنعمه عليه من إنتصارات ونجاح في ميادين السياسة والاقتصاد، كما أعان العلماء في ظل الدولة الجديدة على نشر العلم والإسلام[3].

3.2.1.3 مالي في عهد منسى علي (1255م–1270م):

توفي سوندياتا عام 1255 فخلفه ابنه البكر "أولين" ويسمه العرب "علي" وهو الذي أدخل لقب "منسى"[4] على ملوك مالي. تابع علي الفتوحات وعمليات التوسع فنجح في الاستيلاء على مناجم ذهب أكسبت الدولة قوة وسطوة في المنطقة، كما أمّن حدود بلاده الشمالية مع الصحراء الكبرى، وهذا مكنه من إداء فريضة الحج عام 658هـ 1259م مروراً بمصر حين كان يحكمها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس. وكان منسى علي من أعظم حكام بلاده محباً للسلام معروفاً بالتقوى والصلاح مما ساعد على ازدياد انتشار الإسلام في مملكته خلال حكمه. وفي أيامه ضمت مالي إليها منطقتي "بامبوك" و"وانغارا Wangara" اللتين تقعان على نهر السنغال، كما بسط منسى علي نفوذه على دولة "صنغاي" الناشئة واتخذ منها عدداً من الرهائن لضمان خضوعها واستسلامها.

3.2.1.4 مالي في عهد خلفاء منسى علي (1270م–1311م) :

توفي "منسى علي" عام 1270م فتعرضت البلاد لفترة من الاضطراب تتالى خلالها على العرش عدد من الملوك الضعاف كان أولهم "منسى واتي" ثم "منسى خليفة" وهما أخوة "منسى علي". وكان "منسى خليفة" معتوهاً يسلي نفسه بإطلاق النبال على الناس فثار عليه

(1) "Civilizations in Africa: Mali", www.wsu.edu:8080/~dee/CIVAFRCA/MALI.HTM, 14/5/2003.

(2) قدّاح، ص 50.

(3) شلبي، مج 6 ص 245.

(4) منسى (و تكتب أيضاً منسا) Mansa وتعني السلطان.

شعبه وقتلوه،[1] ثم جاء من بعده "أبو بكر" وهو حفيد سوندياتا ودام حكمه حتى عام 1285م حين اغتصب الحكم أحد القادة من عبيد العائلة المالكة واسمه "ساكورا". امتد حكم هذا الحاكم حتى عام 1300م حيث قام خلال تلك الفترة بغزو منطقة التكرور في السنغال ومنطقة "وانقارة" ومدينة "غاو" التي تقع على نهر النيجر. وقد تمتعت البلاد في عهده بشئ من الإستقرار والرخاء، كما عمد إلى تقليد الملوك السابقين فقام برحلة إلى الحج عام 1300م لكنه قُتِل خلال عودته منها.[2] عاد بعد ذلك المُلك إلى أسرة "كيتا" الحاكمة لكن تتالى على العرش عدد من الملوك الضعاف كان آخرهم "أبو بكر الثاني" الذي ركب المحيط الأطلسي عام 1311 ميلادية ليكتشف ما بعده ولم يعد.[3]

3.2.1.5 مالي في عهد منسى موسى (1312-1337) :

بعد أبو بكر الثاني جاء "منسى موسى" إلى الحكم وهو أحد أقرباء سونددياتا[4]، وفي عهده أصبحت مالي إمبراطورية قوية وواسعة الاتساع مترامية الأطراف تمتد من غاو في الشرق إلى المحيط الأطلسي في الغرب مروراً بمدينتي تمبكتو وجني ومنطقة فوتا جالون[5]، وفي الشمال امتدت مالي داخل الصحراء مستوليةً على مناجم الملح والنحاس فيها وصولاً حتى مدينة ولاته[6]، أما في الجنوب فلامست مالي حدود نيجريا وما يسمى اليوم بدولة "بنين". وقد عُرِف هذا الملك بإسم "كانكان موسى" أيضاً و"كانكان" هو إسم والدته لأنه

---

(1)Trimingham, p. 66.

(2) يذكر شاكر، محمود ونافذ أيوب، بيلتو، ص 40 أن هذا الحاكم قُتل أثناء عودته من الحج عن طريق الحبشة حين هاجمته جماعة في منطقة الدناقل عند ساحل البحر الأحمر، بينما ينفي Trimingham ذلك صفحة 66 ويشير إلى أن القتل حصل في منطقة "تاجورا" على ساحل برقة في ليبيا لأن كل رحلات الحج في تلك الأيام كانت تمر بالصحراء الكبرى.

(3) المصدر السابق، ص 40 و
Van Sertima, Ivan, **They came before Columbus**, New York: Random House, 1976, p. 49.
راجع أيضاً:
Internet Puppet Theater: Timbuktu, **www.internetpuppets.org/afrtimbuktu.html**, 14/7/2004. "

(4) اختلفت الآراء حول القرابة بين سونددياتا ومنسى موسى، فهو ابن أخت سونددياتا حسب شاكر، محمود ونافذ أيوب بيلتو، ص 40 وابن أحد أخوة سونددياتا كما ذكر قدّاح ص 52، وحفيد سونددياتا حسب **الموسوعة العربية العالمية** المقال "مانسا موسى" مج 22 ص 165، وهناك رأي ثالث حسب D.C. Conrad المقال تحت عنوان Mansa Musa في:
Encyclopaedia of Islam, New edition, 1991, v .VI, p.421
يذكر ان منسى موسى هو حفيد أبو بكر أخ سونددياتا.

(5) تقع الآن في غينيا (كوناكري).

(6) تقع اليوم في موريتانيا.

يجوز للولد عند قبيلة الماندينغ[1] أن يحمل اسم امه إذا كانت من أصل نبيل[2]. يعد منسى موسى من أعظم ملوك مالي وكان رجلاً كريمًا وصالحاً وورعًا ومتسامحاً، وفي عهده دخل الاسلام البلاط الملكي وأصبح دين الدولة الرسمي فصُبغت البلاد من ذلك الحين بالطابع الاسلامي وأضحت مالي جزءاً من العالم الاسلامي فأقام علاقات مع مصر والمغرب وفتح بلاده للمسلمين الفارين من الأندلس[3]، وفي عهده اتجهت عناية مالي لنشر الإسلام حتى غمر أكثر بلاد نيجريا، كما بلغت شهرة مالي من الأندلس حتى خرسان وظهر إسمها وإسم منسى موسى على الخرائط الأوروبية التي صدرت في القرن الرابع عشر الميلادي.[4]

وكان منسى موسى ملماً باللغة العربية محباً للعلم فاهتم بالتعليم الإسلامي وبنى العديد من المساجد والمدارس والمكتبات الإسلامية وخاصة في تمبتكو حيث أنشأ جامعة "سنكوري"، وأرسل طلاباً لتلقي العلوم الإسلامية في فاس والقاهرة على نفقته، وكان المتعلمون يعودون ليحتلوا مراكز القيادة في بلادهم ليصبحوا أئمة وقضاة ومعلمين في المدارس والمساجد في كل من العاصمة "نياني" ومدن "تمبكتو" و"غاو" و"جني" التي غدت مدناً ثقافية هامة. أما العلاقة مع الوثنيين فتميزت بالعنف والتوتر الذين كانا ينتهيان دائماً بالحروب التي كان يشنها منسى موسى لنشر الإسلام[5]. وعلى الصعيد الاقتصادي شجع منسى موسى التجارة التي ازدهرت نظراً لسيطرة الأمن في طرق القوافل، وكان البربر والطوارق يتولون عمليات نقل البضائع والقوافل التي بلغ تعدادها عام 1350م اثني عشر ألف جمل[6] تحمل جوز الكولا والعاج والملح والذهب[7]. وبالرغم من توتر العلاقة مع الجنوب الوثني إلا أن التجارة كانت ناشطة معه ووصلت إلى مستوى الوفود والسفارات بل إن بعض الوثنيين كانوا يقيمون في مملكة مالي يمتهنون التجارة ويعيشون في وئام مع المسلمين[8]، كما أقام المسلمون من قبيلة الماندنيغ مستعمرات تجارية اسلامية داخل

(1) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.
(2) قدّاح، ص 52.
(3) شاكر، محمود ونافذ أيوب بيلتو، ص 40.

(4) Trimingham, p. 67-68.

(5) قدّاح، ص 56.
(6) المصدر السابق، ص 55.

(7) Salloum, Habib. "**Mansa Musa: An African builder**". www.expressionsofsoul.com.id66.html. 14/5/2003.

(8) قدّاح، ص 56.

المناطق الوثنية، وكان لهؤلاء المسلمين نفوذ قوي فيها[1].

ولعل أهم حدث في عهد منسى موسى هو رحلته المميزة إلى الحج سنة 1324م التي لفتت أنظار العالم في ذلك الزمن إلى ثروة مملكة مالي الطائلة. فحسب المؤرخ المملوكي العمري[2] فان منسى موسى قد أخذ معه في رحلته إلى الحج كميات هائلة من الذهب تقدر بمائة جمل واصطحب معه زوجته المفضلة وخدمهما[3] و60,000 شخص من رعاياه بما فيهم الوزراء والقادة والعلماء والأتباع[4]، وكان كل يوم جمعة يبني مسجداً في المكان الذي تتوقف فيه قافلته[5].

وقد مرّ منسى موسى في طريق ذهابه إلى الحج بمدن ولاتة[6] وتوات (التي تقع في صحراء الجزائر) وغدامس وسيرت في برقة بليبيا ثم الإسكندرية فالقاهرة. وفي مصر استقبله السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة 724هـ 1324م بحفاوة بالغة واستفسر منه عن أمور كثيرة في بلاده، ولما سُئِل عن سبب انتقال المُلك إليه أجاب بأن المنسى السابق[7] كان يظن ان البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئات من السفن وشحنها بالرجال والمؤن التي تكفيهم لسنين وأبحر معهم وأمرهم أن يسيروا في المحيط ولا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته، وقبل ابحاره عين المنسى السابق موسى نائباً عنه. غابت السفن مدة طويلة ثم عادت منها واحدة قال قائدها أن سائر السفن قد ابتلعها الأمواج فلم ينج منها إلا واحدة لم يكن على متنها المنسى فاستخلفه موسى في حكم البلاد[8].

تجاه هذه الحفاوة الكبيرة التي وجدها منسى موسى في القاهرة قدم الأخير الكثير من الهدايا للمرحبين به، وقد ذكر العمري أن منسى موسى وزع الكثير من الذهب خلال إقامته هناك مما جعل قيمة هذا المعدن تنخفض في سوق الذهب بمصر[9]. وفي القاهرة

---

(1) المصدر السابق، ص 56.

(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(3) " Mansa Musa (1312-1337) " , www.purpleplantmedia.com/bhp/pages/mansamusa.shtml. 14/5/2003.

(4) قدّاح، ص 52-53.

(5) Salloum, Habib. "**Mansa Musa: An African builder**". www.expressionsofsoul.com.id66.html. 14/5/2003.

(6) تقع الآن جنوب موريتانيا.

(7) أي أبو بكر الثاني.

(8) الآلوري، ص 24.

(9) "Mansa Musa (1312-1337)" . www.purpleplantmedia.com/bhp/pages/mansamusa.shtml. 14/5/2003.

صرح منسى موسى بأنه المدافع الأكبر عن الإسلام وأنه يحارب الكفرة الوثنيين في جنوب بلاده وأن مملكته تعد بقعة صغيرة بيضاء في جسم بقرة سوداء[1].

وفي الحجاز أدّى منسى موسى فريضة الحج وأفاض على الحجيج وأهل الحرمين الشريفين بالإحسان كما زار المدينة المنورة. وقد مكث ثلاثة شهور بالحجاز بعد انتهاء فريضة الحج. ومارس منسى موسى في الديار المقدسة نفس المظاهر التي قام بها في القاهرة فكان يتجول في الأسواق على جواد مزركش بالأحجار الكريمة والمعادن الثمينة يحيطه أتباعه الذين يحملون قضبان ذهب مما اضطره للأستدانة من أحد تجار الاسكندرية ليحافظ على سمعته، وقد رافقه التاجر المصري إلى مالي ليتقاضى دينه[2]. وعند انتهائه من الحج اصطحب معه من مكة أربع أشراف من قريش مع عائلاتهم ليستقروا في مالي[3]. وفي طريق عودته أقام فترة من الزمن بالقاهرة واشترى العديد من الكتب الإسلامية التي تتناول الحديث عن المذهب المالكي وهو المذهب المنتشر في البلاد[4].

وكان منسى موسى قد التقى خلال إقامته في مكة بالشاعر والمعماري الأندلسي أبو إسحق إبراهيم الساحلي[5] المعروف باسم "الطويجن" فاصطحبه إلى مالي حيث شيد مساجد ومبانٍ فخمة كانت الأولى من نوعها حيث أدخل فن عمارة جديد قائم على القرميد المحروق والسقوف المنبسطة والمآذن ذات الشكل الهرمي[6]. والتقى منسى موسى في طريق عودته بالفقيه أبي عبد الله الكومي الموحدي في غدامس فاصطحبه معه إلى مالي ليستفيد من ثقافته وخبرته، وعندما عاد منسى موسى إلى بلده كان يأخذ برأي كل من هذا الفقيه والشاعر الساحلي في شؤون المملكة لما كان لهما نفوذ عظيم في البلاط[7].

وكل ما يعنينا في رحلة الحج هذه هو اظهار ما تمخض عنها من أثار طيّبة ونتائج عظيمة وقيام علاقات وطيدة مع بلاد العالم الإسلامي ساعدت على أن تُظهر مالي بمظهر إسلامي واضح أعطى زخما قوياً لازدهار معالم الحضارة الإسلامية وظهور المدن والمراكز

(1) قدّاح، ص 56

(2) المصدر السابق ، ص 53.

(3) **Encyclopaedia of Islam**, New edition, 1991, v .VI, p.422. , C. "Mansa Musa", Conrad.

(4) الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، القاهرة: جامعة القاهرة، د.ت.، ص 101

(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(6) Salloum, Habib."Mansa Musa: An African builder". www.expressionsofsoul.com./id66.html. 14/5/2003.

(7) قدّاح، ص 54.

الإسلامية بصورة قوية وواضحة في تلك الدولة ولتعمّق الشعور الديني الإسلامي لدى شعبها فسادها ودّ وتفاهم مع البلاد العربية الإسلامية ونموّ للحركة الإسلامية التي بدأت تندفع عبر الغابات الاستوائية لأجل نشر دعوة الحق.

3.2.1.6 مالي في عهد خلفاء منسى موسى 1337م – 1390م:

توفي منسى موسى عام 1337م وخلفه ابنه "مغان" الأول الذي كان ولي العهد خلال وجود والده في مكة [1] ودام حكمه حتى عام 1341م. وكان "مغان" الأول عديم الخبرة والتبصر وفي عهده عادت الفرقة إلى البلاد وبدأ الضعف يدب فيها وذلك لكثرة الفتن الداخلية واختلال الأمن وعدم الولاء للسلطان. كما شهدت البلاد مرحلة والانهيار يضاف إليها هجمات القبائل في المناطق المجاورة والتي شكلت خطراً حقيقياً على استقرار دولة مالي، فقد قدمت قبائل الموسي جنوب مالي بالغزو والتخريب ووصلت إلى تمبكتو فأحرقتها وأبادت حاميتها من الماندينغ. [2]

تولى "سليمان" وهو أخ منسى موسى وعم "مغان" الأول الحكم عام 1341م ودام حكمه حتى عام 1360. تميز سليمان بالتقوى والصلاح والتفقه بالدين و"جلب إلى بلده عدد من أئمة المذهب المالكي الذي كان ينتمي إليه"، [3] وبنى المساجد والمنارات وأدى فريضة الحج عام 572هـ -1352م. استطاع سليمان أن يعيد معظم البقاع التي خرجت عن طاعة المملكة، ومع ذلك فشل في استعادة مدينة غاو، [4] أما على الصعيد الخارجي فقد أقام علاقات ودية مع سلاطين المغرب. وفي عام 1353م زار الرحالة العربي ابن بطوطة [5] مالي وعاصمتها التي ذكرها باسم "مالي" أيضاً وإلتقى بسلطانها سليمان. ويتكلم ابن بطوطة عن هذا السلطان في كتابة **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** [6] فيصفه بأنه: " ملك بخيل لا ترجى منه كبير عطاء." [7] جاء هذا الوصف عقب أربعة أشهر من وصول ابن بطوطة إلى مالي و شهرين من تسليمه على السلطان واستلام الضيافة منه

---

(1) Trimingham, p. 71.

(2) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(3) Trimingham. p. 71.

(4) شاكر وبيلتو، ص41.

(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(6) تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975، مج 2، ص781-791.

(7) المصدر السابق، مج 2، ص 781-782.

حيث لم يصل إليه فيهما (أي الشهرين) شيئ من قِبَله. ودخل شهر رمضان وكان ابن بطوطة خلال ذلك يتردد ويسلم على السلطان في أوائل هذا الشهر الفضيل. وفي أحد الجلسات قال ابن بطوطة له: إني سافرت بلاد الدنيا ولقيت ملوكها ولي ببلادك أربعة أشهر ولم تضفني ولا أعطيتني شيئاً فماذا أقول عنك عند السلاطين؟ فقال [أي السلطان] إني لم أرك ولاعلمت بك"، عندها قام أحد الحضور وقال "إنه سلم عليك وبعثت إليه الطعام"، فأمر عندئذٍ السلطان بإعطاء دار لابن بطوطة ينزل بها ونفقة تجري عليه بالإضافة إلى ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثلثا كما أعطاه مائة مثقال ذهب عند سفره.[1] ثم يصف ابن بطوطة بعد ذلك أبهة السلطان وحاشيته وغناه. أما عن الشعب فيقول أنهم " أعظم الناس تواضعاً لملكهم وأشدهم تذللاً له، فإذا دعا بأحدهم نوزع المدعو ثيابه ولبس ثياباً خلقة ونزع عمامته وجعل شاشية وسخ ودخل رافعاً ثيابه وسراويله إلى نصف ساقه وتقدم بذله ومسكنه وضرب الأرض بمرفقيه ضرباً شديداً ووقف كالراكع يسمع كلامه. وإذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه، كشف ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على رأسه وظهره."[2] ثم يعدد ابن بطوطة الخصال الحسنة لهذا الشعب فيقول إنهم أبعد الناس عن الظلم وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه، ومن هذه الخصال أيضاً شمول الأمن في بلادهم وعدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيض وكان القناطير المقنطرة، ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم أولادهم عليها، وإذا كان يوم الجمعة ولم يُبَكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام. ومن عاداتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به يوم الجمعة. ومن الخصال الحميدة التي ذكرها ابن بطوطة أيضاً عنايتهم بحفظ القرآن العظيم ومعاقبة أولادهم بالقيود إذا أظهروا التقصير في حفظه.[3]

تولى حكم مالي بعد "سليمان" ابنه "قسا"[4] ولم يحكم سوى تسعة أشهر حيث قتل عام 1360م في معركة مع ابن "مغان" الأول ويدعى "ماري جاطة" الثاني والذي استولى على

---

(1) المصدر السابق، مج 2، ص 782-783.

(2) المصدر السابق، مج2 ، ص 784-785.

(3) المصدر السابق، مج 2، ص 790.

(4) وكان يُعرف أيضاً باسمي "قنبا" و"فنبا" (أنظر: Trimingham ص 72)، أما شاكر وبيلتو فيذكران ص 41 أن اسمه كان "قنبتا"، في حين يذكر قداح ص 57 أن اسمه كان "كامبا".

السلطة وبقي فيها لغاية وفاته عام 1373/4م، وكان هذا الحاكم سيء السيرة ومبذراً أتلف ما في خزائن الدولة.[1] بعد "ماري جاطة" الثاني جاء إلى الحكم ابنه "موسى" الثاني وكان أحسن سيرة من أبيه لكن وزيره "ماري دياتا" استبد بالأمر وحجر عليه فقام الأخير بمحاربة دولة صنغاي التي كانت قد احتلت أجزاء واسعة من مالي وقد تميز عهده بهجوم الطوارق على مملكته. عاصر موسى الثاني المؤرخ العربي ابن خلدون فأرّخ عنه قائلاً "لكن الأمر كان قد أفلت والدولة كانت قد اتجهت للإنحدار فآذن ذلك بالزوال".[2] توفي موسى الثاني عام 1387م فخلفه أخوه "مغان" الثاني وقد بدأ عهده بحروب أهلية بين الطامعين بالعرش قتل هو فيها عام 1388م وأخذ الحكم "صندكي"[3] الذي كان زوج أمه وتميزت فترة حكمه بحدوث فتن كثيرة استغلها أحد أحفاد سوندياتا واسمه محمود فاستولى على الحكم باسم "مغان" الثالث عام 1390م. ونتيجةً لهذه الأوضاع المضطربة بدء الضعف يدب في مالي منذ أوائل القرن الخامس عشر، فتفكك الجيش وتمزق وأصبح أداة سوء وخلل ولم يعد أداة دفاع وقوة، وهذا ما ساعد على تعرض البلاد للعدوان والتمزيق والإنهيار من خلال استقلال الدول والإمارات التي كانت جزءاً منها. ففي الشمال شن الطوارق هجمات متلاحقة ومتتابعة انتهت باستيلائهم على مدينتي تومبكتو وولاتة ونهبهما وسيطرتهم على معظم مناطق مالي الشمالية. وفي الجنوب الغربي وجه الفولانيون[4] والتكارنة[5] ضربات قوية إلى مالي واستقلوا بأجزاء منها، وفي الجنوب قامت قبائل "الموسي" الوثنية بأعمال غزو وتخريب، وفي الشرق تعرضت مالي لهجمات دولة صنغي التي بدأت بالظهور بعد تحررها من مالي نفسها.

3.2.1.7 مملكة مالي من القرن الخامس عشر حتى القرن العشرين الميلاديين:

جاء الخطر القوي والحاسم لمالي من دولة "صنغاي" الإسلامية التي كانت خاضعة لها والتي بدأت بالظهور على جهتي نهر النيجر منذ القرن الثاني عشر الميلادي. استطاعت صنغاي أن تتحر من مالي منذ القرن الخامس عشر وتحل تحمل الأخيرة على الانكماش داخل حدودها الصغيرة في إقليم كانغابا التي كانت عليها يوم أن كانت تابعة لإمبراطورية

---

(1) شاكر وبيلتو، ص 41

(2) شلبي، مج 6، ص 247.

(3) تعني هذ الكلمة "وزير" أو "رئيس الرقيق"، (أنظر: Trimingham ص 73)، لمزيد من المعلومات عن هذا المنصب راجع الفقرة 3.2.2.3 من هذا الفصل.

(4) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(5) أي سكان مطنقة تكرور في السينغال.

غانة. ولمواجهة خطر صنغاي استغاثت مالي بقوى خارجية فطلبت الحماية من العثمانيين عـام1481م[1] ومـن البرتغال التي بدأت تثبت أقدامها على السواحل الغربية لإفريقيا من خـلال إقامـة مراكـز لتجارة العبيد هناك. وكان اهتمام سلاطين مالي في القرنين الخامس عـشر والـسادس عـشر الميلاديين بالمناطق الغربية على الأطلسي يدعوهم إلى الدخول في علاقات مع البرتغاليين. وحسب المصادر البرتغالية[2] فإن كل من السلطان موسى الثالث وعلـي الثانـي قد دخلا في علاقات تجارية مع ملوك البرتغال الذين كانوا يتحرقون شوقاً للاستـيلاء علـى مالي. كما تبادل السلطان محمد الأول الهدايا عام 1485م مع "حنا الثاني" ملـك البرتغال الذي أرسل سفيرين إلى "نياني" عاصمة مالي كانا في الوقت نفسه مكتشفين وقـد كتبا عن رحلتهما كثيراً من المعلومات التي أفادت المستعمرين فيما بعد.[3] وقد لب الـبرتغاليون نـداء الـسلطان محمـود الثانـي عـام 1533م[4] في المـساعدة ولكن ليس ضد صـنغاي بـل ضـد هجـوم قـبائل الموسي الوثنية[5] وضد أحد زعماء الفولانيين[6] الذي إعتصم في منطقة "فوتا جالون" وحارب السلطان محمد بسبب تعاونه مع الأجانب ومن ثم اقـتطع بعـض الأراضـي وأنـشأ علـيها إمـارة.[7] وكـان مـن نـتيجة هـذا التعاون دخول الـبرتغاليين إلى مـنطقة "غامبـيا" وإجلاء الفولانين التكارنة[8] عن نهر "فالِمِ" Falémé[9] مما شـجع منسى مالي على القيام بثورة ضد دولة صنغاي ولكن هذا لم يؤدّ إلى توقف خطر تلـك الدولـة بـل استطاعت تلك أن تقمع الثورة بشدة وتتوسع على حساب دولة مالي الواسعة. وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي حاول سلطان مالي "محمود الـثالث" التحرك ضد صنغاي فهاجم تمبكتو عام 1599م إلا أنه لم يفلح في استعادتها لكنه استرجع بعض أملاك مملكته المفقودة وحصل "على نافذه صغيرة على الأطلسي تاجر منها مـع الـبرتغاليين".[10] وفي عـام 1598م هاجمـت مالـي مملكـة "جـني" لكـن المراكـشيين أيام

(1) شاكر، محمود ونافذ أيوب بيلتو، ص 42.

(2) قداح، ص 60.

(3) المصدر السابق، ص 60.

(4) شاكر وبيلتو، ص 43.

(5) قداح، ص 62.

(6) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(7) قداح، ص 60.

(8) نسبة إلى منطقة التكرور التي تقع الآن في السينغال.

(9) ينبع هذا النهر من شمال غينيا ويتابع سيره نحو الشمال فيشكل حيزاً من الحدود بين مالي والسينغال ثم يدخل الأخيرة من الشرق ليصب أخيراً في نهر السينغال.

(10) قداح، ص 63.

السعديين كانوا قد سيطروا على المنطقة ودخلوا تمبكتو عام 1591م فأبادوا قوات مالي.[1] وفي عام 1670م حاول "ماما مغان" ملك مالي أن يتوسع ولكنه هُزِم أمام مملكة "سيغو Ségou" الواقعة في أواسط حوض نهر النيجر والتي كانت تتألف من تكتل قبائل البامبارا[2] الوثنية، وفي عام 1696م قام هذا التكتل بالهجوم على العاصمة "كانغابا" انتهى بدفع مالي الجزية للوثنيين، ثم أعادوا الكرة عليها في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي فهدموها واضطر أهلها إلى مغادرتها إلى المناطق المجاورة. ولما دب الضعف في مملكة "سيغو" الوثنية بسبب التنافس القبلي أعاد سلاطين مالي بناء عاصمتهم واستقروا فيها قرابة قرن ونصف حتى هاجمهم الاستعمار الفرنسي واحتل "كانغابا" عام 1893م ونقلت العاصمة إلى باماكو. وظلت العائلة المالكة تناضل ضد الإسعمار الفرنسي إلى أن فازت البلاد باستقلالها عام 1960م.

وفي ختام استعراض تاريخ مالي لا بد من الإشارة إلى أن هذه الإمبراطورية الإسلامية كانت شاسعة الأرجاء وثرية أكبر الثراء إن قيست بمقاييس التاريخ الإفريقي الصرف للدول في القارة، وكانت شاهدا قويا ملموسا على قدرة الزنج في تدبير الشؤون السياسية والعمل في ظروفها المعقدة[3].

3.2.2 الأحوال العامة في مملكة مالي:

3.2.2.1 الحركة الإسلامية في مالي:

شق الإسلام طريقه في الأطراف الشمالية المتاخمة لجنوب الصحراء الكبرى وذلك بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين على يد قبائل المادنينغ التي قامت دولة مالي على أكتافها، وقد كان المذهب المالكي السني هو المذهب السائد في دولة مالي بل إن هذا المذهب لا زال سائدا حتى الآن في منطقة غرب القارة الأفريقية[4].

وقد كان شعب مالي حريصا على التمسك بالتعاليم الإسلامية والعمل على تنفيذ كل ما جاء بالكتاب والسُنة. بل إنهم كانوا يقومون بالجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، ويرجع لهم الفضل في نشر الإسلام في اتجاه الجنوب حيث نشروا الإسلام بين

---

(1) شاكر وبيلتو، ص 43.
(2) وهي أحد فروع الماندينغ.
(3) دافيدسون ، بازيل، **أفريقيا تحت أضواء جديدة**، ترجمة محمد أحمد، بيروت: دار الثقافة، 1959، ص 155.
(4) الغنيمي، ص 10.

قبائل الهوسا التي كانت تسكن شمال نيجريا. وكذلك حرص العلماء والدعاة المسلمين القادمون من مالي إلى البلاد الواقعة جنوبا لاسيما الهوسا والبرنو الكانم على إحضار الكتب الإسلامية معهم حرصا على القيام بشرح التعاليم الإسلامية الصحيحة وإيجاد طبقة متعلمة من تلك الشعوب تعمل على العمل بما أخذوا عن هؤلاء القوم ولاسيما في المسائل الفقهية.

3.2.2.1.1 مظاهر الحضارة الإسلامية في مملكة مالي:

لقد استطاعت مملكة مالي أن تحقق الكثير من المظاهر الإسلامية في شتى أمورها الداخلية والخارجية وفي نشر الدعوة بين الوثنيين. وما وجود 4200 عالم دين إسلامي في مدينة جني خلال القرن الثاني عشر الميلادي[1] إلا دليل على نشاط الدعوة الإسلامية في تلك البلاد. وعندما جاء الإسلام إلى السودان الغربي – ومنها مالي- كان سكان هذه البلاد سادة في بلادهم يتمتّعون بكامل الحرية والسيادة والاستقلال والقوة ويمارسون شئونهم الخاصة في داخل إمبراطورياتهم فلم يحصل أدنى تدخل أو سيادة أو نفوذ من البلاد التي جاء منها الإسلام مثل الحجاز والمغرب ومصر، لأن الدعاة الذين وصلوا هناك لم يكن لهم أدنى سيادة أو تدخل على شعب السودان الغربي الذي دخل في هذا الدين عن قناعة واعتقاد .

سارت الدعوة الإسلامية وبجانبها العلوم الإسلامية بكل فروعها المختلفة، وكذلك انتشار اللغة العربية وعلومها المختلفة والصرف والنحو والعروض والبلاغة والتفسير وغيرها من العلوم المزدهرة في ذلك الوقت. وتمتّع العلماء والفقهاء بمكانة عالية وسمعة طيّبة لدى الملوك والرعيّة حيث كانوا يولّون شتى المناصب العليا في البلاد حتى قرّبهم الملوك، وكانوا يستشارون في كل كبير ودقيق في المملكة. وبفضل العلماء استقامت أمور الإسلام في شتى أنحاء البلاد وسادها العدل وحسن المعاملة بين الناس.

وكان معلمو الدين الإسلامي بلاد السودان ينقسمون إلى ثلاث طوائف: أولاها طائفة من المعلّمين من أبناء شمال أفريقيا، ثانيهما طائفة المعلمين الموريتانيين، ثالثهما طائفة المعلمين من السودان. وكان المعلّمون كما رأينا طبقة هامة في بلاد السودان وكان

---

(1) Touré, Abdourahamane Hasséye, "Les universités tombouctiennes: grandeur et décadence", TAMPA No. 1, 1996, pp: 6-10, www.arts.uwa.edu.au/MotsPluriels/MP1299aht.html. (11/20/2002).

السلاطين يمنحونهم كطبقة هبات كبيرة[1].

ومع ازدياد حركة التبادل التجاري بين مالي وجيرانها ونشطت حركة الاتصالات الثقافية والعلمية حتى إن طلابا من مالي رحلوا إلى جامعات القيروان والقرويين وفاس والأزهر وغيره من الجامعات الإسلامية التي كانت تزدهر بها الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر الميلادي. وقد أدى ذلك إلى وجود العديد من المدارس الإسلامية التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الإسلامية والتي كانت تتم كلها باللغة العربية في كثير من المدن المشهورة في مالي وكان أكثر هذه المدارس بجوار المساجد التي اشتهرت بها مالي حيث أنه كان من عادة سلاطين البلاد الاهتمام ببناء المساجد[2].

3.2.2.2 علاقات مالي الخارجية:

إن التوسع العظيم في تجارة مالي ونشاطها زمن منسى موسى بصفة خاصة يعزى إلى نشاط هذا السلطان وسعيه الدائب في دعم العلاقات الخارجية وتنميتها ويعتبر منسى موسى اول من حطم الستار الحديدي وهو حاجز اللون والتفرقة العنصرية فيما نسميه حديثاً حتى وصف هذا السلطان بأنه "صديق البيض."[3] ثم إن شهرة منسى موسى وموكب حجه الأسطوري الذي بهر أوروبا كان حافزاً قوياً لدفعها على التفكير الجدي في معرفة قلب إفريقيا والوصول إلى حيث الذهب والثروات الاسطورية.[4]

كانت علاقة مالي بالدول الافريقية المجاورة تجارية في أساسها عمادها تبادل المنفعة، ولكن وجدت العلاقات السياسية والحربية وأساسها نوايا مالي في التوسع الاقليمي على حساب جيرانها ونشر الدين الإسلامي بين الوثنيين. فبدأت مالي في فجر تاريخها بالاصطدام مع امبراطورية الصوصو الوثنية التي حطمتها زمن ماري جاطة وضمت أملاكها كما ضمت ما تبقى من أملاك غانة. ومن الممالك الهامة ذات العلاقات التجارية والثقافية مع مالي مملكة جني وهذه وان فشلت مالي في اخضاعها إلا أنها لم تكن منغزلة عن مالي. أما صنغاي فكانت زمن ازدهار مالي دويلة خاضعة لها حتى إذا قويت تدريجياً جاء أول صدام معها بل كان خطر صنغاي ابرز الأخطار التي أحدقت بمالي من بعد

---

(1) بانيكار، مادهو، **الوثنية والإسلام : تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب أفريقيا**، ترجمه أحمد فؤاد بلبع، ط 2 ، الكويت: المجلس الأعلى للثقافة 1998، ص 500.

(2) الغنيمي، ص 103.

(3) طرخان، ابراهيم علي، **دولة مالي الإسلامية: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي**، ص 165.

(4) المصدر السابق، ص 165-166.

عصر منسى موسى، وبسب هذا الخطر استغاثت مالي بالعثمانيين والبرتغاليين.

اتسعت صلات مالي فشملت الدول الإسلامية المهمة آنذاك مثل مصر التي كانت بها الخلافة العباسية في ذلك الوقت والتي كانت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في تلك الحقبة، وقد شملت هذه العلاقات اتجاهات متعددة كان أهمها التواصل الثقافي، فقد كان لطلاب مالي رواق عظيم في الأزهر عُرف برواق التكاررة[1]، ورحل كثير من علماء مصر إلى تمبكتو ليعلموا بها ورحل من تمبكتو بعض العلماء ليتصلوا بعلماء مصر ويتدارسوا معهم بعض المسائل، وقد جلس بعضهم يعلم في الأزهر. ومن الصلات الثقافية كذلك اهتمام أهل مالي بالكتب الإسلامية التي تنشر في القاهرة وخير دليل على ذلك أنه عند زيارة "منسى موسى" لمصر خلال رحلته للحج اشترى مجموعة كبيرة من الكتب الإسلامية ليودعها في مكتبات مالي خدمة للعلم وطلابه. أما على الصعيد التجاري فقد رحل التجار المصريون الى مالي ورحل تجار مالي الى مصر، وكانت القوافل التجارية لا تنقطع بين البلدين تحمل من مالي الذهب والنحاس ومن مصر الأقمشة والحبوب.

كما شملت هذه الصلات كل من المغرب والأندلس بما كانت تمثل غرناطة من ثقل حضاري وثقافي يومها. هذا وقد وفد إلى مالي بعض العلماء الذين فروا من الأندلس هرباً من حملات الاضطهاد التي تعرض لها المسلمون هناك، وقد جلب معهم هؤلاء إلى افريقيا صوراً من حضارات المسلمين في الأندلس.[2]

3.2.2.3 السياسة والحكم في مملكة مالي:

كانت القاعدة العامة في وراثة العرش في مالي هي تولية الابن الأكبر للسلطان الراحل، لكن ليس من الضروري أن تسير سلسلة هؤلاء الأبناء رأسياً بانتظام، فقد يتولى الأخوة واحداً بعد آخر من أبناء المنسى المتوفي مع عدم الاخلال بقاعدة السن. وقد يتولى أبناء الأخت أو أبناء البنت، وهو أمر مألوف عند جميع الممالك الإفريقية التي قامت في غربي افريقيا كما وجد في وادي النيل عند النوبة. وقد سارت هذه القاعدة في امبراطورية غانة كما وجدت في الممالك السودانية الصغيرة سواء حكمها سودانيون وطنيون أو بربر تسودنوا.[3]

---

(1) شلبي، مج6، ص 254-255.

(2) المصدر السابق، مج6، ص 256.

(3) طرخان، ابراهيم علي، **دولة مالي الإسلامية: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي**، ص 125-126.

وطابع الحكم في مملكة مالي استبدادي والملكية مطلقة وفيها استغلال الرعايا لصالح الأسرة الحاكمة. ويتمتع ملوك مالي باحترام وتعظيم وهيبة بالغة من قِبل الرعايا تقرب من التقديس والعبودية.

ويساعد منسى مالي في حكومته المركزية بالعاصمة مستشارون وموظفون أهمهم نائب السلطان ويكون والي العاصمة أيضاً ويُعرف هذا النائب باسم "قنجا" ويقوم مقام السلطان إذا غاب ويساعده في تصريف الشؤون. وهناك الوزير ويلقب باسم "صندكي Sandigui" ويعتبر كذلك رئيس العبيد، وفي هذه الحالة الأخيرة يُعرف باسم "ديون صندكي Dyon-Sandigui". وللصندكي أهمية كبرى في حكومة مالي المركزية، فقد يحدث أن ينفرد بالأمر والنهي ويستبد بجميع الأمور دون المنسى وخاصة إذا كان المنسى ضعيف أو صغير السن.[1]

وقد اعتمد سلاطين مالي كثيراً على طبقة العبيد المحررين، فاتخذوا منهم قادة جيوشهم وحكام الولايات وجباة الضرائب وكبار موظفيهم ولذلك كان لأفراد هذه الطبقة دوراً كبيراً في مالي. ولم يكن لدى بعض سلاطين بأس من الزواج من نساء هذه الطبقة لذلك كان الكثير من هذه الطبقة يتطلع إلى أعلى المناصب في الدولة حتى منصب المنسى نفسه من خلال القربى مع العائلة الحاكمة.

3.2.2.4 الإدارة:

لقد نجحت حكومة مالي في ادارة شؤونها وفي تنظيم دولتها المتسعة الأرجاء، والتأثير الشرقي الإسلامي واضح في الإدارة وتقاليدها كما برز في المظاهر السلطانية من مواكب وحفلات.

تكونت دولة مالي من اقليم مالي الأصلي وهو منطقة كانغابا ومن الولايات او الممالك التابعة لها وكان عددها أربعة عشر.[2] والوحدة الإدارية في تنظيم هذه الدولة المترامية الأطراف هي "دوغو Dugu" أي القرية وهذا التنظيم من تقاليد الماندينع القديمة، وتؤدي القرية هنا معنى المدينة كذلك، ومجموعة القرى وضواحيها تُعرف باسم "كافو Kafo" في لغة الماندينع ومعناها الإقليم أو المقاطعة، ومجموعة "الكافوات" تكون ما عُرف باسم "ديامانا Diamana" أي الولاية أو المملكة، بل أن لقب منسى كان يطلق أصلا عند

(1) المصدر السابق، ص 127–128.

(2) المصدر السابق، ص 128–129.

الماندينـغ على حكام هذه الولايات، وكذلك نُعت بهذا اللقب (أي منسى) رؤساء القرى المؤسسون لها وهـو لقب قديم يرجع للعهد الوثني. ويطلق على حاكم الولاية أكثر من لقـب مـنها لقب 'كوي Koï'، وكان للكوي نسبه معينة من الضرائب التي يجبيها في عمالته وتقـدر عادة بثلث الجباية، ومهمتها الإشراف العام على الإدارة وجباية الضرائب. ويلي الكـوي موظـف آخر من حكام الولايات ولقبه 'فربا' ويساعده موظف آخر لقبه 'المكريف Macrif' وهو مسؤول عن حفظ الأمن فضلاً على أنه يساعد في جمع الضرائب.

• أمـا نظـام القضاء في مملكة مالي فكان دقيقاً كما كان محل عناية كبيرة السلطان ويكاد يكـون مـنقولاً عن الشرق الإسلامي ولاسيما مصر، وقد احتل القضاة مركزاً مرموقاً في المجتمع، وكان القاضي الأعلى يقيم في العاصمة ويعتبر مستشاراً للسلطان.

3.2.2.5 الجيش والأمن:

وكـان الجـيش القـوة العاملة الثابته في مالي وكان المنسى قائده الأعلى وكثيراً ما كان ينيب عنه قائداً آخر. وكان لمالي جيشان جيش الشمال وجيش الجنوب ، وقد دُرِّب ونُظِّم كل منهما أحسن تدريب وتنظيم وبلغ مجموعهما نحو مائة ألف جندي منهم عشرة آلاف فـارس والباقـي رجالـة. وكـان الفرسان عماد القوة الفعالة في مالي وقد قُسم الجيش إلى فـرق على كل فرقة ضابط. ويعرف كبار ضباط الجيش أو الأمراء في مالي باسم 'الفرارية' ويقـوم كـل منهم على طائفة من الجنود المشاة والفرسان، وجرت العادة أن يحضر هؤلاء الفـرارية بجـنودهم في المـواكب الـسلطانية. أمـا أسلحة الجيش فكانت السيوف والحراب الطويلة والقصيرة والأقواس والنشاب والتروس.

كـان الأمـن مستتباً في مالي حتى الأماكن النائية فلا يخاف المسافر من تلك البلد ولا المقـيم فـيها ولا القـادم إلـيها مـن الـسرقة والإجـرام، كمـا أن أمـوال الأجانـب البيض المستقرين في مالي في مأمن من الإغتصاب أو النهب.

3.2.2.6 الاقتصاد:

إن الأربـاح والأمـوال الطائلـة الـتي غنمـتها مالي جاءت عن طريق تحكمها في طرق القـوافل الرئيـسية نتيجة ترامي أطرافها فضلا عن وجود معادن الذهب والنحاس والملح داخـل حـدودها، ثـم ان أرض مالـي في أغلـب أجـزائها خـصبة زراعية كثيفة السكان. وكانـت مالـي تنـتج القطـن والقمـح والأرز والـذرة الـتي كـان يـتخذ منها أغلب طعام الـشعب، أمـا الـشعير فـلا وجـود لـه. ومـن الفواكه الجميز ومن الخضار اللوبيا والقرع

والباذنجان واللفت. أما من الحيوانات فكان أشهرها الخيول يأتي بعدها البغال والحمير والبقر والغنم والماعز والجمال، وهناك حيوانات الغابة مثل الفيلة والأسود والنمور والتماسيح وحيوان اسمه اللمط،(1) ومن الطيور الأوز والدجاج والحمام. وقد جلبت مالي كثير من الحبوب والخضراوات والحيوانات المستأنسة من الدول المجاورة ومن مصر مثل الثيران والغنم والماعز والحمير والدجاج، ومن الخضراوات والحبوب القرع والقلقاس والفول والبازيلا.(2)

3.2.2.7 الوضع الاجتماعي:

كان في مالي عادات وتقاليد تقتصر عليها ولا تمت للإسلام مثل الاختلاط بين الجنسين وظهور عورات النساء بشكل فاضح وقد تكلم ابن بطوطة(3) عن هذه العادات الغريبة فقال:

"وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب فأما رجالهم فلا غيرة لديهم ولا ينسب أحدهم إلى أبيه بل ينسب لخاله ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه وذلك شيء ما رأيته في الدنيا إلا عند كفار بلاد الملبار من الهنود، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن. وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات ومن أراد التزوج منهن تزوج لكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو أرادت إحداهن ذلك لمنعها أهلها. والنساء هناك يكون لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال والأجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات".(4)

كذلك كان لمالي عادات وتقاليد أخرى شرقية واسلامية بصفة خاصة نقلت إلى مالي مع الإسلام ونتيجة للاتصال التجاري والثقافي بالعالم الإسلامي، ومنها ما يتعلق بأمور السلطنة من شعار ومواكب وجلوس ووسائل تسلية.

3.2.3 مدينة تمبكتو خلال حكم دولة مالي:

كانت مدينة تمبكتو ذات شهرة عظيمة ومكانة خاصة في نفوس أبناء إفريقيا والسودان الغربي على مر العصور وخاصة خلال حكم دولة مالي، إذ كان تاريخها حافلاً لا في

---

(1) يشبه الثور الكبير وله قرنان كالرماح تطول بطول بدنه، تؤخذ من جلده تراس تنسب إليه.

(2) طرخان، ابراهيم علي، **دولة مالي الإسلامية: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي**، ص 135-137.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) المصدر السابق، ص 163.

مكانتها التجارية فقط بل في الإسهامات الثقافية والحضارية المتميزة في المنطقة، ومنذ أن سيطرت دولة مالي على تمبكتو في أوخر القرن الثالث عشر الميلادي[1] شهدت مدينة تمبكتو أيام سيطرة مالي حضارة مميزة بالسودان الغربي إذ كان لها خصائصها ومقوماتها التي جعلت منها حضارة ذاتية منفردة، كذلك انتشر السلام حين وليت الشؤون لتمبكتو في السودان الغربي فلم يعد للقوافل ما تخشاه في عبورها الصحراء، واطمأن التجار داخل الإقليم على سلعهم وأرواحهم، فقد شاع الأمن وتيسّر الغنى والاحتفاظ بالمال[2]. وفي القرن الثاني عشر الميلادي ذاع صيت تمبكتو كمركز لتجارة الملح والذهب بعد أن تحول لها النشاط التجاري الذي كانت مدينة ولاتة تقوم به. وقد زار تمبكتو كل من ليون الإفريقي[3] عام 1526[4] والرحالة ابن بطوطة[5] عام 753 هـ - 1352م خلال رحلته لغرب افريقيا.

3.2.3.1 موقع مدينة تمبكتو:

تقع مدينة تمبكتو على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف منحى نهر النيجر، وتعتبر هذه المدينة حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى، وهي قريبة من نهر النيجر حيث يبعد عنها في الصيف 16 ميلاً أما في الخريف فإن ماء النهر يقترب منها فيصل إلى بعد سبعة أميال من المدينة.[6] ولموقع مدينة تمبكتو في أفريقيا ميزتان:

أولاهما : أنها كانت على مفرق طرق القوافل التجارية حتى قيل عنها أنها المكان حيث يلتقي فيه الجمل بالزورق النهري.[7]

---

(1) يذكر موقع
"Internet Puppet Theater: Timbuktu, www.internetpuppets.org/afrtimbuktu.html, 14/7/2004.
أن مالي أخذت تمبكتو من الطوارق عام 1290م، بينما يذكر موقع
Timbuktu , http://fp.thesalmons.org/lynn/wh-timbuktu.html, 16/7/2004".
أن مالي سيطرت على تمبكتو في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي.

(2) دافيدسون ، ص 149.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) "Timbuktu the El Dorado of Africa", http://africanhistory.about.com/library/weekly/aa031901a.7.29.04

(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(6) الدالي، الهادي مبروك، 'مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام'، في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

(7) Timbuktu Educational Foundation, "History of Timbuktu", www.timbuktufoudation.org/history.html, 20/5/2004.

ثانيهما: أنها كانت منذ أول نشأتها مدينة إسلامية وإحدى الحواضر الإسلامية الهامّة في غرب إفريقيا التي لمع اسمها في العالم الإسلامي وقد تخرج منها علماء ومؤرخون أمثال المؤرخ عبد الرحمن السعدي[1] إمام مسجد سنكور وصاحب كتاب تاريخ السودان، والقاضي محمود كعت[2] صاحب كتاب الفتاش في **أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، والعلامة أحمد بابا[3] التنبكتي الذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام والحضارة العربية، فأمست مكانة تمبكتو الثقافية بارزة حيث يرتبط تاريخ إفريقيا العربية والوسطى الثقافي والحضاري والديني بتاريخ هذه المدينة نفسها.

3.2.3.2 تأسيس مدينة تمبكتو:

أما عن تاريخ إنشاء هذه المدينة فيقول عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان أن الطوارق هم الذين أسسوا مدينة تمبكتو[4] في نهاية القرن الخامس الهجري[5] الموافق الحادي عشر الميلادي، وكانوا هؤلاء الطوارق من البدو قدموا إلى منطقة تمبكتو لرعي أغنامهم وكانوا يمضون الصيف على ضفاف نهر النيجر وينكفئون إلى أوطانهم في الخريف وما لبثوا أن استقروا في المدينة التي أضحت سوقاً هاما يؤمها التجار من مصر وغدامس وفاس، كما كان يفد عليها الرحالة عن طريق نهر النيجر وتقصدها القوافل من ساحل افريقيا الشمالية.

3.2.3.3 أصل كلمة "تمبكتو":

أما اسم تمبكتو فإنه مشتق من اسم إمرأة طوارقية تُدعى "تن أبوتوت" كانت تمكث قرب بئر ماء وعند هطول المطر كان الطوارق يتروكون بضاعتهم عندها ومع الزمن تطور هذا المكان إلى مدينة أخذت اسمها من تلك المرأة ليصبح "تمبكتو"[6]. لكن الباحث "الهادي المبروك الدالي" لا يميل إلى هذه الرواية ويراها بعيدة لسببين:

1- إن ظروف الحياة المناخية والجغرافية لا تسمح لهذه المرأة بالبقاء وحدها في تلك الصحراء.

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(4) وقد ذكرها بإسم "تنبكت".
(5) ص 20.

(6) Timbuktu Educational Foundation, "History of Timbuktu", www.timbuktufoudation.org/history.html, 20/5/2004.

2- إن جانب الأمن مطلوب للحياة وهو غير متوفر في تلك المنطقة وفي تلك الفترة.[1]

لذلك يرى الباحث أن السبب الذي جعل اسم هذه المرأة علما لتلك المنطقة هو احتمال أنها كانت لها مكانة مرموقة بين جماعتها التي كانت تقطن معها وبذلك أصبح اسمها علماً من أعلام تلك المنطقة.[2] ويورد هذا الباحث أيضاً آراء من عدة مراجع تتحدث عن تاريخ تمبكتو فيقول في أحد الهوامش: "إن مدينة تمبكتو أسسها ملك يدعى "منا سليمان" عام 610هـ - 1213م على مسافة 12 ميلاً من أحد فروع نهر النيجر ومنهم من يقول أن تمبكتو أسسها البربر القادمون من الصحراء عام 580هـ - 1087م بينما يقول [البعض] أن تأسيس تمبكتو كان عام 494هـ - 1100م"[3]. وبعد تأسيس المدينة اختلط سكانها الأصليون مع العرب الوافدين من طرابلس الغرب وغدامس والمغرب الأقصى ومع الطوارق فحدث تزاوج بينهم حيث صاهر هؤلاء الوافدون سكان تمبكتو لدرجة أن انصهر الجميع في مجتمع المدينة.

3.2.3.4 الوضع العمراني لمدينة تمبكتو خلال حكم دولة مالي:

أما عن مساكن الجماعات القاطنة في تمبكتو فقد بنيت في بداية أمرها من عيدان الأشجار وحشائش النباتات ثم تطورت هذه المساكن وأضحت تبنى من شجر الصيان[4] وبقيت فترة من الزمن هكذا إلى أن تطورت حياة الناس وأصبحوا يبنون مساكنهم بأوتاد مخلوطة من الطين ومسقوفة بالتبن وقد شرعت مدينة تمبكتو في بناء منازلها ذا الأسقف المنتظمة بعد أن حكمها "منسى موسى" بفترة قليلة مما يوضح أن مدن مالي بالكامل اتسعت كثيراً على يد هذا الحاكم حيث بني معظم محلاتها التجارية ومبانيها السكنية على الطراز المعماري المغربي الأندلسي[5]، كما بنيت حولها الأسوار القصيرة جداً "بحيث من وقف في خارجها يرى ما في داخلها وما تكاملت البناء في الالتصاق والالتئام إلا في

(1) الدالي، الهادي مبروك، "مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام"، **في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي**، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) هو نوع من الأشجار ذات الجذوع الغليظة تكثر بتلك المنطقة.

(5) الدالي، الهادي مبروك، "مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام"، **في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي**، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

أواسط القرن العاشر [الهجري][1]. وفي أواساط القرن السادس عشر الميلادي بلغ عدد سكان تمبكتو حوالي 100,000 نسمة ربعهم كانوا من العلماء الذين تخرجوا من مصر أو مكة المكرمة.[2]

3.2.3.5 الوضع الاقتصادي لمدينة تمبكتو خلال حكم دولة مالي:

كان لموقع تمبكتو على طرق القوافل الأثر الكبير في اعطاء هذه المدينة مركزاً حيوياً واستراتيجياً ذا أهمية بالغة في المجالين الاقتصادي والحضاري. ففيّ المجال الاقتصادي عُرفت تمبكتو بتجارتها عبر العصور كانت التجارة تمثل بالدرجة الأولى المصدر الرئيس في حياة السكان وتأتي بعدها الثروة الحيوانية التي تمثلت في الإبل والأبقار والأغنام والخيل والحمير، وكانت حرفة الرعي حرفة أساسية في حياة السكان المجاورين للمدينة فتوافدوا عليها يبيعون أغنامهم ويشترون ما كانوا يحتاجون إليه من سلع ودباغة وغيرها في هذا المضمار، كما عُرف عن سكان تمبكتو إتقانهم لحرف الذهب والفضة.[3] ومن الجدير بالذكر أن أهل تمبكتو لم يعنوا بالزراعة بالرغم من أن بلادهم لا تبعد كثيراً عن نهر النيجر فكانت التجارة تمثل الشريان الرئيسي للحياة الاقتصادية لهم[4] حيث لعب هذا القطاع الاقتصادي في عهد دولة مالي دوراً هماً في ازدهار المدينة اقتصادياً وحضارياً، وكان محور هذه التجارة الذهب والملح لما يمثلان من قيمة عظيمة لدى سكان السودان الغربي. وكان الملح يأتي إلى تمبكتو من تغازى[5] حيث كان يوجد الملح في شكل ألواح ضخمة متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض، ولشدة ضخامتها لم يكن الجمل يحمل منها إلا لوحين، وكانت البيوت والمساجد تبنى بهذه الألواح.[6] كما توافد الناس على تمبكتو من كل حدب وصوب وخاصة من الشمال الإفريقي عبر الصحراء الكبرى

---

(1) السعدي، ص 21-22.

(2) "Timbuktu the El Dorado of Africa", http://africanhistory.about.com/library/weekly/aa031901a .7.29.04.

(3) الدالي، الهادي مبروك، 'مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام'، **في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي**، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

(4) المصدر السابق.

(5) تقع اليوم في أقصى الزاوية الشمالية الشرقية لدولة مالي قرب الحدود مع الجزائر وموريتانيا، وكانت تغازى منجم الملح الذي تتطلع له كل البقاع في غرب إفريقيا. تعرف الآن بإسم 'تراهازا Trhaza'، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة عام 753 هـ -1352م.

(6) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، رحلة ابن بطوطة المسماة **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق على المنتصر الكتاني. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975، مج 2، ص 773.

فأتاها تجار من فزان وغدامس وطرابلس الغرب يحملون بضائعهم ليقايضونها بالذهب والرقيق والعاج وريش النعام والبخور والصمغ. أما من المغرب الأقصى فكان تجار سجلماسة[1] وفاس ومنطقة السوس يحملون بضائعهم إلى تمبكتو في مقابل أن يعودوا محملين بسلعتها سالفة الذكر[2] بالإضافة إلى التجار الذين قدموا من من مدن توات (تقع اليوم في غربي الجزائر) وغاو وجني . وكان وضع المدينة في المنطقة قوي جداً ولم يتأثر اقتصادها خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) بالمضاربات التجارية التي كانت تحدث في المناطق المجاورة، ومنذ ذلك الوقت وقوة تمبكتو الاقتصادية في تصاعد وخصوصاً بعد سقوط دولة غانة في القرن الثالث عشر الميلادي. وهكذا شهدت تمبتكو تجارة واسعة امتدت من الشمال الإفريقي والسوادان الغربي والشرق العربي، وأهم الطرق التجارية التي كانت تصل تمبكتو بتلك المدن هي:

1- طريق من مصر عبر كانو فتمبكتو.
2- طريق من تونس إلى تمبكتو.
3- طريق من المغرب الأقصى مروراً بسجلماسة[3] وتوات[4] إلى تمبكتو.
4- طريق من تغازى[5] مروراً بمدينة ولاتة ومنها إلى تمبكتو.
5- طريق من طرابلس الغرب ومنها إلى غدامس ومن ثم إلى تمبكتو.

وكل هذه الطرق تمتعت بشروط عالية للسفر ونقل البضائع وأهم تلك الشروط وجود الماء ومرورها بمناطق آمنة ومستقرة.

وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) الذي يسميه البعض بالعصر الذهبي لمالي، فقد حصلت مالي وخاصة مدينة تمبكتو على نصيب وافر من الرخاء الاقتصادي والعلمي فشهدت المدينة حركة اقتصادية نشطة وكثرت فيها الحوانيت وخاصة تلك التي

---

(1) مدينة اندثرت توجد مكانها اليوم قرية تسمى الريصاني وتقع في المغرب في القطاع الأوسط للحدود بين هذه الدولة والجزائر.

(2) الدالي، الهادي مبروك، 'مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام'، **في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي**، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

(3) مدينة اندثرت توجد مكانها اليوم قرية تسمى الريصاني وتقع في المغرب في القطاع الأوسط للحدود بين هذه الدولة والجزائر.

(4) تقع اليوم في غربي الجزائر.

(5) تقع اليوم في أقصى الزاوية الشمالية الشرقية لدولة مالي قرب الحدود مع الجزائر وموريتانيا، وتعرف الآن بإسم 'تراهازا Trhaza'، وقد زارها ابن بطوطة عام 753 هـ - 1352م.

تبيع المنسوجات القطنية والأقمشة التي تأتي من أوروبا،[1] وقد ساعد توافر الأمن والنظام في المدينة ظهور هذا الانتعاش الاقتصادي الهام.

3.2.3.6 الحياة الفكرية في تمبكتو خلال حكم دولة مالي:

ظلت تمبكتو منارة العلم والعلوم الإسلامية لها الأثر البعيد في نشر الإسلام وفي الرقي الحضاري زهاء قرنين من الزمان أي من القرن الرابع عشر إلى بداية القرن السابع عشر في منطقة السودان الغربي إذ اقترن تاريخ الحياة الثقافية في تلك المنطقة بمدينة تمبكتو. وكانت تمبكتو في ذلك الوقت مدينة زاخرة بالعلوم يؤمّها العلماء وطلاّب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي وترعرع الدين في مساجدها وأصبحت مجمعة العلماء من كل حدب وصوب، ويورد السعدي[2] باباً طويلاً عن العلماء والصالحين الذين سكنوا تمبكتو وخدموا العلم والمعارف فيها، وقد وجد العلماء وأهل الفكر تشجيعاً من أهل تمبكتو وملوكها الذين أغدقوا عليهم بسخاء مما أدى إلى ظهور حركة علمية وأدبية واسعة النطاق لم يعرف السودان الغربي لها مثيلاً.[3] ولم تكن الصحراء الكبرى حاجزاً لتدفق مظاهر الحضارة والمؤثرات الثقافية والفكرية من شمال القارة الإفريقية إلى السودان الغربي وهذا ساعد كثيراً على الإزدهار الثقافي لمدينة تمبكتو لا سيما ما بين القرنين السادس والتاسع الهجري (الثاني عشر والخامس عشر الميلادي). وقد سكن المدينة التجار والعلماء والصالحون وذوو الأموال من أهل مصر وغدامس في غرب ليبيا وتقرات في الجزائر ومنطقة وادي درعة في جنوب المغرب وفاس والقيروان ومراكش والحجاز وغدت تمبكتو مركزا للتعليم الإسلامي حيث أصبحت مركزاً مهما للمكتبات الخاصة ولتأليف ونسخ الكتب[4] وكانت وتلك المكتبات مفتوحة لإطلاع الطلاب والراغبين في العلم كما اشتهرت تمبكتو بعدد كبير من المكتبات المملوكة لعلمائها ولكن عُرف عن هؤلاء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الإستعارة مهما كانت الكتب قيمة، كما كانت تدور فيها حركة نسخ نشيطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نُسخ من الكتب التي

---

(1) المصدر السابق.

(2) تاريخ السودان، ص 27-37.

(3) الدالي، الهادي مبروك، "مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام"، **في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي**، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

(4) Timbuktu Educational Foundation, "History of Timbuktu", www.timbuktufoudation.org/history.html,20/5/2004.

يـريدونها.[1] وشـيد في شمـال الـشرقي تمبكـتو "جامعة سنكري" و"جامعة سيدي يحيى" في وسـط المدينة، وكذلك انتشر بها عدد من المعاهد والإسلامية فأصبحت مصدرا للإشعاع الفكري بعيد المدى ومنارة للعلم في بلاد السودان[2]، وقد وُصِفت المدينة بأنها "ذات جمال رائع وأهلها يدنون بالإسلام ويحبون السُنه ويحاربون البدع ... فإن من دخلها خائفاً وجد الطمأنينـة ومـن سـكن فـيها عامـاً أن أكثر نسي فعلته وتاب عند دخوله لها فهي دار فقه وعلم وصلاح حيث سكنها صفوة من العلماء والفضلاء حتى لا يوجد مكان من المدينة إلا وفيه ولي من أولياء الله الظاهرين والباطنين."[3] كما قال عنها عبد الرحمن السعدي في كـتابه تـاريخ السودان: "ما دنّستها عبادة الأوثان، ولا سُجِد على أديمها فقط لغير الرحمن، مـأوى العلمـاء والعابـدين، ومآلف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلك والسيار فجعلوها خـزانةً لمتاعهم وزروعهم إلى أن صار مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم يأتيه الناس من كل جهة ومكان حتى صار سوقاً للتجارة"[4].

3.2.3.7 مساجد تمبكتو خلال حكم دولة مالي:

يعتـبر المـسجد أول معهد في تاريخ التعليم الإسلامي منذ انبثاق فجر الإسلام وظل يقـوم بدوره هذا منذ ذلك الزمان إلى يومنا هذا على الرغم من وجود ما يعرف بالمدرسة مـنذ القـرن الرابع الهجري. ولم يكن المسجد في البداية معهدا تعليميا فحسب بل كان إلى جانـب ذلـك مكانـا للعبادة ودارا للقضاء وساحة تُجَيّش منها الجيوش ومكانا لاستقبال الـضيوف الـرسميين والـسفراء والوفـود. كذلك لم يقتصر المسجد على الوعظ والإرشاد والتربـية والـتهذيب وتعلـيم المواد الدينية البحتة فقط، بل أخذت المواد العلمية الأخرى تأخـذ طـريقها إلـيه كالمـدارس اللغوية والفلسفية والتاريخية. فلقد أدت المساجد رسالتها التعليمية والثقافية خير أداء، وكانت النواة الأولى للتعليم الجامعي في الإسلام كما كانت المكتـبات الملحقـة بهـا تضّم عددا كبيرا من الكتب في مختلف العلوم التي كانت توقف في العـادة على المساجد حتى لا تبدّدها الأيدي. وقد شاركت شعوب غربي أفريقيا أيضا في هذه السمة البارزة، وكانت المساجد هناك خير أمكنة انتشرت فيها بحوث وتآليف العلماء

---

(1) شلبي، مج6، ص 233.

(2) العقيلي، ص 164.

(3) الدالـي، الهـادي مـبروك، "مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام" في **العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي**، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

(4) ص 21.

والفقهاء والأدباء، وعندما ظهرت المدارس في القرن الرابع الهجري لم تختلف عن المسجد من حيث الشكل والمضمون. لذالك فإن من أبرز خصائص انتشار الإسلام في العالم هو ملازمة المسجد لهذا الانتشار التعليمي في المساجد، وكان أول خطوة يقوم بها أنصار الدعوة الإسلامية وهذا ما حدث بالفعل في تاريخ التعليم الإسلامي في غربي أفريقيا. ومن أشهر المساجد التي قامت بدور تعليمي بارز في غربي أفريقيا في هذه الحقبة التاريخية هي: المسجد الجامع ومسجد سنكري وكلاهما في تمبكتو، والمسجد الجامع بمدينة جني. أما أهم مساجد تمبكتو خلال تلك الحقبة فهي:

3.2.3.7.1 مسجد الجامع الكبير:

يعتبر هذا المسجد الجامع من أقدم وأكبر مساجد تمبكتو وكان ذا موقع ممتاز يتوسط المدينة، ويسمى أيضاً بلغة صنغاي مسجد "دجنغاريبر" Djingareyber[1]. لا يعرف على وجه التحديد تاريخ تشييد هذا المسجد، بيد أن المعروف أنه كان هناك مسجد أقيم على موقعه في القرن السابع الهجري والراجح أن بناءه قد تم لأول مرة في مطلع القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) على وجه التقريب أي في الفترة التي نشأت فيها مدينة تمبكتو لأن المسلمين جروا على عادة إنشاء المساجد الجامعة متى ما استقر بهم المقام في أي مكان ولو وسط المجتمعات الوثنية، وكان بناؤه الأول على صورة متواضعة تتناسب مع حجم سكان المدينة في تلك الفترة[2]. أما تاريخ ترميمه فهو سنة 724هـ/ 1324م[3] وقد تم ذلك على يد السلطان منسى موسى الذي بنى صومعة المسجد أيضاً وذلك بعد عودته من حجته المشهورة ثم تم توسيعة مرة أخرى في القرن السادس عشر الميلادي على يد العاقب القاضي محمود[4]. وكان اسم السلطان منسى موسى ما يزال محفوراً على الباب الرئيسي للمسجد عندما زار الرحالة الألماني هنريش بارت Heinrich Barth مدينة تمبكتو عام 1853[5]. ومن المرّجح أن الذي قام بترميم هذا المسجد هو

(1) الدالي، الهادي مبروك، "مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام"، **في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي**، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

(2) "جوامع تمبكتو". **الموسوعة العربية العالمية**. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996، مج 8، ص546.

(3) المصدر السابق، مج 8، ص546.

(4) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(5) Kiabou, B." Timbuktu: The Mythical Site", http://whc.unesco.org/whrview/article7.html. 20.11.2002.

المهندس والشاعر الأندلسي "أبو إسحق إبراهيم الساحلي"[1] المعروف باسم الطويجن والذي قدم مع السلطان "منسى موسى" من الحجاز عند عودته من الحج كما ذُكر سابقاً، ويقال أن السطان عرض على المهندس مقابل إعادة بناء المسجد ما يقارب 40,000 مثقال من الذهب[2]. وقد بُنِيَ معظم هذا المسجد من مادة الطين الممزوجة بالقش والخشب، وكان يتألف من ثلاث قاعات داخلية ومئذنتين و25 صفاً من الأعمدة مبنية من الشرق إلى الغرب[3] ويسع لالفي شخص[4]. وجدير بالذكر أنه بالإضافة إلى هذا المسجد بنى الساحلي عدة عمائر في دولة مالي منها القصر الأميري ودار السلطنة. ولقد خضع هذا المسجد الجامع إلى عدة إصلاحات خلال تاريخه الطويل من قبل ولاة الأمور في تلك البلاد، ومن هذه الإصلاحات أن الفقيه القاضي "العاقب"[5] قام بهدم هذا المسجد وضم إليه المساحة التي كانت تشغلها القبور المجاورة له وزاد فيه زيادة كبيرة[6] وذلك بين عامي 1570م و1583م.[7]

3.2.3.7.2 مسجد وجامعة سنكوري Sankoré

لا يُعرف بالضبط تاريخ بناء هذا المسجد، فيذكر محمود كعت[8] أن الفقيه القاضي العاقب[9] شرع في بناء مسجد سنكري (أو سنكوري) عام 989هـ (1581-1582م) بعد عودته من الحج حيث أخذ هناك طول وعرض الكعبة بواسطة حبل وجاء به إلى تمبكتو وبنى المسجد على تلك المقاييس. أما السعدي فيذكر روايتين مختلفتين عن بناء هذا المسجد فيقول تارة أن مسجد سنكري قد تم على يد إمرأة ذات مال كثير ولكن لا يوجد

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(2) Kiabou, B." Timbuktu: The Mythical Site", http://whc.unesco.org/whrview/article7.html. 20.11.2002.

(3) المصدر السابق.

(4)" Timbuktu, Mali", http://www.historychannel.com/classroom/unesco/timbuktu/mansamoussa.html. 23/1/2004.

(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(6) "جوامع تمبكتو". **الموسوعة العربية العالمية**. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996، مج 8، ص546.

(7) Kiabou, B. "Timbuktu: The Mythical Site", http://whc.unesco.org/whrview/article7.html. 20.11.2002.

(8) **تاريخ الفتاش في اخبار البلدان، والجيوش واكابر الناس**، ص121.

(9) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

لبنائها تاريخاً،[1] وتارة أخري يشير إلى أن تكامل بناء مسجد سنكري كان في أواسط القرن العاشر الهجري والموافق للقرن السادس عشر الميلادي.[2] أما فيما يتعلق بالإسم "سنكري" أو "سنكوري" فمن الملاحظ على ضوء ما ورد في بعض الكتب التاريخية انه أُطلِق على حيّ من أحياء تمبكتو كان به المسجد. بُنِيَ هذا المسجد من مادة الطين الممزوجة بالقش والخشب وكان يحوي على قاعة لفصل الشتاء وأخرى لفصل الصيف وتوسطه منارة بارتفاع 15م. أما الجزء الشمالي منه فكان عبارة عن فصول لجامعة سنكوري الشهيرة والتي كانت ملحقة مع هذا المسجد وسُمّيت على إسمه[3]. كانت جامعة سنكوري من أهم مراكز التعليم الإسلامي في ذلك الوقت وفي عهد مملكة صنغاي فيما بعد، وكانت تتألف من مدارس وكليات يدير كل منها أستاذ واحد فقط[4]. وقد انفتحت هذه الجامعة على العديد من مراكز العلم في الأندلس والشمال الإفريقي في فاس ومراكش وبجاية وتونس وطرابلس الغرب حيث كان التشابه واضحاً بينها وبين جامعة القرويين بفاس في التدريس وأساليبه وفي المناهج التي كانت تُدرّس في هذه المدينة ومدينة تمبكتو.[5] كما اهتم علماء هذه الجامعة بتدريس الكتب التي كانت تُدرّس في المعاهد العلمية في شمال إفريقيا والشرق العربي مثل الموطأ للإمام مالك وصحيح مسلم وصحيح البخاري وغيرها.

تألف المنهاج التعليمي لهذه الجامعة من أربع مراحل[6]:

المرحلة الابتدائية: يحفظ خلالها الطالب القرآن الكريم ويدرس اللغة العربية لكي يتمكن من كتابتها والتكلم بها بإتقان بالإضافة إلى دراسة بعض المواد العلمية.

المرحلة الثانوية: يتخصص الطالب في هذه المرحلة في علوم القرآن والتفسير بالإضافة إلى دراسة مواد أخرى مثل الفقه والحديث والفكر الإسلامي والأخلاق الإسلامية

---

(1) تاريخ السودان، ص 62.

(2) المصدر السابق، ص 22.

(3) Kiabou, B. "Timbuktu: The Mythical Site", http://whc.unesco.org/whrview/article7.html. 20.11.2002

(4) Khair, Z., " The world-class Universty of Sankore, Timbuktu", www.muslimheritage.com, 17.5.04

(5) الدالي، الهادي مبروك، "مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام"، **في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي**، http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html، 13/ 7/ 2004.

(6) "Timbukut University", www.timbuktuuniversity.com, 19/5/2004.

والأدب بالإضافة إلى الطب والجراحة وعلم الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء واللغات والتجارة والأخلاق، أما المحلات التجارية في الجامعة فكانت تقدم دروساً تطبيقية في التجارة والنجارة والخياطة وصيد السمك والبناء وصناعة الأحذية والملاحة والعمل في المزارع وإلى ما هنالك من مهن، وكانت هذه العلوم الدنيوية ضرورية للإمام أو رجل الدين الإسلامي كي يكون عادلاً ونزيهاً في حل الأمور الشرعية المتعلقة بالمعاملات والحياة اليومية.

المرحلة العليا: يتم التدريس في هذه المرحلة على يد أساتذة مرموقين في حقل التعليم الإسلامي، ويصبح المنهاج هنا أكثر تخصصاً وتعمقاً في البحث. فكان الإستاذ يطرح على الطلاب مسائل تتعلق في شتى المواضيع وعلى كل طالب أن يقدم حلولاً لها مدافعاً عنها بالحجج والبراهين وذلك أمام عدد من الأساتذة والطلاب الذين يمطرونه بوابل من الأسئلة الصعبة والحرجة. إلى جانب ذلك كان معظم الطلاب في هذه المرحلة يتتلمذون على يد شيخ يدربهم على تزكية النفس ليكونوا نموذجاً إسلامياً صالحاً للأجيال القادمة. أما التخرج فكان يتم بعد التأكد من تفوق الطالب في المعرفة والأخلاق الإسلاميين، فيعطى بعدها عمامة مزينة بالعقد والدوائر التي ترمز إلى أسماء الله الحسنى، أما العمامة فكانت تمثل الخط الفاصل بين العلم والجهل وترمز إلى الحكمة والمعرفة والخُلُق الحسن.

مرحلة حلقات المعرفة: يتشاور في هذه المرحلة الأئمة والعلماء والأساتذة فيما بينهم بين أروقة الجامعة لمعالجة المسائل الصعبة التي يرسلها لهم حكام البلاد، وعند الإجماع والإتفاق على حل تصدر فتوى شرعية ترسل إلى السلطات الحكومية للتقيد بها.

إلتحق بهذه الجامعة طلاب من كافة القارة الإفريقية وقد بلغ العدد الإجمالي لهم حوالي 25,000 طالب مع العلم أن عدد سكان مدينة تمبكتو في ذلك الوقت قارب 100,000 نسمة[1].

3.2.3.7.3 مسجد سيدي يحيى التادلسي:

شيده "محمد نقي" من قبيلة "آجر" الصنهاجية وحاكم تنبكتو من قبل سلطان الطوارق آنذاك السلطان "آكل" ولا نعرف تاريخا محددا لإنشاء هذا المسجد، ولكن المحتمل ان يكون قد شيّد في حوالي منتصف القرن التاسع الهجري (منتصف القرن الخامس عشر الميلادي) لأن فترة حكم الطوارق لهذه المدينة نحو أربعين عاما (837 هـ- 876هـ نحو 1433-

(1) المصدر السابق.

1471م وظل الحكام يجددونه بين فترة وأخرى بما يتناسب وكثافة السكان وإمكانات البلاد المادية والثقافية[1].

ولقد وصف الرحالة الفرنسي "كابيه" هذا المسجد حين مرّ بتمبكتوا سنة 1828م إذ لم تكن هذه المدينة تضم هذه المساجد العلمية المشهورة فقط بل ضمت عدة مساجد أخرى ولكن لم تصل إلى شهرة ومكانة هذه الثلاثة.

3.2.3.7.4 مساجد أخرى:

هناك مسجد رابع عرف باسم "مسجد خالد" وهناك مسجد خامس هو "مسجد القصبة" وهناك مسجد سادس هو "مسجد التوتيين" ومسجد سابع هو "مسجد الهناء" والمسجد الثامن هو "مسجد كبر" ومسجد تاسع هو "مسجد تندرم" وغيرها من المساجد الصغيرة، لقد أهمل المؤرخون المحدثون ذكر هذه المساجد التي كانت منبثة كالنجوم لتضيء شموع الحضارة الإسلامية في مدينة تمبكتو خاصة، وغربي أفريقيا عامة مؤدية رسالتها كاملة بجانب تلك الأقمار الثلاثة.

لقد كانت هذه المساجد الثلاثة بصفة خاصة معاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية وتربوية هامة، مثل الأزهر ووصفائه من المساجد الكبرى الأخرى. فالمرحلة العليا من التعليم في هذه المساجد يشبه ما كان بالأزهر قديما وما هو كائن اليوم[2].

وهناك من يسمي مثل هذا النوع من التعليم بالجامعات العامّة لانعدام فكرة التخصص الدقيق بها. وهو تعليم إسلامي أصيل وضعت بذرته الدعوة الإسلامية ونما تحت ظلالها وفي أحضانها، وهناك من يطلق عليها اسم الجامعات تقديرا لدورها الحضاري في هذه المنطقة، وهناك من أطلق على مدرّسيها لقب دكاترة.

---

(1) "جوامع تمبكتو"، مج 8، ص 547.

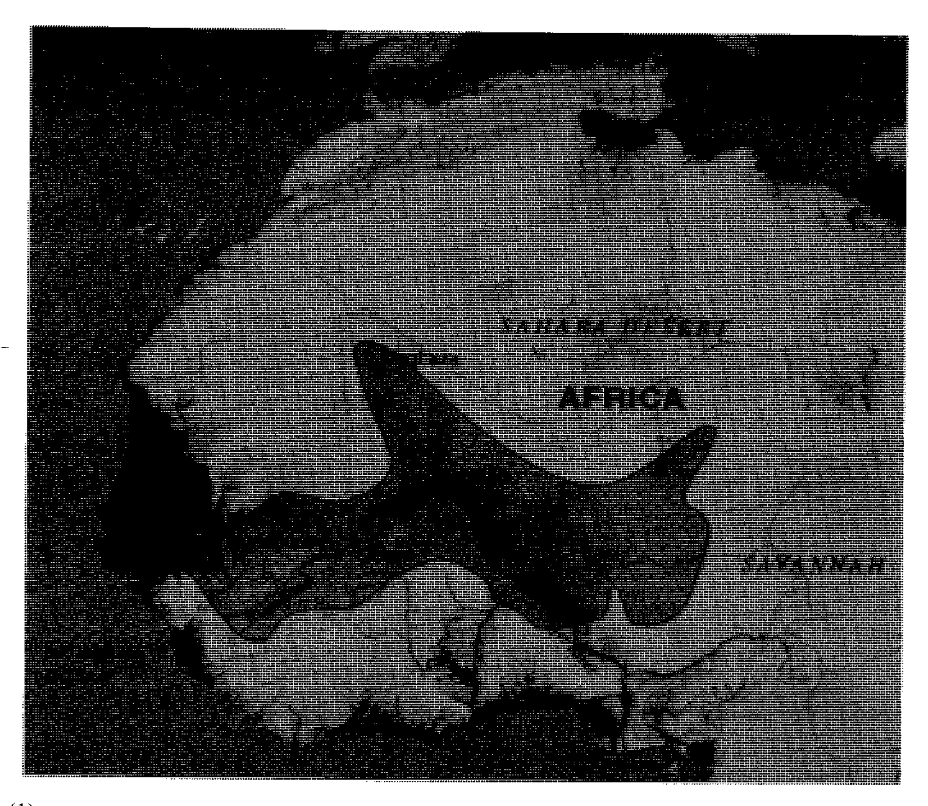
(2) المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، **بحوث ودراسات في الشورى والتربية والإمارة**، عمان: مؤسسة آل البيت، 1407هـ، ص 15.



3.3

الفصل الثالث

مملكة صنغاي



إذا كانـت إمبراطورية مالي التي قاد حركة النشاط الإسلامي بها شعب الماندينغ[1] قد قامـت علـى أنقـاض إمـبراطورية غانة فإن إمبراطورية صنغاي (انظر الخريطة) قد قامت هـذه الدولـة علـى أنقـاض إمبراطورية مالي، والذي قادها إلى القوة والعزة ونشر رسالة الإسـلام هو شعب صنغاي. فقد شهدت منطقة غرب القارة الأفريقية نشوء عدة كيانات سياسـية إسـلامية قامـت كـل مـنها على أكتاف إحدى القبائل القوية التي دعمت نفوذها وبسطت سلطانها في ذلك الإقليم الواسع، وكان لكل منها دور عظيم في نشر الإسلام في افريقيا، ومن هذه الكيانات مملكة صنغاي.

---

(1) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

تعد هذه المملكة من أطول الدول عمراً في غرب إفريقيا خلال الفترة التي سبقت الاستعمار الغربي، وكانت تقع شمال ما يُسمى اليوم بِنِين وبوركينا فاسو وغرب النيجِر وامتدت في الشرق إلى أطراف غامبيا والسنغال، وكانت عاصمتها مدينة "غاو" التي تقع على نهر النيجِر.

3.3.1 تاريخ مملكة صنغاي:

بدأ ظهور هذه المملكة في القرون الميلادية الأولى وعاصرت امبراطورية غانة وامبراطورية مالي وانتهت غانة ومالي وبقيت صنغاي حتى عام 1594م. ينقسم تاريخ مملكة صنغاي إلى قسمين: الفترة الوثنية والفترة الإسلامية.

3.3.1.1 الفترة الوثنية لمملكة صنغاي:

الصنغاي مجموعة من القبائل الزنجية كانت تعيش أصلاً في منطقة دندي على نهر النيجِر والواقعة اليوم بين شمالي بِنِين وغربي نيجِريا. وقد انقسمت هذه القبائل قسمين: قسم اشتغل بالزراعة فاستقر بالأرض وقسم اشتغل بصيد السمك فراح ينتقل من مكان إلى آخر على طول منحى نهر النيجر. لكن الصيادين دأبوا مهاجمة الفلاحين، ولعل ذلك كان استنكاراً لجنوح إخوانهم للفلاحة لإنها كانت عندهم مهنة فيها استستلام وذلة لا تليق بالمغامرين، وتعود الصيادون أن يجمعوا قواربهم وأن يهجموا على قرى الفلاحين من حين لآخر ويخطفوا من متاعهم ما يستطيعون الحصول عليه ويقتلوا من اعترضهم ثم يفروا قبل أن يجتمع ضدهم الفلاحون.[1] وفي حوالي عام 700م هاجرت جماعات من قبيلة لمتونة البربرية إلى مناطق الفلاحين واستطاع أحد أفراد هذه القبيلة واسمه "زا اليمن" أن يهاجم الصادين في المكان الذي يختفون به ويطردهم بعيداً إلى الشمال. فرح فلاحو الصنغاي بهذا البطل ونصبوه ملكاً عليهم، وهكذا أصبح ملوك الصنغاي من البربر البيض وظلوا كذلك لفتر طويلة[2]. ويتكلم السعدي[3] بإسهاب عن هذا الملك فيذكره بإسم "زا الأيمن" وأنه جاء من اليمن[4] وكان هو وأخوه سائرين في أرض الله حتى انتهى بهما القدر إلى بلدة كوكيا (و تسمى أيضاً كوكو)[5]، وقد بلغاها في حال بائسة، ولما

---

(1) شلبي، مج 6، ص 121.

(2) المصدر السابق، مج 6، ص 121-122.

(3) **تاريخ السودان**، ص 4-5.

(4) ومن هنا اشتق اسمه من جملة: "جاء من اليمن" فأصبحت "زا اليمن".

(5) تقع على نهر النِجر على مسافة 100 ميل جنوب مدينة غاو (راجع: دلافوس، موريس."سنغاي". **دائرة** =

سئلهم السكان المحليون من أين جاءا قال الأكبر جئنا من اليمن وبقوا هؤلاء السكان لا يقولون إلا "زا الأيمن" فغيروا اللفظ لتعسر النطق به. ويروي السعدي أسطورة حيكت حول "زا اليمن" فيقول[1] أن الوافد من اليمن وجد أهل هذه البلدة مشركين لا يعبدون وثناً فيتمثل لهم الشيطان في صورة حوت يظهر لهم فوق الماء في البحر[2] والحلقة في أنفه في أوقات معلومة فيجتمعون اليه ويعبدونه فيأمرهم وينهاهم فيتفرقون عن ذلك ويمتثلون بما أمر ويجتنبون ما نهى، فلما علم (اي زا اليمن) أنهم على ضلال مبين عزم على قتل هذا الحوت فرماه بالحديد وقتله، فبايعو سكان البلدة وجعلوه ملكاً عليهم. إلا أن السعدي يفيد أن أربعة عشر ملكاً أوا بعد "زا اليمن" وجميعهم ماتوا في جاهلية وما آمن منهم أحد بالله ورسوله، أما الملك الخامس عشر واسمه "زا كوسي" فكان مسلماً ويقال له في لغة البلاد المحلية "مسلم دم" أي اسلم طوعاً بلا إكراه وذلك في سنه 400هـ[3] (أي ما يعادل 1009م)، وحسب شلبي[4] فقد نقل هذا الملك عاصمته من كوكيا إلى غاو.

3.3.1.2 دخول الإسلام إلى مملكة صنغاي:

بدأ الإسلام يتسرّب بين صفوف شعب صنغاي في ظروف متشابهة لنفس الظروف التي تسرب بين شعبي غانة ومالي وغيرهما من شعوب السودان الغربي، وليس ببعيد أن تكون هذه المناطق تلقّت بعض المؤثرات الإسلامية عن طريق العلاقات التجارية التي نشأت بينها وبين بلاد المغرب العربي أو عن طريق حركة القوافل المستمرّة من الطريق الصحراوية أو عن طريق هجرات القبائل الرعوية وتحرّكاتها سواء أكانت قبائل عربية أو بربرية أو عن طريق الدعاة الذين كانوا يخرجون للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق. بل إنه يقال إن الأسر المهاجرة إلى صنغاي في أوائل القرن الثامن الهجري قد اختلطت دمائها

=

المعارف الإسلامية . نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وآخ... القاهرة : مطبعة الاعتماد، 1933 . مج 12، ص. 265 حيث يكتب هذه المدينة بالشكل التالي: "كوكيه" ، وقد ذكر الخوارزمي هذه المدينة في كتابه صورة الأرض، فينا: مطبعة آدولف هولزهورن، 1926، ص 6. راجع ترجمة الخوارزمي في باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث. كما وصف الإدريسي هذه المدينة في كتابه المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ليدن، بريل، 1968، ص 11. راجع أيضاً ترجمة الإدريسي في باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(1) **تاريخ السودان**، ص 5.

(2) أي نهر النيجر.

(3) **تاريخ السودان**، ص 3.

(4) مج 6، ص 122.

بدماء أهل البلاد الأصليين والتي كانت بطبيعتها أصلا مسلمة، ومن ثم فقد بدأ الإسلام ينتشر في ذلك الوقت وفي تلك الأماكن. وقد اتخذت هذه القبائل التي بسطت نفوذها على أهالي تلك المناطق عاصمة لها هي كوكو (وتدعى أيضاً كوكيا). ونظرا لموقعها الممتاز وأهمّيتها التجارية فإنها ارتبطت بعلاقات تجارية وثيقة مع التجار المسلمين القادمين من الشمال والشمال الشرقي وكذلك مع بلادهم الإسلامية، ومن هنا جاء الأثر المباشر لانتشار الإسلام في كوكو وما حولها من المدن والبلاد، وكان ذلك نتيجةً لاستقرار التّجار وأسرهم والعلماء والدعاة والتزاوج بين هؤلاء وأهالي البلاد الأصليين وعلى هذا يمكن القول إنه في القرن التاسع الميلادي كانت توجد جاليات وأسر إسلامية كثيرة في صنغاي، وبذلك فإن الإسلام في صنغاي قديم قدم انتشاره في بلاد المغرب العربي. فلم يكن التاجر أو الداعي أو المهاجر يقصد من وراء ذهابه إلى تلك الديار إلا أن يدعو لدين الله الخالد دين الإسلام، ولذا فإنه بعد أن يعتنقه حكّامها فإن معظم سكّان البلاد يقبلون على اعتناقه بحماس شديد، وعن طريق الإسلام وانتشاره فإنّ قدرا كبيرا من المدنيّة والرقي والتقدّم والازدهار يدخل الديار التي دخلها دين الإسلام بل أكثر من ذلك فإن المدينة ومظاهر الحياة والحضارة الإسلامية تأخذ طريقها إلى الانتشار في تلك الديار.[1]

وما أن انتهى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وبدأ يهل القرن الحادي عشر الميلادي حتى بدأت مرحلة حاسمة في تاريخ صنغاي، إذ كما سبق وذكرنا فإن أحد ملوكها اعتنق الإسلام وكان يدعى "زاكوس" عام 1009م ومن ذلك الوقت بدا الإسلام ينتشر بين الأهالي والقبائل على نطاق واسع، وكان هذا الانتشار سببا في تفكير ملكها في نقل حاضرة بلادهم وهي العاصمة القديمة كوكو (و تدعى أيضاً كوكيا) إلى عاصمة جديدة وهي غاو، وذلك لأن مكانها ممتاز ويتوسط المملكة وتكون على مقربة من طرق القوافل المهمة التي تصل المغرب ببلاد السودان، لأن القوافل التجارية كان يرافقها كثير من الدعاة والعلماء الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدين الإسلامي، لأن القوافل التجارية كانت تخرج من صنغاي ويصحبها طلاب العلم من السودانيين القاصدين الأزهر والقيروان وفاس ومراكش.

ولقد كان أيضاً للمرابطين بقيادة "عبد الله بن ياسين"[2] دور كبير في نشر الإسلام في

---

(1) الغنيمي، ص 106-109

(2) لمزيد من المعلومات عنه راجع الفقرة: 3.1.7.1 من هذا البحث.

من بلاد غرب أفريقيا ومنها صنغاي، وقد زاد عدد الداخلين في العقيدة الإسلامية بفضل المرابطين وجهودهم العظيمة في نشر الإسلام، ولعل ظهورهم كقوة إسلامية كبرى في بلاد السودان الغربي قد ساعد على انتشار الإسلام بين العامة والخاصة من شعب صنغاي[1].

3.3.1.3 تأرجح سيطرة مالي على صنغاي:

بعد اعتناق "زاكوس" ملك صنغاي الاسلام عام 1009م حصل احتكاك ومنافسة بين هذه المملكة ومملكة مالي الإسلامية لعدة أسباب "كان منها محاولة تكوين وحدة اسلامية، وهذا ما يفسر لنا سبب شدة الصراع بين الدول الإسلامية [في غرب إفريقيا في ذلك الوقت] أكثر مما كان بين دولة إسلامية ودولة وثنية."[2] وقد كانت كفة صنغاي أرجح في هذا النزاع واستطاع ملكها "زايكوري" أن يمد نفوذه إلى مالي وأن يقتل أبناء السلطان جميعاً. ثم دار الزمان دورته واستعادت مالي مكانتها وأصبحت دولة عظيمة وسيطرت على صنغاي. وكانت مالي تأخذ من صنغاي رهائن لأن العادة في تلك المنطقة كانت تقضي بأخذ رهائن من الدول التي سُيطِر عليها لضمان ولائها وخضوعها وعدم الاكتفاء بفرض الجزية عليها.[3]

ثم دار الزمان دورته مرة أخرى وأخذت مالي في الإنحدار واستطاع رهينتان هما "علي كولن" و"سليمان نار" كانا محتجزان عند مالي أن يهربا من عاصمة تلك الدولة والتوجه إلى مدينة غاو عاصمة صنغاي بعد سلسلة طويلة من الحيل والتدبير ذكرها السعدي[4] وطردا منها حامية مالي، وهناك استقبلهما المواطنون بكثير من الحفاوة والتأييد وهبت ثورة ضد جنود مالي المقيمين في صنغاي ونجحت هذه الثورة وطُرِد هؤلاء الجنود واستردت صنغاي حريتها وأصبح علي كولن سلطاناً لها باسم "سنّي علي"، إذ أضحت كلمة "سني" لقباً يستعمله ملوك مالي بدلاً من لقب "زا" الذي كان مستعملاً من قبل. أما تاريخ هذه الواقعة فمختلف عليه، فحسب Trimingham فإن انتقال السلطة من سلالة "زا" إلى سلالة "سنّي" قد تم عام 1275[5]، أما "دلافوس" Delafouse فيذكر أنه بينما

(1) المصدر السابق، ص 110.
(2) شلبي، مج 6، ص 125.
(3) شاكر وبيلتو، ص 45-46.
(4) **تاريخ السودان**، ص 6.
(5) ص 91-92.

كان عاهل مالي "كانكان موسى" عائداً من الحج ذهب إلى مدينة غاو وأخذ ولدي حاكم صنغاي (علي كولون وسليمان نار) كرهينتين وعاد بهما إلى بلاطه في مالي، وقد هرب علي كولون وعاد إلى غاو حيث أقام نفسه ملكاً عليها واتخذ لقب "سنّي" وكان ذلك عام 1335[1]. وهناك تاريخان مختلفان أحدهما مذكور في كتاب شلبي والثاني في كتاب شاكر وبيلتو، فالأول يقول أن علي كولون أصبح سلطاناً واتخذ لنفسه لقب "سنّي" أي المحرر عام 1375[2]، أما شاكر وبيلتو فيقولان ان علي كولون وأخوه سليمان نار أسسا مملكة جديدة بدأت تتوسع على حساب دولة مالي وذلك في عهد ملك مالي "مغان" الأول حوالي عام 740هـ - 1339م[3]. وكان "علي كولن" كبير في السن ولم يدم حكمه طويلاً فخلفه أخوه سليمان نار.[4] لكن مدة استقلال صنغاي لم تدم طويلاً إذ عادت وخضعت إسميًا لسلطان مالي.

3.3.1.4 الاستقلال النهائي لصنغاي عن مالي:

ولما بدأ نجم مالي في الأفول في النصف الثاني من القرن الخامس عشر عاد أمر صنغاي وقويت فقام ملكها "محمد دوغو" عام 823 هـ (1420م) بحملة ضد مالي وثبت دعائم حكمه وتخلص من سيطرها[5].

3.3.1.5 مملكة صنغاي في عهد "سنّي علي" (1464م- 1492م):

بعد وفاة "محمد دوغو" عام 869هـ - 1464م خلفه ابنه "سنّي علي" الذي يعد مؤسس دولة الصنغاي، فاستولى على تمبكتو عام 873هـ-1468م وطرد منها الطوارق الذين اخرجوا قوات مالي منها عام 1433م. توسّعت مملكة "سنّي علي" فأخضع منطقة النيجر كلها واستولى على مدينة جني عام 1473م حسب Trimingham[6] أو عام 1475 حسب قدّاح[7]، مما أتاح له السيطرة على الطرق التجارية في المنطقة، كما امتد نفوذه أيضاً إلى

---

(1) دلافوس، موريس. "سنغاي" .دائرة المعارف الإسلامية. نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وآخ.. . القاهرة : مطبعة الاعتماد، 1933 . مج 12، ص. 265.

(2) مج 6، ص 258، 259.

(3) ص 46.

(4) المصدر السابق، ص 46.

(5) المصدر السابق، ص 47.

(6) ص 93 .

(7) ص 69.

منطقة ياتنغا[1] مقر قبائل الموسي الوثنية ولكنه لم يستطع إخضاع هذه القبائل تماماً له، إلا أنه جرّد على أراضيهم حملة شديدة عام 1483م انتهت بانحسار الوثنية مؤقتاً.[2]

كان "سنّي علي" مسلماً ولكنه لم يكن متحمساً للدين ولا شديد الاكتراث بشعائره، وهناك بعض الأقاويل تفيد أنه كان من الخوارج[3]، وقد عارضه العلماء والشيوخ واتهموه بضعف الإيمان فتآمروا عليه ورد بذبح عدد كبير منهم، فكرهته الطبقة المستنيرة[4]. وفي الجانب الدنيوي كان "سنّي علي" محارباً عظيماً صمد أمام عدد كبير من الأعداء الطامعين في بلاده، لكنه كان أهوج في طيبة وتردد، وفي هذا المجال كان "يأمر بقتل انسان ولو كان أعزّ الناس عنده بلا سبب ولا موجب ثم يندم على بعضهم ... وإذا كان المأمور بالقتل ممن سيندم عليه [ادخره أتباع "سنّي علي"] وأحفظوه ومتى أظهر الندامة قالوا له قد حفظناه لك لم ويمت فيفرح ساعتئذٍ"[5]، وممن قاموا بذلك وزير كان له عظيم الشأن مسلم قوي الإيمان وا سع الثقافة والعقل، عادل وشفوق وكانت له سيطرة واسعة على أمور البلاد واسمه محمد أبو بكر وعرف أيضاً باسم "محمد الطوري" من قبيلة السوننكي[6]، وقد درس هذا الوزير طباع الملك فكان يُكمل نقصه ويسد ثغرات خلقه، فكان الملك يأمر بأحد أتباعه أن يُقتل عقب غضبه عليه فيتظاهر الوزير بالإستجابة إليه لكنه كان يخفي المغضوب عليه ريثما تهدأ ثورة الملك ويعود كعادته لو أنه لم يقتله، وحينئذٍ يظهر الوزير ويذكر للملك أنه احتفظ به حبيساً فإن غير الملك رأيه فيه أخرجه، وإن استمر الملك على سخطه نفذ أمر الملك، وكان الملك يفرح لذلك[7]، وهذا ما مكن لمحمد أبو بكر في نفوس الناس.[8]

توفي "سني علي" عام 1492م حين كان عائداً من أحد غزواته حيث انطلق عليه سيل في الطريق فأهلكه فشق أولاده بطنه وأخرجوا أحشاءه وملئوه عسلا[9]، وفي رواية أخرى

---

(1) تقع اليوم في شمالي بوركينا فاسو.

(2) قدّاح، ص 69.

(3) Trimingham p. 94.

(4) قدّاح، ص 69.

(5) السعدي، ص 67-68.

(6) وهي أحد فروع قبيلة الماندينغ الزنجية والتي تعتبر أكبر قبائل غرب إفريقية وأكثرها انتشاراً. ويعتبر السوننكي الحجر الأساس في سكان مملكة غانة.

(7) شلبي، مج 6، ص 260.

(8) المصدر السابق، مج 6، ص 260.

(9) السعدي، ص 71.

أهلكه الموت الفجأة بينما كان خارج مدينته فلما تحقق الجند بموته دفنوه في مكانه ولم يشع أحد بموضع قبره وما علم احد بموته من أهل البلد التي توفي بها[1].

3.3.1.5.1 مملكة صنغاي بعد وفاة "سنيّ علي":

بعد وفاة "سنيّ علي" خلفه ابنه "أبو بكر"، إلا أن قواد أبيه ثاروا عليه ولم يدافع العلماء في بقائه في الحكم، وكان "أبو بكر" ضعيفاً وفاشلاً فرآى وزير والده "محمد أبو بكر" أن الوقت حان ليتولى هو المُلك فثار عليه مع بعض القواد وتمكن من أن يستولي على الحكم عام 1493م بعد وفاة "أبو بكر"، ويقول السعدي أنه لما بلغ الخبر بنات "سنّي علي" قالت إحداهن "اسكيا" ومعناها في كلامهم "لا يكون إياه" فلما سمعه أمر أن يلقب بهذا الإسم وأصبح يعرف بإسم "اسكيا محمد"[2]، إلا أن شلبي يعطي معنى آخر لكلمة "أسكيا" فيقول أن معناها "غضب وقاهر" وقد سمى محمد أبو بكر نفسه هكذا كي يقهر كل الأعداء[3]، وهكذا أصبح "اسكيا" لقب الملوك حتى سقوط الأمبراطورية.

3.3.1.5.2 "سنيّ علي" في ميزان المؤرخين:

اختلفت الآراء حول "سنّي علي" فمنهم ما كتب عنه بكثير من التحامل والهجوم وعلى رأسهم السعدي الذي وصفه بالظالم والفاجر وأنه كان فاسقاً متسلطاً سفاكاً للدماء مذلاً للعلماء والصالحين[4]، كما وصفه بالتلاعب بدينه وتركه للصلوات[5]. وفي هذا الإتجاه السلبي أيضا يصف المؤرخ محمود كعت "سنّي علي" بالفاجر الملعون المخرب والمدمر للمدن والقرى التي دخلها، لكن كعت يعترف أن "سنّي علي" كان منصوراً غالباً لكل الجيوش التي واجهها.[6] وفي الجانب الإيجابي يذكر شلبي أنه كان لسنّي علي فتوحات وانتصارات كثيرة، كما كان له نشاط إداري ممتاز[7].

3.3.1.6 صنغاي في عهد أسكيا محمد (1493-1528):

كما ذُكر سابقاً انتقل حكم صنغاي بعد وفاة سني علي إلى أسكيا محمد. بلغت دولة

---

(1) كعت، 51.
(2) تاريخ السودان، ص 72.
(3) مج 6، ص 260.
(4) تاريخ السودان، ص 64.
(5) المصدر السابق، ص 67.
(6) **تاريخ الفتاش في اخبار البلدان، والجيوش واكابر الناس**، ص 43.
(7) مج 6، ص 263.

صنغاي في عهد 'أسكيا محمد' أوج ازدهارها فنُظمت الإدارة وجُهِّز الجيش وضُمت إلى سلطة البلاد أراضٍ جديدة في الشمال وعلى سواحل المحيط الأطلسي فاتسعت مملكة صنغاي في عهده لتمتد من مناطق قبائل الفولاني[1] وحوض السِنِغال في الغرب إلى منطقتي 'أغادس'[2] و'دندي'[3] وحدود إمارات الهوسا[4] في الشرق، وقد رحل علماء من تنبكتو إلى هذه الجهات الشرقية من مملكة صنغاي واقاموا هناك يفقهون الناس في الدين وينشرون الثقافة الإسلامية حتى امتد النفوذ الإسلامي إلى منطقة بحيرة تشاد،[5] وفي الجنوب امتدت صنغاي في عهد أسكيا محمد من بلاد الموسي على حوض النيجِر حتى عمق الصحراء الجزائرية شمالاً.

3.3.1.6.1 الإدارة والجيش في عهد أسكيا محمد:

إن أعظم ما قام به أسكيا محمد من أعمال أنه طور النظام الإداري في صنغاي بحيث دفع الدولة دفعة قوية نحو الحكم المركزي. فقد وضع نظام إداري ممتاز بدعم من الزعماء المسلمين والتجار كوسيلة من وسائل توحيد هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف وربطها. وقد تضمن هذا التنظيم إنشاء عدد من الوزارات المركزية للشؤون المالية وشؤون الجيش وشؤون القضاء والشوؤن الداخلية وشؤون الزراعة والغابات وكذلك انشاء وزارة خاصة للشعب الأبيض أي للمغاربة والطوارق الذين كانوا يعيشون على الحدود الصحرواية للأمبراطورية.[6] كما قسم أسكيا محمد مملكته إلى أربع ولايات جعل على كل منها والياً هو في الوقت نفسه قائد الجيش في المقاطعة وله سلطات واسعة في ولايته في حدود سلطات الوزرات المركزية التي يمتد نفوذها إلى كل الولايات. وكانت الولاية الأولى تقع في الجنوب وتمتد من بلاد دندي حتى بلاد الهوسا والثانية في الوسط وتشمل مدينتي غاو وتمبكتو والثالثة في الشمال وتبدأ في غاو وتنتهي في بلاد الطوارق أما الرابعة في الغرب فتشمل بلاد السودان الغربي،[7] وكان يعن حكام الأقاليم من أسرته أو من خلصائه ويراقبهم مراقبة دقيقة فيثيب المحسن و يعاقب السيئ،[8] كما ثبت بعض النُظم

---

(1) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.
(2) تقع اليوم في وسط دولة النيجِر.
(3) منطقة تقع على نهر النيجِر بين شمالي بِنين وغربي نيجِريا.
(4) للاطلاع عن هذه البلاد أنظر الفصل الخامس من هذا الباب.
(5) 'سلطنة صنغاي'، www.altumbacty.com/songay.htm، 13/ 7/ 2004.
(6) شلبي، مج 6، ص 279.
(7) المصدر السابق، مج 6، ص 279.
(8) المصدر السابق، مج 6، ص 280.

الخاصة بالضرائب ووضع جهازاً قوياً للأمن في مملكته وأدخل مراكب في نهر النيجر لتقوم بأعمال الدورية والحراسة كما أنشأ مجلساً للعائلة المالكة منحه سلطات تنفيذية هامة.[1]

ومن جهةٍ أخرى أولى أسكيا محمد الجيش عناية واسعة، فنظمه تنظيماً دقيقاً ودربه تدريباً كاملاً ووضع به فرقاً من الفرسان وفرقاً من المشاة، وطور أسلحته حتى أصبح من أقوى جيوش ذلك العهد، وعين بمكان القيادة فيه خيرة العسكريين الذين اتجهوا في اهتمامهم إلى الدولة بإخلاص بعيداً عن الأنانية. [2]

3.3.1.6.2 الحركة الإسلامية في صنغاي خلال عهد أسكيا محمد:

انتهج أسكيا محمد سياسة اسلامية تمثلت تعيينه شيخاً للإسلام يقيم في تمبكتو تكون له السلطة العليا في أمور الدين،[3] كما شجع الثقافة العربية فكانت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وكان وجود مثقفين عرب في مملكة صنغاي نواة لنهضة ثقافية عرفتها البلاد خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين،[4] فاستردت تمبكتو في عهده مكانتها كمركز للثقافة الإسلامية في غربي إفريقيا، وأعطى جامعة سنكوري[5] في تمبكتو المزيد من عنايته فتفوقت في عهده ووصلت إلى ما لم تصل إليه من قبل وكانت هذه الجامعة في السودان الغربي كجامعة الأزهر في القاهرة أو جامعة القرويين في فاس بالمغرب أو جامعة الزيتونة في تونس أو جامعة "النظامية" في بغداد.[6] ولأسكيا محمد مواقف إسلامية شهيرة فكان أول حاكم في غربي إفريقيا يرغم النساء على اتباع قواعد الإسلام من ناحية الزي والاختلاط، وكان أول من حكم بحرية ابن الرجل الحر من زوجة رقيقة وكان هذا الابن قبل أسكيا محمد يعتبر عبداً تبعاً لأمه.[7]

وعلى الصعيدين الثقافي والفكري الإسلاميين لم يدخر أسكيا محمد وسعاً أو وسيلة إلا واتخذهما لرعاية الأدباء والعلماء وإغداق النعم عليهم ومراتب الشرف فساعد

---

(1) قدّاح، ص 71، 73.

(2) شلبي، مج 6، ص 280.

(3) المصدر السابق، مج 6، ص 266.

(4) قدّاح، ص 70-71، 73.

(5) لمزيد من المعلومات عن هذه الجامعة راجع الفقرة: 3.2.3.7.2.

(6) "سلطنة صنغاي"، www.altumbacty.com/songay.htm، 13/ 7/ 2004.

(7) شلبي، مج 6، ص 266.

الفقهاء والدعاة في نشر الدين وأقام كثير من هؤلاء في مدن غاو وجني وتمبكتو التي أصبحت مراكز ثقافية تعج بالطلاب، وفي عام 1502 زار مدينة غاو العالم الفقيه المغيلي[1] مصلح مدينة تلمسان في الجزائر. ومن ناحية أخرى شجع أسكيا محمد فتح المدارس في تمبكتو التي صبحت مركزاً مهماً من مراكز العلم وموطناً مشهوراً من مواطن الثقافة الإسلامية[2].

وقد تكلم ليون الإفريقي[3] عن وضع صنغاي حين زار المنطقة أيام أسكيا محمد فذكر أنه "كان نفوذ التجار والمثقفين[في صنغاي] أيام أسكيا محمد يدعو للدهشة، فكان سكان مدينة تمبكتو على جانب كبير من الثراء وكان يوجد بها عدد كبير من مكاتب للقضاة ومنازل للفقهاء والمدرسين ورجال الدين ودكاكين الأطباء والعقاقير، وكانت هذه المدينة هي المركز الثقافي المعترف به لإمبراطورية أسكيا وكان بها طلب متزايد للكتب المخطوطة التي تستورد من بلاد البربر، كما كانت تجارة الكتب بها تجلب الربح.[4]

وخلال رحلته إلى الحج[5] بذل أسكيا محمد كثيراً من الأموال وكان موكبه يفوق مواكب ملوك مالي من حيث الأبهة والفخامة، وكان يصحبه في رحلة الحج القاضي محمود كعت[6]. وفي الحرمين تصدق أسكيا محمد بمائة ألف قطعة من الذهب واشترى في المدينة بساتين جعلها أوقافاً لحجاج التكرور[7] (أي السودان الغربي). كما تعرف أثناء رحلته ببعض الإعلام مثل جلال الدين السيوطي[8] وسألهم عن أمور فأفتوه فيها.[9] وفي

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(2) دلافوس، مج 12، ص. 266.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(4) شلبي، مج 6، ص 265.

(5) إختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه الرحلة: فيذكر السعدي أنها كانت في السنة الثانية من القرن العاشر [الهجري] في شهر صفر ويزيد "والله أعلم" مما يعني أنه غير متأكد من هذا التاريخ (ص 72)، ومن جهة أخرى يقول شلبي أن تاريخ هذه الرحلة هو عام 1494م (مج 6، ص 265)، وقدّاح يذكر أنها عام 1497م (ص 71)، أما دلافوس فيورد أن تاريخها هو 1496-1497م (مج 12، ص 266)، ويورد Timingham تاريخين أيضاً وهما 1497-1498م (ص 98)، وهناك تاريخ آخر أفصح عنه موقع على الإنترنت هو: 900هـ-1495م ("سلطنة صنغاي"، www.altumbacty.com/songay.htm، 13/ 7/ 2004).

(6) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(7) السعدي، ص 73.

(8) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(9) السعدي، ص 73.

مكة خلع عليه شريفها "مولاي العباس" لقب خليفة بلاد التكرور بإيحاء من الخليفة المتوكل العباسي في مصر[1]، وربما كان هذا الهدف من أسباب حجته.[2] وفي عام 1519م زار أحد أقرباء شريف مكة مدينة تنبكتو ويدعى "الصقلي" وتزوج فيها وخلف ذرية عرفت باسم "الشرفاء الزنوج".[3]

وعند عودته من الديار المقدسة اتخذ حركة توسعية ذات مظهر اسلامي فأعلن الجهاد على قبائل الموسي الزنجية الوثنية وطلب من ملوكها الدخول في الإسلام أو دفع الجزية فلما أبوا حاربهم وانتصر عليهم، فتوسعت مملكته في الغرب لتصل إلى سواحل المحيط الأطلسي وإلى الصحراء في الشمال وإلى بحيرة تشاد في الشرق بعد أن ضم إمارات الهاوسا[4]. وقد أسر خلال معاركه عدداً كبيراً من الأطفال والوثنيين فهداهم إلى الإسلام وأصبحوا جنوده، وبذلك أصبح له جيش نظامي دائم يعتمد عليه في أوقات المحن.[5]

3.3.1.6.3 اقتصاد صنغاي في عهد أسكيا محمد:

أما في الاقتصاد فنفذ أسكيا محمد عدة مشاريع تعود بالثروة والإزدهار على البلاد، فعمل على حفر القنوات على ضفاف نهر النيجر لزيادة مساحة الأراضي المزروعة وأوجد الأوزان والمكاييل الموحدة،[6] كما أنشأ أسطولاً صغيراً من سفن التموين تمخر عباب النيجر وأقام نظاماً للضرائب يكون الدفع بمقتضاه عيناً وذلك ليملأ الخزانة العامة.[7] وقد ساعد استيلاؤه على ممالح "تغازى"[8] على خلق نشاط تجاري واسع فتمتعت البلاد برخاء عظيم مما جذب إليها الكثير من تجار طرابلس الغرب وفاس وتلمسان.[9]

3.3.1.7 صنغاي بعد أسكيا محمد:

تقدم أسكيا محمد في السن وضعف جسمه وفقد بصره عام 1519م، وفي عام 1528

---

(1) دلافوس، مج 12، ص. 266.
(2) شلبي، مج 6، ص 264.
(3) Trimingham, p. 98.
(4) شاكر وبيلتو، ص 47.
(5) قدّاح، ص 71.
(6) المصدر السابق، ص 73.
(7) دلافوس، مج 12، ص. 266.
(8) تقع اليوم في أقصى الزاوية الشمالية الشرقية لدولة مالي قرب الحدود مع الجزائر وموريتانيا، وتعرف الآن بإسم "تراهازا Trhaza"، وقد زارها ابن بطوطة عام 753 هـ - 1352م.
(9) قدّاح، ص 73.

قام أبناء "أسكيا محمد" عليه فأجبروه على التخلي عن الحكم لإبنه موسى. ومنذ ذلك العام وحتى عام 1591 أخذت أركان الدولة تتصدع وإعتلى عرشها ملوك كان جلهم يوصفون بالقسوة والأنانية والفجور، وراحوا يقتل بعضهم بعضا أو يشبعون مطامعهم وشهواتهم. وقد تخلل هذه الفترة محاولة مملكة مالي الخروج على ملوك الصنغاي فاستنجدت الأخيرة بالبرتغاليين عام 1534م. وكانت البرتغال في ذلك الوقت في بداية صعودها الاستعماري في إفريقيا فأرسلت سفارة لبلاط مالي برئاسة بطرس فرناندو مما شجع الماليين على القيام بثورة ضد حكامهم، لكنها قمعت بشدة من قبل محمد بنكه ملك الصنغاي آنذاك.[1]

3.3.1.8 انهيار مملكة صنغاي:

شجعت الفوضى التي دبت في مملكة صنغاي سلطان المغرب "منصور السعدي" للتدخل في شؤون هذه المملكة، وكان هذا السلطان تواقاً إلى الاستيلاء على مناجم الملح في منطقة تغازى والذهب في منطقة وانقارا اللتين كانتا تحت سيطرة صنغاي بالإضافة إلى ما كان يمكن أن تشتريه أو تستولي عليه من العبيد الوثنيين فكان استيلاء صنغاي على هذه المناجم وعلى الطرق الرئيسية التي تمر بها التجارة والتحكم بمسالكها وتحديد الأسعار كان هذا كله يثير مخاوف مراكش وقلقها، وإذا كان ملوك مراكش قد قبلوا هذا الوضع في عهد حكام صنغاي الأقوياء فان حكام هذه الدولة الذين جاءوا بعد "أسكيا محمد" لم تكن لهم هيبة تمنع مراكش من كسر نفوذ صنغاي على تلك المنطق، وهذا ما جعل المغرب "منصور السعدي" يقوم بإرسال حملة لإخضاعها بقيادة ضابط اسمه جودور باشا إسباني الأصل تراوح قوامها بين 3000 و4000 مقاتل معظمهم من غير المغاربة[2] وانتصر عليها عام 1591 في معركة تُنديبي Tondibi شمال غاو، وكانت صنغاي آنذاك تحت حكم أسكيا اسحق الثاني. تميزت هذه الحملة بوجود الأسلحة النارية لدى الجانب المغربي مقابل الحراب والسهام والسيوف والرماح في الطرف الآخر[3] بالرغم من ترواح عدد جيش صنغاي من 40000[4] إلى 30000 مقاتل[5] الذين وضعوا في مقدمة جيشهم

---

(1) شاكر ويبلتو، ص 48.

(2) يقول دلافوس أن جلهم من الإسبان الذين أسلمو (مج 12، ص 267)، بينما يذكر قدّاح أن هذه الجيش كان من المرتزقة الإسبان المطرودين من الأندلس (ص 74)، أما Trimingham فيفيد أن جيش مراكش كان من الأوروبيين (ص 100) ويضيف شلبي قائلاً أن جيش مراكش كان من الأوروبيين بعضهم أسرى وبعضهم مرتزقة (مج6، ص 272).

(3) دلافوس، مج 12، ص 267.

(4) المصدر السابق، مج 12، ص 267.

(5) قدّاح، ص 75.

الـثيران لـتكون درعـاً يقـيهم نار البنادق، وبالرغم من أن معظم أفراد الجيش المغربي قد عانـى أفـراده من العطش ومتاعب الصحراء[1]، إلا أن أصوات الطلقات أثار الذعر بين هـذه الـبهائم فولت الأدبار وأشاعت الفوضى في صفوف جيش صنغاي التي قتل الكثير مـن أفـراده.[2] سـقطت خلال هذه الحملة مدينة تمبكتو بعد أن حمل إليها الجيش الغازي الأسـى والخراب مزوداً بالأسلحة النارية التي أوقعت في نفوس الإفريقيين الخوف والهلع كما ذبح الناس فيها وقتلوا في الشوارع وحوصر العلماء في المساجد وسيق من تبقى منهم أسـرى إلى مـراكش ومـنهم المؤرخ أحمد بابا.[3] وقد فرض قائد الحملة على سكان تمبكتو ضـرائب باهظـة علـيهم أن يـؤدوها في مـدة معيـنة قـصيرة وإلا تعرضـوا لأقصى أنواع القتل.[4] وفي 1592-1593م دخل جودور باشا مدينة غاو عاصمة صنغاي[5] من دون أن يضرب ضربة واحدة[6] لكن أصابها ما أصاب تمبكتو،[7] وكان أسكيا إسحاق قد عرض للمغاربـة بعـض الأمـوال كجـزية وكـان جـودور باشـا ميالاً إلى هذا العرض فكتب إلى سـلطان المغرب لكن الأخير كان في صدد تجهيز حملة جديدة فرفض عرض أسكيا إسحق وأرسـل قائداً جديداً اسمه ابن زرقون أسباني الأصل أيضاً ليتسلم القيادة العسكرية من جـودور باشـا. أعد ابن زرقون زوارق عبر بها نهر النيجر والتقى باسحق في موقعة بامبا وهـزمه وقـتله فـتولى أسـكيا نوح من بعده الحكم في صنغاي. حاول أسكيا نوح أن يبث روح المقاومـة في أبـناء البلاد فألف جيشاً قوياً وبدأ بحرب المقاومة واستطاع خلال أربع سـنوات أن يكـبد الجـيش المغربـي الكثير من الخسائر البشرية. لكن المغاربة أرسلوا عدة حملات إلى بلاد الصنغاي مما اضطر 'أسكيا نوح' إلى الهرب ومغادرة البلاد وانتهت المقاومة بوفاته عام 1004هـ 1595م، وبوفاته انتهت دولة صنغاي.

3.3.1.9 صنغاي بعد إنهيار حكم أسرة 'أسكيا':

اسـتمرت الحمـلات المغـربية إلى الـسودان الغربـي بعـد سقوط صنغاي إذ وصل إلى المـنطقة 23000 جـندي بـين عامـي 1590م و1618م[8]، وفي مطلـع القـرن الـسابع عشر

---

(1) شلبي، مج 6، ص 273.
(2) قدّاح، الهامش رقم (1) ص 76.
(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(4) قدّاح، ص 76.
(5) المصدر السابق، ص76.
(6) دلافوس، مج 12، ص 267.
(7) قدّاح، ص 77.
(8) شلبي، مج6، ص 274.

الميلادي دخل المغاربة مدينة جني صلحاً على أن يدفع سكانها كل عام أتاوات ضخمة ليجنبوا مدينتهم الخراب والدمار، إلا أن المدينة دمرت فيما بعد عندما رفضت دفع الجزية. ومع ذلك لم يستطع الجيش المغربي أن يسيطر على المناطق الواسعة التي كانت تخضع لصنغاي ولا أن يعيد الأمن في المناطق التي يسيطر عليها، كما أن نفوذه لم يمتد لأكثر من المدن الرئيسية الثلاث غاو وتمبكتو وجني، فدارت المعارك وتفككت البلاد وآل الحكم فيها لرجال القبائل وعم الظلم وانتشرت المجاعة وتفشى الطاعون في تمبكتو فقضى على نصف السكان مما قضى على كل أثر حضاري وثقافي. ولما أدرك المغاربة قلة الفوائد من وراء هذه الحملة والحروب كفوا عن إرسال الجند والمؤن اللازمة إلى قواتهم وتركوا هذه القوات تقرر مصيرها بنفسها، فنشأت طبقة محلية من الجنود المحاربين عُرفت بإسم (آرما) وتدين بالتبعية الاسمية لسلطان مراكش وتعتمد على عنصر خليط من البربر وأهل البلاد، وكانت هذه الطبقة تختار من بينها زعيماً أو قائداً يمنحونه لقب "باشا" ويساندونه في محاولتهم السيطرة على السلطة في البلاد[1]. وقد سمح هؤلاء "الباشوات" بأن يدخل في سلك الجندية أبناء السودان الغربي ولكن على أن يشغلوا مناصب صغيرة، أما مناصب الضباط فبقيت وقفاً على المغاربة ثم بعد ذلك على أبنائهم من الزوجات السودانيات[2]. وكان هم هؤلاء الباشوات منصرفاً إلى جمع المال وحمل الزعماء المحليين على دفع الأتاوة، إلا أن نفوذهم أخذ بالإنحصار والضعف تدريجياً لاعتمادهم على الجيش الذي كان يعزلهم متى شاء، وقد بلغ عددهم بين عامي 1660م و1750م نحو 128 باشا[3]. وفي عام 1612م انفرد "باشوات" تمبكتو بالبلاد وقطعوا الضرائب عن سلطان المغرب ولم يلبث الجنود المغاربة أن امتزجوا مع السكان الأصليين وذابوا بينهم وعاشوا معاً حتى عام 1760 عندما استرد الطوارق المدينة وأزالوا عنها سلطة مراكش[4].

وتنيجةً لهذا الضعف اضطر الباشوات من عام 1670م إلى دفع الأتاوة للحكام الوثنيين من ملوك البامبارا[5] وهم ملوك مملكة "سيغو" الوثنية التي كانت تقع جنوب كانغابا في حوض نهر النيجر[6]. وقد ظل الأمر على هذا النحو حتى جاء الفرنسيون في

---

(1) مؤمن، ص 391.

(2) شلبي، مج 6، ص 275.

(3) "سلطنة صنغاي"، 13/7/2004, www.altumbacty.com/songay.thm.

(4) قدّاح، ص 78.

(5) وهم فرع من قبائل الماندينغ

(6) "سلطنة صنغاي"، 13/7/2004, www.altumbacty.com/songay.thm.

القرن التاسع عشر وسيطروا على المنطقة بأسرها وسموها 'إفريقيا الإستوائية الفرنسية'.

3.3.2 الإسلام وحضارته في مملكة صنغاي:

لقد ظهرت مظاهر الحضارة الإسلامية في صنغاي في شتى ميادين الحياة في النواحي الإدارية والتنظيمية وشؤون الحكم والجيش والقضاء والتعليم والعمارة والفن وفي كل الأمور الحياة اليومية.[1]

تجلت عظمة صنغاي الإسلامية وازدهارها في عهد أسكيا محمد[2] الذي كان صديقاً للعلماء مكناً لهم عظيم التقدير والإحترام، فأمر ألا يقف أحد إلا للعلماء وألا يأكل معه سواهم وكانوا إذا دخلو عليه أجلسهم على سريره، كما دعم جامعة سنكوري[3] في تمبكتو وشيد العديد من معاهد العلم وجذب لها العلماء من المغرب والبلدان المجاورة.[4] وقد استفادت الدولة في عهده من خبراتها السابقة واتخذت حركتها التوسعية مظهرا إسلاميا واضحا حيث اتّجه هذا الفاتح الإسلامي إلى مملكة الموسي الزنجية الوثنية فأعلن للجهاد وطلب إلى ملوك هذه الدول الدخول في الإسلام أو دفع الجزية فلما أبوا حاربهم في ديارهم ثم انساح في سهول السودان وبسط نفوذه غربا إلى بلاد الماندينغ[5] والفولاني[6] وشمالا حتى مواطن الطوارق والبربر وامتد نفوذه جنوبا بعد إخضاعه لقبائل الموسي الوثنيين.

تجاوزت فيما بعد حدود صنغاي الإسلامية مدّها حتى وصلت إلى شمال نيجِريا وإمارات الهوسا السبع[7] فظهرت مدن إسلامية هناك مثل كانو وكاتسينا، وجذبت هذه المدن طبقات العلماء مثل أحمد التنبكتي[8] الذي عرج على كانو عند عودته من الحج وجلس بها يعلم الناس.[9] وكان هذا الإتساع الإسلامي بداية لظهور الثقافة الإسلامية وحضارتها الزاهرة في هذه الجهات وذلك برحيل العلماء من تمبكتو إلى هذه الجهات في

---

(1) الغنيمي، ص 116.
(2) لمزيد من المعلومات عن هذه الجامعة راجع الفقرة: 3.2.3.6.2 من هذا البحث.
(3) لمزيد من المعلومات عن هذه الجامعة راجع الفقرة: 3.2.3.7.2 من هذا البحث.
(4) شلبي، مج 6، ص 278.
(5) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.
(6) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.
(7) للاطلاع عن هذه البلاد أنظر الفصل الخامس من هذا الباب.
(8) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(9) شلبي، مج 6، ص 278.

ظل سيطرة صنغاي الواسع وإشراف النفوذ الإسلامي لصنغاي إلى منطقة بحيرة تشاد شرقا، لأنه لا توجد دولة في تاريخ السودان الغربي قد وصلت إلى هذه القدر من التوسع والازدهار والنفوذ مثلما ما بلغت إمبراطورية صنغاي.

وقد حرص أسكيا محمد أن يأخذ معه إلى الحج جمعا كبيرا من العلماء والأعيان وتبرع بالصدقات في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما اشترى أرضا ومباني في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجعل منها مأوى للحجاج القادمين من السودان الغربي واستقبل في القاهرة استقبالا رسميا حافلا. ومن هنا نجد أن الملك عند عودته من الحج قد تأثر كثيرا من مظاهر الحضارة التي وجدها في الجزيرة العربية وفي مصر وعمل على تطبيق ما شاهده من نظم وإدارة، وقد أبطل البدع والمنكر وسفك الدماء، وأتم الدين أتم قيام وجدّد للإسلام مجده في بلاد السودان.

ومن بعد أسكيا محمد أضحت هذه السياسة الإسلامية مقررة لخلفائه من بعده، فسار أسكيا اسحاق في نفس الطريق من تشجيع العلماء واكرامهم والأخذ بيده، أما أسكيا داود فشجع النساخ ونسخ الكتب وقيل أنه كان حافظاً للقرآن الكريم.[1]

3.3.3 دور اللغة العربية وأثرها في صنغاي:

لقد كانت جميع المعارف تدرس وتستوعب بواسطة اللغة العربية، وكانت هذه اللغة هي لغة الكتابة الرسمية والثقافة على السواء غير أن التدريس في المساجد كانت تستخدم فيه اللهجات المحلية العامة، أما طلاب العلم فكانوا يدرسون باللغة العربية، ولقد كان الاهتمام بالقرآن الكريم يستدعي الاهتمام عند أهل صنغاي خاصة وعند مسلمي غرب أفريقيا عامة بدراسة لغة القرآن الكريم، ولقد كانت اللغة العربية وهي لغة العقيدة والحضارة تقوم بدور كبير من حيث سعة الانتشار والبقاء طوال فترة الاستعمار الأوروبي لتلك الأرجاء، ولقد تركت اللغة العربية أثرها المباشر في اللغات المحلية مثل لغات الهوسا والفولاني[2] وصنغاي. ولا تزال إلى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة في بلاد صنغاي في شتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

ولقد كان انتشار اللغة العربية على نطاق واسع بسبب دخول المعارف الإسلامية إلى

(1) 'سلطنة صنغاي'، 13/7/2004, www.altumbacty.com/songay.thm.

(2) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

صنغاي وقيامها بدور فعال في ميدان الثقافة العربية الإسلامية، ولقد كان من أثر انتشار اللغة العربية في البلاد أن ظهرت الثقافة العربية الإسلامية وأثّرت في الحياة الفكرية في صنغاي ولذا ظهرت في عالم السودان الغربي حركة فكرية إسلامية في ميادين الأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية وشتّى مظاهر الحياة الأخرى وكذلك ظهر نوع من الكتابات الأدبية وظهر الشعراء والبلغاء ورجال الفكر أمثال عبد الرحمن السعدي[1] وأحمد بابا[2] ومحمود كعت[3]. وازدهرت حركة التأليف والمعرفة في كثير من البلاد، وظهر العلماء والفقهاء الذين تولّوا مناصب عليا في صنغاي وخاصة في مجال الفقه والتفسير والحديث واللغة والفرائض والأحكام الشرعية فانبثقت حضارة إسلامية متطوّرة ونامية أخذت بأسباب الرقي والتقدم والتحضّر في وقت كانت أوروبا فيها تخوض حروبا ومنازعات فيما بينها، ولكن هنا في صنغاي في غرب أفريقيا التي اتهمها الغرب والاستعمار بالتخلف، بينما هذه البلاد تموج بحركة إسلامية واسعة شهد بها رجال الاستعمار وقادة حركة الكشوف الجغرافية الأوائل بأنفسهم.[4]

3.3.4 النظام الإداري في صنغاي:

تجمع كل المراجع على أن صنغاي كانت تحظى بنظام إداري ممتاز وأن أسكيا محمد أعاد تنظيم الدولة وأن النظم الدقيقة التي وضعها شملت النواحي المالية والنواحي العسكرية والعلاقات القبلية، وكانت كلها ترمي لتحقيق وحدة قوية من الأجزاء المختلفة للدولة والقضاء على السلطة القبلية وكان عماد التنظيم الجديد هو المركزية في مجال الشؤون الرئيسية والتشريع واللامركزية أو الحكم المحلي في الأمور الثانوية والتنفيذية.[5]

3.3.5 الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية لمملكة صنغاي:

اعتمد اقتصاد مملكة صنغاي بالدرجة الأولى على تجارة الذهب والملح بالإضافة إلى سيطرتها على طرق التجارة الرئيسية بين الشمال والجنوب وما تدره من ضرائب وهي بهذا تعد أغنى من مملكة مالي.[6] وفي ظل الأمن الذي نعمت به صنغاي كانت التجارة ناجحة جداً وكانت تدر الرخاء والثراء على الحكومة والشعب جميعاً. وكان الأمن سائداً

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(4) الغنيمي، ص 118-119-120.
(5) لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع راجع الفقرة 3.3.1.6.1 من هذا البحث.
(6) شلبي، مج6، ص 276.

في فترات الإستقرار التي مرت بها صنغاي وخاصة في عهد أسكيا محمد، وكان الناس أمناء وشرفاء وكان القضاة عادلين ولا أثر للرشوة في المملكة. وكانت الشرطة ذات أثر فعال لدرجة أن الطفل كان يذهب إلى السوق فلا يغشه أحد ولا يسرقه سارق ولم يكن يُسمح للنساء بالخروج غير مقنعات، كما ظلت العادات الإسلامية التي كانت سائدة أيام مملكة مالي في الإستمرار ومنها المثابرة على الصلاة واستعمال الثياب البيض والعناية بحفظ القرآن.(1)

3.3.6 العلاقات الخارجية لصنغاي:

ارتبطت صنغاي بعلاقات قوية مع بلدان المغرب العربي وسكان وادي النيل ووصلت لها جميع البضائع من أوروبا ومن الشرق ومن بلاد المغرب، لأن الاتصال بهذه البلاد كان مهما ولذا تأثر السكان بحضارة بلاد المغرب وأخذوا الإسلام على المذهب المالكي وتعاطوا الكتابة على الطريقة المغربية وكان في كل مدينة من مدن صنغاي الكبرى مثل تمبكتو وغاو وجني وغيرها من المدن جالية مغربية كبيرة تتكوّن من الفقهاء والعلماء والمدرّسين والوّعاظ والدعاة والتّجار، وكثر الوافدون من المغرب ومصر وباقي دول العالم الإسلامي. ومن الناحية الرسمية كانت المراسلات تتم بين الملوك والأمراء عن طريق الوفود والرسائل المكتوبة، وكان سلاطين صنغاي على اتصال بمختلف المفكرين الكبار في العالم الإسلامي(2) أمثال جلال الدين السيوطي(3) والشيخ المغيلي.(4)

إن ما قدمناه هنا ليس إلا النذر اليسير عن ثقافة الإسلام وحضارته في ذلك البلد الأفريقي ولذلك لكي يتبين للقارئ المسلم أثر الحضارة الإسلامية في كل مكان دخل إليه ذلك الدين القيم، دين لا اله إلا الله محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي نقل تلك الشعوب الأفريقية تلك النقلة الواسعة في شتى المجالات، ولكن للأسف الشديد كما ذكر شلبي(5) "جاءت نهاية هذا البلد على أيدي جماعات تنتمي لنفس الدين، ولو تعاون هؤلاء بدل الصراع والخصام لأمكن أن يكون تاريخ هذه المنطقة غير ما دونه عنها التاريخ فيما بعد". فهل يتعظ المسلمون من هذه الدروس التاريخية ويتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى ويفوتوا الفرص على الأعداء؟

---

(1) المصدر السابق، مج6، ص 277.
(2) الغنيمي، ص 115.
(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(4) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.
(5) مج 6، ص 280.



3.4

الفصل الرابع

مملكة كانم وبرنو

لقد عرضنا الإسلام والحضارة الإسلامية في إمبراطوريات غانة ومالي وصنغاي وهي إمبراطوريات السودان الغربي الواقعة غرب بحيرة تشاد ولكن الحديث هنا هو عرض الحضارة الإسلامية لإحدى إمبراطوريات السودان الأوسط أو ما يعرف بقلب القارة الإفريقية حيث قامت مملكة كانم التي انتقلت فيما بعد إلى منطقة برنو وأصبحت تعرف بهذا الاسم. وقد لعبت هذه المملكة دوراً عظيماً وفعّالاً في تاريخ كل من وسط وغرب إفريقيا وفي تحضرهما ورقيّهما، وساهمت مع غيرها من السلطنات الإسلامية التي ظهرت جنوب الصحراء الكبرى في تقدم القارة الإفريقية وازدهار حضارة الإسلام فيها وانتشار سبيل النهضة الإسلامية التي ظهرت في تلك البقاع.

3.4.1 الموقع:

يقول ياقوت الحموي[1] "كانم بكسر النون، من بلاد البربر وفي أقصى المغرب، في بلاد السودان"[2] ويذكر العمري[3] أن كانم تقع "بين افريقية وبرقة وتمتد جنوباً إلى سمت الغرب الأوسط، ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر مدينة دالا –أو زالا– وآخرها بلدة كاكا، بينهما ثلاثه شهور.[4] وبذلك يوكون موقع كانم إلى الشمال الشرقي من بحيرة تشاد بين بحر الغزال وبحيرة تشاد في السودان الأوسط وهي الآن جزء من دولة تشاد. وهذه هي المنطقة الأساسية الأولى التي عرفت بها دولة كانم، وبعد مجيء الإسلام إليها توسعت فيما بعد لكي تشمل مناطق جنوب غربي بحيرة تشاد (أي ما عُرف بمنطقة برنو Bornu) وأراضي واسعة في منطقة السودان الأوسط والسودان الغربي[5]. وبسبب هذا الامتداد نحو الغرب أدرجت هذه المملكة في قائمة الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا بالرغم من

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(2) طرخان، إبراهيم علي، **أمبراطورية البرنو الإسلامية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1975، ص 45.

(3) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(4) طرخان، **أمبراطورية البرنو الإسلامية**، ص 45.

(5) الغنيمي، ص 121.

نشوئها في وسط القارة.

وتعتبر كانم أكبر دولة نشأت في منطقة المراعي بين نهري النيل والنيجر، وبالرغم من فقدانها لمناجم الذهب التي كانت موجودة في غانة ومالي فإن موقع كانم ضمن لها مصدراً من مصادر الثراء لسيطرتها على طرق التجارية للقوافل المتجهة شمالاً إلى فزان في ليبيا ومن ثم إلى البحر الأبيض المتوسط وشرقاً إلى حوض نهر النيل[1]، وقد أمنت هذه التجارة كما كان الحال في مالي وصنغاي نمو مملكة كانم كدولة قوية ومركزية في تلك المنطقة،[2] يضاف إلى ذلك أن طبيعة المنطقة من حيث خلوها من العوائق الطبيعية كالصحراء أو الغابات أو المرتفعات أدت إلى تيسير النقلة منها وعليها، وساعدت على استقرار كثير من المجموعات وإلى استغالها بالزراعة بجانب المجموعات التي استمرت على ممارسة الرعي.[3]

3.4.2 مملكة كانم قبل دخولها الإسلام:

سكن هذه المملكة قبل مجيء الإسلام إليها مهاجرون من الشرق في أعقاب الحروب التي اندلعت في وادي النيل منذ عهد الهكسوس[4] إلى عهد الفتوحات العربية، وقد عُرف من هؤلاء المهاجرون بإسم شعب "ساو".[5] والمعروف قليل عن أصول هذه الشعب، فالبعض يقول أن شعب "ساو" هو أحد فروع الفولاني[6]، وآخرون ذكروا أن هذا الشعب جاء من فزان ويفسر كلمة "ساو" بمعنى "عماليق"، وحاول بعض الكتاب أن يرد أصول هذا الشعب إلى سلالة الهكسوس على أساس التشابه في الخلقة، كما وضع البعض احتمال أن يكون أصل هذا الشعب نيلوني أي من حوض نهر النيل لإمتيازهم بطول القامة كغيرهم من سكان وادي الينل.[7]

وحتى القرن التاسع الميلادي لم تكن مملكة كانم قد ظهرت للوجود وإنما كان شعب

---

(1) شلبي، مج 6، ص 138.

(2) Xavier University of Louisiana. "Kanem-Bornu Origins (ca. 750-1075)", http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/KanemOrigins01.html 19/8/2004.

(3) طرخان، **أمبراطورية البرنو الإسلامية**، ص 18.

(4) الهكسوس هم قبائل وجماعات إستقرت في مصر القديمة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد واستولت على السلطة فيها حتى عام 1570 قبل الميلاد.

(5) شلبي، مج 6، ص 138.

(6) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(7) طرخان، **أمبراطورية البرنو الإسلامية**، ص 19-20.

"ساو" يعيش في هذه المنطقة في حياة شبه قبلية وكان لهم مجتمع متقدم اعترف مكانة المرأة وحظوتها، أجادوا صناعة الفخاريات وأتقنوا عمل التماثيل البرونزية[1] ذات الصلة الوثيقة بالحضارة المصرية[2]، كما اشتهر شعب "ساو" أيضاً بالصيد وبناء المدن المحاطة بأسوار، وبشكل عام كان لهذا الشعب حضارة قديمة اعترف بها علماء الآثار[3]. ومنذ ذلك التاريخ بدأت هجرات جديدة تتدفق على هذه المنطقة كان أولها هجرة قبائل "الزغاوة"، وهم شعب جمع الخصائص الزنجية والحامية وقد جاء هؤلاء من هضبة دافور في غربي دولة السودان.[4] وكان الزغاوة رعاةً وتجاراً نشيطين يحكمهم ملك منعزل على نفسه يمارس الخرافات والاساطير ويدعي امتلاك قوى خارقة، ولا توجد مصادر تؤكد أن تنفي اعتناق شعب الزعاوة للإسلام في تلك الفترة.[5]

وبسبب سيطرة هذا الشعب على طرق القوافل التجارية لدى استقراره في تلك المنطقة فقد إحتك مع التجار العابرين للصحراء الكبرى من وادي النيل وليبيا إلى غرب إفريقيا، لذلك كتب عن هذا الشعب عدد من الجغرافيين العرب[6] أمثال "ابن حوقل"[7] و"اليعقوبي"[8] و"الإدريسي"[9] و"البكري"[10] وابن خلدون[11] الذي اعتبرهم فرع من الملثمين الطوارق.

وتشير بعض المصادر إلى ظهور طبقة حاكمة في كانم عُرفت بإسم "دوغاوا" او "بني دوغو" وامتد حكمها من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلاديين، ويرى البعض أن هذه الطبقة قد تكون شعب الزغاوة نفسه ولكن بإسم آخر أو مجموعة أخرى إستأصلت هذا

---

(1) زكي، عبد الرحمن، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر،1961، ص 173.

(2) شلبي، مج 6، ص 138.

(3) زكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية** ، ص 173-174.

(4) شلبي، مج 6، ص 138.

(5) Xavier University of Louisiana. "Kanem-Bornu Origins (ca. 750-1075)", http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/KanemOrigins02.html 19/8/2004.

(6) Trimingham, pp 110-114.

(7) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(8) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(9) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(10) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(11) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

الشعب وحلت مكانه.[1]

3.4.3 دخول الإسلام إلى مملكة كانم:

ومع بداية القرن الحادي عشر الميلادي الميلادي دخل الإسلام إلى كانم[2] ومن ثم تحولت الأسرة الحاكمة فيها إلى الإسلام [3]، ويذكر Trimingham[4] بعد دراسة لأعمال العمري[5] أن الإسلام دخل إلى كانم على يد شخص ينحدر من أصل أموي ويدعى "الهادي العثماني"، ويرتبط ذلك مع ما ذكره البكري[6] أنه قَدِم إلى كانم مهاجرون ينتمون إلى الأسرة الأموية وقد وصلوا إليها لكونوا بمنأى عن سلطان العباسيين الذي كان يلاحقهم باضطهاد[7].

وبعد أن اعتنقت الأسرة الحاكمة الإسلام استطاع الدين الحنيف أن يكسب لنفسه جبهة ثابتة في منطقة السودان الأوسط، كما رفع الإسلام مستويات شعوب هذه البلاد من الناحية الأخلاقية والإنسانية وأشاع علاقات حضارية وفكرية بين هذه المناطق وجيرانها المسلمين.

ومن جهةٍ أخرى أصبحت مملكة الكانم بعد اعتناق حكامها الإسلام دولة ذات أهمية كبيرة وضخمة وأكثر تنظيماً وكفايةً في أساليب الحكم كما بسطت سلطانها على قبائل السودان إلى حدود مصر وبلاد النوبة شرقاً ، وقد ذكر البكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أن مملكة كانم كانت في عصره تمتد حتى نهر النيجر غربا، وأنها في الجنوب كانت تضم جزءا من بلاد الهوسا،[8] وقد استعان أهل كانم بالحفصيين حكام تونس، واستطاعوا أن يفتحوا الصحراء كلها في نهاية القرن الثاني عشر

(1) أنظر: .Trimingham, pp 114-115 وأنظر أيضاً:
Xavier University of Louisiana. "Kanem-Bornu Origins (ca. 750-1075)", http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/KanemOrigins02.html 19/8/2004.

(2) ذكر في كتاب **الاستبصار** الذي وُضِع عام 587هـ (1191م) ص 146 أن الإسلام دخل كانم بعد عام500هـ (1106–1107م).

(3) Xavier University of Louisiana. "The Rise of the Sefuwa (ca. 1075 - 1280)" http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/KanemOrigins01.html 19/8/2004.

(4) ص: 115.

(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(6) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(7) البكري، ص 11.

(8) للاطلاع عن هذه البلاد أنظر الفصل الخامس من هذا الباب.

الميلادي[1] وصولاً إلى صحراء فزان في ليبيا شمالاً والتي تمتاز بسيطرتها على طرق القوافل التجارية، وقد برع أهل كانم في التجارة وكانت لهم علاقات تجارية مع مصر وطرابلس والسودان وثغور البحر الأحمر[2] بالإضافة إلى العلاقات الثقافية مع طرابلس ومصر،[3] إذ اتبع الكانميون المذهب المالكي وأسّس حكّام هذه المملكة مدرسة مالكية في القاهرة عرفت باسم مدرسة ابن رشيق لتعليم الطلاب الوافدين إلى مصر كما كانت اللغة العربية لغة التعليم ولغة المملكة الرسمية فضلاً عن كونها لغة المعاملات التجارية[4] إلى جانب اللغة المحلية التي كانت تعرف بإسم "كانوري". وكان أهل كانم يتعاملون بالقماش الذي ينسجونه في بلادهم ويطلقون عليه اسم دندي، كما يتعاملون بالودع والحرز وقطع النحاس والورق على أساس تسعيرها بالقماش[5]. كما كان جندهم يتلثّم وهم لا يرون ملكهم إلا في يوم العيد، ولا يكلّمه أحد إلا من وراء حجاب.

3.4.4 كانم في عهد الملوك المسلمين:

كان أول ملك من ملوك مملكة كانم دخل الإسلام بعد الوثنية حسب المقريزي[6] محمد بن جبل بن عبد الله بن عثمان بن محمد دوناما أوميمي بن هومه[7] ويربط Trimingham هذا الشخص المدعو محمد بالملك الكانمي "دوناما دابالمي" (1221م-1259م)[8]، إلا أن معظم المصادر بما فيها Trimingham نفسه[9] وشلبي[10] تميل إلى أن "محمد بن جبل بن عبد الله"[11] (1085-1097م) هو أول ملك مسلم في كانم، وكان وفي وثنيته يُعرف بإسم "حُمى" أو "هوميه جيلمة"، وكان ملك كانم يتخذ لقب "ماي" وقد ظل هذا اللقب مستعملاً مع الملوك بعد إسلامهم، إلا أن هذه الأسرة المالكة اتخذت لنفسها لقب

---

(1) حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص 130.

(2) زكي، عبد الرحمن، **الإسلام والمسلمون في أفريقيا**، القاهرة: د. ن.، 1389هـ، ص 69.

(3) شلبي، مج 6، ص291.

(4) موسى، محمد البشير أحمد، **الغارة الصّليبيّة على تشاد**،
http://www.alnahwi.com/resultmak_w.asp?itemid=116,.6.10.2004

(5) حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص 131.

(6) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(7) Trimingham, p 115.

(8) ص 115.

(9) ص 115.

(10) مج 6، ص 290.

(11) المصدر السابق، مج 6، ص 139.

"السيفية" نسبة إلى سيف بن ذي يزن العربي اليمني ويقر ذلك أحد ملوكها وهو عثمان بن إدريس في خطاب أرسله للسلطان برقوق (1382م-1398م) المملوكي في مصر حيث وصف له سلالة حكام كانم فقال: "نحن بنو سيف بن ذي يزن والد قبيلتنا القربي القُرشي"[1]. ومع ذلك فهناك جدل حول أصل "السيفية"، فالبعض يذكر أنها مرتبطة بالقحطانيين العرب[2] والبعض الآخر ينفي أي إرتباط لهذه الأسرة بالعرب[3].

تولى الحكم بعد "هوميه" ابنه "دوناما بن هومه 1097-1150م" وكان أوّل من حجّ من ملوك كانم، وهي ميزة اتبعها الحكام الزنوج خلال المراحل الأولى لاعتناقهم الإسلام.[4] حجّ "دوناما" مرتين وفي المرة الثالثة غرق بالقرب من المياه المصرية قرب "السويس" على البحر الأحمر، وقيل ان سبب موته كان الخوف من أطماعه ونجاح جيوشه في كثير من الغزوات.[5] وكان "دوناما" طموحا جدا دفع حدود بلاده الشرقية إلى شواطئ النيل الوسطى، وكان له الإشراف المطلق على مسالك التجارة إلى الشمال حتى صحراء فزان، وفي أيامه تأزمت روابط الأسرة الحاكمة، وبدأ التفكك، فشبت حرب أهلية أشعلها أبناؤه، وبالرغم من ذلك كله انتصر دوناما بن هومه عليهم. خلفه "دوناما" ابنه "بري الأول" (1150م-1176م)، وكان ضعيف الخلق فأودعته أمه السجن لأنه أمر بحبس بعض اللصوص ولم يقطع أيديهم كما نص الشرع الإسلامي.[6] تولى الحكم بعده "بكوروا" (1176م-1193م)، ويعرف أحيانا باسم "عبدالله بكورو" أو (بكر)[7]، ثم جاء من بعده ابنه عبد الجليل (او السلطان عبد الجليل كما كان يُعرف آنذاك). وهناك خلاف حول الفترة التي مارس بها هذا الحاكم سلطته، فبعض المراجع تذكر أن حكمه امتد بين عامي (1193م-1210م)[8] ومراجع أخرى تشير إلى عامي (1194م -1221م)[9] وأخرى إلى عامي

---

(1) القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى**، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1913-1938، مج، 8، ص117.
(2) شلبي، مج 6، ص 139.
(3)Xavier University of Louisiana. "The Rise of the Sefuwa (ca. 1075 - 1280)" http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/Sefuwa01.html 19/8/2004.
(4)Trimingham, pp 115.
(5) زكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية** ، ص 177.
(6) المصدر السابق، ص 177.
(7) المصدر السابق، ص 177.
(8) شلبي ، مج 6، ص 290 وزكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، ص177.
(9)Trimingham, pp 116.

(1195م-1220م)[1]، وقد لُقّب هذا الحاكم بإسم "سلمة" لشدة سواده وكانت له حظوة وغلبة على القبائل المجاورة[2]، وفي عهده نُقِلَت العاصمة من مدينة "منان"[3] إلى مدينة "نجيمي"[4][5].

خلف "عبد الجليل" ولدَه "دوناما ديباليمي"[6]، وكان ميالاً إلى المشاحنات فكثرت المنازعات والحروب في أيامه[7]، لكنه حافظ على الحلف القائم بين مملكته وبين الحفصيين في تونس الذين وقفوا معه في منازعاته، وفي عام 655هـ (1257م) أرسل "دوناما ديباليمي" لأحد الحكام الحفصيين ويدعى "المستنصر" زرافة هدية ،[8] وذلك لتوثيق عرى التواصل بين الطرفين. وقد رأى البعض في حروبه ضد جيرانه الوثنيين نوعاً من الجهاد الإسلامي واعتبروا "دوناما ديباليمي" أول حاكم ورع لمملكة كانم[9] حيث قام بالإضافة إلى هذه الحملات العسكرية بإعادة الإسلام الصحيح إلى البلاد بعد فترة من التساهل مع معتقدات الوثنيين قام به الحكام الذين سبقوه، فقضى على "مون" وهو شيء مُغطى وغير معروف على العلن ولا يحق لأحد أن يكشفه لإحتوائه لقوى خارقة كما كان مقدس لدى "السسفية" نفسهم ولدى الوثنيين وخصوصاً قبائل عُرف فيما بعد بإسم "البولالا". وكانت هذه القبائل قد ألّفت طبقة حاكمة في منطقة "فيتري" المجاورة لكانم من ناحية الشرق ووقفت في وجه الميول الإسلامية للعائلة الحالكمة التي ينتمي لها "دوناما ديباليمي"، وقد كان ذلك سبباً في نزاعه معهم. ومن الأعمال التي قام بها "دوناما ديباليمي" التي تزيد في رصيده الإسلامي تأسيس مدرسة إسلامية في القاهرة ونزل لسكان كانم الذين يعيشون

---

(1)Yver, G., "Kanem", **Encyclopaedia of Islam**, Leiden: E. J. Brill, 1927, v.4, p.541.

(2) زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، ص 177.

(3) تقع شرق بحيرة تشاد.

(4) تقع آثار هذه المدينة شرق بحيرة تشاد على بعد 35 ميلاً شرق مدينة "ماو" Mao (Trimingham, pp 114, footnote no. 5).

(5) Trimingham, p 117.

(6) حكم من عام 1210م حتى عام 1224م وذلك حسب شلبي (مج 6، ص 290) ومن عام 1210م حتى عام 1248م حسب موقع Xavier University of Louisiana. وبين عامي 1221م و1259م (حسب Yver المجلد الرابع ص 541 وحسب Trimingham ص 117)، أما زكي في كتابه تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية فيذكر صفحة 178 أن دوناما ديباليمي حكم حوالي أربعين عاماً، وهذه المعلومة تتفق مع ما أورده المؤلفان السابقان.

(7) زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، ص 178.

(8) Trimingham, p 117.

(9) المصدر السابق، ص 118.

في مصر أو يمرون بها في طريقهم إلى مكة. وفي عهد "دوناما ديباليمي" توسعت مملكة كانم لذلك يشبه البعض بأسكيا محمد حاكم صنغاي التي عرفت مملكته علواً وعِزّاً في أيامه.(1)

3.4.5 انهيار الأسرة الحاكمة في كانم وانتقالها إلى برنو:

حل الضعف والوهن في المملكة بعد وفاة "دوناما ديباليمي" ويعود ذلك لعدة أسباب منها: انتشار الفقر في أوقات الحروب واندلاع الثورات التي كان يقوم بها رعايا الملكة الوثنيون وتزايد النزاعات على السلطة بين أولاد "دوناما ديباليمي"،(2) إلا أن الخطر الأكبر أتى من قبائل "البولالا"، إذ تطرق الضعف إلى المملكة قبل نهاية القرن الرابع عشر الميلادي بعد أن أغارت عليها هذه القبائل. وبين عامي 1387م و1400م هاجمت تلك القبائل مملكة كانم وقتلت خمسة من ملوكها واحتلت فيما بعد العاصمة، وقد اضطر الملك عمر ابن إدريس إلى نقل قاعدة بلاده بعد ذلك إلى غربي بحيرة تشاد وأقام في بلاد برنو، وقد أصبح اسم مملكة كانم معروفا بها منذ ذلك الحين(3).

ويمكن القول بأنه قد أفل نجم كانم في القرن السادس عشر ومنذ ذلك الحين أصبحت وكما سنرى في السطور التالية جزءا من برنو وليس برنو جزء من كانم، وفي الوقت نفسه بدأ نجم برنو يسطع في وسط أفريقيا حتى وصلت إلى مكانة إمبراطورية زاهرة(4).

وقبل أن نتبع ملوك الأسرة السيفية في برنو نذكر أن قبائل البولالا قنعت بالسيادة التي حصلت عليها ولم تطمع في ألقاب الملك بل اختارت بعض أفراد الأسرة السيفية الذين لم يغادروا كانم وعينتهم ملوكاً على أن يقنعوا بالإسم وألا يكون لها نصيب فعلي في السلطان.(5)

3.4.6 الأسرة السيفية في برنو:

أحسنت برنو استقبال الأسرة السيفية الفارة من كانم وكان لكثير من ملوكها أخلاق وسير حميدة، وهناك نقطة مهمة ترتبط بالفترة التي أقامها ملوك هذا الأسرة في برنو وهي

(1)Xavier University of Louisiana. "The Rise of the Sefuwa (ca. 1075 - 1280)" http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/Sefuwa05.html 19/8/2004.
(2)"Kanem, Bornu and the Hausa State ", A History of Africa, http://xenohistorian.faithweb.com/africa/af05.html#Chad, 22.10.2004.
(3) حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص 130.
(4) زكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية** ، ص 181.
(5) شلبي، مج 6، ص 291.

أن الإسلام زاد انتشاراً وتمكناً.[1] ويُعتبرَ "علي غازي بن دوناما" (1476م-1503م) المؤسس الحقيقي للدولة الجديدة[2] في برنو، فقد استطاع أن يقضي على الحروب الداخلية وأن ينشئ نظاماً إدارياً مستقلاً كما شيد له عاصمة جديدة على نهر "يو Yo" غرب بحيرة تشاد وسماها "نغازاغامو Ngazargamu"[3] واستطاع بعد هذا الإستقرار أن يمد نفوذه إلى بعض دول الهوسا[4] التي تقع الآن في شمال غربي نيجيريا وأخذ منها الجزية بما فيها "كانو"[5].

خلف "علي غازي" ابنه "إدريس" (1503م-1526م)، فزحف على كانم من جديد ولم تستطع قبائل البولالا أن تقف في وجهه فاستعاد كانم وتقهقهر البولالا إلى الشرق وقبلوا أن يدفعوا الجزية إليه وقنع إدريس بذلك دون أن يتابع الهجوم عليهم.

خلف إدريس حاكم آخر ويحمل اسمه أيضاً لكنه اشتهر بإسم "إدريس عَلَوْمَه" وحكم من عام 1570م حتى عام 1602م، وقد اعتلى العرش بعد عدة سنوات كانت امه في أثنائها وصية عليه،[6] وفي عهده عرفت الأسرة السيفية قمة المجد. وقد وصلتنا المعلومات عنه من خلال كتابين كتبهما الإمام المؤرخ "أحمد بن فرتوا" الذي دوّن تاريخ وحروب إدريس مع البولالا[7] وقد وصف الإمام نجاحه الباهر وفتوحاته الناجحة وذكر أنه عادل وحكيم وقد ذهب للحج وعرف خلال هذه الرحلة قيمة الأسلحة النارية الجديدة فاشترى الكثير منها من الأتراك العثمانيين، كما استخدم عدد كبير من العرب في جيشه، واستطاع بذلك أن يهزم الطوارق وأن يدخل بعض القرى التابعة لكانو لكنه لم يستطع أن يأخذ المدينة نفسها،[8] كما تمكن من اخضاع قبائل البربر شمال مملكته في منطقة جبال "أير Aïr"[9] بعد أن دأبوا على نهبها اضف إلى هذا عدة قبائل وثنية في الشرق والجنوب عملت

---

(1) المصدر السابق، مج 6، ص 292.

(2) المصدر السابق، مج 6، ص 292.

(3) تقع اليوم في شمال شرقي نيجيريا على بعد 30 كلم شرق مدينة "غيدام Geidam".

(4) للاطلاع عن هذه البلاد أنظر الفصل الخامس من هذا الباب.

(5) Trimingham, p 121.

(6) زكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، ص 185.

(7) نشر هذان الكتابان في اللغة العربية في مطبعة أمير كانو عام 1930م، وترجمه إلى الإنكليزية H.R.Palmer عام 1926 تحت عنوان: History of the Twelve Years of the Reign of Mai Idris Alooma of Bornu.

(8) شلبي، مج 6، ص 292 – 293.

(9) تقع في شمال دولة النيجير.

على نشر الفوضى بين حين وآخر[1].و يذكر الإمام "أحمد بن فرتوا" أيضاً أن إدريس علومه كان ملكاً شهماً أنجد أبناء عمومته شعب صنغاي وهم في محتنهم أثناء دفاعهم عن بلادهم ضد الغزو المغربي[2]. وفي الحقل الإداري نظم السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية وفصل بينها، إلا أن أعظم ما حققه إدريس من نصر كان في الإتجاه السياسي إذ استطاع أن يوحد بين القبائل المختلفة التي تسكن مملكته.[3]

وكان إدريس علومه مهماً من ناحية إتجاهاته الإسلامية أكثر منه كمؤسس للإمبراطورية، ففي مملكة كانم كانت طبقة الحكام والفقهاء هي التي تدين فقط بالإسلام الحقيقي لذلك بذل جهداً كبيراً ليجعل الإسلام دين الدولة ولينشره في جميع ربوعها حتى أصبحت جميع طبقة الوجهاء في المملكة تدين بالإسلام[4]، كما اتجه إلى اقتباس التشريع الإسلامي والعمل به وبنى مساجد ضخمة من الحجارة وأنشأ في مكة مقراً لحجاج برنو، وعمد ادريس إلى تنظيم حروبه لتتماشى مع نظم الجهاد الإسلامية فاتبع الفكر الإسلامي في نظام الأسرى وأصبحت حروبه لنشر الإسلام تابعة للفكر الإسلامي ولم يعد هناك إكراه لأي شخص ليدخل الإسلام وأصبح الدخول في الدين الحنيف طواعية[5].

وبعد وفاة "إدريس علومه" حكم بعده أبناؤه الثلاثة الواحد تلو الآخر وهم محمد فإبراهيم فعمر ولكن لم يكن لهم شأن هام في مجرى حياة المملكة، وبعد هؤلاء جاء على ابن عمر وكان كجده في الكفاءة والبطولة فأعاد مكانة البلاد وهيبتها فقاتل سلطان أغاديس[6] قتالاً شديداً وطرد الطوارق إلى الصحراء، كما أدى فريضة الحج ثلاث مرات ودام حكمه أربعين عاما (1645م-1685م). من بعده جاء خلفاؤه "إدريس بن علي" و"دونمة بن علي" و"حمدون بن دونمة" وقد عرف هذا بالشغف بالمطالعة ومات عام 1738م.[7] تولى بعده السلطان "دونمة بن حمدون" وقد تفشت المجاعة في زمانه ثم تولى بعده "علي بن دونمة" وكان عادلا محبوباً بين الناس وكان يقرب العلماء إليه. تولى بعده "أحمد بن علي" فشارك العلماء في دراساتهم وتقياً يخشى الله ولكنه غفل عن المغيرين على البلاد فتركهم يفعلون ما

(1) زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، ص 185.
(2) المصدر السابق، ص 189
(3) شلبي، مج 6، ص 293.

(4) Trimingham, p 123.

(5) شلبي، مج 6، ص 293-294.
(6) تقع الآن في جمهورية النيجر وتسمى Agadez.
(7) زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، ص 190.

يبتغونه كما أنه ترك الأهالي نهباً لقطاع الطرق فأهملوا الزراعة وفتكت بهم المجاعة عدة سنوات،[1] فدب الضعف في المملكة وعجز حكامها عن رد هجمات قبائل البولالا.

وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادي لمع نجم "عثمان دان فديو"[2] زعيم قبائل الفولاني[3] في أقاليم الهوسا إلى الغرب من برنو، وأخذ يوسع سلطانه هنا وهناك، فحرر جميع الأقاليم التي كانت خاضعة لحكم برنو وتدفع الجزية لها. وفي عام 1808م هاجم هذا الزعيم برنو نفسها فعجزت الأخيرة عن صد الهجوم وفر ملكها أمام الجيش الزاحف متجهاً نحو كانم وامتد نفوذ "عثمان دان فديو" إلى برنو.

3.4.7 انهيار الأسرة السيفية في برنو وصعود "محمد الكانمي":

وفي خضم هذه التطورات الخطيرة هب شيخ من كانم أصله عربي من فزان ويدعى "محمد الأمين" وقد نسب نفسه إلى كانم لتوثيق الاتصال بها فعرف بالكانمي، وكان هذا الشيخ عالما واسع المعرفة له جاه عريض في مجال العلوم العقلية والنقلية[4] وحث الناس على التمسك بأهداب الدين وصيانة الأخلاق،[5] وكوّن فرقة للمقاومة أكثر أفرادها من كانم وهاجم قوات الشيخ عثمان الفولاني واستطاع مع أتباعه أن يصدوا الغزاة وأن يعيد السلطة للملك الهارب، إلا أن الكلمة الأخيرة في حكم البلاد أصبحت في يد الكانمي، فخاف أفراد العائلة الحاكمة منه وحاولوا التمرد عليه فاستولى على السلطة مباشرة وحكم البلاد من العاصمة "كوكا"[6] التي كان قد بناها عام 1814م مع ترك الإسم للأسرة السيفية لكنه أسس أسرة حاكمة جديدة في برنو. وفي عهده اتسع نفوذ هذه الدولة شرقاً وغرباً واستعادت أغلب المناطق التي كانت تسيطر عليها في عهد إدريس علومه.

توفي الكانمي عام 1839م وكان قبل موته قد اعتزل الحكم وولى مكانه ابنه الشيخ عمر (1835م-1880م) الذي أنهى نفوذ الأسرة السيفية كلياً لتحل اسرته مكانها بصفة رسمية، ومنذ سنه 1846م أصبح لقب "الشيخ" هو اللقب المختار لرؤساء هذه الدولة تيمناً بمبادئ الشيخ أمين.

---

(1) المصدر السابق، ص 190.

(2) للاطلاع على هذا الزعيم وتوسعاته الإقليمية راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع.

(3) للاطلاع على "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(4) شلبي، مج 6، ص 295.

(5) قدّاح، ص 85.

(6) تقع في شمال شرقي نيجريا.

وبعد عمر أتى ابنه أبو بكر (1880م-1884م) وبعده تولى أخوه إبراهيم مدة عام واحد فخلفه الشيخ هاشم (1885م-1893م) وفي عهده دب الضعف في برنو لأن حاكمها شغل نفسه بالقصر والحريم ولم يعر إهتماماً للإدارة والسلطة.

3.4.8 انتقال السلطة في برنو من "الكانمي" إلى "رابح بن الزبيري" ونهاية برنو:

وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي هاجم برنو زعيم سوداني يدعى "رابح الزبيري" نسبةً إلى الزبير باشا الذي كان تاجراً واشتد نفوذه فنال مكانه سياسية هامة عن طريق ثروته وقوته ففتح منطقة "دارفور" باسم الحكومة المصرية، وكان "رابح" قائداً عنده. وعندما غدر "غوردن باشا Gordon Pasha" حاكم السودان أبان عهد الخديوي اسماعيل بالزبير وابنه قرر "رابح" الإنتقام وقاد فيلقه الضخم وتخطى حدود السودان غرباً وواصل زحفه فدخل كانم، وفي عام 1893 قضى على سلطنه برنو واسقط "ابن عمر" آخر ملوك أسرة الكانمي واصبح رابح حاكم هذه الإمبراطورية الفسيحة.

وفي عام 1900م قتل رابح في معركة مع الفرنسيين الذين بدأوا بنشر استعمارهم في افريقيا ودخلت فرنسا إلى المنطقة مع شريكتها في الاستعمار بريطانيا، فتقاسم الإثنان أراضي برونو التي لم يعد فيها أي سلطة اسلامية.

وهكذا تلاشت امبراطورية البرنو في غمرة الاستعمار الأوروبي في مطلع القرن العشرين وقامت حركات الكفاح الوطني ضد المستعمر الأوروبي وظلت تناضل بشتى الوسائل حتى كتب لها النصر والتوفيق وظفرت في النهاية بالإستقلال. ومن الدول الإفريقية في وسط وغرب القارة التي قامت على أنقاض امبراطورية برنو أو ضمت أجزاء منها هي:[1]

1- جمهورية تشاد، وتشمل أغلب الأجزاء الشرقية من امبراطورية برنو وإقليم كانم بأكمله.

2- جمهورية إفريقيا الوسطى: وتضم الأطراف الجنوبية من برنو.

3- جمهورية النيجر: وتضم أغلب الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية من برنو.

4- جمهورية نيجريا: وتضم كل اقليم برنو.

5- جمهورية الكامرون: تضم بعض الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من برنو.

---

(1) طرخان، **أمبراطورية البرنو الإسلامية**، ص 145-147.

3.4.9 الأحوال العامة في برنو:

3.4.9.1 التقسيم الإداري لبرنو:

كانت برنو مقسمة إلى إثني عشر إقليماً يحكمها رؤساء محليون تحت إشراف ممثلي الملك، وأهم هؤلاء الممثلين أربعة هم[1]:

1- "كيغامة": وهو لقب يعطى لمن يتولى الإشراف على القسم الجنوبي من برنو وهي الأقاليم التي تحيط بالشواطئ الجنوبية لبحيرة تشاد ومن اسم هذه البحيرة اشتق لقب وظيفته فكانت هذه البحيرة تعرف باسم غاغو Gago أو كايغام Kaigam، ويعتبر كيغامة أكبر الحكام منزلة إذ يقوم كذلك بمنصب القائد العام للجيش.
2- "يريمة": وهو حاكم القسم الشمالي من برنو، ووظيفته مشتقة من كلمة يري Yeri بمعنى الشمال.
3- "مسطرامة": وهو رئيس الخصيان وشؤون قسم الحريم بالقصر الملكي، وعادة يكون من المقربين من الملك.
4- "غلديمة": وهو حاكم القسم الغربي من برنو واسمه مشتق من كلمة "غالدي Ghaldi" أي غرب.

أما الحكام الإداريون فمنهم الأحرار ومنهم العبيد، وليس لهم رواتب ولكن كانوا يمنحون اقطاعات من الأراضي وقد مكنهم هذا الوضع من جمع الثروات الطائلة من مناطق نفوذهم، لكن كان عليهم أن يؤدوا جزية وهدايا في كل سنة. أما الموظف المسؤول عن الشؤون الخارجية هو الوزير فكان لقبه "دوغما Dugma" أو "ديغما Digma".[2]

3.4.9.2 الأحوال السياسية:

كانت حكومة برنو ملكية وراثية، وكان التوارث عن طريق الأم مثل باقي الملوك في السودان الغربي والأوسط، غير أنه بانتشار الإسلام صارت الوراثة عن طريق الأب هي السائدة. وكان الملك الجديد يُنتخب من بين أبناء الملك المتوفي وليس من الضروري أن يكون أكبر الأبناء، وقد جرت العادة عند انتخاب الملك الجديد أن يأتي أبناء الملك المتوفي وبيد كل منهم ورقة مكتوب عليها اسمه فتلقى هذه الأوراق في قرعة يابسة ثم تلتقط ورقة وصاحب الإسم الموجود بها يكون هو الملك العتيد. ويشرف على هذه العملية

---

(1) المصدر السابق، ص 151.

(2) المصدر السابق، ص 160-164.

ثلاثة من كبار الدولة أحدهم "كيغامة" الذين يتقدمون ويقودون الملك المُنتَخَب إلى غرفة مظلمة أو ذات ضوء خافت حيث يوجد جثمان الملك المتوفي مسجى وأمام هذا الجثمان تؤخذ الأيمان والمواثيق على الملك الجديد المنتخب. وكان الملك يلقب بإسم "ماي" أو "ماغ Magh" أو "مي Me"، لكن اللقب الذي كثر استعماله هو "الماي". ظل لقب الماي حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً وبعد وفاة آخر سلاطين الأسرة السيفية اقتنع سلاطين برنو الجدد من أسرة الشيخ محمد الكانمي بلقب "شيخ".[1]

3.4.9.3 الأحوال الاقتصادية:

وعن الحياة الاقتصادية في برنو أورد القلقشندي[2] بعضاً من المحاصيل التي تنتجها بلاد برنو فقال:" وبلادهم –اي بلاد كانم وبرنو- قحط وشظف وسوء مزاج مستول عليها وغالب عيشهم الأرز والقمح والذرة، وببلادهم التين والليمون واللفت والباذنجان والرطب، ومن المحاصيل كذلك القطن... والنخيل".[3]

غير أن سيطرة برنو على الطرق التجارية المارة بها أفادها كثيراً من حركة التجارية العالمية، فبالرغم من خلو البلاد من الذهب كما كان في غانة ومالي وصنغاي إلا أن السيطرة على الطرق التجارية أمّن لبرنو مدخول وعائدات لا بأس بها مكنتها من الاستمرارية في الحياة.

ومن السلع الهامة التي صدرتها برنو الرقيق وكانت تستبدل به الخيول والمصنوعات المصرية والأوروبية، إلا أن تجارة الرقيق لم تدر على برنو الثراء بالدرجة التي ظفرت بها دول السودان الغربي من تجارة الذهب، وكان سكان برنو يحصلون على الرق إما عن طريق الأسر في الحروب أو بالإغارة على المناطق الوثنية حولها ولا سيما من ناحية الجنوب. وهناك المنتجات الإفريقية الأخرى التي صدرتها برنو وأهمها الجلود وريش النعام والعاج، كذلك كانت تصدر برنو الثياب والمنسوجات التي كانت تستخدم كعملة. وتعامل البرنيون كذلك بالودع والخرز والنحاس والورق. وبالإضافة إلى صناعة المنسوجات كان هناك صناعات اخرى اشتهرت بها برنو وهي صناعة الأسلحة من الحديد، والراجح أن صناعة الحديد وصلت هناك من مصر كما وصلت طريقة بناء القوارب.[4]

---

(1) المصدر السابق، ص 152.

(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(3) طرخان، **أمبراطورية البرنو الإسلامية**، ص 164.

(4) المصدر السابق، ص 167.

3.4.9.4 الجيش:

اشتهرت برنو بقوة الفرسان وحسن التسليح والتدريب، وكان الفارس البرنوي مضرب الأمثال. وكان سلاح الجيش البرنوي الغالب هو البنادق الذي حصل عليه من العثمانيين، ويعد هذا تطور كبير في السلاح في تلك البقعة من القارة الإفريقية وفي القرن الخامس عشر الميلادي وإذا قارنا هذا الوضع مع بريطانيا التي كانت لا تنتج زمن الملكة إليزابت التي وليت العرش البريطاني سنة 1557م إلا الأقواس والنشاب.[1] وبفضل هذا السلاح استطاعت برنو أن تحافظ على استقلالها فترة أطول، ولو أن امبراطورية صنغاي مثلاً وهي التي عاصرت برنو مدة طويلة كانت على علاقة ودية معها لكانت استفادت من سلاحها المتفوق في ذلك الزمن وقاومت الغزو المغربي لها (أي لصنغاي) في أواخر القرن السادس عشر الميلادي.[2]

3.4.9.5 العلاقات الخارجية:

فبالإضافة إلى العلاقات الوثيقة والمتينة مع مصر والتي تمخض عنها أيام الكانميون تأسيس مدرسة مالكية في القاهرة عرفت باسم مدرسة ابن رشيق لتعليم الطلاب الوافدين إلى مصر، كان لبرنو علاقات تجارية وثقافية أيضاً مع شمالي إفريقيا قائمة منذ أقدم العصور، وقد هاجر الكثير من سكان الشمال الإفريقي إلى برنو واختلطوا مع السكان الأصليين، ومع قدوم الإسلام وازدياد انتشاره وطدت برنو علاقتها مع بنو حفص في تونس الذين ساعدوا البرنويين في حروبهم الداخلية. وإلى جانب تونس تبادلت برنو السفارات مع طرابلس الغرب ونشات علاقات تجارية مع مالي التي كانت تصدر لبرنو النحاس، إلا أن علاقتها مع صنغاي كانت عدائية في كثير من الأحيان بسبب الصراع بينهما حول بسط النفوذ في بلاد الهوسا.

3.4.9.6 الأحوال العلمية:

من المعروف أن اللغة العربية كانت لغة التعليم ولغة الحكومة الرسمية فضلاً عن كونها لغة المعاملات التجارية، ثم إن اللغة العربية كانت لغة المراسلات الدولية وقد ظل هذا الأمر قائماً حتى عصر الاستعمار الذي قضى على اللغة العربية ولم يعد لها وجود

---

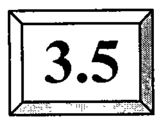
(1) المصدر السابق، ص 168.

(2)لمزيد من المعلومات عن هذا الغزو راجع الفقرة: 3.3.1.8 من الفصل الثالث للباب الثالث في هذا البحث.

إلا في المدارس الدينية الإسلامية التي ظلت تعلم القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية. وقد بلغ الأسلوب العربي درجة كبيرة من التقدم كما يبدو في المؤلفات العربية التي صدرت عن العلماء الوطنيين في تلك البلاد ومن الرسائل التي تبودلت بينهم وبين جيرانهم وكذلك بينهم وبين البلاد العربية.

وقد ظهر عدد كبير من العلماء برنو منهم "محمد بن ماني" الذي كان له فضل كبير في الدعوة إلى الإسلام ونشر التعاليم الدينية، وقد نهض بتعليم عدد من الملوك البرنيين العلوم الدينية والقرآن الكريم. ومن العلماء أيضاً الذين اشتهروا في برنو "إسحق إبراهيم الكانمي" الأديب الشاعر، كذلك الإمام أحمد بن فرتوا الذي عاصر الملك إدريس علومه والذي تعتبر كتاباته المرجع الرئيس لتاريخ برنو ولاسيما زمن ذلك الملك.

ولقد اشتهر ملوك برنو بالإقبال على التعليم وتشجيع العلماء واقتناء الكتب، وكان هؤلاء الملوك يصدرون ما كان يعرف عندهم باسم "المحارم" وهو منح امتيازات لكبار العلماء واسرهم المعاصرين.



الفصل الخامس

"دول-المدينة" الإسلامية

في جنوب شرق منطقة الساحل

نشأت في جنوب شرق منطقة الساحل وبالتحديد في ما يسمى اليوم دولة نيجريا ودولة بنين عدة دول-مدينة[1] إسلامية لعبت دوراً هاماً على الصعد السياسية والتجارية والحضارية في المنطقة، وقد كانت هذه الدول نموذجاً فريداً في التاريخ الإسلامي حيث انعدمت المساحات الكبرى والمركزية السياسية لهذه الدول وأضحى المركز والأطراف سيان. في هذا الفصل سنتكلم عن هذه الدول وعن نشأتها ونهايتها.

3.5.1 إمارات الهوسا:

تعتبر إمارات الهوسا[2] حالة خاصة مختلفة عن دول إفريقيا الغربية التي قامت في العصور الوسطى مثل ممالك غانة ومالي وصنغاي وكانم-برنو. فقد كانت هذه الإمارات عبارة عن عدد من "الدولة-المدينة" كل منها محاط بسور وتدعى "بيرني" يرأسها ملك يدعى "ساركي" وظلت جميعها منفصلة ولم تعرف الإتحاد يوما. وقد لعبت هذه الإمارات دوراً بارزاً في التجارة والسياسة وانتشار الدين الإسلامي في منطقة غرب إفريقيا وفي تطور وبروز حضارتها التي تعد اليوم من أهم ما تبقى من تراث بلك المنطقة.[3]

3.5.1.1 الموقع:

تقع بلاد الهوسا الآن في شمال دولة نيجريا والقسم الجنوبي من دولة النيجر، وإذا أزلنا الحواجز السياسية تكون الحدود الطبيعية لهذه البلاد هي: سهول خصبة محصورة بين

---

(1) الدولة-المدينة أو "City-State" هي نظام أو كيان سياسي محوره مدينة مستقلة تنحصر فيه السيادة والعصبية بمواطني المدينة. (أنظر: **موسوعة السياسة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، مج 2، ص 722).

(2) وتدعى أيضاً "الحوس" أو "الحوصا". وتطلق كلمة "هوسا" على اللغة والأهالي التي يتكلمونها والبلاد التي تشملهم.

(3)Xavier University of Louisiana, "Hausa Origins (to ca. 1000)", http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Hausaland/HausaOrigins03.htm, 2/11/2004.

الصحراء الكبرى وجبال "أير Aïr" من الشمال وثنية نهر النيجر في الغرب وبحيرة تشاد في الشرق والمناطق الساحلية لخليج غانا في الجنوب.

كانت بلاد الهوسا في الماضي تقع بين مملكتي صنغاي في الغرب وبرنو في الشرق وهذا الموقع جعلها مطمع هاتين المملكتين ولكنها لم تقع في قبضة النفوذ السياسي لأي منهما.[1]

3.5.1.2 أصل شعب الهوسا:

تنحصر المراجع التي تتكلم عن أصل شعب الهوسا بالقصص الشفهية والأساطير وفي ثلاث مصادر تاريخية يُفهم أنها كُتِبت في القرن التاسع الميلادي واعتمدت على تلك القصص والأساطير، وهذه المصادر هي: "تاريخ كانو" و"تاريخ الهوسا" و"أغنية باغودا Bagauda".[2] وقد استنتج المؤرخون من هذه المصادر أن شعب الهوسا لا ينحدر من دم واحد كالقبيلة بل هو مزيج ظل يحدث خلال عدة قرون بين السكان الزنوج الأصليين مع جماعات قبلية يعتقد أنها من الحاميين والبربر وقدمت من الصحراء في الشمال ومن الشرق من السودان.[3] وتذكر أساطير "تاريخ كانو" أن السكان الأصليين كانوا وثنيين يحكمهم ملك هو في نفس الوقت كاهن وصياد يعيش في عزلة عن الناس، أما "أغنية باغودا" فتنقل عن هؤلاء السكان أنهم كانوا يعيشون في قرى مستقلة ذاتياً على شكل عشائر، فتعرضت هذه القرى لغارات الوافدين وأضحت تحت حكم عدد من "الدولة-المدينة" التي بناها الوفدون.[4] وتروي الأساطير أن زعيم الوافدين[5] قدم من الشمال واقتحم مدينة "دوارا" وقتل أفعى خطيرة وتزوج ملكة من ملكات هؤلاء الزنوج ثم أنجب منها سبعة أبناء شيدوا إمارات الهوسا السبعة[6] وهي: بيرام Biram ودورا Dawra وغوبر Gobir وزاريا Zaria ورانو Rano وكانو Kano وكاتسينا Katsina، وتتابع

---

(1) شلبي، مج 6، ص 128.

(2) Hiskett, M, "Hausa", **Encyclopaedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1971, v. 3, p. 275.

(3) أنظر: المصدر السابق، مج 3، ص 275، وشلبي، مج 6، ص 129، و.Trimingham, p 126.

(4) Hiskett, M, , v. 3, p. 275.

(5) تقول الأساطير أن اسمه هو "أباياجيدا Abayaajidda" ويعتقد أنه من أصل عربي نُفي من بغداد وشق طريقه إلى بلاد الهوسا عن طريق برنو. راجع: .Trimingham, p 126 و
Xavier University of Louisiana, "Hausa Origins (to ca. 1000)", http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Hausaland/HausaOrigins02.htm'2/11/2004.

(6) وتدعى أيضاً: "هاوسا باكاوي Hausa Bakwai".

الأسطورة أن هذا الزعيم تزوج امرأة أخرى وأنجب منها سبعة أبناء أيضاً واستطاع هؤلاء الأبناء أن يشيدوا سبعة ولايات اخرى إلى الجنوب[1] هي : كبٍّ ونوب وجواري ويوري وكوارافا وإيلورين وزنفرة. وهناك اتجاه يرى أن غزو البربر لأرض الهوسا جاء في موجتين كبيرتين، ففي الموجة الأولى أسست إمارات الشمال وفي الموجة الثانية أسست إمارات الجنوب، وكانت الصلة وثيقى بين هذه وتلك.[2] ومما يرجح أن الحكام الأوائل لهذا الإمارات كانوا من أصل بربري هو خلافة الحكم عندهم التي كانت تقوم على أساس الصلة من جانب الأم وهو الإسلوب الذي كانت تتبعه قبائل البربر ولأن لغة الهوسا نفسها حين قام الباحثون بتصنيفها ظهر أنها أقرب إلى لغة البربر من أي لغة أخرى.[3]

3.5.1.3 إنشاء إمارات الهوسا:

بدأت نواة إمارات الهوسا من "دولة-مدينة" محاطة بأسوار تدعى "بيرني"، وكان في كل "بيرني" اكتفاء ذاتي في التجارة والصناعة وحتى في الزراعة لاحتوائها على مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية، وفي أوقات الحصارات كان سكان "بيرني" يصمدون طويلاً ويفتحون أبواب مدنهم أما القرى الصغيرة المجاورة. وعندما كانت أي "بيرني" تنتزع اعتراف القرى الصغيرة المجاورة لها و"البيرنيات" الأخرى بالسطوة تتحول هذه البيرني إلى عاصمة برئاسة حاكم يُدعى "ساركي" الذي ينشئ محكمة وتراتبية رسمية، بعد ذلك تخضع البيرنيات الأخرى كلياً لهذه البرنية المتطورة.[4] ويرى بعض الباحثين أن بعض الولايات (او بيرني) كان لها ميزة مختلفة عن الأخرى، فأقواها كانت ولاية غوبر التي كان اسمها يطلق على بلاد الهوسا كلها في كثير من الأحيان،[5] وفي المقابل كانت ولايتي بيرام ودوارا صغيرتين ومسالمتين لعدم تعرضهما لهجوم من جيرانها، أما ولايتي كانو وكاتسينا فكانتا تتمتعان بأهمية صناعية وتجارية غير موجودة في ولايات أخرى، أما ما يميز ولاية زنفرة في الغرب فكان تنوع المزيج العرقي لشعبها واختلاف الطبقة الحاكمة فيها عن بقية الولايات

(1) وتدعى أيضاً: "بنزا باكاوي Benza Bakwai".

(2) المصدر السابق، مج 6، ص 130.

(3) المصدر السابق، مج 6، ص 128-129.

(4) Trimingham, p 127.

(5) شلبي، مج 6، ص 130.

الأخرى.[1] وقد تكلم ليو الإفريقي[2] عن هذه الإمارات في القرن الخامس عشر الميلادي وعدد منها فذكر: كانو وكاتسينا وزاريا وزمفرة وغوبر[3].

كانت الزراعة هي العمل العادي لمعظم أفراد شعب الهوسا حتى أصبحوا يتمتعون بمستوى عال من المهارة في هذا الميدان، وكانت مدنهم أيضاً مراكز نشيطة للصناعات، فبالقرب من امارتي "رانو" و"كانو" كانت تتم صناعة الحديد في سهولة عجيبة بل يقال أن مؤسسي كثير من مدن الهوسا من الحدداين، كما أن نسج الأقمشة وصبغها كانت تعتبر من الصناعات الهامة في هذه المدن، كما أصبحت صناعة الجلد "الهوسوي" مشهورة في كل مناطق شمالي وغربي إفريقيا.[4]

وكان شعب الهوسا من أكثر الرحالة والتجار مغامرة، فقد كانت مدنهم تحتل موقعاً جغرافياً ممتازاً عند الطرف الجنوبي لأحد أهم طرق القوافل الصحراوية العظيمة الذي يصل شمالي إفريقيا بوسطها وغربها، وما ان انهارت مملكة صنغاي أمام الغزو المراكشي[5] في نهاية القرن السادس عشر تحول المجرى الرئيسي للحركة التجارية مع شمالي إفريقيا شرقاً إلى بلاد الهوسا، وقفزت إمارة كاتسينا بصفة خاصة إلى مكان الصدارة والشهرة وسرعان ما أصبح التجار الهوسيون يسيطرون على النشاط التجاري في جميع أنحاء إفريقيا الوسطى وتضخمت جاليتهم في كل المراكز التجارية المهمة، بل وأصبحت لغة الهوسا هي لغة التخاطب العامة في الأسواق.[6]

3.5.1.4 دخول الإسلام إلى إمارات الهوسا:

تذكر بعض المراجع[7] أن الرحالة ابن بطوطة[8] قد مر ببلاد الهوسا عام 1353م وأخذته الدهشة إذ رأى كثير من شعبها لا يزالون على الوثنية. إلا أنه من المؤكد أن الإسلام قد دخل إلى إمارات الهوسا بشكل تدريجي إذ أسلمت بعض الإمارات قبل

---

(1) Trimingham, p 126-129.

(2) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(3) أنظر: .Trimingham, p 133 وHiskett, M, , v. 3, p. 276.

(4) شلبي، مج 6، ص 130.

(5) راجع الفقرة 3.3.1.8 من الفصل الثالث في الباب الثالث.

(6) شلبي، مج 6، ص 130-131.

(7) أنظر: شلبي، مج 6، ص 131 وزكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية** ، ص 191-192 و Trimingham ص 130 ، وHiskett, M, , v. 3, p. 275.

(8) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

الأخرى ابتداءاً من القرن الرابع عشر الميلادي، وكانت ولاية كانو أول من دخلت في الإسلام وذلك عن طريق علماء ينتمون إلى قبائل الماندينغ[1] القاطنة في منطقة "وانغارا Wangara"[2]، ويقال أن الزعيم الذي وصل في زمنه الإسلام إلى كانو كان اسمه "ياجي" ومن ثم شُيدت المساجد وازداد عدد الذين يعتنقون الإسلام، وفي حماستهم العقيدية غزا الهوسا الجنوب ووصلوا إلى نهر النيجر ثم غزوا ولاية زاريا وقتلوا زعيمها.[3] وسرعان ما أخذ الإسلام ينساب في إمارات الهوسا وترسخ وجوده بفضل جهود الفولانيين[4] وأهل صنغاي وبعض المصريين وبفضل تعاليم المرابط التواتي محمد بن عبد القادر المغيلي[5] الذي أدخل الشريعة وبعض عناصر القانون الإسلامي إلى بلاد الهوسا[6]. وعلى هذا فان دخول الإسلام لبلاد الهوسا لم يكن في وقت واحد ولا من جهة واحدة، فالولايات الغربية تلقت الإسلام من صنغاي ومن الدول الإسلامية في الغرب، والولايات الشرقية من السودان أما الولايات الوسطى فقد تأخر وصول الإسلام إليها، فولاية كاتسينا لم يدخلها الإسلام إلا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وذلك بفضل بعثه دعوية من مصر، وفي القرن السادس عشر استولى أسكيا محمد ملك صنغاي[7] على أكثر إمارات الهوسا فساعد ذلك على على انتشار الإسلام فيها. وعندما تعرض علماء تمبكتو وجني للاضطهاد هاجروا إلى بلاد الهوسا ونشروا دعوتهم في أمن وطمأنينة.[8] وعلى الرغم من كل هذه الجهود بقيت الوثنية منتشرة في بعض هذه الولايات مثل ولاية غوبر في أقصى الشمال ولم يدخلها الإسلام إلا في القرن التاسع عشر الميلادي حين استطاعت جحافل الفولانيين[9] بقيادة "عثمان فودي"[10] أن تسقط هذه الدولة وتدخل الإسلام إليها بشكل واسع.

---

(1) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(2) منطقة تقع في أعالي نهر السينغال وهي اليوم في جمهورية مالي.

(3) زكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية** ، ص 194.

(4) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(5) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(6) Hiskett, M, , v. 3, p. 276.

(7) راجع الفقرة 3.3.1.6 من الفصل الثالث في الباب الثالث.

(8) شلبي، مج 6، ص 131-132.

(9) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(10) لمزيد من المعلومات عن هذا القائد راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

3.5.1.5 نهاية إمارات الهوسا:

منذ الشطر الثاني للقرن السابع عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر خضعت الأقاليم التي تعيش فيها قبائل الهوسا للسيطرة الإسمية لمملكة برنو وكانت هذه الأقاليم تتألف من امارات كانو وكاتسينا وزاريا وزنفره وكبي، أما غوبر فاحتفظت بسيادتها كما ذكرنا سابقاً. وخلال هذه الفترة وبالتحديد في القرن الثامن عشر لمع نجم قبائل الفولاني المسلمة والتي كانت منتشرة في شتى أقاليم الهوسا وكانوا يكوِّنون ما يمكن أن يسمى دولة داخل دولة لهم كثير من الإستقلال ولكن أخلاقهم الحميدة جعلتهم محبوبين في البقاع التي ينزلون بها. وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين بدأ حكام ولايات الهوسا يخافون نفوذ قبائل الفولاني التي كانت تنشر الإسلام في تلك البلاد فقام حاكم ولاية غوبر يتصدى لهذه القوة ويكبح سطوتها وعمد إلى اضطهاد أحد الرعايا المسلمين، فتدخل "عثمان فودي" الزعيم الديني لقبائل الفولاني في الأمر لدفع هذا الأذى، فغضب ملك غوبر وبعث في طلب عثمان، فلما رفض الإنصياع لأوامر الحاكم بعث الأخير الجند لإحضاره فاندلعت ثورة عارمة هبت في وجه هذا الحاكم قام بها أنصار الشيخ "عثمان فودي"[1] وجاء أتباعه من الفولاني[2] والهوسا من كل فج يباركون حركته وينتظمون في سلك دعوته فأعلن الجهاد[3] ونجح في اخضاع غوبر وسائر إمارات الهوسا الأخرى الوثنية والإسلامية وكون منها مملكة واحدة تابع له عام 1816م. وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي تقاسمت فرنسا وبريطانيا بلاد الهوسا بالإضافة إلى بلاد النيجر. وهكذا انتهى الدور الفعال لهذه الإمارات على يد الفولاني أولاً ثم الأوروبيين ثانياً.

3.5.2 مملكة يوروبا:

لم تلعب هذه المملكة دوراً هاماً في غرب إفريقيا بالمقارنة مع شقيقاتها غانة ومالي وصنغاي، لكن وجدنا أنه من الضروري المرور على ذكرها نظراً لكونها اسست من قِبَل المسلمين.

يعود أصل شعب اليوروبا إلى قوم عُرف باسم "أويو Oyo" الذي أسس امبراطورية

---

(1) لمزيد من المعلومات عن هذا الشيخ أنظر: الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(2) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(3) شاكر، محمود، **نيجيريا**، ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1971، (سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، رقم 2)، ص 20-21.

امتدت من جنوب نهر النيجر وحتى ما يُسمى اليوم بدولة بنين. دخل الإسلام هذه البلاد في القرن السادس عشر الميلادي على يد تجار من شعب صنغاي. وكان الحرفيون والتجار والمحاربون في هذه المملكة أو من اعتنق الإسلام، فقام هؤلاء مع وافدين مسلمين من الفولاني والبربر بالاستيلاء على الحكم وانشاء "دول- مدينة" أهمها كان إيبادان وإيلورين وذلك بين عامي 1797م و1837م[1]. وقد اشتهرت هذه المدن بمدارسها الإسلامية وعلمائها وبكونها مراكز لانتشار الإسلام كما كان الحال في مدينة لاغوس التي استوعبت عدد وفير من العبيد المسلمين العائدين من سيراليون والبرازيل.[2]

وقعت هذه المملكة كسائر الممالك الإفريقية في فريسة الاستعمار الأوروبي والتبشير المسيحي وذلك ابتداءاً من النصف الثاني للقرن التاسع عشر ولغاية بداية القرن العشرين، ومع ذلك ظل الإسلام ينعش وينتشر في تلك الظروف، ففي عام 1908م كان في إيبادان مساجد يفوق عدد الكنائس بثلاث مرات.[3]

واليوم هذه المناطق هي جزء من غرب دولة نيجِريا.

(1) Reichmuth, S, "Yoruba", Encyclopaedia of Islam. Leiden: E.J. Brill, 2002, v. 11, p. 338.

(2) المصدر السابق، مج 11، ص 338.

(3) Trimingham, p 231.



3

الباب الرابع

الاستعمار والتنصير والحركات الإصلاحية والجهادية الإسلامية في غرب إفريقيا بين القرنين 18 و19 الميلاديين

يتألف هذا الباب من ثلاثة فصول:



4.1

الفصل الأول

السيطرة الكلية للقوى الاستعمارية على غرب إفريقيا

4.1.1 بدء الاستعمار لإفريقيا الغربية وتطوره لغاية عام 1884م :

بدأ الاستعمار ينقض على إفريقيا الغربية منذ النصف الثاني للقرن الخامس عشر الميلادي على يد البرتغاليين، ففي شهر آب من عام 1415 احتل هؤلاء مدينة سبتة[1] المغربية فاتحين بذلك عهد الاستعمار الأوروبي في إفريقيا الغربية الذي امتد حتى منتصف القرن 20م. ومن تلك المدينة المتوسطية تابع البرتغاليون تغلغلهم في غرب القارة الإفريقية، ففي عام 1434 نزلوا في رأس أبو خطر أو كابو بوخادور Bojador Cabo[2] كما يسمى بالإسبانية[3] الذي يقع على سلسلة خطرة من الصخور على ساحل الصحراء الغربية[4]، وفي عام 1441 احتلوا الرأس الأبيض الذي يقع الآن على حدود موريتانيا مع الصحراء الغربية، وفي عام 1444 استولوا على الرأس الأخضر حيث تقع مدينة دكار السنغالية اليوم. وفي نفس القرن أي القرن الخامس عشر احتل البرتغاليون جزيرة غور Gorée قرب داكار، كما شهد عام 1460 وصول البرتغاليين إلى سيراليون فبدأت تجارة الرقيق التي ذهب ضحيتها عدد كبير من مواطني إفريقيا الغربية حيث كانوا يُؤخذون إلى لشبونة عاصمة البرتغال ويباعون هناك، ولم تتوقف هذه الممارسات إلا في عام 1833 حين أُلغيت تجارة الرقيق.

في عام 1471م حط البرتغاليون أيضاً على ساحل ما يسمى اليوم بدولة غانا والجزر

---

(1) تقع في أقصى شمال المغرب على مضيق جبل طارق لجهة البحر الأبيض المتوسط، وعندها تجهز طارق ابن زياد بالوسائل البحرية لقطع المضيق إلى أوروبا، واليوم تخضع المدينة للسيطرة الإسبانية وتدعى Ceuta.

(2) "Bojador, Cape", **Encyclopædia Britannica**, www.britannica.com/eb/article?eu=82605, 1.8.2003,

(3) Cohen, S,(ed). **The Columbia Gazetteer of the world,** NewYork:Columbia University, press, 1998, vol. 1, p. 411.

(4) لذلك دعي بإسم "أبو خطر".

المقابلة له فوجدوا الذهب بكميات هائلة فاحتكروا تجارته من خلال أنشاء قلعة ضخمة في مدينة "إلمينا Elmina"[1] وأطلقوا على تلك المنطقة اسم "ساحل الذهب". تعرض هذا الإحتكار البرتغالي إلى نكسة خلال القرن السادس عشر الميلادي حين دخل إلى المنطقة تجار من فرنسا وبريطانيا وهولندا، فبين عامي 1637م و1642م إحتل الهولنديون كل القلاع البرتغالية هناك لكنهم واجهوا منافسة شديدة من التجار البريطانيون الذين أنشاوا عام 1664م مراكز رئيسية لهم في قلعة مدينة "كِيْبْ كوست Cape Coast" التي تبعد حوالي 16 كلم شرقي مدينة "إلمنيا"، كما واجه الهولنديون منافسة أيضاً من أوروبيين غربيين كانوا يمخرون عباب البحر وعلى رأسهم الدنماركيين. وفي القرن الثامن عشر الميلادي حذا الهولنديون والدنماركيون حذو البريطانيين في إنشاء القلاع هناك فبلغ عددها نحو 40 قلعة ما زال بعضها موجوداً حتى الآن.[2]

وعلى الساحل الشمالي لإفريقيا الغربية لم يجد البرتغاليون منفعة من سواحل السنغال وغامبيا فأهملوها مما أفسح المجال لتدخل الهولنديين في القرن السابع عشر الميلادي فأسسوا (أي الهولنديون) عام 1617م محطة تجارية لهم على جزيرة "غور Gorée" قرب داكار. إلا أن هذه الجزيرة وقعت في أيدي الفرنسيين عام 1677م وجعلوا منها مركزاً لتجارة الرقيق. وكان الفرنسيون قد بدأوا بالتغلغل في تلك المنطقة من غرب إفريقيا منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي وأسسوا مراكز لهم هناك أهمها قاعدة "سان لوي St. Louis" التي بُنِيت عام 1659م.

ومع بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي أصبحت معظم سواحل إفريقيا ومجاري أنهارها مقسمة بين فرنسا وبريطانيا والبرتغال وكل دولة من هذه الدول كانت تضمر الشر للأخرى لتنتزع منها ما استولت عليه من أراضٍ وممتلكات في تلك البلاد.

4.1.2 تأثير الأوضاع السياسية في أوروبا على استعمار غرب إفريقيا لغاية عام 1884م:

في النصف الأخير من القرن التاسع عشر حققت ألمانيا وحدتها بانتصارها على فرنسا ودخول جيوشها مدينة باريس وإجبار الفرنسيين على توقيع معاهدة فرنكفورت عام 1871م. على إثر ذلك بدأت حركة ثورية حولت الشعب الألماني إلى شعب عملي يثق

(1) تقع على بعد حوال 170 كلم غرب مدينة أكرا.

(2) Fage, J. D., "Ghana: Precolonial period", **Encyclopedia Americana**, 1995, v. 12, p 716.

بقوة الحديد والنار، وكان لا بد من توجيه هذه القوة الفتيّة إلى ميادين الصناعة والتجارة، واستطاعت الحكومة الألمانية أن تضع سياسة صناعية موحدة بعد توجيه أموال التعويضات الحربية التي حصلت عليها من فرنسا إلى تمويل الصناعة، كما استفادت من الصناعات الناجحة في إقليم الألزاس واللورين. ومن هنا بدأت الصناعات الألمانية تجد طريقا نحو الأسواق العالمية.[1]

نتيجةً لهذه التطورات أصبحت ألمانيا غنية بمواردها الاقتصادية والتجاريّة وازداد حماس الشعب الألماني فأخذوا يتطلّعون بدورهم إلى الاستعمار والميادين الجديدة خارج بلادهم، لكن المستشار الألماني "بسمارك Bismarck" وجد أن من الحكمة عدم تشتيت جهود شعبه في الميادين الخارجية خوفا من فرنسا التي لا تزال قوية وتتطلّع إلى استرداد ما ضاع منها، وخشية أن تتأثر منه فرنسا رسم "بسمارك" سياسته على أساس البقاء قويا داخل القارة الأوروبية، وفي الوقت نفسه شجّع فرنسا على التوجه نحو العالم الخارجي ونجحت هذه السياسة إلى حين، وتمكّن "بسمارك" أيضا من عقد عدة تحالفات مع دول أوروبا لحماية نفسه من الثأر الفرنسي فأسّس في عام 1879م التحالف الإمبراطوري الثلاثي بين روسيا وألمانيا والنمسا وانضمت إليه إيطاليا في عام 1882م لكن ألمانيا أحسّت أنه من اجل تحسين صناعتها وتطوير تجارتها وقدرتها على المنافسة الدولية فلا بد من البحث من مستعمرات غنية توفّر لها المواد الخام التي تتطلّبها الصناعات الحديثة، وفي الوقت نفسه تجد السوق التي يمكن أن تصرّف فيها هذه المنتجات، وكانت القارة الأفريقية هي المجال الحيوي الخصب أمام طموح الألمان خصوصا بعد أن عاد الرحالة والمستكشفون ونشروا رحلاتهم في مجلدات ضخمة كشفت الكثير من كنوز القارة ومواردها، ولم يكن لدى ألمانيا سوى التحرك السريع لأخذ نصيبها من هذه المواد الاستراتيجية للصناعات الحديثة.[2]

ففي عام 1878م أنشئت الجمعية الألمانية للدراسات الأفريقية في مدينة برلين وبدأ المستكشفون الألمان يعملون في بعض المناطق الواقعة في أفريقيا، وتكاتفت الجهود الألمانية لكي تكون لهم المستعمرات في القارة، وفي غضون عام كوّن أربع مستعمرات داخل القارة ومن ضمنها توغو في غرب القارة. وكانت هذه السياسية التي أعلنها "بسمارك" فجأة

---

(1) إبراهيم، عبد الله عبد الرزاق، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 1409 هـ- 1989م ، (سلسلة عالم المعرفة، عدد 139)، ص 18.

(2) المرجع السابق، ص 18.

قد أجبرت بريطانيا سياسة الحياد والعزلة أمام هذه القوة الألمانية الناشئة، وبدأت في عهد رئيس الوزراء البريطاني "دزرائيلي" Disraeli اليهودي وزعيم المحافظين في بريطانيا سياسة خارجية نشطة لكي تخرج من عزلتها، وتعيد للشعب البريطاني مكانته على خريطة العالم السياسية، وكان "بسمارك" يدرك هذا الشعور البريطاني ويحاول بقدر الإمكان إرضاء البريطانيين في تلك الحقبة من التنافس الاستعماري، وتحرّكت بريطانيا في جنوب القارة الأفريقية أمام وسائل الضغط الفرنسية والألمانية ودخلت في صراعات مع الألمان في شرق القارة ومع الفرنسيين في غربها فكان هذا بداية التكالب الأوروبي على القارة الأفريقية، وكان موقف فرنسا شبيها بالدول الأخرى حيث ظهرت عوامل جديدة ساهمت بشكل فعّال في دفع فرنسا نحو الاستعمار، وتمثّلت في الإنجازات التكنولوجية المشهورة في العالم، وفي الروح القومية التي تولدت لدى الشعب الفرنسي بعد هزيمته أمام الألمان في عام 1871م، كما كان لفقدان الألزاس واللورين الأثر الكبير في إثارة الشعب الفرنسي نحو إظهار أنهم ما زالوا أقوياء وقادرين على التوسع واستكمال مهمتهم الحضارية، وبدأت هذه السياسة الفرنسية تنفذ مشاريعها في غرب أفريقيا حيث أخذ التجّار الفرنسيون يشقون طريقهم إلى داخل افريقيا الغربية في حوض وادي نهر السنغال بهدف ربط السنغال وأعالي حوض نهر النيجر بخط حديدي لكي تسيطر فرنسا على منتجات غرب القارة. وكان لهذا الإجراء أثره على المراكز التجارية البريطانية في غامبيا كما أنه يؤثر بشكل غير مباشر في الطرق التجارية المؤدية إلى ساحل الذهب[1] وسيراليون.[2]

في مقابل ذلك اضطرت بريطانيا إلى تقوية نفوذها القنصلي في غرب القارة خلال العقد السابع من القرن التاسع عشر، وكان لظهور الفرنسيين كقوّة مؤثّرة في مسرح الأحداث أثره في تغيير نظرة الساسة البريطانيين نحو المنطقة، وكان لابد من التكالب بين الدولتين، ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة من الصراع بين الدول الأوروبية تجاه القارة الأفريقية.

4.1.3 مؤتمر برلين المتعلق بغرب إفريقيا (1884–1885) ونتائجه:

وفي خضم هذا المناخ من المزاحمة بين القوى الاستعمارية الذي سيطر عليه الشك والريبة والتوتر وخاصة بين فرنسا وبريطانيا من جهة والبرتغال من جهةٍ أخرى إقترحت

---

(1) يشمل اليوم دولة غانا وقسم من توغو.

(2) إبراهيم ، ص 19–20.

الأخيرة عقد مؤتمر دولي لتأكيد سيطرتها على حوض نهر الكونغو[1]، وقد لبت الدول الأوروبية هذا الإقتراح لتقسيم القارة الإفريقية بينها من دون إعتبار لآراء الإفريقيين أنفسهم.[2]

وهكذا عقد في برلين مؤتمر دولي بين 15 تشرين الثاني 1884 و26 شباط 1885 عُرف باسم "مؤتمر الكونغو" للتباحث في شأن السيطرة الأوروبية الاستعمارية على غرب إفريقيا، وقد حضره 14 دولة على رأسهم بريطانيا وفرنسا والبرتغال وبلجيكا وألمانيا، أما باقي الدول فشاركت من دون أن يكون لها دور فعال في القرارات ومنها: النمسا والدنمارك واسبانيا وإيطاليا وروسيا والسويد والنرويج والدولة العثمانية والولايات المتحدة. أما الغائب الرئيسي في هذا التجمع الدولي فكان الشعب الإفريقي نفسه الذي لم يكن ممثلاً بالكامل في أي من المباحثات التي جرت[3].

لم يتم الإتفاق في هذا المؤتمر على أي تقسيمات إقليمية بل تمت الموافقة على انشاء مناطق نفوذ في غربي القارة تابعة لكل من بريطانيا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وبلجيكا، وجدير بالذكر أن الحدود بين مناطق النفوذ هذه أصبحت الحدود الدولية الرسمية لدول غرب إفريقيا والتي أقرتها منظمة الوحدة الإفريقية عام 1963م. أما الإتفاقات الرسمية التي عقدت في هذا المؤتمر فتعلقت بالتجارة الحرة في مجرى نهر الكونغو وبتدابير الشحن في حوض نهر النيجر.

لقد قسّم هذا المؤتمر غربي القارة الأفريقية بشكل غير رسمي ينسجم مع مواقف الدول الأوروبية، كما أعطى اعترافا دوليا لموقف كان موجودا بالفعل حيث بدأت الدول بعد المؤتمر بالسيطرة المباشرة على القارّة بشكل سريع.

4.1.3.1 تنائج مؤتمر برلين:

4.1.3.1.1 بدء النفوذ المباشر لفرنسا وبريطانيا في غرب إفريقيا:

وبعد أن وضعت الدول المشتركة في المؤتمر أسس تقسيم القارة الأفريقية بدأت الدول الأوروبية خطتها لتقسيم القارة فبدأت بريطانيا في حزيران 1885م بتكوين محمية لها على

---

(1) "Berlin West Africa Conference", **The New Encyclopædia Britannica**: Micropædia, 15ed, London: Encyclopædia Britannica, 2002, vol. 2, p. 138.

(2) Reuss, Prinz Heinrich VII, "**Historical Briefing for Berlin West Africa Conference healing process**", http://www.peaceworks.org.uk/prayer/reports/, 18.11.2004

(3) المصدر السابق.

مجرى النيجر وفي المنطقة الواقعة بين لاغوس ودولة الكاميرون، ثم توسعت شمالا لتصل إلى الدول الإسلامية في إمبراطورية الفولاني[1] ودخولها في صراع مع هذه الدول الإسلامية. وفي عام 1893 م تأسّست مستعمرات فرنسية في ساحل العاج وفي غينيا الاستوائية ودخلت القوات الفرنسية داهومي[2] وعزلت ملكها ويدعى "بهانزين Behanzin" وهو آخر ملوكها المستقلين وصارت داهومي مستعمرة فرنسية في أوائل القرن العشرين[3]، ثم بدأت التوسع الفرنسي الكبير في غرب أفريقيا في حوض نهر السنغال، حيث التقت القوات الفرنسية بإمبراطورية التوكولور بزعامة "أحمد شيخو" نجل الحاج "عمر الفوتي"[4] زعيم الطريقة التيجانية[5] في غرب القارة الأفريقية وخليفة والده في حكم الإمبراطورية، واستمرت الاشتباكات بين القوات الفرنسية وقوات الشيخ "أحمدشيخو" حتى انهارت هذه الإمبراطورية، ودخل الفرنسيون وادي النيجر الأعلى، واستولى على باماكو في مالي عام 1883، كما التقت مجموعة من الفرنسيين بساموري توري[6] أحد قواد المسلمين من قبيلة الماندينغ[7] الذي نجح في عام 1870م وبعد سلسلة من الغزوات في توحيد قبائل الماندينغ في المنطقة الشاسعة ما بين حوض نهري الفوتا العليا والنيجر، وصار خصما عنيدا للفرنسيين، ورغم احتلالهم لمعظم مناطق في عام 1891م، إلا انه لم يهزم نهائيا إلا في عام 1898م، وفي عام 1894 استولى الفرنسيون على مدينة تمبكتو، واستولوا على مدينة "ساي Say"[8] ولكنهم وجدوا مقاومة من القوى الوطنية، كما وجدوا معارضة من بريطانيا صاحبة الادعاء في هذه المناطق. فبعد أن تولّى "تشامبرلين" مسؤولية وزارة المستعمرات البريطانية في عام 1895م أدرك أن شركة النيجر الملكية عاجزة عن مجاراة المنافسة الفرنسية في هذه المنطقة التي كانت قد امتدت إلى كل من مدينة "بورغو Borgu"[9] ومدينة "ساي Say" وهي مناطق قريبة من مجال النفوذ البريطاني في دولة

(1) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.
(2) تدعى اليوم "بنين".
(3) لمزيد من الإطلاع عن هذا الموضوع راجع الفصل المخصص عن "بنين" في الملحق.
(4) للاطلاع على سيرة حياة الحاج عمر الفوتي وإنجازاته أنظر الفقرة 4.3.2 من الفصل الثالث للباب الرابع.
(5) للاطلاع على الطريقة التيجانية أنظر الفقرة 2.3.3.1.2 من الفصل الثالث للباب الثاني في هذا البحث.
(6) لمزيد من المعلومات عن هذا القائد أنظر الفقرة: 4.3.3 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.
(7) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.
(8) تقع اليوم في دولة النيجر جنوب العاصمة نيامي على نهر النيجر.
(9) تقع اليوم شمال دولة توغو.

سـوكوتو الإسـلامية[1] فبمجـرد احـتلال الفرنـسيين لمدينة برغو Borgu عيّن "تشامبرلين" الكـابتن "فـريدرك لـوجارد F. Lugard" في عـام 1897م، ليتولى الإشراف على "قوّة حدود غرب أفريقيا" والتي عُرفت باللغة الإنكليزية بإسم: "Frontier Forces West Africa"، وقد تمكنت هذه القوة من السيطرة على هذه المنطقة وضمها إلى التاج البريطاني بعد أن وقّعت معاهـدة مـع فرنـسا في 14 حزيران 1898م قبل الفرنسيون بمقتضاها ادعاءات بريطانيا في دولـة سـوكوتو. وبعد عامين تولّت الحكومة الإشراف على نيجيريا الشمالية، وهذا يعني الدخـول في صـراع مـع الدولـة الإسلامية في سوكوتو، وهو الصراع الذي استمر ثلاث سـنوات متـصلة مـن الكفـاح والنـضال الإسـلامي المـشرّف ضد القوى الأوروبية حتى سقطت دولة (سوكوتو) عام 1903 م.

وهكذا استطاعت فرنسا في فترة وجيزة أن تُحكِم سيطرتها على هذه المناطق الشاسعة مـن غـرب القـارة ووسـطها، وأن تؤسّـس أفـريقيا الفرنـسية الغـربية وأفـريقيا الفرنسية الاسـتوائية، وان تقـسم هـذه المـناطق الـشاسعة سـواء في حـوض الكونغـو أو في منطقة الغابـون أو في وسـط القـارة وكان هذا التنافس مع غيرها من الدول الأوروبية التي على قـدم وسـاق لبـسط الـسيطرة علـى كـل المـناطق الأفـريقية. ولقـد اسـتطاعت فرنـسا بدبلوماسـيتها أن تعقـد المعاهدات وأن تتفق مع الزعماء على بسط نفوذها وحمايتهم تارة بالإقـناع، وأخرى بالتهديد والوعيد، وبعد أن حكمت قبضتها على زعماء الداخل سلما أو حـربا راحـت تتّفق مع القوى الأوروبية الأخرى التي عقدت معها المعاهدات لتحديد مـناطق الـنفوذ. ولقـد شـهد الـربع الأخـير مـن القـرن التاسع عشر سلسلة ضخمة من معاهدات واتفاقيات انتهت بتقسيم القارة الأفريقية بين هذه الدول الأوروبية[2].

4.1.3.1.2 التصادم مع القوى الوطنية المحلية:

وكـان مـن نتائج هذه السيطرة والإنقضاض هو الاحتكاك بالقوى الوطنية المحلية التي كانـت هـي الأخـرى تـسعى لتوحـيد الكلمة حول حركات إصلاحية إسلامية. فشهدت أفريقيا الغربية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر تلك السلسلة المستمرة من الحروب بـين القـوى الإسـلامية والـدول الأوروبية التي سعت من أجل الاحتلال الفعلي لأقاليم

(1) لمـزيد مـن المعلـومات عن هذا الدولة أنظر الفقرات: 4.3.1.5 – 4.3.1.6 – 4.3.1.7 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(2) الجمـل، شـوقي وعـبد الله، إبـراهيم، تـاريخ إفـريقيا الحـديث والمعاصـر، الدوحـة: دار الثقافة، 1987، ص81 .

القارة حسب قرارات مؤتمر برلين. وقد رافق هذا الإحتلال دخول المبشرين الذي نتج عنه الصدام بين المسلمين والمسيحيين الجدد فأصبح ظاهرة بارزة في تاريخ أفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر، ولم يتوقف الصدام حتى قيام الحرب العالمية الأولى. ومن هنا تظهر قيمة الكفاح الأفريقي المسلح، وتتّضح الجهود التي بذلها الأفارقة وقادة الجهاد الإسلامي في مقاومة هذه الهجمة الاستعمارية على كل أرجاء القارة وخصوصا في افريقيا جنوب الصحراء، حيث بدأت المواجهة بين زعماء المسلمين وقوى الدول الأوروبية التي كانت تسعى لوضع أسس الاحتلال الفعلي موضع التنفيذ.

4.1.3.1.3 النتائج غير المباشرة لمؤتمر برلين:

غيرّ مؤتمر برلين الملامح الرئيسية لتلك القارة بعد أن نظمت عمليات السيطرة وتنتهي بذلك قصة الصراع الأوروبي على افريقيا وتظل بصمات هذا المؤتمر وأثاره السياسية تنعكس سلباً على القارة الأفريقية حتى بعد استقلالها، وستظل مشكلات الحدود الأفريقية بشكلها الراهن وهي ثمار مؤتمر برلين المتعلق بغربي إفريقيا والذي عقد بين عامي 1884/ 1885م من أبرز المشكلات التي تواجه أبناء أفريقيا في مسيرة التقدم الاقتصادي والاستغلال الوطني لمواردهم التي مزقها الأوروبيون، واستعملوها بشكل سيئ طوال الحقبة الاستعمارية لكن إذا كانت الدول الأوروبية قد سوّت مشكلاتها مع بعضها، وقسمت القارة فيما بينها فإن هذه القوى نسيت أن القارة الأفريقية غنية بأبنائها وخصوصا من المسلمين الذين واجهوا هذه القوى الأوروبية. وأعلنوا الجهاد ضد هؤلاء الغزاة، ولم تجد الجيوش الأوروبية الطريق مفروشا بالورود بل واجهت أوروبا مقاومة إسلامية قوية.[1]

4.1.4 نتائج الاستعمار على إفريقيا الغربية:

وكما ذكرنا سابقاً فإن افريقيا الغربية كانت مسلمة في أول عهدها، وكانت معظم مناطقها تحكم بشرع الله تعالى، ولقد سبقت لها إمبراطوريات مزدهرة ودويلات تقام فيها شريعة الله تعالى، ولما دخل الاستعمار إلى هذه البقاع المباركة قام بتغيير كل هذه المناطق القيّمة والإمبراطوريات المزدهرة لمصالحهم الشخصية وحقدهم على هذا الدين الحنيف، لأن نواياهم الباطنة والظاهرة كانت قائمة على جعل شعب هذه القارة المسلم الذي كان يعيش بسلام واطمئنان يعيش على تخلف وبُعد عن الدين الإسلامي الحنيف وعلى

(1) إبراهيم، ص 25.

اقتصاد مخرب تم تسخيره لصالح المستعمرين الذين أوهموا الإفريقيين أن ذلك الاستعمار يعني إعمار افريقيا وتأمين كل ما يحتاج إليه هذا الشعب، ولكن الظاهر نجد خلاف تلك النوايا، فالمستعمرين جلبوا المصائب والويلات على هذه القارة وقاموا بتغيير كل ما يدل على حضارة هذا الشعب كما علّقوا اقتصاد إفريقيا باقتصادهم يرفعونه متى شاءوا ويخفضونه متى شاءوا.

هل تغيّرت أفريقيا عموماً وإفريقيا الغربية خصوصاً في عهد الاستعمار؟ نقول نعم تغيرت... ولكن إلى الأسوأ وليس إلى الأحسن، طرأ عليها الكثير وتغيّرت من حال إلى حال، كانت أرضها قبل الاستعمار كما ذكرنا تشهد دولا كبيرة وموحدة، وكان معظم أهلها منتجين يستخرجون الذهب ويتاجرون به فيعم الهنا والخير أفراد المجموعة، فأصبحت في عهد الاحتلال الأجنبي دولاً صغيرة مجزّأة، دخل نصف القبيلة في دولة والنصف الآخر في دولة أخرى. إن هذا يعرفه كل الأفريقيين وغيرهم من الرجال المنصفين، وهناك أكثر من دليل وبرهان على هذا التغيير بعد دخول الاستعمار من الجيد إلى السيئ، وهناك أكثر من شاهد يشهد بذلك، فقد اعترف الكثير من الأوروبيين في مقالاتهم وكتبهم بأنهم ظلموا القارة وأهلها، حطّموها وجزّؤوها، ولو أبقوها على ما كانت عليه قبل دخولهم لطوّرها أهلها على الأسس غير الأسس التي جاء بها المغتصب الذي دخلها مدّعيا التعمير (أو بالحري الاستعمار) وخرج منها تاركا وراءه التخريب والدمار والفقر.

سنعالج في الصفحات القليلة الآتية بعض ما حلّ بأفريقية على عهد المحتل الذي يدّعي بأن البلاد الأفريقية قد تقدّمت في عهده.

4.1.4.1 التجزئة:

جاء في تقرير اللجنة الاقتصادية التابعة لهيئة الأمم المتحدة عن افريقيا الغربية عام 1962 م ما يلي: " لا توجد مناطق أخرى في العالم بهذا العدد الكبير من الدويلات الصغيرة، صغيرة من حيث الإنتاج ومن حيث السكان" . إن الإقليم المهم الوحيد الذي يشبه إفريقيا من ناحية تعدد الدول هو أميركا الوسطى إذ قامت الدول الاستعمارية بتمزيق أفريقيا كتأمين وعند بدء القرن العشرين كانت الحكومات الأوروبية تدّعي السيادة على كل الوحدات السياسية البالغ عددها أربعين وحدة. إن تقسيم أفريقيا وخاصة القسم الغربي منها كان نتيجة للصراع بين القوى الاستعمارية نفسها، وكانت عملية التجزئة ليس في صالح الشعوب الأفريقية وكانت النتيجة تعدّد الثقافات وتعدد

الأحزاب وتعدد السياسات الاقتصادية، وكلها عقبات وضعت في طريق الوحدة الأفريقية واستعادة أفريقية لقوّتها وحيويّتها.[1]

4.1.4.2 الجهاز الحكومي:

بقيت افريقيا يحكمها الأفريقيون أنفسهم -وغالبهم كانوا معلّمين- دون غيرهم قرونا عديدة حتى جاء الاستعمار وبدأ التقسيم وقضى على الحكومات الإسلامية والوطنية التي كانت من الشعب الأفريقي وتعمل من أجله، لها قواعدها وقوانينها الخاصة التي تحكم بها والتي كان يقوم معظمها على شريعة الإسلام، وكانت العلاقة بين الحكومة والشعب علاقة متينة واضحة لا غموض فيها.

جاء الحكم الأوروبي إلى إفريقيا فغيّر الأساليب المعروفة تغييرا جذريا، وفرض أسلوبا جديدا من الحياة لم يألفه ويتفهّمه الإنسان الإفريقي، ولم يعد للإفريقي حق النقاش والإقناع، حلّ نظام العقوبات الأوروبي محل الشريعة الإسلامية والأعراف التقليدية الأفريقية التي كان يعرفها الأهالي ويطيعونها طاعة نابعة من الاقتناع بصلاحيتها للمجتمع، الكل يعرف حقوقه وواجباته.[2]

جاءت طريقة الحكم ووضع القوانين التي قام بها الأوروبيون في إفريقيا عفوية وإرتجالية، فلم يكن لهم إطلاع أو معرفة بالأقاليم وسكانها، فكانوا يجهلون حدود انتشار القبائل والممالك لكي يضعوا لكل منها أنظمة وقوانين تتمشّى ما ألفوه من قبل، وكانت النتيجة أن أصبحت قبيلتين أو شعبين يخضعان لإدارة واحدة، ما تقبله قبيلة ترفضه الأخرى، ونجد أحيانا أن الشعب الواحد أو القبيلة الواحدة أصبحت بعد التقسيم مقسّمة بين إقليمين أو أكثر، لكل إقليم إدارته الخاصة فأصبح كل جزء من القبيلة خاضعا لأسلوب في الحكم واللغة يختلف عن الجزء الآخر. كما كانت القوانين والتشريعات والأنظمة تصدر من هيئات الاحتلال الذين لا يمثّلون مصلحة الشعب الإفريقي، أما المجالس التنفيذية أو السلطة المنفذة للقوانين، فكانت بيد حاكم عام يساعده موظفون كبار هم كلهم من الأوروبيين، فكان حكّام المقاطعات الفرنسية مثلاً يمنحون سلطة إعلان حالة الطوارئ وهي السلطة التي لا يمارسها في فرنسا إلا البرلمان أو رئيس الجمهورية. ولما

---

(1) مسعود، جمال عبد الهادي محمد ورفعت، جمعة وفاء محمد، **أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ إفريقيا**، ط2، القاهرة: دار الوفاء، 1407هـ، ص 84.

(2) المصدر السابق، ص 85.

أراد الأوروبيون إشراك الأفريقيين في الحكم جاءوا بزعماء موالين لهم لذلك لم يتعاون معهم الشعب، إذ أن كثيرا من الأمور التي تحلو للزعماء لا تقبلها الشعوب.

4.1.4.3 الزراعة وملكية الأرض:

تميّزت الزراعة قبل الاستعمار بكونها زراعة محاصيل غذائية تقدّم للسكان ما يجعلهم أصحّاء قادرين على العمل يزداد عددهم يوما بعد يوم. وكانت الأرض ملكا للقبيلة يعيش أفرادها كأسرة واحدة يعمل جميع أعضائها لتقديم الغذاء إلى كل فرد فيها. جاء المستعمرون واستولوا على الأرض بالقوة، ثم سنّوا قانون حيازة الأرض وحرّية بيعها وشرائها. وبعد أن أصبحت الملكية للأفراد جاءت الشركات واحتكرت شراء السلع الزراعية فاضطر الفلاح الأفريقي أن يزرع ما تشتريه الشركة المحتكرة كلها من المحاصيل النقدية. فبرزت سياسة المحصول الواحد التي زاولها الاستعمار في أفريقية بشدة، حيث تخصص مناطق واسعة وأحيانا إقليما برمته لانتاج محصول أو محصولين فقط، فاختصت غانا مثلاً بزراعة الكاكاو وغامبيا بزراعة الفول السوداني ونيجيريا بزيت النخيل وهكذا.

كما أن سياسة انتشار زراعة المحاصيل النقدية[1] قضى على مساحات واسعة من الغابات وأخشابها الثمينة. كما حصل في جنوب غانا ونيجيريا وحيث امتد الخراب إلى حدود المناطق الخضراء فأصبحت الرياح الصحراوية الجافة تجد لها منفذا في إقليم الكاكاو في الجنوب وتؤثر على إنتاجه.[2]

4.1.4.4 التعليم:

كان في غرب أفريقيا قبل أن يدخلها المستعمرون متعلّمون وفقهاء، وكانت المدارس التقليدية مفتوحة للجميع لأن الشعب الأفريقي متحّمس لفتح مدارس ولو من أموال قليلة كما كانت طبيعة هذا الشعب تواقة للتعلم والثقافة، لكن المحتل عند قدومه لغرب إفريقيا لم يشجع هذه الطريقة، فأغلق المدارس التي بناها الأفريقيون وساهم في إدارتها، كما استهدف التعليم الاستعماري ربط الأجيال الناشئة بمفاهيم خاطئة وقيم فاسدة تشيد بقوة المستعمرون وتهدف إلى تعميق الولاء للغرب وأساليبه والتقليل من قيمة الحضارات

---

(1) المحاصيل النقدية أو CashCrops بالإنكليزية هي المحاصيل التي يتم إنتاجها وجنيها أساساً من أجل التسويق وكسب المال فقط وليس ليستعملها المزارع في إطعام عائلته أو دابته. (أنظر: عمر، حسين، موسوعة المصطلحات الاقتصادية، ط2، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1967، ص 249)؛ وأنظر أيضاً:
Cash Crop", http://en.wikipedia.org/wiki/Cash_crop".19.11.2004.

(2) مسعود، ص 87.

والثقافات الوطنية وذلك بالتركيز على فصل الدين عن الحياة بإنشاء المدارس العلمانية، وعرض التاريخ الأوروبي بما فيه الصراع بين الكنيسة والدولة والحروب الدينية الصليبية وبهذا ينشأ جيل علماني يرتبط بالثقافة الغربية.

4.1.4.5 محاربة اللغة العربية وتعدّد اللغات المستعملة:

جميع الدول الاستعمارية في إفريقيا حاربت اللغة العربية وحدّت من انتشارها فأدى عدم استخدام اللغة العربية في البلدان الإفريقية الإسلامية إلى انتشار لغة المستعمر، سواء كانت الفرنسية أم الإنكليزية أم البرتغالية أم الإسبانية، وهذه من العوامل التي كانت عائقاً في انتشار الإسلام. ومن أمثلة ذلك أوغندا، فقد وصلت اللغات التي تذيع بها إذاعتها عام1389 هـ 1969م إلى ثماني عشر لغة، تقلصت بعد ذلك إلى اثنتي عشر لغة. وتضم مجموعات اللغات الأفريقية عدد من الألسن واللهجات يصل قرابة الثمانمائة وهذا يشكل عبئا أمام الدعوة الإسلامية فيضطر الداعية المسلم أن ينقل الدعوة باللغات الأوروبية التي فرضها المستعمر على هذه الشعوب وهي لغة وسطية بين الطرفين لكنها موصل غير جيّد وغير معبر. ومن هنا كانت ضرورة تشجيع أبناء أفريقيا المسلمين على الدراسة في البلدان العربية والإسلامية ليتمكنوا من فهم الدين الحنيف جيداً ومن ثم القيام بالدعوة بين قومهم.

4.1.4.6 التبعية الاقتصادية:

ارتبطت الاقتصاديات الأفريقية باقتصاد الدول الاستعمارية السابقة، فالدول التي تحررت من فرنسا مثلا ما زال السواد الأعظم منها يعيش في دائرة الفرنك ونقده مرتبط بالسياسة النقدية الفرنسية ويخضع لتطوراتها، أما المصارف والبيوت المالية فهي في أغلبيتها الساحقة مؤسسات أجنبية أو فروع لمؤسسات قائمة في الدول التي كانت تفرض سلطانها على القارّة.

4.1.4.7 المواصلات:

أما المواصلات فلم يدعم المستعمرون وسائل النقل إلا بما يتفق وأهدافهم ورغباتهم في استنزاف ثروات القارة. فالشلالات لم تستغل في توليد الطاقة الكهربائية إلا في أضيق الحدود، والسكك الحديدية كان هدفها مصالح الاستثمارات الأجنبية فقط بغض النظر

عـن الـتكامل الاقتـصادي والحـضاري للمستعمرة الواحدة[1]. وما زال الكثير من المواد الخـام المعدنية كالماس والذهب والفضة والنحاس والكبريت والرصاص والبترول تصدّر إلى أوروبا وأميركا كمواد خام من موانئ تصدير التي أعدت لذلك فقط.

وهكـذا غيّـر الإسـتعمار الكـثير مـن ملامـح إفـريقيا الغـربية وخصوصاً في مجالات الاقتـصاد والمجتمع والسياسة وحاول أن يصبغها بصبغة تتفق ومصالحه وتطلعاته. ولكن هل سيبقى العالم الإسلامي غافلاً وعاجزاً عن فعل أي شيء؟

(1) المصري، ص 665.



4.2

الفصل الثاني
التبشير والتنصير في غرب إفريقيا

يخطئ من يظن أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها، ويكون مخطئا من يتصوّر أن أعداء الإسلام قد سكتوا عنه بعد أن تحالفوا ضد أهله فغلبوهم، وجعلوا منهم أمما بعد أن كانوا أمة وفرقا بعد أن كانوا واحدة، إنما الحقيقة هي أن أعداء الإسلام يدبّرون لمحاربته دائماً بكل وسيلة، ويحشدون للوقوف كافة القوى للوقوف في وجهه، ويعتقد المبشرون أن "الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا".[1]

وليس خطر الكلمة والفكرة بأقل من خطر الجندي والسلاح في المعركة التي يشنّها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله فقد قدّم المنصّرون في أفريقيا للتلميذ في المدرسة مبادئ هدّامة ومنافية لمبادئ الإسلام، وقدموا للإفريقي نظما تنافي الطقوس الدينية لقبيلته وتقاليدها، ومهما يكن الاستغلال الاقتصادي شرا ومهما يكن التمييز العنصري شرا أكثر، فإنه ليس أشدّ إذلالا للنفس من إنكار حق الشعوب في معتقداتها، ومحاربة العقيدة وإخلائها من قلوب المسلمين ومحاولة ما عجزت عنه الحروب الصليبية من قبل، وذلك لما يعلم المنصّرون من خطر هذا الدين على مخططاتهم، التي يرسمونها على أساس قتل معاني الإنسانية حتى تموت مشاعر الناس ويضيع وجودهم.[2]

إن البعثات التبشيرية الغنية بالوسائل المادية والإعلامية، والتي تؤيّدها حكوماتها القوية ومنظماتها المعطاءة، تبذل نشاطا محموما في التبشير بالمسيحية وفي إعاقة سير الإسلام بسبب الهجمات الضاربة التي يشنّها عليه، وان 35٪ من البعثات البروتستانتية في العالم تعمل بنشاط في أفريقيا كما أن الكاثوليك ليسوا أقل نشاطا وتركيزا على هذه القارّة من زملائهم، وخلال عهد استعمارهم للبلدان الأفريقية كانت المعرفة والتعليم محصورتين في البعثات التبشيرية، وهذه بدورها كانت تقدم كل العون الممكن والتشجيع

---

(1) لوشاتلييه، ص 17.

(2) خضر، عبد العليم عبد الرحمن، **"الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا"**، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة ، السنة السادسة عشر العدد 182 عام 1418 هـ، ص118.

والـرعاية لأولـئك الـذي يقـبلون الدخول في المسيحية، وهذا يفسّر لنا الوضع الراهن في معظـم الـدول الأفريقية حيث نجد غالبية السكان هم من المسلمين ولكن قيادتهم تقع في أيدي الأقليات الصغيرة النصرانية.[1]

ولعـل إلقاءنـا بعـض الأضـواء على مجهودات التنصير التي تقوم بها جمعيات التبشير المسيحية العالمية يـبين خطـورة الموقـف الـديني والحـضاري الـذي تعـرض له الإسلام والمسلمون في القـارة الإفـريقية خـلال العقود الأربعة الماضية من القرن الماضي إذ تشير الأبحـاث إلى أنـه عام 1976م كان للكنيسة الكاثوليكية في إفريقيا الجنوبية وحدها حوالي ملـيون ونـصف المـليون كنيـسة ومجمـوع الإرسـاليات الموجـودة في 38 بلداً إفريقياً يبلغ 111000 إرسالية بعضها يملك طائرات تنقل الأطباء والأدوية والممرضات لعلاج المرضى في الأحـراش. وفي عـام 1996م كانـت الإرسـاليات التنـصيرية في إفريقيا تملك 52 محطة إذاعية فيما يملك المسلمون محطة إذاعية واحدة، وبلغ عدد المستوصفات والمستشفيات التي أقامتها الإرساليات التنصيرية 1600 مؤسسة صحية يديرها القساوسة والرهبان. وفي عام 1980م كان 14 بلداً إفريقياً يمنع دخول القساوسة والرهبان المنصرين إليه، ولكنها في عام 1999م لم يبق منها من يمنع دخول المنصرين سوي 3 دول فقط.[2]

4.2.1 لمحة تاريخية عن دخول التبشير إلى إفريقيا الغربية:

بـدأ التفكير في محاربة الإسلام والمسلمين في إفريقيا إثر الصراع الذي دارت رحاه بين المـسلمين والنـصارى علـى أرض الأندلس الإسلاميّة والذي انتهى بانتهاء دولة الإسلام بعـد سـقوط غـرناطة آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس ورحيل أكثر سكانها إلى إفريقيا الـشمالية وخـرجت بعـد ذلك البرتغال وإسبانيا وهما الدولتان اللتين قامتا على أنقاض دولـة الإسـلام الكـبرى في الأنـدلس لـتقودا حـركة الكـشوف الجغـرافية الـتي نتج عنها اسـتعمار مناطق عدة من آسيا وإفريقيا وأميركا والتي كانت في أساسها قائمة على أساس ديني هو محاربة الإسلام والمسلمين والسيطرة على الطرق التجارية. لذلك فإن من الوقائع المـسلَّم بها أن عمليات التنصير في إفريقيا وكما في سائر أنحاء العالم ارتبطت ارتباطاً وثيقاً

---

(1) خليل، عماد الدين، **مأساتنا في أفريقيا: وثائق من تاريخنا المعاصر**، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981 ص 81.

(2) عيساوي، أحمد، "الإعلام العربي والإسلامي والتحدي الحضاري المعاصر في قارتي آسيا وإفريقيا في قرن العولمة"، **التقوى**، العدد 147، حزيران 2005، ص 47.

بالاستعمار وواكبته واستمدت منه كل عون وتأييد وسعت لتثبيت نفوذها وانتشارها من خلالـه. وقـد أخذ الاستعمار يعمل بواسطة مدارسه اللادينية والتبشيرية على بث سموم الميوعة والإلحـاد والإنحلال في نفوس الشباب، وبذل مجهودات جبارة لتربيتهم وتدريبهم على السخرية بمقدسات الأجداد والتقاليد الإسلامية ليخلف جيلاً يؤمن بأوروبا وحدها ويقلدها تقليداً أعمى.[1]

دخـل المبشرون الكاثولـيك ربـوع إفـريقيا مـنذ القـرن الخـامس عـشر، أي في أثناء الاكتـشافات الـبرتغالية والإسـبانية، وفي أواخـر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عـشر أخـذت الجمعيات البروتستانتية تظهر للوجود. ففي العام 1491م أعلن أول ملك مـن ملـوك إفـريقيا اعتـناقه للعقـيدة المسيحية وهو ملك الكونغو الذي مات بعد تنصُّره مباشـرة وخلفـه علـى العـرش ابـنه فعمّدته إحدى الإرساليات التنصيرية باسم "ألفونسو" وزوَّجـته واحـدة مـن بـناتها. وفي العـام 1630م اعتـنق المـسيحية زعـيم مديـنة "مومباسا Mombasa" على الساحل الشرقي لكينيا لكنه سرعان ما رجع عنها واعتنق دين الإسلام.

وفي العـام 1651م أعلـن "مونومـوتابا Monomotapa" ملـك موزامبـيق تركه للوثنية واعتناقه للمسيحية استجابة لدعوة إرساليتين كاثوليكيتين كانتا قد استقرتا في حوض نهر زامبيزي Zambesi[2] إحداهما يسوعية والأخرى دومينيكانية أغدقا عليه الأموال وسارا معـه في اسـتخدام الأرواح الـتي كـان يعـتقد بها في وثنيته. وفي العام 1665م أتت هجمة مسيحية بروتستانتية من هولندا إلى سواحل جنوب إفريقيا فقامت بتدمير جميع المؤسسات والكنائس والإرساليات التي كان قد أسسها البرتغاليون من قبل ثم وضعوا أيديهم على مـنطقة رأس الـرجاء الـصالح حـيث نـزل على أرضها أول قسيس بروتستانتي لا ينافسه قسيس آخر من أي ملّة مسيحية أخرى.[3]

ومـع ذلـك بقـيت الدعـوة الـسائدة بين وثنيات إفريقيا منذ بداية القرن الحادي عشر حتـى نهايـة القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلاديين هي في معظم الأحيان دعـوة الإسـلام لإخـراج الـناس مـن ظلمـات الجهل والجاهلية وعبادة الأمطار والأنهار والجن والأحجار إلى عبادة الواحد القهار كما بقي الوجود النصراني محصوراً ومحاصراً في

(1) خليل، ص 85.

(2) تقع هذه المنطقة الآن على الحدود بين زامبيا وموزانبيق.

(3) الجهني، مانع بن حماد، "**التنصير في إفريقيا**: الأهداف والوسائل وسبل المواجهة".
http://www.khayma.com/happy-family/Files003/000004.html.(8.12.2004).

بقـع محدودة للغاية.[1] كما لم يحقق التبشير المسيحي خلال تلك الفترة أي نجاح يذكر مع الأفارقـة أو في نـشر المـسيحية بـين ظهرانيهم، إذ كان عدد أبتاع هذا الدين في كل أرجاء إفريقيا حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حوالي عشرين ألفاً من البيض وبضع مئات مـن الـزنوج، ومـع بدايـة القـرن التاسع عشر لم يكن للمسيحية قدم ثابتة في مكان ما في إفريقيا السوداء إذا استثنينا نقطاً ضئيلة على الساحل.[2]

مع بداية القرن التاسع عشر توغلت حركة الكشف الأوروبية في الداخل الإفريقي بما في ذلـك عمق إفريقيا الغربية، فكثرت البعوث والإرساليات الدينية التنصيرية ثم تبعتهما حـركات الاحتلال الأجنبي الذي فتح الطرق المسدودة أمام التنصير فكان هذا القرن حقاً هـو العـصر الـذهبي للتنـصير في إفـريقيا .. ولم يبدأ القرن العشرون إلا وكان للمسيحية تواجدها المحسوس والملموس والمرئي بشتى مذاهبها ومللها وكنائسها.[3]

فلمـا تمكـنت البعـثات والمراكز التنصيرية وتثبتت قواعدها في المنطقة الساحلية بدأت تنطلق نحو العمق الإفريقي حيث كانت السيطرة كاملة للوجود الإسلامي الذي لم يكن له وجود ملموس في السواحل الإفريقية الغربية.

تضم منطقة غرب إفريقيا الساحلية منها والتي تغلغلت فيها دعوات التبشير المسيحي الـدول التالـية: نـيجيريا وداهومـي (بنين حالياً) وساحل العاج وليبيريا وسيراليون وكل قطاعـات غينيا والسنغال. وقد بدأت البعثات التنصيرية دورها الفعال في هذه المناطق مع بدايـة القـرن التاسع عشر حيث نزلت أول البعثات البروتستانتية إلى منطقة ليبريا وكانت تبشر بالمذهب الميثودستي[4] وتكونت هذه البعثة من خليط من المنصرين البيض وعدد من القـساوسة الـزنوج الـذين يجـيدون الإنجليـزية. أمـا البعثة الثانية فقد نزلت في سيراليون وكانـت تابعـة لجمعـية التنـصير الكنـسي وبلغـت مـن النـشاط مـستوى كبيراً جعل من سـيراليون مركـزاً لكل البعثات التنصيرية التي تعمل في غرب إفريقيا. وأتت البعثة الثالثة مـن مديـنة بـال[5] Bâle السويـسرية ونـزلت في مـنطقة ساحل الذهب[6] حيث ركزت

(1) عبد الله، أبو إسلام أحمد، "تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا".
http://www.khayma.com/happy-family/Files003/000008.html.(8.12.2004).

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) هو فرع من المذهب البروتستانتي.

(5) وتُدعى أيضاً "بازل Basel".

(6) تقع اليوم في دولة غانا.

دعـوتها بين قبائل "فانتي Fanti" وحققت نجاحاً كبيراً بينها عوضها عن الخسائر الكبيرة التي تكبدها "أندريا رايس Andreas Riis" رئيس البعثة في محاولاته المخفقة والمتكررة بين قبائل "أشانتي" التابعة لساحل العاج والتي وصلت في عنادها ورفضها لأي وجود مسيحي إلى حد أنها احتجزت قِسَّين رهينة حتى جلاء البعثة عن أراضي "الأشانتي" وتحقق لها ما أرادت[1]. وعندما أتت قوات الاحتلال الفرنسي وسيطرت على أملاك الأشانتي وأراضيهم حوالي عام 1815م كانت هناك بعثة الميثودست هي أسبق البعثات التنصيرية إلى هذه البلاد حيث تم إعـداد عـدد مـن القساوسة الزنوج من أبناء القبيلة لممارسة التبشير بينهم كما أسست كنيسة محلـية مـستقلة خاصة بالمتنصرين الزنوج تابعة لطائفة البريسبيتريان[2] المسيحية.في العـام 1844م استطاع اثـنان مـن المنـصرين أحـدهما أبيض ويدعى "تونزند Townsend" والآخـر زنجـي ويدعى "كروثر Growlther" أن ينشئا فرعاً لجمعية التنصير الكنسي في أبيو كوتا "Abeo Kouta" بنيجيريا بين أفراد قبيلة اليوروبا التي ينتمي إليها المنصر الزنجي. ونجح كروثـر كـثيراً في نـشر الدعوة المسيحية في نيجيريا لمعرفته بلغة القبائل في المنطقة ولهجاتها حتـى منحـته المنظمة عام 1854م منصب مطران نيجيريا وظل في نشاطه التبشيرى إلى أن مات عام 1891م.

ومـن خـلال إعداد منصرين من أبناء القبائل ومنحهم الأموال والمناصب والوظائف والـوجاهة الاجتماعـية حقـق النـصارى مكاسـب ضخمة في شتى أرجاء نيجيريا مهدت لكـل البعـثات الأخـرى أن تمـارس دعوتها في أرض جيدة الحرث وخصبة التربة ومهيأة لكـل بـذرة يمكـن أن تؤتـي حـصاداً بأقـل جهـد ومـال، فقد عملت إلى جانب البعثات البروتستانتية بكل مذاهبها ثلاث هيئات كاثوليكية هي : "آباء روح القدس" و"ليون" و"الآباء البيض". وكان للهيئة الأولى نشاطها السابق ومراكزها النشطة في السنغال منذ القرن الثاني عـشر وهي ذاتها التي بذلت جهوداً ضخمة في غينيا السفلى. أما جمعية "ليون" التي أسسها القـس الثـري "بريـزيلاك Bresillac" عـام 1856م، فكـان أول نشاط تنصيري لها في غرب إفـريقيا عـام 1859م بمديـنة فـريتاون على ساحل سيراليون، لكنه لم يبق على أرض هذه المديـنة أكثـر مـن ثلاثـة أشـهر حيث أصابته الحمى الصفراء ومات ليخلفه القس "بلانك Planque" الـذي حـدد هدفـه على مدى نصف قرن من الزمان على ساحل غينيا فأغدق عليها باستدعاء

(1) عبد الله، أبو إسلام أحمد، "تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا".
http://www.khayma.com/happy-family/Files003/000008.html. (8.12.2004).

(2) وهي فرع من المذهب البروتستانتي.

البعثات التنصيرية من كل المذاهب والملل المسيحية ولم يغادر هذه المنطقة يوماً بإطلاق. وفي عام 1868م تأسست "جمعية الآباء البيض" للسيدة العذراء على يد القس الفرنسي "لافيجري Lavigerie" الذي ابتعثته الكنيسة الجزائرية حيث كان يشغل منصب أسقف عام الكنيسة الجزائرية فأرسل عام 1875م ثلاثة منصرين إلى تمبكتو في قلب مالي جنوب الجزائر غير أن قبائل الطوارق تصدوا لهم وقتلوهم.[1]

4.2.2 أساليب المبشرين في غرب إفريقيا:

حين وصلت جحافل الأوروبيين الغزاة إلى غرب إفريقيا فوجدت حضارة عربية إسلامية زاهرة ومتأصّلة في نفوس الشعوب في غرب القارة ووجدوا أمم تؤمن بالله ربا وخالقا وبمحمد رسولا وهاديا وبالقرآن الكريم دستورا لتشريعها وباللغة العربية لغة العقيدة بالإضافة إلى مظاهر الحضارة الإسلامية في كل الفروع الحياة الأفريقية.[2] وعندما دخلت البعثات التبشيرية إلى غرب إفريقيا بمواكبة وحماية الاستعمار وجدت في الإسلام خطرا حقيقيا، وندّا قويا لنشاطها وجهودها، ليس بما يمتلك المسلمون من إمكانات الدعوة ومن وضوح هذا الدين المطابق للفطرة الإنسانية بل في تمسك المسلمين بهذا الدين دفاعا عنه، والإقبال نحوه بكل حب ورغبة دون إغراء أو تضليل. يقول آدم عبد الله الآلوري في كتابه الإسلام في نيجيريا[3]: "ولما جاء المستعمرون والمبشّرون غاظهم كل الغيظ أن يلتقوا في غرب أفريقيا ليس دينا متمكنا في النفوس فحسب، ولكنه قوة حاكمة، ودولة قائمة، فلبسوا للمسلمين جلود النمر، وصلّتوا عليهم سيوف المكر، وشمّروا عن ساعدهم في سبيل القضاء على آثار الإسلام بكل جائز ومستحيل، حتى ضربوا الثقافة العربية بثقافتهم الإفرنجية، وهدموا بنيان علماء الإسلام بمعارك قساوسة الصليب، وبدلّوا الشريعة بالقانون، وطاردوا الفقهاء من الدواوين، وأحلّوا لحلهم المحامين، وأغروا طلاب اللغة العربية بتعلم اللغة الإنكليزية والفرنسية، حيث تغلغلوا في القرى والأرياف، واقتنصوا أبناء الفلاحين، وأغروهم بالأموال ، وأرسلوا من آمن بالصليب منهم إلى أوروبا ليكملوا بها علومهم وليرجعوا إلى بلادهم زعماء معتبرين لدى الخاص والعام. فلا جرم أن يحارب الاستعمار التعليم العربي بالتعليم الغربي بغية تحويل المسلمين عن

---

(1) عبد الله، أبو إسلام أحمد، "تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا".
http://www.khayma.com/happy-family/Files003/000008.html. (8.12.2004).

(2) الغنيمي، ص 186.

(3) ص 149.

دينهم، أو تسميم مناهج التعليم الغربي نفسه عليهم حتى يصبح المسلمون أنفسهم معادين للإسلام وثقافته فترسخ أقدام المستعمرين في بلاد الإسلام وتشييد النصرانية على أنقاض الإسلام".[1]. فقامت المؤسسات التبشيرية التي تسندها أغنى الدول وأقواها بجهود كبيرة لتقتلع الإسلام من أرضه وزرع العقيدة المسيحية الغربية مكانه. وقد تسترت هذه الجهود وراء الأعمال الإنسانية التي لا يثير ظاهرها الريبة والشك في قلوب الناس مثل معالجة المرضى والتعليم العالي وتقديم العون المادي وإنشاء مراكز الخدمة الاجتماعية ونحو ذلك مما يجعل الأمر أشد خطورة وأفدح عاقبة إذ تحول الأوروبيون عن حرب الجنود والأسلحة ليشنّوا حرب التشويه والتخريب للإسلام في منهجه وتاريخه ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه، وتحالفوا وتآزروا وابتكروا الوسائل والأساليب، فغزوا المسلمين في قلوبهم وأفكارهم وأخلاقهم وأزيائهم وشنوا عليهم من الغارات ما لا يخفى أمره على كل ذي بصيرة.[2] وكانت المنظمات التبشيرية العالمية تتحرّك في المنطقة وفق مخطّطات مدروسة والاستعمار استطاع أن يمهّد لها الطريق ويفتح السبيل أمام نشاطها. كما كانت تلك المنظمات التبشيرية تسعى لاستعمار الشعوب دون قيود إدارية وحكم عسكري، ويؤكد ذلك تسلل الهيئات التبشيرية إلى كل بقعة حلّ بها الاستعمار ممهدّة له السبيل ذلك لأن هدف التبشير هو نشر تعاليم المسيحية والدعوة لدين المسيح ورفع الصليب في تلك البقاع ولذا فإن كلّ المؤسسات والمنظّمات العالمية التبشيرية المنتشرة في أماكن كثيرة من العالم تحاول جاهدة أن تخفي صلتها بالاستعمار ولقد عمل الاستعمار بالتعاون مع تلك المؤسسات التعليمية والمهنية والطبية والإعلامية والإنسانية وكل المؤسّسات التي جاءت بها البعثات التبشيرية والتي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب لشعوب غرب القارة الأفريقية.[3]

وتدل التقارير الواردة عن النشاط التبشيري الواسع في أنحاء أفريقيا على أن أهم الخطوط الجديدة البارزة في هذا النشاط هي:

أولا: المبادرة إلى إنتاج أكبر عدد ممكن من القسس والمبشّرين السود.

ثانيا: توجيه عدد من الأكفاء الذين يعول عليهم من رجال اللاهوت إلى التخصص في العلوم المدنية والسياسية كي يشرفوا على مؤسسات ذات ظاهر علماني لإمداد

---

(1) المرجع السابق، ص 150.

(2) خضر، ص 118-119.

(3) الآلوري، ص 187.

الأفارقة في الشؤون الإدارية والاقتصادية .

ثالثا: الترخيص في بعض المسائل الدينية التي لا تناسب المزاج الأفريقي، كتحريم تعدد الزوجات – مثلا – حيث صدرت التعليمات العليا المكتومة بإباحة ذلك لمن يعتنق المسيحية في أفريقيا.[1]

ومع ذلك فقد أدرك المنصّرون أنهم قضوا مدة طويلة من التبشير المكثّف الكالح الوجه، لم يستطيعون أن يثمروا ثمرة ملموسة، وذلك لأن مثل هذا التنصير يثير حساسية المسلمين ومقاومتهم، فبدأوا يستفيدون من الدراسات النفسية التي تدلّهم كيفية التأثير على الغير بطريقة غير مباشرة، فلجؤوا إلى المؤسسات التعليمية والطبية والفنية التي تكون ظاهرها الرحمة وباطنها الخدعة والبلبلة، لأنهم يحاولون أن يوهموا شعوب غرب أفريقيا أنه يقدّمون نوعا من المساعدات، فيبنون أرقى المدارس والمستشفيات الجذّابة، وفي ذلك تذكرة للذين يهمّهم أمر مستقبل الإسلام في أفريقيا وعبرة للذين لا يزالون يرتجلون أساليب الدعوة للإسلام إزاء هذه الأجهزة المنظمة التي تعتمد على أدق الدراسات وتمضي في التغلغل وقف مخطّط قديم مدروس، ولعل المسلمين مدركون لما بلغه النشاط النصيري من خطورة وفي المقابل ليس للإسلام دعاة ولا مبشرون ولا أطباء ولا خبراء، ليس للإسلام إلا الله عز وجل. وكفى به نصيرا وكفى به قديرا ﴿ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾.[2]

من الواضح أن المنصرين والحكومات الغربية التي تدعمهم كانوا يعملون جنبا إلى جنب، وفي تناسق وتضامن تام، وقد كانت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا من أكثر المعارضين لامتداد النفوذ الإسلامي إلى إفريقيا. وكانت خطّة العمل التبشيري ترمي إلى تنشئة وإعداد أجيال تستقطب مفاهيم وقيم الاستعمار الأوروبي عن طريق الثقافة والتعليم المسيحيين، وبالتالي كانت الإرساليات التبشيرية متحالفة مع الاستعمار وتوابعه المهدة في الدول التي تعرّضت للنفوذ الأوروبي منذ أوائل القرن التاسع عشر حين بدأت عملية الغزو التنصيري لتكون أجهزة عاملة لتحقيق السيطرة الاستعمارية، فالنفوذ الاستعماري قد مهّد لها في ما بعد من العوامل ما يسّر لها الطريق، وأهمّها الامتيازات الأجنبية، واحتكار التعليم، ونفوذ القناصل، وسيطرة الدولة الأجنبية على الدوائر

(1) خليل، ص 79-80 .

(2) سورة الصف، الآية 8.

الحاكمة المحلّية.

وقد نشرت مجلة **العالم الإسلامي** الإنجليزية مقالا بقلم المستر "وطسون" تحت عنوان **العالم الإسلامي** قال فيه: إن الموقف في أفريقيا صار حربا بسبب سرعة تقدم الإسلام من مركزه الواسع في الشمال ومعاقله التي في السواحل إلى الجنوب والغرب الأفريقي والمبشّرون كانوا قد أخطؤوا في تقديراتهم السابقة لأنه يتبيّن لهم فيما بعد أن بعض البلاد التي كانوا يحسبونها خالية من الأديان المعروفة هي: إما إسلامية وإما أنها على هبة الدخول في الإسلام.[1]

ولقد تخصّصت جماعات المبشرين والمستشرقين في إذكاء نار الخلافات المذهبية والقبليّة بين المسلمين، والتشجيع على توسيع الهوة بين المختلفين وإعادة نيران الفتن بعد أن تلاشى بمرور الزمن، وذلك عن طريق ما قام به المنصّرون والمستشرقون من دراسات وبحوث وما سجّلوه في دوائر المعارف المنتسبة إليهم والمتخصصة في الإسلام والمسلمين، وعن طريق ما قاموا بعقده من مؤتمرات أكّدوا فيها مقررات غاية في الخطورة وعن طريق ثالث هو: تعمّدهم تشويه الفكر الإسلامي، وتهجّمهم على الإسلام والقرآن، والسنة النبوية، وشخص الرسول عليه الصلاة والسلام، وتشويههم للحضارة الإسلامية وللتاريخ الإسلامي وللتراث الإسلامي عن طريق رابع هو إشاعة النظم السياسية، والنظم الاجتماعية والاقتصادية الغربية بين الشعوب الإسلامية بقصد القضاء على النظم الإسلامية للسياسة والاجتماع والاقتصاد لينعزل المسلمون عن دينهم منهجا وحركة ونظاما، وعن طريق إعلاء شأن الحضارة الأوروبية وربط التمسك بها والمتمسكين بها بعجلة التقدّم والتحضّر والمدنيّة وما يترتّب على ذلك من نفور بعض المسلمين من حضارتهم ودينهم وقيمهم الإسلامية كلها.[2]

ففي دولة غانا على سبيل المثال تسخّر الكنيسة كل جنودها للحيلولة دون وصول المسلم إلى عالم الأغلبية في الحكومة، بل زوّدت الفاتيكان إحصائية سنة 1992م وادّعت أن عدد المسلمين لا يزيد على 19٪ من إجمالي عدد السكان البالغ 19,795,000 نسمة في السنة المذكورة، ومن ثمّ فهم أقلية لا يزيدون على 3,761,050 فقط ولا يحق لهم المشاركة في الجهاز التنفيذي للدولة!!

---

(1) خضر، ص 118-119.

(2) المرجع السابق، ص 126-127.

ونفس الشيء بالنسبة لجمهورية بوركينا فاسو حيث تؤكّد المصادر الرسمية أن المسلمين هم الأكثرية فقد تجاهلت التيارات الصليبية المسيطرة هناك هذه الحقيقة وحاصرت المسلمين في مدن الجنوب (وهم من العرب والبربر وقبائل السامو والمادينغ[1] والفولاني[2]) بينما فقد نجحت في "واغادوغو" العاصمة ومدينة "بوبو ديولاسو" وكذلك مدينة "كود وجو" في استقطاب الطبقة المثقّفة من خريجي المعاهد المسيحية في هذه المدن وتمكنت من تنصير نحو 800.000 منهم وأعدّتهم لخدمة التبشير.[3]

أما في مالي[4] فقد دخلتها الحملات التنصيرية في القرن الخامس عشر الميلادي إبّان الاكتشافات البرتغالية والوقت الذي وصل فيه المنصرون الكاثوليك إلى سواحل إفريقيا الغربية وبدؤوا يحتكون بسكان المنطقة من المسلمين والوثنيين. وفي عام 1493م أصدر البابا الإسكندر السادس إذناً عاما للبرتغاليين لاكتشاف مناطق غرب إفريقيا وممارسة التنصير فيها، واستمرت بعد ذلك جماعات المنصرين تتوارد إلى المنطقة إلى أن أرسلت الكنيسة الكاثوليكية في الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي جماعة رهبان كبوشيين Capuchin من نورماندیا بفرنسا للتنصير في مالي على التحديد ثم تطور التنصير في مالي إلى حد تنصيب رئيساً للأساقفة بمالي سنة 1763م ويدعى "ديوانت Duvanet"، وكان النشاط التنصيري الكاثوليكي قد ركّز على ميدنتي "تمبكتو" و"سيغو". أما الكنيسة البروتستانتية فقد وصلت بعثاتها إلى مالي من بريطانيا وألمانيا بعد الاستقلال، ولا زال أتباعها في "أزواد" في شمالي مالي أقلية مقارنة بأتباع الكنيسة الكاثوليكية إذ أن أقدم الكنائس في مالي هي كاثوليكية وقد بنيت في عهد الاستعمار الفرنسي وفي المدن التي ترسخت فيها قدم الاستعمار مثل بماكو وسيغو. ويوجد عشرات المنظمات والمؤسسات التي ترعى التنصير في مالي وتزعم بأنها خيرية. ومن هذه المنظمات:

"شبيبة العمال الكاثوليك" وتعمل في مالي منذ سنة 1939م و"هيئة الإغاثة العالمية الكاثوليكية" وتعمل في مالي منذ سنة 1947م ومجلس الكنيسيات لمجالس الإله (عالمية) دخلت مالي سنة 1972م و"منظمة الإغاثة الكاثوليكية الأمريكية" وقد دخلت مالي سنة

---

(1) للاطلاع على الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(2) للاطلاع على "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(3) المرجع السابق، ص 172.

(4) المعلومات التي سيأتي ذكرها عن مالي مأخوذة من الموقع التالي:

"و للكنيسة دور"، http://ansary.jeeran.com/islame.html ، 30/3/2005.

1973م ومظمـة دابلـيو إف دي (W.F.D) وهي ألمانية دخلت مالي سنة 1975م و"جمعية أرض البـشر Terre des Hommes" وهـي فرنـسية سويـسرية دخلـت مالي سنة 1979م و"البعـثة الإنجيلية النرويجية" دخلت أزواد سنة 1983م واتخذت مركزها الرسمي في "غوسي" منتصف أرض أزواد، ثم هناك وورلد فيزيو إنترناشيونال World Vision International (عالـمية) دخلـت مالي سنة 1984م و "الاتحاد المسيحي للشبان" (عالمية) دخلت مالي سنة 1984م و"البعثة الإنجيلية" (أمريكية) دخلت مالي سنة 1985م و"الكنيسة الإنجليزية اللوثرية" (بـريطانية) دخلـت مالـي سـنة 1984م و"البعـثة المعمدانـية" (أمـريكية) دخلت مالي سنة 1984م إلى غـير ذلـك مـن المـنظمات العاملـة في مالـي ومـنطقة أزواد لخدمـة التنـصير والمدعومة من الدول الغربية بميزانيات ضخمة وعدد كبير من الموظفين

وتعتمد حركة التنصير في مالي على عدة وسائل وأساليب لتحقيق أهدافها منها:

بـناء الكنائس: ويرتبط تاريخ الكنيسة في مالي بالاحتلال الأجنبي للبلاد حيث كانت الكنيـسة ضـمن أسـلحة المستعمر وعلى الرغم من عدم توافر إحصاءات دقيقة لدينا عن عـدد الكـنائس الـتي بنـيت في مالي حتى الآن فإن الدلائل تدل على كثرتها ومن الملفت للنظـر أن النصارى في مالي لا يراعون في بناء كنائسهم حاجة المسيحيين إليها بل يقيمون بعـض الكـنائس في مناطق لا وجود لهم فيها سعياً منهم لإظهار الوجود المسيحي في بلد تقل نسبتهم الحقيقية فيه عن 4٪ وقد تم بناء أول كنيسة في مالي في بماكو سنة 1912م.

إنـشاء مراكـز تكوينـية: لقـد اهـتم المنـصرون بإنشاء مراكز تكوينية متقدمة لتخريج القساوسة والرهبان في مالي. ففي سنة 1850م فتحوا مركزاً لتكوين القساوسة الأفارقة في "سيغو".

إقامـة مؤسـسات تعليمـية: لقـد أدرك المنصرون خطورة التعليم فاتخذوا منه أسلوباً لـسلخ المسلمين عن عقيدتهم وطبعهم بالطابع النصراني. وقد أنشؤوا في مالي مؤسسات تعليمـية نـصرانية مـن حـضانات وروضـات للأطفـال ومـدارس ومعاهد عليا. وتتمثل الخطـورة الكامنة وراء هذه المؤسسات في أن الغالبية العظمى من الذين يتلقون بها العلم هم من أبناء المسلمين يتخرجون منها وقد حملوا أسوأ فكرة عن دينهم ووطنه، فأي تلميذ تخـرج مـن هـذه المؤسـسات يجهـل بدهـيات الإسـلام وأركانـه وسيرة رسول الله وحياة الـصحابة رضـي الله عـنهم وعلماء الإسلام وأبطاله، وهكذا نجحت هذه المؤسسات في تنـشئة أجـيال وإيجـاد شخصيات مسلمة ممسوخة لا يربطها بالإسلام إلا أسماؤها. ولقد

استغل المنصرون في مالي الثالوث البغيض ـ الجهل والفقر والمرض ـ والكوارث الإنسانية للقيام بالتنصير تحت ستار الخدمة الإنسانية فأقاموا على طول أزواد وعرضها مستوصفات ومستشفيات وملاجئ للأيتام ودوراً للُّقطاء ومراكز للرعاية الاجتماعية، كما أنشأوا عدة جمعيات شبابية ونسوية تُوظف لأغراض تنصيرية وتقوم المنظمات التنصيرية بتوظيف آلاف من الشباب وتدريبهم في شتى المجالات ودعم مشروعاتهم الاستثمارية.

وسائل الإعلام: يتمتع المسيحيون بنفوذ كبير في وسائل الإعلام في مالي ويشرفون على عدة برامج تنصيرية عبر التلفزيون والإذاعة الوطنية والإذاعات الحرة، كما أن وسائل الإعلام المقروءة من جرائد ومجلات تخدم أهداف التنصير ويقومون بترجمة حلقات التنصير إلى اللغات المحلية.

القنوات الدبلوماسية: تتستر حركة التنصير وراء القنوات الدبلوماسية لتحقيق أهدافها ومن المعلوم أن للفاتيكان بعثات بابوية بدرجة السفارات في معظم دول العالم وهذه البعثات لا همَّ لها سوى الإشراف على المؤسسات التنصيرية وتنشيط حركة التنصير في العالم، ويوجد مقر بعثة الفاتيكان في قلب العاصمة المالية بماكو أضف إلى ذلك أن معظم سفارات الدول الغربية في العاصمة المالية "بماكو" لها ملحقات ـ تسمى بأنها ثقافية ـ تقوم بنشاطات تنصيرية خطيرة مثل المركز الثقافي الفرنسي والمركز الثقافي البريطاني والمركز الاجتماعي الياباني والمركز الثقافي الأمريكي. ومما يندى له الجبين أنه لا يوجد حالياً في سفارات الدول العربية والإسلامية في بماكو ملحقات ثقافية أو دينية تهتم بشؤون الإسلام والمسلمين.

نتائج التنصير في مالي: تختلف نتائج التنصير وآثاره من منطقة لأخرى وفقاً للخطة المرسومة للحركة التنصيرية في كل منطقة ذلك أن المنصرين يهدفون من وراء عملهم إلى تحقيق النتائج الآتية:

أولاً: نقل المسلمين من الإسلام وحملهم على اعتناق المسيحية.

ثانياً: إفساد المسلمين عقائدياً وخلقياً وزعزعة القيم الإسلامية في نفوسهم.

ثالثاً: تحقيق الربح المادي والمكسب السياسي.

أما الهدف الأول وهو نقل المسلمين من الإسلام إلى المسيحية فقد أخفق المنصرون إخفاقاً ذريعاً في تحقيقه فنادراً ما يسجل في أزواد أن مسلماً قد تنصر وارتد عن الإسلام. وإنما نجحت حركة التنصير في أزواد في تحقيق الهدف الثاني المتمثل في إفساد عقيدة

المسلمين وزعزعة القيم الإسلامية في مالي.

أما المكاسب المادية والسياسية التي حققها المنصرون في أزواد فحدث عنها ولا حرج فقد أقاموا على طول البلاد وعرضها شبكة واسعة من المؤسسات التعليمية والمراكز الصحية والاجتماعية والمشروعات الاقتصادية التي تدر لهم ملايين الفرنكات متسترين تحت شعار خدمة المجتمع موقف الدولة من التنصير، ونستطيع أن نؤكد أن حركة التنصير ما كانت لتحقق مختلف الإنجازات التي حققتها في مالي لولا الدعم اللامحدود والامتيازات الكبيرة التي تتمتع بها كافة مؤسساتها من قِبَل الدولة والقوى العالمية. كما أن السياسة "العلمانية" المطبقة في البلاد إنما تخدم مصالح الأقلية المسيحية على حساب الغالبية المسلمة.

وبالإضافة إلى هذا فإن النظام السياسي المتبع في الدولة يخدم الكنيسة في جميع المجالات:

- فالتعليم لا صلة له بالإسلام.
- والشؤون الاجتماعية تُستغل لدعم المراكز التنصيرية.
- والإجازة الأسبوعية يوم الأحد وهو يوم القداس للمسيحيين.
- أما التاريخ المعتبر فهو التاريخ الميلادي.
- والصليب الأحمر مكان الهلال الأحمر.
- جميع الأعياد نصرانية ما عدا عيد الاستقلال 4 نيسان (إبريل) وعيد العمال الأول من أيار (مايو) وعيدين إسلاميين ويومين آخرين يحتفل بهما بعض المسلمين.
- جميع المدارس المسيحية معترف بها ومدعومة من طرف الدولة ولا توجد مدرسة إسلامية واحدة معترف بها إلا إذا التزمت بتطبيق النظام العلماني في التعليم.
- الاعتراف بالجمعيات النقابية والحركات الكشفية والشبابية ذات الاتجاه المسيحي دون سواها.

أما في سيراليون شجع "تشارلس مكارثي Charles Macarthy" حاكم تلك المستعرة عام 1814م حركة التنصير في محاولة لتنصير إفريقيا الغربية كلها، فأنشأ في كل قرية بعثة وبنى المدارس والمستشفيات بإشراف "البعثة الكنسية ChurchMissionary"، وعندما

وصلت البعثات التنصيرية الأميركية عام 1839م أصبحت مدينة "فريتاون" (عاصمة تلك المستعمرة) تعج بالكنائس والبعثات والمدارس التنصيرية.[1]

أما في نيجِريا فإن المأساة أدهى وأمرّ، فإن الحكومة البريطانية عملت جنبا إلى جنب مع الهيئات التبشيرية بحيث تعهد إحداهما الأسباب للأخرى، كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، واستطاع التبشير أن يصيد بشبكاته كثيرا من القبائل الوثنية في المقاطعات الجنوبية التي لم يعتنق أهلها الإسلام كما استطاع أن يقتنص الشباب الجهلاء من بعض أبناء المسلمين الجنوبيين. ولكن صلابة إيمان الشماليين وتمسكهم الشديد بتقاليدهم وعقائدهم أوصد على التبشير أبواب الدخول إلى أراضيهم والتمكن من أهلها.[2] وقد ذكر أحد زائري نيجيريا أن الأجانب هناك استطاعوا أن يقنعوا المسؤولين في قبائل "الهوسا" الإفريقية المنتشرة ما بين الصحراء شمالا والكامرون وتوجو وداهومي ونيجيريا جنوبا، وعددهم يزيد على عشرين مليونا، وأكثريتهم الساحقة من المسلمين بأن يكتبوا لغة "الهوسا" التي يتكلمونها بالحروف اللاتينية (وهي الآن تكتب فعلا بهذه الحروف) وذلك في محاولة منهم لإبعاد هؤلاء الأفارقة بقدر الإمكان عن العرب والعربية وقرآنها المبين.[3]

وفي ليبريا[4] أنهى المنصرون عام 2005 حملة تنصيرية استمرت ثلاثة أيام واستهدفت مناطق متفرقة من دولة ليبيريا، وزعم منظموا الحملة أن العديد من السكان اعتنقوا المذهب النصراني الإنجيلي على نطاق واسع. وادعت مصادر انجيلية كندية أن نحو سبعمائة ألف نصراني كانوا قد اشتركوا في الحملة التنصيرية بعد اجتماعهم في ولاية مارجيبي . وعلى الصعيد ذاته شارك في تنظيم الحملة التنصيرية المنصر الإنجيلي الكندي "لين ليندستروم" المسؤول بمنظمة "وورلد هارفيست مينيستريز World Harvest Ministries" التي تتخذ من كندا مقرًا لها. وحسب صحيفة 'ذي أنالايست' زعم 'ليندستروم' أنه يرى [الرب] في كل مرة كان يشارك فيها في التبشير بالإنجيلية، والتي تشمل مشاركات له في أكثر من 125 دولة من دول العالم. ومنذ وصوله إلى ليبيريا ألقى 'ليندستروم' ما أطلق عليه [مواعظ] في مدينة برويرفيل، ومنطقة فيش ماركيت، ومدن كاكاتا وجانتا، زاعمًا أنه يرغب في تنصير ليبيريا بأكملها.

---

(1) المصري، مج 2، ص 671-672.

(2) خليل، ص 87.

(3) المصدر السابق، ص 90.

(4) المعلومات التي سيأتي ذكرها عن ليبريا مأخوذة من الموقع التالي:
http://www.islammemo.cc/news/one_news.asp?IDnews=62391.

وقال المنصر الكندي: "إن الرب يرغب في مخاطبة أطفاله بصرف النظر عن ألوانهم أو مذاهبهم أو بلادهم، ولا شيء يستحيل على الرب."

وقد اكتنفت الحملة التنصيرية بأيامها الثلاث أنواع من الخرافات؛ حيث يدعي 'ليندستروم' أن رجلاً عجوزًا كان قد فقد سمعه منذ الأزمة الليبيرية في عام 1990، وعندما جاء ليؤمن بـ [يسوع] تمكن من السمع بشكل واضح للمرة الأولى منذ عدة سنوات .

ويشار إلى أن ليبريا تشهد تواجدًا عسكريًا أمريكيًا مكثفًا منذ أن تمكنت من إسقاط نظام الرئيس السابق 'تايلور' .

يقول المؤرخ "أرنولد توينبي" في كتابه دراسات في التاريخ "إن العالم اليوم يتجه إلى نشوء جمهورية مسيحية حيث يكون الزنوج الخدم المخلصين للمسيحية لأنهم يملكون نفوسا نقية خالية من أي حضارة سابقة يمكن التأثير بها أو في تكوين معتقداتهم الحديثة ولذلك فإن الأمل بهم والأمل فيهم في أن يجنبوا أوروبا السائرة إلى التدهور، لذا لم يكن غريبا أن يتخذ الغربيون ومن أزرهم في مجال التنصير وسائل شتى وينفقون الأموال الطائلة لصرف الأفارقة عن دينهم الإسلامي الحنيف أو العمل بين القبائل الوثنية لاجتذاب العديد منهم في صفوف النصارى."[1]

فإذا استطاعت الجمعيات التنصيرية استقطاب العديد من الوثنيين فليس معنى هذا أنه نابع عن إيمان هؤلاء الداخلين في النصرانية بهذا الدين ولكن هذا نتيجة سخاء الإنفاق والاغراءات المادية التي تقع فريسة لها هؤلاء الأفريقيون تحت ضغط الحاجة الملحة والظروف التي تمر بها هذه القارة، وقد حثّ الفاتيكان جميع الأغنياء في العالم لمدّ يد العون والتبرّع من أجل تعاليم المسيحية في ربوع المعمورة وأكّد على أن التنصير الفردي لابدّ وأن يؤازره لأنه يحتاج إلى مجهود كبير ودعم مادّي وهذا النداء الباب قد جعل أحد رجال الكنيسة يصف هذا اليوم بأنه يوم التنصير العالمي، وقد استعان دعاة التنصير في إفريقيا بكل وسائل العصر المتاحة من إذاعة وتلفاز وبرامج تنصيرية سمعية كانت أو بصرية وعملت على نشر آلاف الكتب والمطبوعات التي تحوى تعاليم المسيح وترجمات حديثة للإنجيل الصادرة عن جمعية ترجمة الإنجيل في أفريقيا والتي بلغت حوالي 442 ترجمة

---

(1) الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، **الأقلّيات المسلمة في العالم – ظروفها المعاصرة آلامها وأملها**، الرياض: الندوة العاليمة للشباب الإسلامي، 1999، مج 2، ص 910.

وتخصيص إذاعات خاصة لبث تعاليم النصارى عن طريق البرامج المعدة لذلك إعداد جيدا كالإذاعة التنصيرية في بعض الدول منها.[1]

4.2.3 اتصالات البابا يوحنا بولس في السِنِغال:

باسم "الحوار بين الإسلام والمسيحية"! التقى البابا يوحنا بولس في دكار عاصمة السِنِغال في شباط (فبراير) 1992 بالغرفة التجارية بممثّلي الطوائف الطُرقية، ومعروف أن الطُرق الصوفية تلعب دورا كبيرا بين المسلمين في هذه البلاد ولذلك لا يخفى على أحد مغزى اختيار البابا لهم كأطراف فيما يسمى بالحوار الإسلامي المسيحي، ولعلّ أخطر نشاط تنصيري قام به رئيس الكنيسة الكاثوليكية هو التقاؤه في أحد ملاعب العاصمة السِنِغالية بآلاف الشباب المسلم حيث ألقى فيهم خطابا طويلا تطرّق فيه إلى مخاطر التطرّف، ويرى المراقبون يقصد بذلك النشاط الإسلامي الناتج عن الصحوة الإسلامية المباركة. دامت هذه الزيارة للسِنِغال أربعة أيام 1992، مما أتاح له زيارة المناطق الداخلية للبلاد وبالأخصّ الجنوب حيث تنشط البعثات التنصيرية بشكل ملحوظ وتزاحم الدعوة الإسلامية في تلك المنطقة، ومن نتائج هذه الزيارة أنها شجعت الطائفة المسيحية على تكثيف تحدّيها للإسلام، وقد لاحظ القاصي والداني هجوم المسيحية على وسائل الإعلام الرسمية وبلغ التحدي ذروته حينما وضع برامج تنصيرية في التلفاز ساعة فطور المسلمين في شهر رمضان.[2]

وجدير بالذكر أنه في عام 1985م كان مركز داكار للتنصير يُخَرِّج كل عام 25 ألف قسيس وراهب ليس للسِنِغال فقط وإنما لكل بلدان افريقيا الناطقة بالفرنسية، كما أن البعثات التنصيرية في السِنِغال توقع مع الأسر السِنِغالية عقوداً تدفع بموجبها مساعدات عينية كل شهر على أن يكون لها الحق في اختيار طفل من أطفالها تربيه على حسابها[3] وطبعاً على طريقتها.

وكل هذه الملامح تدل على أن المبشّرين لا يستطيعون التأثير على المسلمين في هذا البلد، حيث أن حصّة الإسلام أكبر لوجود دعاة أكفاء خبيرين بأمور الدعوة، لأن طبيعة

---

(1) المصدر السابق، ص 910.

(2) الطحان، مصطفى محمد، **حاضر العالم الإسلامي**، الكويت: المركز العالمي للكتاب الإسلامي، 1992، ص 168 – 169.

(3) الخريجي، منصور عبد العزيز، **الغزو الثقافي للأمة الإسلامية**: ماضيه وحاضرة،ط2، مزيدة ومنقحة، الرياض: دار الأصمعي للنشر والتوزيع، 1420هـ، ص110.

الزنوج وعادتهم أقرب بكثير إلى الإسلام البسيط السمح إلى المسيحية. والسنغال بلد قديم العهد بالإسلام بدأ منذ انطلقت منه منذ ألف سنة حركة المرابطين وما زال الإسلام دين الأكثرية في السنغال حتى الوقت الحاضر، وفي هذا البلد أيضاً ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي الحاج "عمر الفوتي"[1] الذي قام بنشر الإسلام وعمل على توحيد شعوب غرب إفريقيا على سياسية الإسلام.

وفي الختام نقول أنه قد استطاع المنصّرون والمبشرون أن ينجحوا في بعض الأحيان لأنهم يعملون بكل جد وإخلاص بفكرتهم ويأملون في تحقيق هذه الغاية بكل إصرار وعزيمة لأن الحقل الذي يعملون فيه ونوعية البشر التي يتعاملون معها قد خيّل إليهم أنها صالحة لإتمام النجاح. وهذا التبشير وجد فرصته للانتشار عبر هذه الأجهزة الحديثة ولكن هل يحقق المبشرون ما أرادوا إذا توحّدت وتضافرت الجهود الإسلامية وتعاونت على ردّ كيدهم في إبراز حقيقة الدين الحنيف ونشره بالطرق السليمة؟ إن الغلبة للحق ولدين الله تعالى.

(1) للاطلاع على سيرة حياة الحاج عمر وإنجازاته أنظر الفقرة 4.3.2 من الفصل الثالث للباب الرابع.



4.3

الفصل الثالث

الحركات الإصلاحية والجهادية في غرب إفريقيا بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين

مع قدوم الاستعمار إلى غرب إفريقيا وتفشي الأفكار الوثنية بين مجتمعاتها الإسلامية ظهرت بين النصف الثاني للقرن الثامن عشر والنصف الأول للقرن التاسع عشر الميلاديين حركات إصلاحية وتجديدية وأخرى جهادية ضد الاستعمار سعت كلها إلى بناء مشروعات للنهضة على أساس الدين الحنيف من خلال محاربة الاستعمار وتنظيف المجتمعات الإسلامية من كل شوائب المعتقدات الإفريقية الغريبة عن الإسلام. وقد برزت أربع حركات مهمة في هذا المضمار قاد كل منها زعيم بارز لعب دوراً هاماً في تاريخ إفريقيا الغربية خلال الهجمة الاستعمارية، وتلك الحركات وزعمائها هي:

4.3.1 حركة الشيخ عثمان بن فودي

4.3.2 حركة الحاج عمر الفوتي التكروري

4.3.3 حركة الإمام ساموري توري

4.3.4 حركتا المجاهدين كراموك أليف با وإبراهيم سور باري

4.3.5 حركة الشيخ أحمد لوبو

4.3.1 حركة الشيخ عثمان بن فودي:

تعتبر حركة الشيخ عثمان بن فودي الفولاني[1] الأصل[2] والتي انطلقت من بلاد الهوسا[3] أحد أهم الحركات التي شهدتها إفريقيا الغربية التي حركت دورة الحياة في الكيان الإسلامي واكتشاف قيمة الإسلام بالعودة إلى منابعه الأصلية ومحاولة تطبيقه على كل نواحي الحياة.

4.3.1.1 مولده ونشأته:

ولد الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن جبّ بن محمد بن تُنْب بن أيوب بن ماسران بن بوب باب بن جكّل الملقب بابن فودي (وتعني بلغة الفولانيين "الفقيه") في بلدة "ماراتا Maratta" بولاية غوبر Gobir (حالياً في ولاية سوكوتو بنيجيريا) يوم الأحد آخر يوم من صفر عام 1168هـ الموافق 15 تشرين الثاني لعام 1754م. وقد هاجرت قبيلة الشيخ عثمان بن فودي الفولانية الأصل من فوتاتور (التي تقع على نهر السنغال) إلى بلاد الهوسا في نيجيريا حوالي القرن الخامس عشر الميلادي بقيادة الشيخ "موسى جكّل" الجد الأكبر للشيخ عثمان بن فودي. عني أهل الشيخ عثمان بتثقيفه وتفقه على مذهب الإمام مالك فتم له حفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ "محمد فودي"، كما كان الشيخ عثمان يفتخر في كثير من المناسبات ببداية تتلمذه على يدي والدته "حواء" وجدته "رقية" وهو ما يعطينا دون أدنى شك فكرة عن المستوى العلمي الذي كانت عليه عائلته وخاصة النساء حيث كُن على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة.[4]

ويظهر أن الشيخ قد تجوّل لطلب العلم من عالم إلى آخر كعادة طلاب العلم في ذلك

---

(1) لمزيد من المعلومات عن الفولانيين أنظر: الفقرة: 1.2.6.3 من الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

(2) وصل الفولانيون إلى غربي بلاد الهوسا منذ القرن الثالث عشر الميلادي وكانوا طائفتين الأولى قبائل البقارة والثانية الحضريون سكان المدن. وكان البقارة رعاة رُحّل من الوثنيين حافظوا على نقاء دمائهم، أما سكان المدن فقد اعتنقوا الإسلام واختلطوا بالقبائل الأخرى بالمصاهرة. وكان تسرب الفولانيين إلى بلاد الهوسا هادئاً لم يصاحبه عنف وسرعان ما تضخم عددهم عقب قدوم هجرات أخرى من بني شعبهم.

(3) لمزيد من المعلومات عن موقع وتاريخ بلاد الهوسا راجع الفقرة 3.5.1 من الفصل الخامس من الباب الثالث في هذا البحث.

(4) الشاب، علي، "عثمان بن فوديو ... شيخ الصوفية المجاهدة"، www.islamonline.net/arabic/famous/2003/11/articles01.SHTML, 15/9/2004.

الزمان، إذ أن منهجهم كان يعتمد على شيخ متبحّر في علم من العلوم لتدريسهم فنا أو كتابا معينا. وبعد إجازتهم يبحثون عن عالم متضلع في فن من الفنون أو متمكّن من كتاب في أحد الفروع لينهلوا من معينه ولا تقف عملية "الآخذ" هذه في سن معّينة أو لدى علم معين فهي عملية مستمرة حتى يستوعب الطالب كمية كبيرة من المؤلفات، ويستوعبون فيها فنونا شتى على مراحل متقاربة أو متباعدة. ولقد استفاد من علماء الفلانيين والهوساويين والبرناويين أمثال "محمد ثنبو بن عبد الله" في علم الفقه والشيخ "أحمد بن محمد ابن هاشم الزنغري" في علم التفسير، كما أخذ الصحاح الست عن الحاج "محمد بن راجي" وعن الشيخ "جبريل بن عمر" ولازمه مدة في بلاد "أيرAïr"[1] واستفاد منه.

4.3.1.2 دعوته للإصلاح:

كان الشيخ عثمان بن فودي منذ صغره شديد التحمس للدفاع عن الدين وإرشاد الناس إلى حقائقه فكرس حياته للعلم والوعظ وسرعان ما إلتف الكثيرون حوله لما رأوا فيه من التقوى وحبه للإصلاح. ذهب الشيخ عثمان إلى مكة حاجاً[2] وبعد عودته من الحج هاله ما رآه من تحول مسلمي "غوبر" إلى الوثنية بضغط وبتأثير من "نفاتا Nafata" ملك تلك الولاية بعد ما اعتنق بعضهم الإسلام حيث حرم هذا الملك على إفراد شعبه إعتناق الدين الحنيف والتمسك بوثنيتهم وإعادة من أسلم منهم إلى الوثنية[3]، يضاف إلى ذلك انتشار للفساد والظلم في بلاد الهوسا.[4] لذلك قرر عثمان بن فودي إصلاح الأمور، فعمد إلى مقاومة "نفاته" بالوعظ والإرشاد دون أن يلجئ إلى القوة.[5] وقد بدأ "الشيخ" مهمته في شكل دعوى وهو ما أسماه في أدبياته "الجهاد القولي". وقد كانت مرحلة للدعوة والإرشاد ورفع المستوى التعليمي العام ومستوى الوعي الاجتماعي العام، حيث أرسل رسائل إلى كل فئات المجتمع يدعوها إلى الله، موضحا أهمية الإسلام في إحياء الأمة وخلاصها من مشاكلها الواقعية التي تعيشها.

---

(1) تقع في شمال دولة النيجر.

(2) هناك أقوال تذكر أن الشيخ عثمان اتصل في مكة بالوهابيين وتأثر بدعوتهم وحاول تطبيق مبادئهم في بلاده، أنظر: شلبي، مج 6، ص 226، وقدّاح ص 83 (الهامش رقم 2)، وشاكر، **نيجيريا**، 1971، ص 20.

(3) شلبي، مج 6، ص 226.

(4)"The Sokoto Caliphate in Modern Nigeria", http://www.webstar.co.uk/~ubugaje/scng.html, (11/2/2005).

(5) زكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، ص 199.

وقد ركز عثمان بن فودي في أسلوبه من خلال هذه المرحلة على استخدام عنصرين مهمين: أولهما التركيز على موضوع المرأة في النموذج الإسلامي والفرق بينه وبين المرأة في النموذج الجاهلي المتخلف، وقد ساهمت الكثير من السيدات المسلمات في حركة النهوض التي قادها الشيخ عثمان، كما شكلت هذه القضية تحديا كبيرا للأفكار السائدة من خلال دعوة المرأة إلى التحرر من الاستعباد الحقيقي الذي تعيشه في ظل الوضع السائد.

كما اعتمد الشيخ عثمان على استخدام الشعر والموشحات الدينية بالطريقة الشعبية المعروفة في تلك البلاد والمحببة إلى القلوب. وقد كان الشيخ مبدعا في تأليف كمية كبيرة من القصائد والموشحات ذات المضمون الأخلاقي والعلمي والإرشادي الراقي باللغات المحلية. وقد كانت هذه القصائد تنتشر مثل النار في الهشيم تنتقل من ألسنة الدعاة إلى ألسنة العامة. وما زال الكثير منها محفوظا حتى الآن، خاصة إذا علمنا أن الثقافة الأفريقية هي ثقافة حفظ وليست ثقافة تسجيل.

استمرت هذه المرحلة من عام 1774 حتى 1804 أي حوالي 30 سنة من الدعوة والبناء الدقيق لحركة الدعاة والمبلغين والتحدي الأخلاقي والفكري والاجتماعي للمجتمع القائم ولكن دون المواجهة المباشرة، بل عرف عنه في تلك المرحلة تشديده على الدعاة بعدم الدخول بأي صدام مع القوى المسيطرة. وقد ألف في هذه المرحلة الكثير من المؤلفات الهادفة والدراسات القيمة وكان يتنقل بين المدن والقرى بنفسه يبث أفكاره.

انتهت هذه المرحلة بتأسيس المجموعة الأساسية من الحواريين والأتباع أو من أسماهم بالطلبة بهدف نشر الصورة الجلية للإسلام وبهدف تقديم النموذج الأرقى للدين القويم وفضح علماء السوء الذين كانوا يرون الواقع المنكر فلا يعملون على تغييره بأي شكل من أشكال التغيير المتاحة.[1]

4.3.1.3 هجرته:

ولما توفي 'نفاتا' تولى الحكم بعده من بعده ولده 'ينفا Yunfa'، وكان هذا الأخير من تلاميذ الشيخ عثمان وأدرك تأثيره في البلاد فقرر أن يتخلص منه ويقتله. ولما فشلت محاولات 'ينفا' زادت حظوة الشيخ بين الشعب وكسب عطف جميع الناس وأصبحوا

---

(1) الشاب، علي، 'عثمان بن فوديو ... شيخ الصوفية المجاهدة'،
www.islamonline.net/arabic/famous/2003/11/articles01.SHTML, 15/9/2004.

ينظرون إليه بطلاً وزعيما، فلم يجد بُنفاً أمامه إلا الإلتجاء للقوة فسار على رأس قوة من الجند إلى "دِغِل Degel" بلدة الشيخ التي تقع بالقرب من مدينة سكوتو شمالاً، فاضطر الأخير للهجرة واللجوء إلى بلدة "غودو Gudu" على بعد 48 كلم شمال غرب "دِغِل"،[1] وكان ذلك في 21 شباط (فبراير) عام 1804م[2]، ويطلق مسلمو شمالي نيجريا على هذا التاريخ "يوم الهجرة" ويعدونه من أعيادهم الوطينة والإسلامية. وكان الشيخ عثمان قد عقد ميثاقاً في "دِغِل" قبل رحيله منها مع أتباعه تعهدوا فيه على الجهاد ضد الأعداء، وقد استوحى الشيخ من ذلك هجرة النبي محمد ﷺ من مكة إلى المدينة والتي سبقتها بيعة العقبة الثانية[3] حين تعهد أتباعه بالجهاد ضد الوثنيين.[4]

4.3.1.4 مرحلة بناء الدولة المسلمة:

وفي المهجر تجمع حول الشيخ عثمان مريدوه وأهله من الفولاني والكثير من الأنصار وأطلقوا عليه لقب "ساركين مسلماني" أي "أمير المسلمين" فأدرك أنه قد أصبح قائد طليعة من المجاهدين المقاتلين الذين تمتلئ صدورهم بالحماسة الدينية فألف منهم جيشاً يستعين به على إصلاح أحوال المسلمين ونشر الإسلام بين الوثنيين، وكانت هذه بداية الجهاد وإيذاناً بتأسيس الخلافة الإسلامية لأن البيعة كانت تعني نقل الجهاد من الدور السلبي إلى الدور الإيجابي الجديد. انتشرت أخبار الجهاد ضد حكام الهوسا، وأصدر الشيخ "وثيقة أهل السودان" التي صارت إعلانا رسميا للجهاد، حيث حدد الشيخ الأسس التي بنى عليها الجهاد وأقرت هذه الوثيقة مبادئ منها: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إجماعا، وأن الهجرة من بلاد الكفار واجبة إجماعاً، وأن الجهاد واجب إجماعاً وأن قتال البغاة واجب إجماعاً.[5]

---

(1)"Fulani Holy War: 1804-1810", www.onwar.com/aced/data/uniform/usman1804.htm, 11/2/2005.

(2) هناك عد أقوال في هذا التاريخ، فبعض المراجع يذكر أن السنة كانت 1806م والبعض الآخر عام 1804م. (أنظر المرجع السابق، ص 200).

(3) في العام الثالث عشر من الدعوة الإسلامية أتى من المدينة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من قبيلتي الأوس والخزرج فجلسوا مع الرسول ﷺ أتفقوا مع الرسول ﷺ على تأييده في دعوته النبيلة ثم إنهم بايعوا الرسول ﷺ على أن يحموه كأبنائهم وإخوانهم ولهم الجنة، وقد سمي هذا الاتفاق باسم "بيعة العقبة الثانية". والعقبة هي إسم الأمكنة الواقعة بين مِنى ومكة وفيها موقع الجمرات.

(4) "Thornton, Ted, "The Fulani Jihad, www.nmhschool.org/tthornton/fulani_jihad.htm, 11.2.2005.

(5) إبراهيم، ص 44-45.

كـان الـرد العملـي على هـذه الوثيقة أن أرسل حاكم الولاية إلى إخوانه الأمراء في 'كاتـسينا' و'كانو' و'دورا' يطلب منهم يد المساعدة لأنه أهمل إطفاء شرارة من النار في إمارته حتى اتسعت رقعتها وزادت حدتها، وصار فوق احتماله القضاء على خطورتها.[1]

في البداية لم يعط الحكام في بلاد الهوسا اعتبارا كبيرا لهذا النداء لاعتقادهم في محدودية حـركة الشيخ الإصلاحية، لأنه ما كان يتدخل في شئونهم السياسية في بداية أمره ولم يمنع أحدا من رعيتهم الدخول تحت طاعاتهم.[2]

لم يمـض وقـت طـويل حتـى تحـوّلت هـذه الحركة من حركة اجتماعية إصلاحية إلى حركة ثورية تهدف إلى إقامة الخلافة الإسلامية في بلاد السودان، ولما قويت شوكة الشيخ عـثمان بدأ حكام الهوسا يتودّدون إليه بغرض إسكانه ولكن كل مرة يلتقي بهم يدعوهم إلى الإسـلام وتـرك العـادات الـرديئة وإقامـة العـدل وترك العادات الجاهلية. ففي ذلك الـوقت أصـبحت جماعـة الـشيخ جماعة ذات أهداف سياسية واجتماعية مغايرة لأهداف الـنظام الـسائد في بـلاد الهوسـا أي أصـبحت الجماعـة دولـة صغيرة داخل نطاق الدولة الكبيرة، ولم يمض وقت حتى اتضح سوء تقدير حكام بلاد الهوسا للأمور، لأنه تبين فيما بعـد أن أهـداف الجماعـة لیـست أهـدافا إصلاحية فقط ترمي إلى نصح الحكام وإصلاح الـسلبيات الاجتماعـية بـل إن هـدفها الأول كـان إقامة دولة إسلامية على أنقاض دولة الكفر عن طريق الثورة.

تـزعم سلطان غوبير جبهة المعارضة ضد الشيخ عثمان، وصارت الحرب وشيكة بين المؤمـنين والوثنيين، ولم يجد الشيخ بداً من إعلان الجهاد في سبيل الله، فلبّى تلاميذه النداء لأن ارتـباطهم بـه لم يكـن مجـرّد حلقـات درس تنتهـي، بـل كـان الارتباط عميقا بالحب والتقدير، فكانوا له مؤيّدين.

4.3.1.5 مرحلة الجهاد والتوسع الإقليمي:

وفي الـرابع مـن حزيـران (يونيه) عام 1804م تقدمت قوات الجهاد بزعامة أخ الشيخ عـبد الله بن فودي الذي أخلى موقعه في 'غودو' توقعا لهجوم من سلطان غوبير، واتجه إلى بحـيرة 'تـابكين كوتو Tabkin Kwatto'[3] وعلى ضفاف هذه البحيرة أطبق المسلمون على

(1) المصدر السابق، ص 45.
(2) كاني، أحمد محمد، **الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا**، د.م.: مكتبة الزهراء للإعلام العربي، 1407هـ، 76.
(3) تقع إلى الشمال من مدينة 'دِغِل'.

قوات البغي والعدوان ودارت عليها الدائرة، فهرب من وجد سبيلا لذلك وسقط في ساحة المعركة الكثير، وتفرّق شمل الأعداء في أول مواجهة حاسمة في الجهاد، لكن النصر لم يكن نهائيا لأن قوات المشركين عادت بعد أن جمعت قواتها في 1805م وبدأت الهجوم من جديد على الشيخ وجماعته، ودارت معركة "تسونسو" التي هزم فيها المسلمون في البداية، وراح منهم أكثر من ألف قتيل ولكنهم صمدوا للهجوم.[1]

استمرت الحرب شمالا بين الفريقين دون تفوّق طرف على الآخر، وتمكّنت قوات الجهاد من السيطرة على إمارة "كِبي Kebbi" واتخذتها عاصمة للجهاد وتوالى سقوط إمارات الهوسا في أيدي المسلمين حيث سقطت "زاريا" عام 1805م وتبعتها "كاتسينا" بعد حصار طويل ومن ثم سقطت كانو من دون معارضة.

أدرك الشيخ عثمان أنه لن يكون آمناً طالما ظلت دولة برنو[2] قوية تهدد حدوده الشرقي وتقدم العون لبعض زعماء الهوسا،[3] لذلك عمد عام 1908م إلى محاربة البرنيين وهزيمتهم، ورأى هؤلاء أن يستمدوا العون من زعيمهم "محمد الأمين الكانمي"، فلبى نداء برنو وهاجم قوات الشيخ عثمان وطردهم إلى الغرب (أي إلى بلاد الهوسا)، ومع ذلك إستمرت قوات الشيخ في الإغارة على برنو بين الحين والآخر وتمكنت من احتلال جزءاً في غربها.

استمر النصر حليفا للشيخ واتباعه حتى تحقق النصر المبين، ودخل في عام 1808م عاصمة إمارة غوبر وتسمى "الكالاوا Alkalawa" وتم قتل السلطان "يُنفا" مع عدد من أتباعه وانتهت مقاومة الوثنيين، وصارت كلمة الذين آمنوا هي العليا، وتوافدت القبائل زرافات ووحدانا إلى معسكر الشيخ تعلن الدخول في الإسلام والانضمام إلى حلف المسلمين.

توسّعت إمبراطورية الفولاني، وتكونت إمارة جديدة، وأعطى الشيخ أمراً لأتباعه بإعلان الجهاد في مختلف المناطق، فتوسعت رقعة الدولة، ودخل الناس تحت راية الجهاد، بل أن المسلمين من الهوسا وغيرهم انضموا تحت لوائه، وما أن حل عام 1810م حتى كان الشيخ عثمان قد بلغ الذروة وجهاده انتهى بعد أن أخضع معظم بلاد الهوسا وكوّن إمبراطورية فسيحة في شمالي نيجِريا والسودان الغربي. ويرحظ أن نفوذ الشيخ عثمان لم

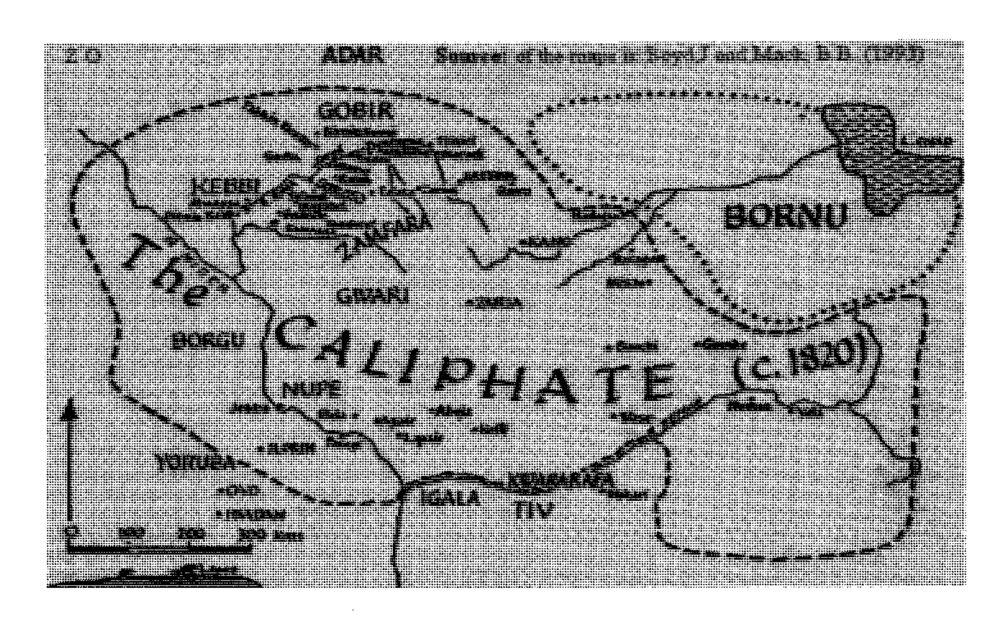
---

(1) إبراهيم، ص 46.

(2) لمزيد من المعلومات عن هذه الدولة وعن علاقتها بالشيخ عثمان راجع: الفقرتين 3.4.6 و3.4.7 من الفصل الرابع للباب الثالث في هذا البحث.

(3) زكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، ص 201.

يخترق منطقة الغابات الكثيفة في الجنوب إذ ظل سكانها من "اليوربا" بعيداً عن غزوات الشيخ حيث وصلت سيطرته في الشرق لغاية مدينة "يولا Yola"[1] (أنظر الخريطة في الأسفل) وانتقل الشيخ إلى مدينة سيفاوا[2] عام 1809م ثم استقر بعدها في مدينة سوكوتو التي اتخذها عاصمة له ثم قسم مملكته إلى قسمين: قسم شرقي تحت سيطرة ابنه "محمد بللو" وقسم غربي تحت سيطرة أخيه "عبد الله" واكتفي هو بالزعامة الروحية متخذاً من ميدنة سوكوتو مركزاً للدعوة إلى الإسلام، كما عكف على التصوف وتأليف الكتب التي تهدي المسلمين إلى الرشاد وتبعدهم عن الإنحراف. ومن كتبه نذكر: **أصول الولاية إحياء السنة – بيان البدع – ترغيب العباد – التوصف – تمييز المسلمين – الجهاد – سوق الصادقين – شفاء الغليل – نور الألباب – الهجرة** ... وغيرها.



4.3.1.6 مظاهر التجديد والإصلاح في دولة الشيخ عثمان بن فودي:

يمكن تلمّس مظاهر التجديد والإصلاح في دعوة الشيخ عثمان بن فودي في دولته من خلال الآتي[3]:

---

(1) تقع الآن في شرقي نيجيريا قرب الحدود مع الكمرون.

(2) تقع بالقرب من مدينة "سكوتو" جنوباً.

(3) محمد، الخضر عبد الباقي، "**التجديد والإصلاح الديني في غرب إفريقيا**"، http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=102&catid=105&artid=4096 ،15/9/2004.

- محاربة الوثنيّة التي تخيّم على المِنطقة بأسرها، والبدع والخرافات وحالات الانحراف في المعتقدات والعبادات، مثل اعتقاد الضرّ والنفع في الأشجار والأحجار، وادّعاء معرفة المغيّبات وخفايا الأمور، وممارسة التنجيم، والخطّ في الرّمل التي يلجأ إليها بعض العلماء المنتسبين للإسلام، فقد شنّت دعوة الشيخ على تلك المظاهر حَمَلات شعواء أدّت إلى تكفيره لهم والإفتاء بقتالهم ومحاربتهم على الرغم من ادّعائهم الإسلام.

- جدّدت دعوته نظام الحكومة الإسلاميّة بعد أن انتصر على ملوك بلاد الهوسا الكفار، حيث أقامت دولة إسلاميّة قسمها إلى حوالي ثلاثين إمارة طبّقت الشريعة الإسلاميّة والقضاء الإسلاميّ على مذهب الإمام مالك، وأنشأت في حكومتها مؤسّسات ودواوين ومناصب عربيّة مثل: الوزير والقاضي والوالي والمحتسب وشيخ الإسلام والحاجب وغيرها من الألقاب والوظائف الشائعة في عصور الدول الإسلاميّة الأولى، وحمل الشيخ عثمان بن فودي لقب أمير المؤمنين وحمل أبناؤه من بعده لقب الخليفة.

- أقام الشيخ عثمان في كل قرية مسجدا تحت إشراف معلم، وكان المجلس في المسجد يضم فصلين للتعليم: أحدهما للعوام والآخر للمتقدّمين في العلم وهما ما أطلق عليها المدارس القرآنية والدهاليز، وصارت مدن مثل: كانو وزاريا وكاتسينا من أشهر مدن الدولة التي جذبت الطلاب من كافة أنحاء الإمبراطوريّة، وكانت الدروس تعطى في المسجد طوال اليوم، ولم يقتصر الإسلام على انه الدين الرسمي للدولة بعد نجاح حركة الجهاد بل صار فكرًا وثقافة، وما أن يعتنق الشخص الإسلام حتى يبدأ في تعلم القراءة والكتابة، وبهذا التعليم تسمو مكانة الفرد ويرتفع كيانه الاجتماعيّ في الدولة.

- في المجال الثقافي قررت الدّعوة اعتبار اللغة العربيّة رسميّة في تلك الدولة، وألزمت من يتزعم حركة انتشار الإسلام بإجادة العربيّة إجادة تامّة، حتى يفهم القرآن والفقه والتشريع الإسلاميّ، وقد ساعد هذا على انتشار اللغة العربيّة وثقافته، وأصبحت تلك المنطقة تضمّ عددًا من المدارس، والمعاهد، والمراكز العلمية التي تدرّس باللغة العربيّة، وكانت العلوم والآداب تلقى اهتماما في المدارس العلميّة لدرجة أن لغة الهوسا أصبحت تكتب بحروف عربيّة حتى جاء الاستعمار الأوربيّ واستبدلها بالحروف اللاتينيّة.

- فَجّرَت تلك الدعوة في مجتمعات غرب أفريقيا ثورة ثقافيّة وحركة فكريّة غير مسبوقة من خلال الكتب التي ألفها روّاد الدولة ورجالاتها والتي شملت فروع العلم والمعرفة، وقد صارت تلك المؤلفات حجر الزاوية لثقافة الدولة وحضارتها في القرن التاسع عشر، وخلف هذا التراث الضخم آثارًا علميّة من جوانب المعرفة الإسلاميّة وفي

السياسة والتاريخ والطب والعلوم والآداب، حتى قيل: إنّ النصف الأول من القرن التاسع عشر يمثل العصر الذهبيّ بسبب الإنتاج الغزير للشيخ عثمان بن فودي وأخيه عبد الله بن فودي وابنه محمد بللو بن عثمان، واقتصرت الجهود العلميّة فيما بعد على الشرح والتحليل والتعليق والترجمة.

وأخيراً:

- أعادت تلك الدعوة الإصلاحيّة أجواء الأمن والاستقرار ولمّ الشّمل إلى المنطقة، حيث تجمّعت تحت رايتها عدّة ممالك وأوطان من بلاد الهوسا وفرضت السلام والسكينة في ربوع المنطقة بعد صراعات دمويّة طويلة، وصبغت المنطقة بالطابع الإسلاميّ والذي لا يزال يميّزها حتى اليوم، مثل نيجيريا التي أصبحت أكبر دولة إسلاميّة في القارة الأفريقيّة على الإطلاق بفضل جهود تلك الحركة الإصلاحيّة.

4.3.1.7 وفاته:

توفي الشيخ عثمان عام 1817م وهو في قمة مجده وأقيم له ضريح ومزار بمدينة سوكوتو، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد بللو ولم يعتمد الفولاني بعد ذلك على الجهاد وحده في نشر الإسلام بل سلكوا طريق الدعوة في أغلب الأحيان ولم يلجأوا للجهاد إلا عند الضرورة. فلقد لعب أبناء الشيخ وأحفاده دورا بطوليا ضد الاستعمار الأوروبي الذي تكالب على مناطق الدولية الإسلامية ابتداء من الربع الأخير للقرن التاسع عشر، ولكن رغم سقوط الدولة عسكريا في يد البريطانيين عام 1903م إلا أن الأسس التي وضعوها والنظم الإسلامية التي ساروا عليها أدهشت الأوروبيين وجعلتهم عاجزين عن إبدال تلك الحضارة الراسخة بنظم جاءوا بها، فاضطروا للإبقاء عليها، ولم يحاولوا التدخل في شؤون المسلمين في تلك الدولة الإسلامية، فعاشت حضارتهم وازدادت ازدهارا حتى يومنا هذا.

4.3.1.8 شخصيته وعلاقته بالصوفية :

يُعتبر الشيخ عثمان من أقدر سلاطين سكوتو وكان إدارياً واسع الحيلة جمع حوله كثيراً من أهل العلم والدين والأدب، وكان هو نفسه كثير الإشتغال بالتأليف واعتاد كلما ألف شيئاً أخرجه إلى الناس فيقرأه لهم ثم يشتغل بتأليف آخر.

لقد اجتمعت في شخصية ابن فودي عدة صفات لم تتّفق ولم تجتمع في الكثير من العلماء قبله ولا بعده في بلاد السودان وفي بلاد العرب فيما نعلم ذلك لأنه أول داعية في

افريقيا قام بتغيير المنكر بالقلب وباللسان ثم باليد ثم بجمع الجنود وتشهير السلاح ثم بإقامة دولة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله على نمط الحكومات الإسلامية الأولى في صدر الإسلام[1].

لم يشترك ابن فودي مع ملك أو سلطان في تأسيس هذه الدولة كما فعل بعض الزعماء العرب والأفارقة في تلك الفترة، كما لم ينتحل أفكار غيرة الإصلاحية أو التجديدية للوصول إلى قلوب الناس بل لقد شارك العلماء والفقهاء في إفادة قومهم بأقلامهم، وأخرج لهم عدة مؤلفات في مختلف الفنون الدينية والسياسية والثقافية، كما أنه شارك الصوفيين في تهذيب أخلاق المسلمين، وسلك أهل الطرق الصوفية في تربية النفوس بالأذكار والأوراد، وأنشأ طريقة منسوبة إليه باسم الطريقة الفودوية وهي فرع من القادرية[2] وله في الطريقة القادرية أشعار ومؤلفات منها **السلاسل الذهبية والسلاسل القادرية**، كما أنه شارك المجاهدين في ميدان القتال فحمل السلاح وقاد الجنود وقاتل حتى جعل كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى، وأسس دولة إسلامية عمت جميع الأقطار المعروفة اليوم بالولايات الشمالية من بلاد نيجيريا. أما مذهب الشيخ عثمان فكان المذهب المالكي ولقد كتب الشيخ عثمان بن فودي رسالة سماها **هداية الطلاب** أودع فيها آراءه في التقليد والاجتهاد، ومع ذلك فهو مجتهد في المذهب المالكي وتخرج على يديه أكثر من مائة عالم فقيه مِن مَن بلغوا رتبة الاجتهاد المذهبي في الفقه المالكي.

4.3.1.9 منهج الشيخ عثمان:

كان الشيخ عثمان بن فودي في بداية دعوته يحدث الناس في خمسة أمور رئيسية:

أولها: ما فرضته الشريعة من الأصول والفروع الظاهرة والباطنة.

والثاني: ما يتعلق باتباع السنة وترك ما دونها من البدع والمنكرات.

والثالث: في ردّ الأوهام والآراء الخاطئة في أذهان الطلبة مما تلقّوه من علم الكلام وتكفيرهم عامة الناس بلا مبرّر شرعي، وخاصة أنه شاع في ذلك الزمان أن بعض العلماء كانوا يحرّمون أكل ذبائح العامة أو التزاوج معهم لجهلهم بحقيقة التوحيد ولقد عالج الشيخ هذه الأفكار الخاطئة وأكّد إيمان العامة،

---

(1) الآلوري، ص 94.

(2) للاطلاع على الطريقة القادرية راجع الفقرة: 2.3.3.1.1 من الفصل الثالث للباب الثاني في هذا البحث.

وبيّن أن خوض الطلاب في هذه المتاهات الكلامية يصرفهم عن الواجب الشرعي وعن الدعوة إلى الكتاب والسنة.

أما الرابع: فيدور حول إخماد البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في دين الإسلام ورد الفوائد المخالفة للشرع.

ويختص الأمر الخامس: بتعليم العلوم الشرعية وتبسيط مشكلاتها وتقريبها من فهم العوام[1].

وكان الشيخ عثمان بن فودي يفسر العلوم بلغة الحاضرين لأنه كان يتحدث بجانب اللغة العربية، اللغات الفلانية والهوسية والتماشك[2]، واستطاع بأسلوبه المتميّز وسلوكه المنفرد أن يكسب قلوب عامة الناس ويقرّبهم من نفسه، على عكس كثير من العلماء الذين كانوا يشكّكون العامة في عقائدهم ويطالبونهم بالمستحيل حتى تصلح عقيدتهم حسب زعمهم وينكرون عليهم بكونهم جهلاء. لقد استخدم الشيخ عثمان بن فودي أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في تهذيب العامة وإرشادهم الوجهة الإسلامية الصحيحة وقد ساعده في ذلك فهمه العميق لنفسية مجتمعه في ذلك الزمان ومعرفته الدقيقة للأوضاع الاجتماعية والسياسية في بلاد الهوسا. كما استطاع أن يضع يده على مواطن الداء ويقرّر للناس الدواء الناجح من غير تغليظ أو تأفف.

مما لا شك أن دعوة الشيخ الإصلاحية قد وجدت تجاوبا منقطع النظير خاصة في أوساط العامة، وقد يكمن السّر الذي اتّبعه الشيخ عثمان بن فودي لتبليغ الرسالة الإسلامية إلى كل الناس دون تمييز بين العامة والخاصة وبين الغني والفقير. دعوته كانت مفتوحة دخلها الناس أفواجا.

4.3.1.10 آراء ومواقف حول الشيخ عثمان بن فودي:

لقد اختلفت الآراء حول هذا الجهاد فمنهم من رآه صراعا سياسيا بين الهوسا والفلانيين استخدم الفلاني عامل الدين كهدف أو مناورة عسكرية من أجل تحقيق أهدافهم للسيطرة الفولانية على بلاد الهوسا أما العالم النيجيري (عبد الله سميث) فيرى في الحركة أكثر من محاولة مجموعة من الرجال المحرومين من أجل السيطرة السياسية لصالحهم بل هي حركة فكرية تهدف إلى إنشاء مجتمع مثالي تسوده الشريعة الغراء، كما

(1) كاني، ص 72.

(2) لغة بربرية يتكلمها الطوارق.

حاول أعداء الشيخ تفسير هذه الإصلاحات بأنها كانت وراءها أطماعا سياسية في ثوب الإصلاح الديني، بل رأي البعض ان هذه الثورة قد دبّرت من أجل مساعدة الفولانيين على السيطرة على أمور البلاد وتحقيق أهداف كانوا قد منعوا منها من قبل. لكن مهما اختلف الآراء حول أسس الجهاد فإن الجميع يتفق على أن الحركة شمولية ارتكزت أساسا على الناحية الدينية، وأن الشيخ عثمان نفسه حدّد الغرض من الجهاد في وثيقة أهل السودان وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهجرة من بلاد الكفّار، وتنفيذ أحكام الشرع، وقتال الملك الكافر الذي لا يقول "لا إله إلا الله"[1].

لقد قامت دولة الشيخ عثمان بن فودي الفولاني على نظام الخلافة الإسلامية، وصار الخليفة يشرف على كل إمارات الدولة التي أحيت الخلافة الإسلامية التي كانت أيام مجد العباسيين وتأصلت جذور الدعوة الإسلامية فنمت وترعرعت وآتت أكلها، وتمسّك المسلمون بالشريعة الغراء وساد الأمن الذي كانت تحكم به المنطقة وازدهرت الحضارة الإسلامية في كل أرجاء الإمبراطورية.

4.3.2 حركة الحاج عمر الفوتي التكروري:

يعتبر الحاج عمر بن سعيد الفوتي واحداً من أبرز علماء ومجاهدي غرب إفريقيا الذين كان لهم الأثر الواضح في تاريخ تلك المنطقة، فقد قام الحاج عمر بحركة إصلاحية كبيرة هدفت إلى نشر الإسلام وإحياء روح الجهاد وشملت مناطق واسعة من حوضي نهري السنغال والنيجر وظل عمله ودعوته وجهاده يطبع مسار المنطقة حتى اليوم.

ولد الحاج عمر بن سعيد عام 1795م في قرية "حلوار" بالقرب من مدينة "بودور Podor" على الحدود السنغالية الموريتانّية، وهو الابن الرابع للشيخ سعيد المنتمي إلى جماعة "التوردوب" التي قاومت الوثنية في هذه المنطقة ولعبت بعد ذلك دورا في مقاومة التوسع الأوروبي بعد أن اعتنقت الإسلام وقامت بنشره في المنطقة وصار أتباعها من أكثر الناس حماسا لنشر الدين الإسلامي.[2]

درس الحاج عمر اللغة العربية، وعلوم الدين تحت إشراف والده، فحفظ القرآن الكريم ودرس **صحيح مسلم وصحيح البخاري** وغيرها من الكتب الأحاديث، وعندما بلغ الشيخ الخامسة عشرة من عمره ترك "حلوار" لكي يتلقّى العلم والعلوم الإسلامية تحت

(1) إبراهيم، ص 48.

(2) المصدر السابق، ص 80.

إشراف العلماء المحليين في منطقة "فوتاتورو Fouta-toro"[1] وعلى الطرق الصوفية وخاصة الطريقة التيجانية[2]. وفي عام 1814 م ترك الشيخ منطقة فوتاتورو متوجّها إلى مدينة "ساتينا Satina" في منطقة "فوتاجالون"[3] التي تبعد مئات الأميال عن مدينة "حلوار"، وفي هذه المدينة بدأ يكسب لقمة العيش من خلال تدريس القرآن الكريم والسنة الشريفة لأطفال القرى والمدن المجاورة، ومكث هناك حتى بلغ من العمر واحدا وثلاثين عاما.

وفي عام 1826م قام الحاج عمر برحلة دينية وثقافية بدأها بالذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج مع أخيه علي، وفي إحدى رحلاته التقى بالشيخ عبد الكريم النفيل أحد علماء الطريقة التيجانية في فوتا جالون، وأخذ على يديه مبادئ هذه الطريقة كما ذهب مع الشيخ إلى "ماسينا Macina"[4]، وهناك توطّدت علاقات الشيخ مع سكان المدينة الذين عهدوا إليه بنشر مبادئ الدين الحنيف لأبناء المدينة ولأبناء الأسرة الحاكمة في ماسينا، ومن هناك انتقل إلى دولة الخلافة في مدينة سكوتو بشمال نيجيريا[5] حيث قضى سبعة أشهرغادر بعدها المنطقة إلى فزان، وأخيرا وصل إلى مكة المكرمة وأقام هناك حوالي ثلاث سنوات حيث قابل كثير من علماء الطريقة التيجانية في الحجاز.

وفي طريق عودته مر بمصر والتقى علماء الأزهر وأخذ عنهم في وقت بدأت فيه مصر تحتك بالغرب بعد حملة نابليون بونابرت مما جعله يدرك النوايا الاستعمارية في الشرق والغرب الإسلاميين.[6] ومن بعد مصر زار الشيخ عمر بلاد برنو ثم عرج على سكوتو حيث أقام صلات مع أسرة الشيخ المصلح عثمان فودي. وقد أدى إحتكاك الشيخ عمر بعلماء البلاد التي مر بها إلى تحول كبير في فكره ورؤاه فاستحوذت ضرورة تغيير الأوضاع على فكره وعقله.

ولما عاد الحاج عمر من الحج استقر في "فوتا جالون" وقام بجولات استطلاعية أدهشه فيها ما يسود المنطقة من فتور الوازع الديني عند المسلمين وتشتت قواهم وتفشي الجهل فيهم، فبدأ السعي حثيثاً إلى نشر الإسلام في تلك المناطق وإلى تطهيره من الشوائب التي

---

(1) تقع في شمالي دولة السينغال.

(2) للاطلاع على الطريقة التيجانية أنظر الفقرة 2.3.3.1.2 من الفصل الثالث للباب الثاني في هذا البحث.

(3) تقع في وسط جمهورية غينيا-كوناكري.

(4) منطقة تقع في وسط مجرى نهر النيجر بين مدينتي سيغو وتمبكتو في ما يسمى اليوم بدولة مالي.

(5) لمزيد من المعلومات عن هذه الدولة راجع الفقرة: 4.3.1.5 من هذا الفصل.

(6) محمد سالم بن الخليفة، "الحاج عمر الفوتي وحركته الإصلاحية، 1795-1864"، www.rayah.info، 1/12/2004.

علقت به في إطار حركة إصلاحية كبرى تلخصت أهدافها في الأمور التالية:

1- إبعاد خطر الاستعمار عن غرب إفريقيا حيث كان الأوروبيون يتاجرون مع أهل تلك المناطق ويحاولون مد نفوذهم السياسي والاقتصادي وربما التبشيري عليها.

2- العمل على نشر الإسلام في المناطق غير المسلمة وتصحيح ما انحرف من عقائد المسلمين وتطهيرها من الشوائب والخزعبلات والممارسات الغريبة على الدين الحنيف.

3- العمل على إيجاد قوة مادية رادعة ومنظمة تقوم بمهمة حماية المكتسبات الإسلامية ورعاية شؤون المسلمين.[1]

وفي هذا الإطار أسس الحاج عمر بعد استقراره في 'فوتا جالون' رباطا للعبادة[2] أصبح مركزا للثقافة الإسلامية والنشاط التجاري، واخذ الحاج عمر يعظ الناس للرجوع إلى العقيدة الصحيحة ويطعن في تساهل أتباع الطريقة القادرية،[3] فانضوى تحت لوائه جموع غفيرة من أبناء المنطقة الراغبين في الأخذ من معارفه الإسلامية والذين وهبوا أنفسهم للإسلام وتسلحوا بالأسلحة الحديثة التي اشتروها من التجار الأوروبيين.

شكلت تلك الجموع النواة الأولى لنشاط الحاج عمر الإصلاحي فأقبل عليها الشيخ يتعهدها بالتربية والتعليم إلى أن وصل بعض منهم إلى درجة كبيرة من العلم فدفع بهم إلى مناطق مختلفة من فوتا جالون لنشر العلوم وتصحيح العقائد وتعبئة همم الجماهير للجهاد ضد الوثنيين والخطر الاستعماري المحدق. واستطاع الحاج عمر أن يحقق للطريقة التيجانية انتشاراً واسعاً لم يسبق له مثيل في الغرب الإفريقي ضمن دائرة المفهوم الأصيل للحركة الصوفية.[4]

عمد الحاج عمر إلى تكوين جيش جرار بعد إلتحاق أعداد كبيرة من أبناء فوتا جالون بدعوته، وقد استهلّ الحاج عمر هذا الجهاد بغزو إمارة البمبارا الوثنية في منطقة كآرتا Kaarta[5]، فدانت له بالطاعة في سنة 1854م. ثم حاول بالتعاون مع ولاية مسينا مهاجمة

(1) المصدر السابق.

(2) اي قاعدة يرابطون فيها للجهاد ضد الكفار ويفرغون فيها للعبادة والتأملات الروحية وإصلاح خلق الفرد.

(3) شلبي، مج 6، ص 215.

(4) محمد سالم بن الخليفة، '**الحاج عمر الفوتي وحركته الإصلاحية**، 1795-1864'، www.rayah.info، 1/12/2004.

(5) تقع في شرقي مالي شمالي غربي مدينة بماكو.

مملكة سيغو الواقعة في أواسط نهر النيجر، ولكن ملك مسينا رفض أن يجيبه إلى هذا الطلب، فاتجه الحاج عمر بعد ذلك إلى جهة الغرب وأغار على منطقة حوض نهر السنغال الأوسط. غير أن تغلغل الفرنسيين في هذه الجهات بين سنتي 1857 و1859 أوقف تقدم الحاج عمر في هذه البلاد، فاتجه نحو الشرق، ففتح مملكتي سيغو ومسينا ومن ثم استولت قواته على تمبكتو. وهكذا سارت حملات الحاج عمر الواسعة تنشر الدعوة بين الوثنيين في حوضي النيجر والسنغال وحقق الكثير من النجاح في مجالي الدعوة والسياسة، فأصبح يحكم أمبراطورية واسعة تمتد من تمبكتو إلى المحيط الأطلسي، وكانت الطريقة التيجانية هي الطريقة الرسمية في كل هذه الأمبراطورية.

إلا أن مملكتي سيغو ومسينا ثارتا على الحاج عمر وانتهى الأمر أخيراً بمقتله عام 1864م.[1] وهكذا استشهد هذا المجاهد الإسلامي الحاج عمر الفوتي وهو يناضل من أجل بناء دولته الإسلامية عن عمر ناهز السبعين عاما، حاول خلالها مقاومة التوسع الفرنسي بكل ما أوتي من قوة وترك لخلفاءه مسؤولية هذا العبء الكبير.

تنافس خلفاء الحاج عمر بعد موته على الزعامة وخاصة بين أولاده وبني أخيه لكن السلطة رست بالنهاية على ولده أحمد الذي حاول توسيع فتوحات والده، إلا أن فرنسا كانت له بالمرصاد فانتهى الأمر بهزيمته ووفاته عام 1898م ووجد الفرنسيون الطريق أمامهم ممهداً لإحتلال البلاد التي كانت تدين الطاعة للحاج عمر.

كان الحاج عمر متمسكاً بالشرع في حربه وفي سلمه، عالماً عاملاً ذا بصيرة في دينه لم يشغله الجهاد عن تدريس العلم لجيوشه الغازية في سبيل الله مع الوقوف عند الحدود والتقرب إلى الله بالنوافل.[2] ولأن الحاج عمر لم يتمكن من إقامة دولة ذات مؤسسات لاشتغاله بالجهاد فقد استطاع أن يؤسس لحركة إصلاحية وجهاد كان لها الدور البارز والأثر الطيب في غرب إفريقيا وشعبها، كما ساهم في استقطاب عدد كبير من سكان فوتا جالون وجعل منهم علماء لعبوا دوراً بارزاً في نشر الثقافة العربية والإسلامية وأبقوا للإسلام أثراً راسخاً في الغرب الإفريقي استعصى إقتلاعه رغم الهزيمة العسكرية التي لحقت بأحمد بن الحاج عمر على يد الفرنسيين.[3]

---

(1) حسن، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، ص 137.

(2) شلبي، مج 6، ص 216.

(3) محمد سالم بن الخليفة، **الحاج عمر الفوتي وحركته الإصلاحية، 1795-1864**، www.rayah.info، 1/12/2004.

4.3.3 حركة الإمام ساموري توري:

يعتبر ساموري توري من الزعماء الأفارقة المسلمين الذين لعبوا دورا هاما في غربي القارة الإفريقية قبل الاستعمار الأوروبي وبعده، لأنه يجسّد البطولة والمقاومة ضد الاحتلال الأوروبي، وقد استمّر يحارب ضد الغزاة الاستعماريين حوالي سبعة عشر عاما بدءا من عام 1881م حتى القبض عليه عام 1898م وبعد أن كان قد أسّس دولة إسلامية كبيرة في منطقة أعالي النيجر. كان لدى هذا الزعيم القدرة على الرؤية بوضوح، والتجاوب بفاعلية مع الظروف المتغيرة، وكانت رسالته الكبرى في الحياة هي الدفاع عن الإمبراطورية الإسلامية، التي كانت هدفها نشر الدين الإسلامي في غرب افريقيا ومقاومة الاستعمار الغربي فيها.

4.3.3.1 نشأة ساموري توري:

ولد 'ساموري توري'[1] عام 1835 في سانكورو Sanankoro بالقرب من بلدة بيساندوغو Bissandougou[2] في وسط ما يسمى اليوم بجمهورية غينيا-كوناكري. وتقع هذه البلدة في منطقة من الأرض الجبلية والهضبات المرتفعة في شمالي مرتفعات غينيا-كوناكري حيث كانت الأديان الوثنية الإفريقية هي السائدة خاصة لدى قبائل المالنك[3] التي ينتمي إليها ساموري توري، ولم يكن هناك إلا بعض المسلمين القلائل وكانوا من التجار المعروفة باسم 'الديولا Dyoulas'[4]. وكانت قبيلة توري تعيش حول مدينة جني ضمن إمبراطورية مالي الإسلامية، وعندما حلت إمبراطورية صنغاي الإسلامية مكانها تركت القبيلة مدينة جنى وتوجهت الى أعالي نهر النيجر.

كان ساموري ينتمي إلى مجتمع 'الديولا' التجاري، ولذا لم تختلف نشأة ساموري عن بقية أبناء الديولا، ولما بلغ سنة السابعة ذهب للعيش مع خالته وزوجها على بعد عشرين ميلا في إحدى القرى المجاورة، وعاش هناك فترة يعمل في الزراعة وتربية الماشية، ولما عاد

---

(1) تذكر بعض المراجع أن ساموري توري وُلد وثنياً وأسلم في عمر 18، راجع: شبكة كلمة الحق، 'مسلمو ساحل العاج'، http://www.rightword.net/Anuke/modules.php?name=News&file=article&sid=2608 ، 25 /2 /2005.

(2) تقع جنوبي مدينة كانكان.

(3) ويعرف هذا الشعب أيضاً بإسم 'الماندينغ' وهم القبائل التي استوطنت مالي وأسست مملكة وحضاره إسلامية فيها عرفت عصرها الذهبي بين القرنين 13م و15م، راجع الفصل الثاني للباب الثالث من هذا البحث.

(4) الخوند، مسعود، **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، مج 13، ص 166.

إلي أبيه مرة ثانية قام أبوه بتدريبه على أصول التجارة والزراعة.

4.3.3.2 ملحمة ساموري توري:

يمكن أن نقسم الحياة النضالية لهذا المجاهد العظيم إلى أربع مراحل:

4.3.3.2.1 مرحلة الإكتشاف والتفكير (1835-1852):

عندما بلغ ساموري 18 عاماً أرسله أبوه إلى صديق له في ما يسمى اليوم بدولة ساحل العاج ليعلمه على تجارة السلاح والبارود،[1] ومن خلال ذلك عرف ساموري أماكن الحصول على السلاح عندما بدأ يفكر في بناء إمبراطوريته. لذا قضى الإمام معظم وقته بالدراسة والتفكير بالإضافة إلى ممارسة حرفة التجارة، وخلال هذه المرحلة سافر إلى عدة مناطق في السودان الغربي فاطلع على نظام حياة عدة مجتمعات هناك.

4.3.3.2.2 مرحلة التدريب على القتال والتحالف مع مقاتلي المرابط 'موري يولي سيس' (1852-1861):

قبل أن نتكلم عن هذه المرحلة لا بد من التعريف بهذا المرابط. ففي عام 1835م[2] ظهر المرابط 'موري يولي سيس' في مدينة كانكان الواقعة في مرتفعات فوتاجالون بما يسمى اليوم بغينيا-كوناكري وناشد المسلمين هناك إلى إعلان الجهاد المقدس ضد القبائل الوثنية التي كانت مشغولة بصراعاتها الداخلية. ولما أحس هذا المرابط أن كانكان غير مستعدة للجهاد، قرر مع جماعة من رجاله إنشاء مجتمع جديد في الصحراء جنوب تلك المدينة. وعندما شعر موري يولي سيس باكتمال قوته أعلن الجهاد المقدس عام 1835م وأغار على المدن المجاورة وكوّن أول مملكة إسلامية صغيرة في هذه المنطقة بعد انهيار وسقوط الإمبراطوريات الكبرى مثل مالي وصنغاي، وكان موري يولي سيس يسعى للقضاء على النظام القديم لجماعات الديولا، وفرض الزكاة على مملكته الجديدة.

نعود الآن إلى ساموري توري. في عام 1852م حمل بعض أصدقاء ساموري توري إليه أن قوات ملك بيساندوغو الوثني 'سوري بيراما' قد أغارت على بلدته سانسكورو وشعبها، ومن نتيجة ذلك أسر أمه، وعند سماعه ذلك الخبر أخذ يفكر في أفضل الطرائق

---

(1) شبكة كلمة الحق، 'مسلمو ساحل العاج'، http://www.rightword.net/Anuke/modules.php?name=News&file=article&sid=2608، 25/ 2/ 2005.

(2) من الصدف أن هذا العام هو نفسه التي ولد فيه 'ساموري توري'.

لإنقاذ والدته من الأسر، وبعد ذلك قرر أن يخدم ذلك الملك الذي اسر أمه لمدة سبع سنين مقابل الإفراج عن والدته، وخلال تلك المرحلة استطاع أن يتعلم طرق الديبلوماسية، كما أنه تدرّب على فن قيادة جماعات الإغارة على القبائل الأخرى، لكنه سرعان ما فر من الجيش عام 1861م وتحصن في الجبال تاركاً كل ممتلكاته. وفي نفس العام وافق رجال المرابط موري يولي سيس على تعيين ساموري توري رئيساً لهم بعد أن وجدوا في شخصية المهارة العالية وأعطوه كل الصلاحيات لتعبئة المقاتلين وتدربهم. لبى ساموري توري عرض رجال المرابط وأقسم على بناء دولة إسلامية في تلك المنطقة.

4.3.3.2.3 مرحلة البناء والتوسع وبناء الدولة الإسلامية (1861-1881):

فبعد ولادة التحالف والتعاون بين رجال موري يولي سيس وساموري توري عام 1861م قام الأخير بجمع الرجال وتدريبهم وتوزيع البنادق عليهم ذات الطلقات السريعة والتي حصل عليها من سيراليون[1]، وفي فترة وجيزة ذاع صيت ساموري توري وأخذ نفوذه يمتد في المناطق التي تشكل اليوم وسط ما يسمى غينيا-كوناكري.

وبين عامي 1865م و1879 تصادم ساموري مع قبائل تلك المنطقة فانسحب إلى الغابات إلا أنه عاد إلى العلن من جديد ولكن ظلت قواته أقل من قوات القبائل فنقل معسكرها إلى مدينة بيساندوغو عام 1873م ومن هناك أعلن عن حماية التجارة وطرقها، فتعاطف التجار معه وساعدوه في بناء امراطوريته الجديدة.

وفي عام 1874 بدأ ساموري الغزو التدريجي لكل القرى المجاورة لعاصمته، وفي العام نفسه تحالف مع المسلمين في مدينة كانكان وبهذا استطاع أن يهزم جماعات مهمة من القبائل ويتقدم نحو أعالي النيجر حيث ازدادت سيطرته على حافة فوتا جالون ، وساعد ساموري سكان كانكان على التخلص من الحصار الوثني المضروب حولهم، وعاد في عام 1880 ليهاجم قبائل السيسي، ونجح في تحطيم كل القوى المنافسة له، وضمّ كل هذه الجماعات تحت سيطرته، وصار أكبر قائد لإمبراطورية إسلامية عرفها شعب المالنكِ مساحتها حوالي مليون كلم^2[2] تمتد من مدينة كانكان وجوارها بعد اخضاعها عام 1881

---

(1) الخوند، مج 13، ص 168.

(2) شبكة كلمة الحق، 'مسلمو ساحل العاج'،
http://www.rightword.net/Anuke/modules.php?name=News&file=article&sid=2608
.25 /2 /2005

حتى مدينة سيكاسو Sikasso في جنوب غربي مالي وتخوم سيراليون وليبيريا . وكان ساموري يفكّر في مبدأ واحد يجمع شمل كل هذه المنطقة، ووجد أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو أفضل السبل لحكم هذه الأقاليم من إمبراطوريته.(1)

بنى ساموري دولته على إدارة مركزية مقسمة إلى 162 مقاطعة تجتمع ضمن عشر حكومات ويترأس كل واحدة منها قريب من أقربائه أو رجل موثوق به يساعده رجل عسكري ورجل ديني.(2)

4.3.3.2.4 مرحلة الحرب مع فرنسا (1881–1891):

هذه الفترة مليئة بالبطولات والأحداث الجسام في حياة هذا المجاهد الإسلامي في سبيل الدين والوطن ضد الغزو الأوروبي الذي سعى الى تدمير الحضارة الإسلامية تحت شعار إدخال الحضارة الأوروبية وتمدين الأفارقة.

تصادف قيام الدولة الإسلامية مع خطط الفرنسيين في السودان الغربي وهو الأمر الذي جعل من المحتّم دخول هذا المجاهد الإسلامي في صراع مع هذه القوة الاستعمارية. ولقد وقفت القوى الأوروبية ضد طموحات هذا المجاهد الإسلامي الكبير، ولسوء حظّه وحظّ شعبه أنه بدأ نضاله من أجل نشرة العقيدة وإخضاع القبائل الوثنية في الوقت نفسه الذي راحت القوى الاستعمارية تبسط نفوذها على القارة الإفريقية بعد قرارات تقسيم القارة. وكان ظهور ساموري ودعوته للجهاد وتكوين إمبراطورية إسلامية قد تلازما وتواكبا مع التكالب الاستعماري على أفريقيا، وكان لابد من التصادم والصمود والكفاح في سبيل نصرة الدين والحضارة الإسلامية.

شرع الاستعمار الفرنسي يوطد دعائمه في المنطقة منذ عام 1842م حين وقع الفرنسيون معاهدات حماية مع الزعماء المحليين. بعد ذلك انصرف الفرنسيون للاحتلال العسكري، فاجتاحوا مجرى نهر النيجر الأعلى بما فيها مالي. وقد بدأ صراع ساموري مع القوات الفرنسية الاستعمارية منذ العام1881 ففي ذلك العام رفض هذا القائد المسلم الإنسحاب من منطقة يسيطر عليها وتسليمها لفرنسا مما أدى إلى اندلاع العديد من المعارك التي انتصر فيها ساموري، غير أن قيام القبائل الوثنية بالهجوم عل الجيش المسلم من الشرق وتوقيع معاهدة في نفس العام بين حاكم فوتا جالون وفرنسا أدى إلى مواجهة

(1) إبراهيم، ص 157.

(2) الخوند، مج 13، ص 168.

عسكرية عام 1881م مع الجيش الفرنسي في كِنيران Kéniéran[1] وعلى أبواب "باماكو".[2]

وبعد القضاء على منافسيه من الوثنيين في عام 1884م قام الإمام ساموري بإلغاء النظم القديم للفاما[3]، واتخذ لنفسه لقب الإمام أو أمير المؤمنين. فبعد أن احتفل مع أهله في شهر رمضان جمعهم في 25 تموز (يوليه) 1884 وأعلن أنه سوف يلقب نفسه بلقب "الإمام"، وأعلن عن أمله في أن يعتنق أهله ورعاياه الدين الإسلامي، وأن تكون أسرته قدوة في هذا المجال. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه ألغى شرب الخمور واستيرادها، ومنع كل العادات الوثنية وبدأ في تطبيق الشريعة الإسلامية.

وبالرغم من صمود رجال ساموري أمام قوة الفرنسيين إلا أنه آثر تحاشي القتال بعد أن قدر موازين القوى ورأى أنه في النهاية لن يكون الأمر لصالحه. لكن الهجوم الذي قام به الفرنسيون عام 1885م لم يترك لساموري الخيار، ففضل مفاوضتهم عام 1886 وعقد معهم هدنة في العام التالي تخلى بموجبها عن بعض المناطق لفرنسا كي يتفرغ لمهاجمة سيكاسو. وأثناء حصار ماموري لسيكاسو بين أيار (مارس) 1887م وآب (أغسطس) 1888م أثار الفرنسيون عدداً كبيراً من أتباعه وحرضوهم ضده وضد أفكاره الدينية واعتقدوا أن مملكته أصبحت وشيكة الإنهيار وأنهم سيرثونها. لكن ساموري تمكن من الإنتفاضة ما بين عامي 1888م و1890م وأعاد سلطته على جميع أنحاء المملكة وعدل في الوقت نفسه من سياسته الإصلاحية ووجهها نحو مقاتلة الفرنسيين، كما حاول تأجيل الصدام حتى يتمكن من تحديث الجيش والأسلحة.[4]

لكن سرعان ما عاد الفرنسيون إلى إعلان الحرب عام 1891م ودامت المعارك بين كر وفر حتى عام 1898 كان يتبع أثناءها ساموري سياسة الأرض المحروقة. فقد عمد خلال تلك الفترة إلى استيراد الأسلحة الحديثة من ليبريا وسيراليون وتأسيس محترفات لإنتاج البنادق محلياً لكنه ظل يدرك أن قواته بحاجة شديدة للمدافع لصد الفرنسيين. وأمام امتلاك القوات الفرنسية للمدافع التي تضر تحصينات جيشه قرر ساموري تقسيم قواته إلى ثلاث فرق: الأولى تتوسع شرقاً وتضم أراضي جديدة للدولة تعويضاً عن الأراضي

(1) تقع الآن في شرقي غينا-كوناكري.

(2) العاصمة الحالية لدولة مالي.

(3) الفاما (Faama) تعني الرجل الذي يحمل السيف، وتطورت لتعني الرجل الذي يستولي على السلطة من خلال الغزو العسكري انظر: إبراهيم، ص 158.

(4) الخومد، مج 13، ص 169.

التي تفقدها أمام الفرنسيين في الغرب، والفرقة الثانية من القوات تتمركز في ساحل العاج وما يسمة اليوم بدولة غانا، والفرقة الثالثة تقاتل الفرنسيين وتعمل على تكبيدهم أعلى الخسائر الممكنة مع الإنسحاب إذا رأى ساموري أن المعركة تدور في غير صالحة. وبالفعل كان ساموري يقوم بالإنسحاب محافظاً على جيشه وأثناء ذلك يقوم بحرق جميع الأراضي التي يتركها، فإذا وصلها الفرنسيون لا يجدون التي يحتاجونه فلا يستطيعون مواصلة تقدمهم انتظاراً لوصول الإمدادات، وهذا ما كان ينهك القوات الفرنسية.(1) إلا أن فرنسا تمكنت خلال تلك الفترة من الاستيلاء على العاصمة كانكان فنقل ساموري عاصمته إلى مدينة "دايكالا" في ساحل العاج وذلك عام 1895م.

حاول ساموري توري من جملة ما حاول على الصعيد السياسي أن يلعب على تناقض في مصالح الدولتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا، إلا أنه لم يوفق إذ كانت الدول الأوروبية آخذه في احتلالها لإفريقيا وتقسيمها إلى ما بينها وكانت فرنسا وبريطانيا قد وقعتا منذ عام 1882م اتفاقية تقضي بتعيين حدود ممتلكاتهما في القارة السمراء.

لم تمر الظروف في صالح ساموري توري إذ تم محاصرة قواته في غابات ساحل العاج بعد أن منعته بريطانيا من التقدم شرقاً ناحية غانا، ومنعته القبائل الوثنية من المرور عبر أراضيها، وكذلك بعد إعلان العديد من القبائل الوثنية الحرب عليه بينما ساءت أوضاع المسلمين وأصابهم الإنهاك من طول فترة الحرب فتعرض جيش ساموري للجوع وأصبح ساموري غير قادر على السيطرة على جنوده الذين يتضورون جوعاً ويبحثون عن أي شيئ يأكلونه. وفي إحدى الليالي استيقظ ساموري ليجد جيشه المكون من عشرة آلاف مقاتل لم عد سوى ألفين بينما تفرق الباقون في الغابات، فحاصرته القوات الفرنسية من كل جانب حتى وقع في الأسر وتم سجنه في 29 أيلول (سبتمبر) 1891م وترحيله إلى الغابون حيث توفي عام 1900م تاركاً المقاومة لحفيده "أحمد سيكو توري" (1922-1984) الذي صار رئيساً لجمهورية غينيا-كوناكري التي حصلت على استقلالها في عام 1958م قبل كل المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا.

4.3.3.3 نظام الجيش في امبراطورية ساموري:

شكل ساموري توري جيشاً مدرباً يضم جنوداً محترفين فضلاً عن الميليشيات الشعبية

(1) شبكة كلمة الحق، "مسلمو ساحل العاج"،
http://www.rightword.net/Anuke/modules.php?name=News&file=article&sid=2608
.25 /2 /2005

التي كانت تجيء من القرى في حالة الحرب ولذا كانت الجماهير من عسكريّين ومدنيّين هي العمود الفقري لمقاومة هذا المناضل للاستعمار الفرنسي ومما يستدعي الانتباه أن أسلوب ساموري الحربي في تخريب المدن والقرى التي يهجرها قد ساعد على استمرار المقاومة فترة طويلة نجح خلالها في مقاومة الفرنسيين وتكبيدهم خسائر طويلة، وكان كلّما انسحب أمام الفرنسيين حرص على تدمير كل شيء حتى لا يستفيد منه الأعداء.[1] كما أوجد محترفات للصناعات العسكرية الخفيفة يعمل فيها عمال إفريقيون كإصلاح البنادق وصناعة بنادق سريعة الطلقات إضافة إلى ما كان يزوده به تجار السنغال وتجار سيراليون الانكليز من أسلحة وعتاد.

4.3.3.4 شخصية ساموري توري:

كان ساموري رجلا عبقريا، حاضر البديهة، وتكمن عظمته في عبقريّته الاستراتيجية التي كشفت عن نفسها خلال خمسة وعشرين عاما من النضال والمواجهة ضد الأعداء واستطاع ان يجمع شمل قبائل متناثرة، وعشائر متناحرة، وقوميّات شتى، واستطاع ان يوحّد كل هذه الجماعات تحت راية الإسلام، وكوّن أمة حديثة أخذت بكل أساليب التقدم والرخاء، وأقام مجتمعا إسلاميا، وطبّق الشريعة الإسلامية بعد أن حوّل كل فئات الشعب إلى هذا الدين الحنيف.

ويكفي هذا المناضل الأفريقي أنه استطاع أن يحكم منطقة واسعة من السودان الغربي، ولم ينشر الدين الإسلامي فقط بين القبائل الأفارقة بل غرس في نفوس الناس روح العداء ومقاومة التوسع الأجنبي وولّد في نفوس الشعب روح التضحية والفداء حتى رحل المستعمر عن أفريقيا.

يقول الجنرال أورستِ باراتير Oreste Baratiere[2] أن ساموري أظهر تفوقا على كل زعماء السودان في القارة الإفريقية حيث الوحيد الذي أعطى الدليل على صفات الزعيم، وحيث كان سياسيا محنّكا، وقائدا يمتلك الطاقة والقدرة على وضع الخطط الحربية التي يصعب تدميرها، وأنه إذا فقد جزءا من الأرض فإنه لم يغادر الموقع إلا بعد أن يكبد الفرنسيين خسائر فادحة، وكان يعوّض خسارته في الغرب بالاستيلاء على أجزاء مضاعفة من الشرق، وهذه استراتيجية كبرى لقائد مسلم رفض الاستسلام بسهولة. ولم يكن ساموري عبقرية عسكرية فحسب، بل كان أيضا دبلوماسيا بارعا، يتضح ذلك من

---

(1) إبراهيم، ص 178-179.

(2) جنرال إيطالي هزمه الإثيوبيون في معركة عدوه Adwa عام 1889م.

علاقاته بالحكام الأفارقة الآخرين وبالسلطات الفرنسية .[1]

4.3.4 حركتا المجاهدين 'كراموك أليف با' و 'إبراهيم سوري باري':

إن العنصر المهم في نجاح الحركات الإصلاحية، هو ظهور عدد من الزعماء المسلمين حملوا رايات الجهاد، الواحد بعد الآخر. يقابلنا في طليعة هؤلاء زعيمان دينيان من الطراز الأول أخذا بيد قبائل الفولاني[2] في منطقة فوتا جالون وهما 'إبراهيم موسى' المعروف باسم 'كاراموكو أليفا با Karamok Alpha Bah' وثانيهما 'إبراهيم سوري باري'. وقد انضمّ إليهما زعماء قبائل الفولة المهاجرون من منطقة 'ماسينا Macina'[3] وجعلوا 'فوغومبا Fogomba' مركزا لنشاط مدارسهم الدينية، وتعاهدوا فيما بينهم على الجهاد الديني بين أهالي المناطق المحيطة بهم.

ولما توفي كاراموكو أليفا عام 1751، اتّفقت كلمة القبائل على أن يتولى زعامة الجهاد إبراهيم سوري، وفي أعقاب مناوشات متواصلة ضد منافسيه استطاع الانتصار عليهم في 1776م، وفاز بلقب الإمام. كان أول واجباته حماية المجتمع الإسلامي والعمل على توسيع حدود المسلمين.

وبعد انتصارات إبراهيم سوري باري وشدّة ولاء مجاهديه إليه أصبح صاحبا الكلمة العليا بين زميليه، فقام أحد الزعماء ويدعى 'مودي ماداً' بجمع أتباع كاراموكو أليفا حوله، ثم نادى بالإمامة لشخص اسمه 'عبد الله باديمبا بن كارامو أليفا'، ولكن إبراهيم استطاع السيطرة على الوضع من مناهضيه واعتمد على رجال جيشه، وبعد هذه السيطرة جعل قاعدته في تمبو[4] عام 1780م بدلا عن القاعدة الأولى فوغومبا، واختار أعضاء مجلس الشورى الجدد، وبعد ذلك واصل الحكم بحزم حتى توالى عام 1784 ميلادية. بعد ذلك عادت الفوضى إلى أجزاء دولته الإسلامية، وأدى ذلك إلى أن يتغلب الإمام عبد الله باديمبا بن كراموكو أليفا فسمى أتباعه 'ألفايا' وهم المختصون بالشؤون الإسلامية إلى جانب الحزب العسكري ودعي 'سورييا' نسبة إلى سوري.

ولكن ابن سوري لم يرض عن هذا الوضع فبدا النزاع بين أتباع الإمامين وفي النهاية

---

(1) إبراهيم، ص 179.

(2) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(3) منطقة تقع في وسط مجرى نهر النيجر بين مدينتي سيغو وتمبكتو في ما يسمى اليوم بدولة مالي.

(4) تقع اليوم في غينيا-كوناكري.

اتفقا عام 1837م على أن يوحّدا هدفهما من أجل الجهاد الشريف ويتناوبا الإمامة كل عام.

كان المسجد هو القاعدة الرئيسية للحكم، يحيط به مساكن أسر الزعماء، ويتزعّمها الإمام ويعاونه مجلس مؤلف من رؤوس الأسر يشرف على جمع الضرائب ويرأسه حاكم، ثم كان هناك "المديرية" ويحكمها حاكم سياسي يعيّنه الإمام وكان لكل حاكم مجلس الشورى. وكان على رأس هذه الدولة الإسلامية إمامان يتناوبان الحكم على فترات، وكان يعين الإمام "مجمع انتخابي" (Electoral College) يتألف من أربعة أعضاء يمثل كل واحد منهم سلالة من سلالات الصحابة الأول، وبعد أن ينال المرشح للإمامة موافقة المجلس العام لقبائل الفولاني[1] يصبح إماما.[2]

وكان كل هذا في تمبو العاصمة السياسية، وأما فوغومبا فكانت العاصمة الدينية للدولة، وكان للإمام مجلس للكبار يهيمن أعضاؤه على جميع الشؤون الدينية والقضائية والسياسية، وكان لهذا المجلس سلطة لخلع الإمام.

وهكذا رأينا أن النظام الجمهوري، قد عملت به دول أفريقيا الغربية في الوقت الذي طبقته فرنسا، إن لم يكن من قبل. هذا النظام السياسي الذي دعمته الروح الإسلامية دعما قويا. ولولا الغزو الاستعماري للقارة الإفريقية لكنا قد رأينا قيام جمهوريات عدة تسودها الحرية والعادلة الاجتماعية.[3]

4.3.5 حركة الشيخ أحمد لوبو:

ولد أحمد (أو أحمدو كما يُلفظ بلغة الفولاني) في لوبو عام 1775م في منطقة ماسينا[4]، وينتمي إلى عشيرة مسلمة من عشائر الفولاني[5] التي هاجرت إلى تلك المنطقة وعاشت مع شعب البامبارا حيث كانت الوثنية منتشرة. تلقى أحمد لوبو ثقافته الإسلامية من شيوخ اسرته ثم انتقل إلى مدينة "جني" التي كانت مركزاً اسلامياً مهماً فتعلم التفسير والفقه وعلوم الدين الأخرى، ثم عاد إلى ماسينا واعتزم الجهاد للقضاء على البدع بين المسلمين ولإنقاذ الوثنيين من عبادة الحجارة والأشجار وجذبهم إلى عبادة الله. كان أحمد لوبو من

(1) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.
(2) زكي، عبد الرحمن، **الإسلام والمسلمون في أفريقيا**، ص 96.
(3) المصدر السابق، ص 96.
(4) منطقة تقع في وسط مجرى نهر النيجر بين مدينتي سيغو وتمبكتو في ما يسمى اليوم بدولة مالي.
(5) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

تلاميذ الشيخ المرابط "سيدي محمد" الذي اتبع الطريقة القادرية[1] والتي أثرت على أحمد لوبو وعلى أفكاره. لكن أحمد لوبو لم يقتنع بأن يكون داعية عادياً بل ادعى الانتساب إلى البيت النبوي والمهدية،[2] كما أن هناك أقاويل تذكر أن أحمد لوبو تأثر بتعاليم الحاج عثمان فودي[3] وطريقة جهاده.[4] وفي عام 1813م أعلن الجهاد على الوثنيين حوله وانتصر عليهم، ثم دخل مدينة تمبكتو وانتصر على المراكشيين الذين كانوا يحتلونها، كما دخل مدينة جني وطهرها من البدع والمنكرات واتخذ حاضرة له على مقربه منها تقع على نهر "باني" سماها "حمد الله"، فأنشأ بذلك دولة اسلامية في منطقة ماسينا.

أطلق أحمد على نفسه لقب "أمير المؤمنين" وشدد على تطبيق الشريعة الإسلامية ومنع التدخين وأقام علاقات مع الدولة العثمانية، وعلى الصعيد الإداري وضع أحمد على كل قرية ومقاطعة حاكماً عينه بنفسه، وكان هذا الحاكم يُحاسب أمام القاضي.[5]

وفي مجال المالية، كانت الدولة تملك كل الأراضي وكانت تأخذ قسماً من غنائم الحرب، أما الضرائب فكانت تشمل الزكاة (العشر على محاصيل الحبوب) وضريبة إضافية على الأغنياء بالإضافة إلى 10٪ ضريبه جمارك. وكان على كل قرية أن تقدم عدد محدد من الرجال للمشاركة في العمليات العسكرية خلال الحرب، وفي المقابل كانت الدولة تدفع بدائل للجنود خلال غيابهم في الجبهة كي تقتات منها عائلاتهم.[6]

توفي أحمد لوبو عام 1844م فخلفه ابنه أحمدو الثاني ومن بعده أحمدو الثالث الذي ظلت دولته حتى عام 1861م حين هاجمها الحاج "عمر سعيد تل" حاكم مملكة "التوكولور" التي تقع في ما يسمى اليوم بالسنغال، وقد تركت حركة أحمد لوبو وابنه تأثيراً واسعاً وواضحاً في المنطقة التي ازدهرت بها وبسببها استقر الإسلام بين شعوب هذه المنطقة[7].

---

(1) Rodinson, M., "Ahmadu Lobbo", **Encyclopaedia of Islam**, New edition, Leiden: E. J. Brill, 1960, vol. 1, p.303.

(2) شلبي، مج 6، ص 230.

(3) لمزيد من المعلومات عن عثمان فودي أنظر الفقرة 4.3.1 من هذا الفصل.

(4) أنظر:

"Ahmadu's Jihad 1810-1818". http://www.onwar.com/aced/data/alpha/fahmadu1810.htm, 1/3/0.

وأنظر أيضا:

"Shehu Ahmadu Lobbo", **The New Encyclopædia Britannica**: Micropædia, 15ed, London, Encylopædia Britannica , 2002, vol. 10, p. 716.

(5) المصدر السابق، مج 1، ص 303.

(6) المصدر السابق، مج 1، ص 303.

(7) شلبي، مج 6، ص 230.

ملحق

دول إفريقيا الغربية في العصر الحديث[1]

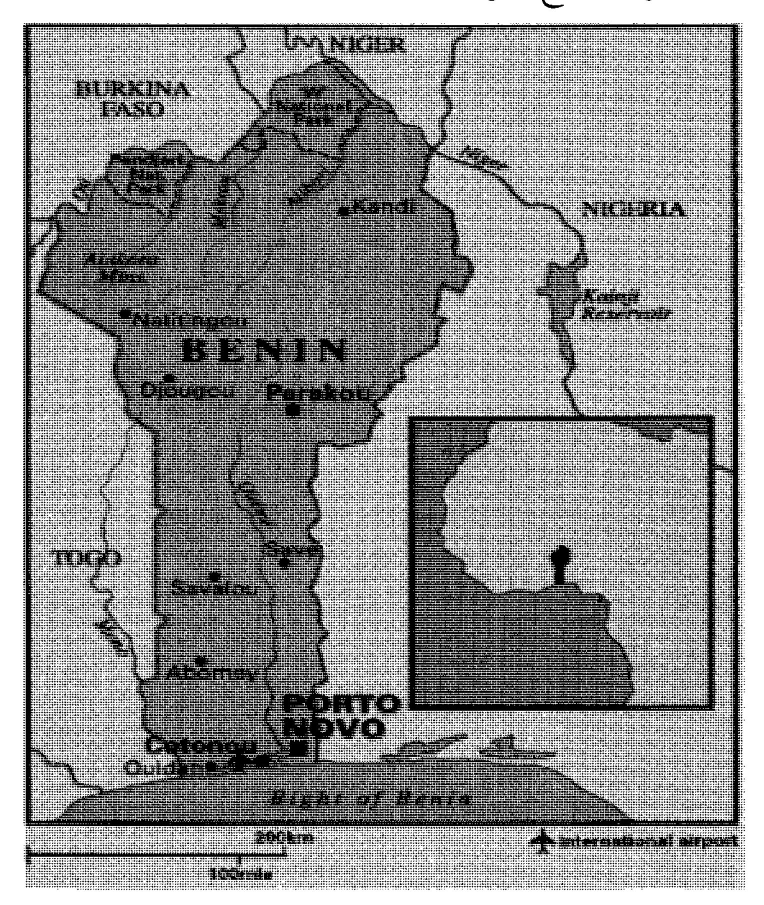
(1) مبوب هجائياً حسب أسماء الدول.



بِنين

لمحة جغرافية:

كانـت بِنين تعرف قبل عام 1975م باسم "داهومي" وتبلغ مساحتها 112.622 كيلومترا مـربعا، وهـي مـن الـدول الصغيرة في غرب إفريقيا. تشرف بِنين من ناحية الجنوب على المحـيط الأطلـسي (خلـيج غانـا)، وتـبلغ طول ساحلها 121 كيلومترا، أما حدودها البرية فـتقع الـتوغو إلى الغـرب مـنها، وتحـدها مـن الشمال بوركينا فاسو، والنيجِر، أما نيجِريا فتحدها من ناحية الشرق (راجع الخريطة).



يـبلغ عـدد سـكان بِنين حسب تقديرات عام 2002م حوالي 6,560,000 نسمة، وبذا

تـزيد الكثافة على خمسين شخصا في الكيلو المتر المربع الواحد.[1] وتبلغ نسبة المسلمين في بـنين15٪، وتـزيد هذه النسبة كثيرا في الشمال،[2] لأن معظم قبائل تلك الجهات هي من الفولاني[3] والهاوسا، والباريباس، كما تقلّ في الجنوب، اذ أخذ الإسلام طريقه إلى قبائل الجنوب متأخرا وبنسبة قليلة، كما تبلغ نسبة النصرانية حوالي 20٪ والباقي من الوثنيين.[4] تنتقل في الشمال قبائل الباريباس، والهاوسا، والفولاني وتشكل هذه القبائل ما يقرب من نصف سكان البلاد وتعيش في الجنوب قبائل الفون واليوربا، والناغي وهي أيضا تقدّر بنصف السكان. اللغة الرسمية هي الفرنسية وهناك لغات القبائل المحلية. تمتد بِنين بين خطي عرض 6,2 ° - 12,2 ° تقريبا شمالا ، ونتيجة هذا الموقع يسود في الجنوب المناخ الاستوائي حيث الأمطار الغزيرة والحرارة الدائمة والأشجار الباسقة التي تشكل غابات تتشابك أطراف أشجارها، فتضم فيها قبائل بدائية تنعزل في أقاليمها، أما الشمال فيسود فيه المناخ السوداني (الصيف الماطر والشتاء الجاف) وتقل الغابات وتنبعث الأشجار، وتنتشر المراعي الطويلة، التي تنتقل على مساحات واسعة. أهم المدن: بورتو نوفو Porto-Novo وهي العاصمة وسكانها حوالي 179,000 نسمة، ثم مدينة كوتونو وعدد سكانها حوالي 536,800 نسمة وهي عاصمة بِنين الاقتصادية وميناؤها الأهم. ومن المدن المهمة أيضاً مدينة باراكو Parakou ومدينة أبومي Abomey التاريخية وهما مدينتان داخليتان عدد سكان الأولى نحو 100,000 نسمة والثانية حوالي 66,500 نسمة[5].

الاقتصاد:

القطاع الزراعي هو أساس الاقتصاد في بِنين. أهم المزروعات: النخيل والذرة والقطن والفول السوداني والبطاطا والبن والكاكاو، وتعتمد غالبية سكان الجنوب على صيد السمك. ومن الثروات الباطنية يوجد الذهب والنفط والفوسفات والرخام. أهم الصناعات: السكريات والإسمنت والأقمشة والزيوت. أما العملة المستعملة فهي: الفرنك الإفريقي، وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1040 دولار أميركي

---

(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, 34th ed, London: Europa Publications, 2004, p.79.

(2) لمزيد من المعلومات عن عدد المسلمين في هذا البلد أنظر جدول الأديان في الفقرة 1.2.8 في الفصل الثاني للباب الأول من هذا البحث.

(3) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(4) الخوند، مج 6، ص 139.

(5) **Africa south of the Sahara**, 2005, p.79.

ونسبة الذين يعرفون الكتابة والقراءة هي 38٪[1].

انتشار الإسلام:

انتشر الإسلام في الشمال قديما عن طريق التجّار القادمين من الشمال، وعن طريق الدعاة الذين كانوا يصلون إلى المنطقة قادمين من الشمال الغربي الإفريقي من دولة المرابطين ثم من دعاة الموحّدين ومن جاء بعدهم سار على طريق المرابطين وان كان على نطاق أضيق، ويقال إن قسمها الشمالي كان جزءاً من مملكة مالي الإسلامية.[2] وفي العصور الحديثة انتشر الإسلام عن طريق قبائل الفولاني، وخاصّة أيام عثمان بن فودي[3] الذي عمل على نشر الإسلام بين قبائل الهاوسا. كما انتشر الإسلام من قبل بين قبائل البارياس.

أما في الجنوب فظل معظمه قبائل وثنية، وقد أسست تلك القبائل في القرن السابع عشر الميلادي أربع ممالك هي "ويدا" و"آلادا" و"بورتو نوفو" و"داهومي"، وكانت الأخيرة أقواها جميعاً فهزمت كلاً من "آلادا" سنة 1724 و"ويدا" عام 1729 وأخذت أملاكهما واستولت على ما لديهما من تجارة الرقيق.[4] وكلمة "داهومي" مركبة من مقطعين هما "دان" وهو اسم القبيلة و"هومي" معناه بطن أو منزل وهذه التسمية تشير إلى بطن الملك دان الذي كان معتاداً أن يأكل ضحاياه ومعارضيه، ويقال إن داهومي كانت قبائل شرسة وكان بينها فرقة من النساء المدربات على القتال عرفن بالوحشية وتدربن على القتال والفتك بضحاياها وقد تجاوزت شرور هذه الفرقة كل حد.[5]

وقد بلغت قبائل داهومي ذروة قوتها وشهرتها في عهد الملك "جيزو Ghézo" الذي بدأ حكمه عام 1818م واستمر مدة عشرين سنة قام خلالها بتثبيت الأمن وتنشيط تجارة الرقيق. وفي عام 1851م وقعت فرنسا معاهدة تجارية مع الملك "جيزو" الذي توفي عام 1858م وخلفه ابنه "غلِل Glélé". أقام هذا الملك علاقات دبلوماسية مع البرتغال وهولندا وبريطانيا وفرنسا، وفي عهده ضُمّت بورتو نوفو إلى أراضي المملكة. وفي عام 1863م

---

(1) **National Geographic Concise Atlas of the World**, Washington, D.C: National Geogra-phic Society, 2003, p. 82.

(2) لمزيد من المعلومات عن هذه المملكة راجع الفصل الثاني من الباب الثالث في هذا البحث.

(3) لمزيد من المعلومات عن هذا الزعيم راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(4) مؤمن، ص 387.

(5) المصدر السابق، ص 387.

استولت فرنسا على بورتو نوفو بعد ان استولت بريطانيا على لاغوس، كما أن الألمان كانوا قد ثبتوا أقدامهم في "توغو" المجاورة وأخذوا يتسللون إلى بِنين التي كانت تعرف آنذاك باسم "داهومي"، لكن اتفاقية ألمانية-فرنسية وقعت عام 1885م حصرت نفوذ ألمانيا في توغو وتركت داهومي لفرنسا. وكانت فرنسا قد وقعت مع بريطانيا معاهدة رُسِمت فيها الحدود بين مستعمرة بريطانيا في الشرق التي عرفت باسم نيجيريا وبين مستعمرة فرنسا في الغرب في داهومي، غير أن هذه الحدود لم تثبت نهائياً إلا بعد اتفاقية عقدت عام 1889م تنازلت عنها بريطانيا عن منطقة كوتونو.

الاستعمار:

في عام 1889م نشب صراع بين ملك داهومي وبين فرنسا التي رغبت في تطبيق سياستها الاستعمارية من خلال احتلال مناطق واسعة من البلاد. وقد استبسل السكان بالدفاع عن أراضيهم ولعبت فرقة "الأمازون" من النساء دوراً بارزاً في قتال الفرنسيين الذين وقعوا مع الملك عام 1890م معاهدة استولت بموجبها فرنسا على بورتو نوفو وكوتونو وخصصت له مقابل ذلك راتباً تقاعدياً شهرياً قدره 800 جنيه استرليني.[1] وعندما توفي الملك "غلِل" خلفه ابنه "بِهانزين Béhanzin" الذي أعلن الحرب ثانية على فرنسا سنه 1892م غير أنه هُزم فاضرم النار في في عاصمة ملكه "أبومي Abomy" وفر إلى الشمال، لكنه اضطر أن يسلم نفسه عام 1894م حيث نفي إلى جزر المارتنيك، ومن بعد ذلك وقعت البلاد كلها تحت الحكم الفرنسي. وفي عام 1901 رسمت فرنسا الحدود مع توغو بعد اتفاقية مع ألمانيا فأخذت بِنين شكلها الحالي تقريباً، وبعد ثلاث سنوات أدخلتها فرنسا في نظام الحماية الاستعماري الفرنسي الذي كان مجموعة من المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا وعُرف بإسم "الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية Afrique Occidental Française".[2]

منذ أن وطأت أقدام المستعمرين في بِنين ركزت الإرساليات التنصيرية جهودها على التعليم الخاص وذلك أكثر من أيه منطقة أخرى في غربي إفريقيا، وكان من تنيجة ذلك

---

(1) شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي: غربي إفريقيا**، ط 2 ، بيروت: المكتب الإسلامي، 1997، مج 15، ص 235.

(2) كان هذا الاتحاد يضم الدول التالية: بنين وغينيا-كوناكري ومالي وساحل العاج وموريتانيا والنيجر والسِنِغال وبوركينا فاسو.

أن وُجد 163,000 كاثوليكي و18,000 بروتستانتي.[1] ووقفت القبائل الوثنية الشرسة في الجنوب أمام المد الإسلامي من الشمال أول الأمر، ومن بعدها وقف المستعمرون الموقف نفسه وشجعوا الوثنيين على وقوفهم في وجه المسلمين، غير أن الدعوة الإسلامية تمكنت من إيجاد جماعات اسلامية في الجنوب وأخذت تزداد مع الأيام.

وأثناء الحرب العالمية الثانية ساقت فرنسا أعداداً من أبناء بِنينَ إلى ساحات القتال ودفعتهم إلى الصفوف الأولى في الجبهات، وبعد الحرب تشكلت حكومة شبه مستقلة وسمحت فرنسا بانشاء الأحزاب السياسية في البلاد وإرسال ممثلين عنها إلى الجمعية الوطنية في باريس. وفي عام 1958م صوتت بِنين (أو داهومي كما كانت تدعى آنذاك) إلى جانب مشروع ديغول[2] وأصبحت ضمن المجموعة الفرنسية وعضواً فيها.

الاستقلال:

في الأول من آب من عام 1960م استقلت بِنين عن فرنسا، وفي 20 أيلول 1960 م قُبلت بِنين عضوا في الأمم المتحدة وجرت الانتخابات في كانون الأول 1960م، وفاز فيها حزب الوحدة الداهومي بقيادة 'هوبر ماغا Hubert Maga' الذي انتخب رئيسا للجمهورية في الشهر الذي تلا الانتخابات في كانون الثاني 1961م. خرجت بِنين بعد استقلالها من مجموعة الشعوب الفرنسية غير أنها في الوقت نفسه وقعت اتفاقيات للتعاون الاقتصادي والعسكري والفني مع فرنسا.[3]

وبين عامي 1960م و1972م وقعت سلسلة من الإنقلابات في بِنين أدت إلى تغييرات كبيرة في الحكومة. وكان آخر هذه الإنقلابات ذلك الذي قاده عام 1972 الرائد 'ماتيو كِركو Mathieu Kerekou' نائب رئيس الأركان بالقيادة المدنية الجماعية، فشكل نظام عسكري بإمرته وركز على تمثيل متساوٍ بين المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية. وفي العام التالي تم تشكيل قيادة الثورة الوطني وفي عام 1974م أعلن الرائد كِركو أن البلاد ستتبع نظاماً اشتراكياً علمانياً ينبع من المبادئ الماركسية اللينينية، فغدت الدولة تشرف على النواحي الاقتصادية كافة بما فيها المصارف وتوزيع المنتجات النفطية.

---

(1) شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي: غربي إفريقيا**، ص 235.

(2) دعا الجنرال ديغول رئيس فرنسا عام 1958م المستعمرات الإفريقية والبلاد الموصى عليها إلى اختيار الطريق الذي يتفق مع مصالحها وهو إما الاستقلال غير المقيد أو الاستقلال مع البقاء ضمن نطاق الأسرة الفرنسية أو البقاء جزءاً من البلاد الفرنسية.

(3) شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي: غربي إفريقيا**، ص 238.

تبادلت بِنين السفراء مع الولايات المتحدة الأميركية عام 1983م، ولكن عادت العلاقات فساءت بين الدولتين عام 1988م عندما اتهمت الولايات المتحدة حكومة بِنين بالسماح لعملاء ليبيين باستخدام أراضيها كقاعدة لنشاطات تخريبية. لكن الرئيس كِركو أمر رئيس البعثة الليبية بمغادرة البلاد بحجة تورطه بنقل المتفجرات كما أمر بإغلاق مكاتب وكالة استيراد وتصدير مدعومة من ليبيا وكان لها علاقة بالقضية وفرضت حكومة بِنين قيود على دخول الليبيين إلى البلاد ورفضت عرض ليبي بتقديم مساعدات[1] إلا أن العلاقات تحسنت بعد ذلك وفتحت السفارة الليبية في كوتونو فيما بعد.

وفي بداية التسعينات أعلنت الحكومة أن الماركسية-اللينينية لن تكون الفكرة الرسمية للدولة وأن دستوراً جديداً سيتم وضعه للبلاد وإقامة انتخابات جديدة. وفي عام 1991م فاز في الإنتخابات الرئسية "نيسِفور سوغلو Nicéphore Soglo" خصم كِركو.

وقد بقي سوغلو في الحكم لغاية عام 1996 حين عاد للحكم كِركو، وفي عام 2001 أعيد انتخاب الأخير والذي ما زال في الحكم (2005). وبِنين عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1983م.

بوركينافاسو [فولتا العليا]

بوركينا تعني "وطن الرجال المستقيمين" و"فاسو" تعني "أرض جدادنا" وإسم "بوركينا فاسو" بدأ يُعتمد رسمياً ابتداءاً من 4 آب 1984 وقبل هذا التاريخ كانت البلاد تُعرف بِ "فولتا العليا"[2] نظراً لوجود المنابع العليا لنهر "فولتا" فيها[3].

لمحة جغرافية:

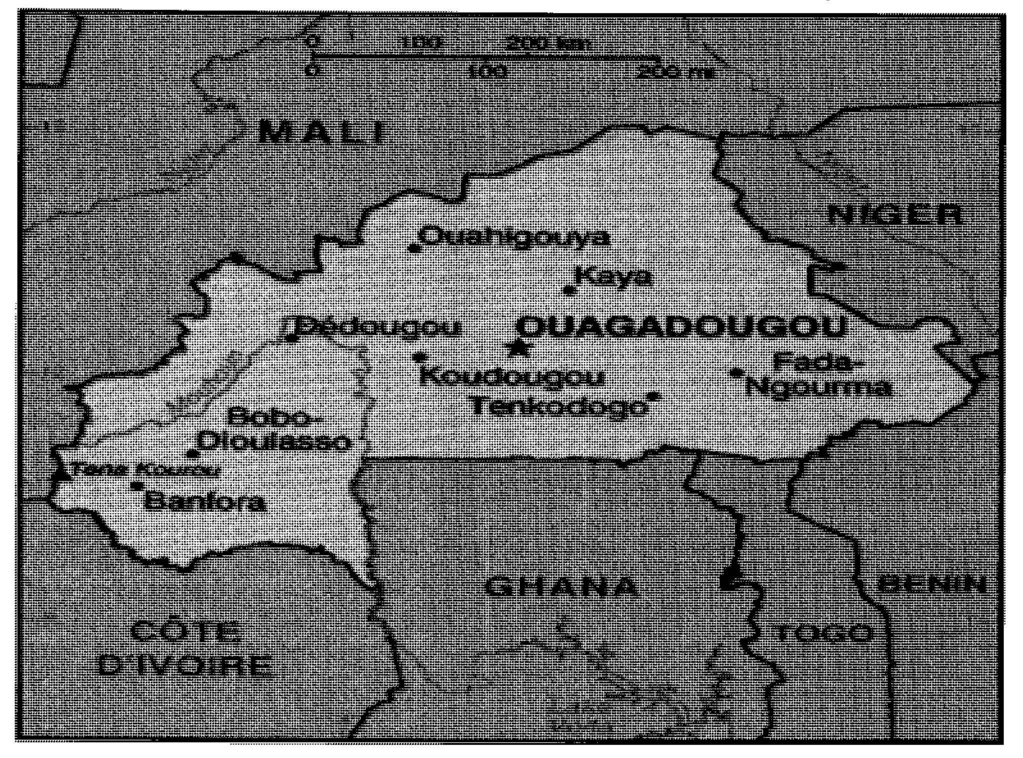
بوركينا فاسو جمهورية في غربي إفريقيا ليس لها منقذ على البحر، يحدها من الشمال والغرب مالي ومن الجنوب بِنين وتوغو وغانة ومن الشرق ساحل العاج من والنيجر (راجع الخريطة). العاصمة هي مدينة "أوغادوغو Ouagadougou" (يقطنها حوالي 600 ألف نسمة)[4]، وأهم المدن "بوبو ديولاسو BoboDioulasso" في الشرق (وهي ثاني

---

(1) المصدر السابق، ص 246.
(2) الخوند، مج 5، ص 328.
(3) بكر، ص 303.
(4) الخوند ، مج 5، ص 328.

كـبريات مدن بوركينا فاسو) ، ثم "كودوغو Koudougou" التي تقع في الوسط و"أوياهيغوا Ouahigouya" في شمال البلاد.

تـبلغ مـساحة بوركينا فاسو (200 ،274) كيلو متر مربع، ويتألف سطحها من هضبة تتركـب مـن صخور تحتوي على الغرانيت[1] والغنايس[2]، وتغطيها صخور رسوبية تعود إلى الـزمنين الأول والثانـي، ويـصل أقـصى ارتفـاع لهـا في الغـرب، وفي الوسـط شمـال العاصـمة إلى 749 م فقـط، وتـنحدر الهـضبة نحـو الجنوب حيث تجري عدة أنهار تقطعها مـنها: نهـر الفولـتا الأسـود الذي يشكل الحدود بينها وبين غانا، والفولتا الأحمر والفولتا الأبـيض اللـذان يلتقـيان بعـد ان يسيرا مسافة في غانا، كما تميل الهضبة نحو الشرق حيث تجـري بعـض الأوديـة نحـو نهـر النيجـر وتفـيض بعـض السيول في الرمال شمال الكتل الانكسارية المنعزلة الواقعة شمال العاصمة.



(1) الغـرانيت هـو صـخر صـلب وخشن يُكون جزءاً كبيراً من كلٍ قارة، يمكن صقله حتى يصبح أملس مما يجعله صالحاً لبناء الأعمدة والآثار التي يراد لها أن تعمر طويلاً.

(2) معدن أبيض رمادي لمّاع شبيه بالحديد يستعمل في تبييض الزجاج.

تقع بوركينا فاسو بين خطي عرض 10° و14.5 ° شمالا فهي إذا ضمن المناخ المداري ذي الأمطار الصيفية والشتاء الجاف. تتناقص الأمطار من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي فتكون 1500 مم في الجنوب الغربي ، وتقل إلى 500 مم في الشمال الشرقي، ويأخذ المناخ الصفة القريبة من الصحراوية شمال خط عرض 14 ° تقريبا. تهب في الشتاء رياح الحر مكان الشمالية الشرقية الجافة التي تحمل الأتربة والغبار، كما تنمو في الجنوب الغابات المدارية وتتدرج نحو الشمال الى حشائش السفانا التي تتخللها الأشجار، ثم الأشجار المتناثرة بين الأعشاب القصيرة في الشمال الشرقي.

السكان:

يتكون شعب بوركينا فاسو من اندماج بين إثنيات متعددة تم عبر مئات من السنين، ويبلغ عدد هذه الإثنيات حوالي 60 إثنية[1] . بلغ عدد سكان بوركينا فاسو عام 1998م حوالي 10,623,00 نسمة وبذا تبلغ الكثافة السكانية ما يقارب من 38,7 أشخاص في الكيلو المتر المربع الواحد[2] ، وان كانت هذه الكثافة تختلف بين الجهة الأخرى، أما أشهر القبائل التي تعيش فيها هي:

الموسي: وتعيش في الوسط من الشمال إلى الجنوب مارة بالعاصمة ، وتشكل أكثر من نصف السكان، وقبائل الماندينغ[3]، والهوسا، والفولاني[4]، والطوارق في الشمال وأغلبها من المسلمين.

تبلغ نسبة المسلمون في بوركينا فاسو حوالي 48٪ من مجموع السكان وهم يتبعون المذهب المالكي بالإضافة إلى انتشار الطرق الصوفي بينهم ، ويُشكل النصارى 16.7٪ والباقي أديان محلية ووثنية[5] . أما اللغة الرسمية فهي الفرنسية، وهناك عدة لغات قبائلية

---

(1) 'فولتا العليا، جمهورية' ، **موسوعة السياسة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986، مج 4، ص 641.

(2) **The 21st Century World Atlas**. Naples, Florida: Trident Press International, 1998, p278.

(3) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(4) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(5) "Burkina Faso", **Religions of the World: A Comprehensive Encyclopedia of Beliefs and Practices**, Melton, G J. & Baumann, M. (Eds), Santa Barbara, California: ABC-CLIO, 2002, vol 1 ,p. 208.

محكـية محلياً أشهرها : "موسي" و"سينوفو" و "دوغون" و"ديولا" (في التعامل التجاري) و"فلفلدي" ولغة "تماشيك" التي يتكلمها الطوارق.

الاقتصاد:

يعـتمد 80٪ من سكان بوركينا فاسو على الزراعة وتربية الماشية [1] ، فيزرعون الأرز والـذرة والفـول الـسوداني والقطـن والسمسم، وفي البلاد ما بين 2 و3 ملايين رأس من الأبقـار والماعـز والأغـنام ويـشكل تـصدير الماشـية مـا بـين ثلـث إلى نـصف عائـدات الـصادرات[2] . ومـن المعادن يوجد في بوركينا فاسو: المنغنيز، والبوكسيت[3]، والنحاس، والنـيكل ولكـن بكمية قليلة. أما العملة المستعملة فهي: الفرنك الإفريقي، وحصة الفرد مـن الناتج المحلي الإجمالي هي 1040 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون الكتابة والقراءة هي 35٪.[4]

دخول الإسلام:

يعـتقد أن غـزاة قدمـوا مـن شـرق إفريقيا وشمال غانة واستقروا في هضاب بوركينا فاسـو بين القرنين 11م و14م، فاختلطوا بالسكان الأصليين وتَكَوّن نتيجة هذا الاختلاط شعب الموسي الذي أسس أول التشكيلات السياسية في البلاد، فظهرت مملكة "أواغادو" في الوسـط بمـا فيها العاصمة الحالية "واغادوغو" ومملكة "ياتنغا" في الشمال. تمكنت قبائل مملكة "ياتـنغا" في حـروب عدة من صد هجمات مملكة صنغاي من الشمال التي كانت تغير على مناطق نفوذ قبائل الموسي لنشر الإسلام فيها.

وصـل الإسـلام إلى تلـك الـبلاد في القـرن 11 المـيلادي بواسطة التجار ومن خلال الممالـك الإسـلامية والقـبائل المـسلمة الـتي تحركت نحو الجنوب، ثم ازداد انتشاره خلال القـرنين 13 و15 الميلاديين عن طريق الدول الإسلامية المجاورة التي نشأت في تلك الفترة وخاصة في مالي. وفي نهاية القرن 15 وبداية القرن 16 الميلاديين تكونت جماعات إسلامية مـن "الموسـي"، وفي أواسـط القـرن الـسادس عـشر هاجـت مملكـة صـنغاي قبائل الموسي

---

(1) الخوند، مج 5، ص 329.

(2) "بوركينا فاسو"، **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للتشر والتوزيع، 1996، مج 5 ص 244.

(3) هو الخام الذي يُصنع منه معظم الألومنيوم.

(4) **National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 82

وحصرتهم في هضابهم الأصلية[1] ودخل الإسلام إلى أوغادوغو بشكل رسمي عام 1796م[2].

وعندما جاء الفرنسيون عام 1895 توقّف المد الإسلامي بسبب السياسية الفرنسية، وتدفق سيل الإرساليات التبشيرية التي كان بحوزتها الإمكانيات الضخمة والتي يسمح لها التصرف كما تشاء، ومع ذلك التدفق كله لقد زاد عدد المسلمين عندما اعتنق ملوك ورؤساء قبائل الموسي الإسلام. وأما مكانة الإسلام في التوجه الحكومي الذي يحكم الدستور والتوجه الشعبي، فنجد أن بوركينا فاسو لا ينص دستورها على الإسلام بل على العلمانية وهذا يعني عدم التقيد بقواعد الأديان بل تسود الأعراف التي تعتمد على العادات والتقاليد في قيادة التوجهين الحكومي والشعبي معاً[3]. وبالرغم من الجهود التي بذلت أو تبذل على ابقاء الوثنية في الجمهورية فان الإقبال الشديد على اعتناق الإسلام يزداد يوماً بعد يوم مع تقدم العلم والثقافة ووسائل الإعلام ونتيجة لاختلاط الوثنيين بالمسلمين وهذا يدل على أن الإسلام يتقدم دائما بنصرة الله سبحانه وتعالى فإنه نور لن يقدر أحد أن يطفئه مهما بذل جهوده الرامية أو أنفق مبالغ ضخمة فلا بد أن يذهب هذا كله سدى.

التاريخ الحديث:

ومنذ عام 1879م غرقت مملكة 'ياتانغا' في حرب أهلية بين العائلات الحاكمة مما سمح لفرنسا عام 1895م بالتدخل تحت حجة التوسط بين الأطراف المتنازعة وإخضاع المملكة لنظام الحماية الاستعماري الفرنسي الذي كان مجموعة من المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا وعُرف بإسم 'الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية "Afrique Occidental Française"[4]. وفي نفس السنة دخل الفرنسيون إلى واغادوغو وكان حاكمها قد وقّع قبل سنه معاهدة حماية مع ممثل عن الحكومة البريطانية فانتقلت بعد ذلك مملكة 'أواغادو' إلى نظام الحماية الفرنسية. وما بين 1895 و1897 تمت السيطرة على الأجزاء الباقية من

(1) الخوند، مج 5، ص 329 - 330.

(2) 'فولتا العليا، جمهورية'، **موسوعة السياسة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986، مج 4، ص 642.

(3) الهزايمة، محمد عوض، **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه السياسية**، عمان: دار عمار، 1997، ص 209-210.

(4) كان هذا الاتحاد يضم الدول التالية: بنين وغينيا-كوناكري ومالي وساحل العاج وموريتانيا والنيجر والسينغال وبوركينا فاسو.

أراضي شعب الموسي بعد مواجهات عنيفة [1].

ألحقت فرنسا هذه المناطق الجديدة إلى بلاد النيجر فيما عرف عام 1904م بمستعمرة "النيجر-السنغال العليا"، ثم عادت وجعلت تلك المناطق مستعمرة قائمة بذاتها عام 1919م عُرفت باسم "مستعمرة فولتا العليا". وعندما قام المسلمون في فولتا العليا يطالبون بالاستقلال رأت فرنسا أن تجزئ المستعمرة كي تخف المقاومة ، فأعطت جزءاً منها لمالي وجزءًا ثانيًا للنيجر وجزءًا ثالثًا لساحل العاج وذلك عام 1932م، ثم أعادتها بالحدود السابقة نفسها وذلك عام 1947م ولم ينته العام حتى جرى انتخاب جمعية وطنية وفي عام 1958 أصبحت "فولتا العليا" جمهورية عضو في المجموعة الفرنسية ووُضع دستورها الأول. استقلت "فولتا العليا" من فرنسا عام 1960م، وانتخب "موريسياميغو Maurice Yaméogo" رئيسًا للجمهورية وصدر دستورها الثاني ، وقبلت الدولة في هيئة الأمم المتحدة. وبعد الاستقلال بست سنوات قام رئيس الأركان "سانغولى لاميزانا Sangoulé Lamizana" (الذي كان برتبة عقيد) بأول انقلاب عسكري فأطاح بالحكم السابق، وعلّق الدستور، وأعلن نفسه رئيسا للجمهورية وحكم البلاد مجلس حكومي ولجنة استشارية إلى أن صدر دستور ثالث عام 1970. وفي عام 1974 علق "سانغولى لاميزانا" الدستور وحل الأحزاب الوطنية وتشكلت حكومة جديدة من ضباط في الجيش ومدنيين فضلاً عن لجنة استشارية. حصلت على البلاد على دستورها الرابع عام 1977م فأصبح رئيس الجمهورية يُنتخب بالاقتراع العام والمباشر وحُدِّد عدد الأحزاب بثلاثة فقط.

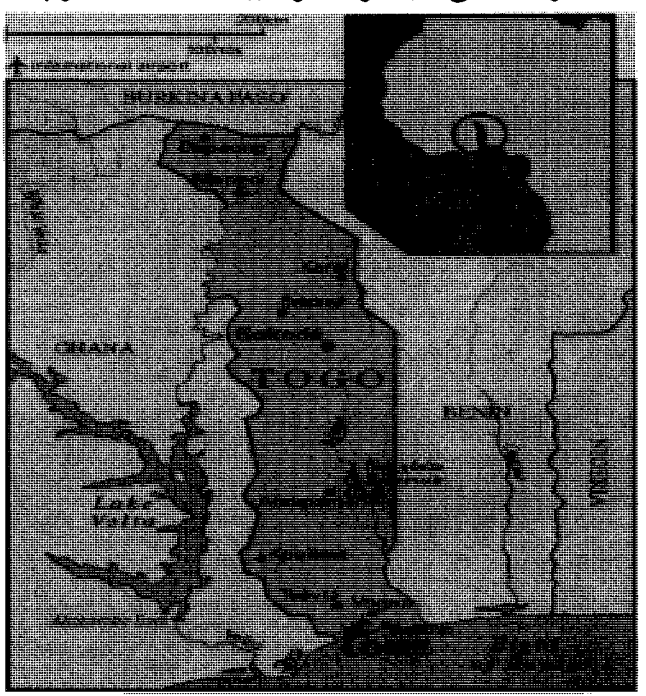
وقد شهدت البلاد بين عامي 1980 و1989 سلسلة من الإنقلابات العسكرية بعضها نجح والآخر أُحبط تخللها تغيير إسم البلاد في آب 1984 من "فولتا العليا" إلى "بوركينا فاسو" ونزاع حدودي مع مالي عام 1985 دام 6 أيام أعيدت بعده المياه إلى مجاريها. وفي عام 1991 وضع دستور جديد للبلاد جرت بعد انتخابات رئاسية لاقت مقاطعة من المعارضة، وقد فاز في هذه الإنتخابات النقيب "بلِز كومبايوري Blaise Compaoré" الذي استلم الحكم في بوركينا فاسو منذ عام 1987 إثر انقلاب عسكري. وبوركينا فاسو عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1974م.

(1) "فولتا العليا، جمهورية"، **موسوعة السياسة** ، مج 4، ص 642 – 644.

توغو

لمحة جغرافية:

تقـع توغـو علـى الساحل الغربي من إفريقيا، ويحدها من الشمال بوركينا فاسو ومن الغـرب غانـا ومـن الشرق بنين ومن الجنوب خليج غينيا (المحيط الأطلسي). تبلغ مساحة الـتوغو 56785 كـيلومتر مـربع، وهـي عـبارة عـن مـستطيل لا يـزيد عرضه بين الشرق والغرب على 100 كيلو متر على حين يزيد طوله بين الشمال والجنوب على 600 كم.



تـتألف توغـو مـن سهل ساحلي يصل عرضه إلى 60كم، ثم ترتفع هضبة قديمة يصل ارتفاعهـا إلى أكثـر من 1000م ويبلغ طول ساحلها 55 كم وطول حدود البرية نحو 1700 كلـم. عـدد سكان توغو حسب إحصاء 2003م هو 4,909,000 ومعدل الكثافة السكانية 86,4 في الكلـم^{2} [1] واللغـة الـرسمية هـي الفرنـسية. تعـيش في الجنوب قبائل (الأيوي) و(الواتاشـي)، و(الميـنا) وتـتحدث كلـها لغـة (الإيـوي) أو تتفاهم فيما بينها، وتعيش في الشمال قبائل (الهاوسا)، و(الغرما) و(البيل) حيث تسود لغة الهوسا ، تبلغ نسبة المسلمين

(1) **Africa south of the Sahara**, p 1182.

15٪ مـن مجمـوع الـسكان[1] والباقي من الوثنيين (50٪) وكاثوليك (26٪) وبروتستانت (9٪). تزيد نسبة المسلمين بين قبائل الشمال ويقل بين قبائل الجنوب. العاصمة مدينة لُومِ Lomé وعدد سكانها حسب إحصاءات عام 1997 حوالي 700,000 نسمة[2]، ومن المدن المهمـة: سـوكودِ Sokodé (51,000 نـسمة) وكُبالـيم Kpalimé (30,000 نـسمة) وكُارا Kara (30,000 نسمة).[3]

الاقتصاد:

يعـتمد اقتـصاد توغـو بـشكل أساسي على الزراعة التي يعمل فيها نحو 70٪ من اليد العاملـة[4]، أهـم المنـتوجات الـزراعية الكـسافا والـذرة والـبطاطا والرز فضلاً عن تربية الماشـية. أمـا المـزروعات الـتي تـؤمن دخـلاً قومـياً هـي البن والكاكاو والجوز والنخيل. ولـيـست الصناعة نامية مثل الزراعة لكن أهمها تصنيع المنتوجات الزراعية. وقد اكتشف الفوسـفات في الـبلاد عـام 1952م ويعتـبر مـن أجـود أنـواع الفوسفات في العالم، ويبلغ متوسـط انـتاجه الـسنوي 2،2 ملـيون طـن[5]. وهـناك أيضاً مناجم الحديد والرخام. أما العملـة المـستعملة فهـي: الفـرنك الإفريقي، وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1500 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون الكتابة والقراءة هي 52٪.[6]

انتشار الإسلام:

وصل الإسلام إلى توغو عن طريق القوافل التجارية القادمة من الشمال، وعن طريق الدعاة الذين كان يرسلهم المرابطون في القرن الخامس الهجري، وكذلك في أيام الموحّدين في القـرن الـسادس، كمـا أن الطـرق الـصوفية لهـا دور في نـشر الإسلام في تلك البلاد، وخاصـة التيجانـية[7] في شمالـي الـبلاد وغربها، ويجب أيضا أن لا ننسى دور عثمان بن

(1) المـصدر الـسابق، ص 1189. ولمـزيد مـن المعلومات عن عدد المسلمين في توغو راجع الفقرة 1.2.8 من الفصل الثاني في الباب الأول من هذا البحث.

(2) **Africa south of the Sahara**, p 1182.

(3) المصدر السابق، ص 1182 .

(4) الخوند، مج 7، ص 74.

(5) المصدر السابق، مج 7، ص 74.

(6) **National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 84.

(7) لمـزيد مـن المعلـومات عـن الطريقة التيجانية أنظر الفقرة: 2.3.3.1.2 من الباب الثالث للفصل الثاني في هذا البحث.

فودي[1] الذي قام بنشر الإسلام بين القبائل الهوسا.

الاستعمار:

وصل البرتغاليون وفي القرن الخامس عشر الميلادي إلى سواحل توغو وتبعهم بعد مدة الفرنسيون الذين أسسوا مراكز لهم هناك في القرن السابع عشر الميلادي، ودخلت ألمانيا مجال الصراع الاستعماري واستطاعت أن تسيطر على أجزاء توغو كلها عام 1894م ولكن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أعطى إنكلترا ثلث البلاد من جهة الغرب وعرفت باسم (توغو البريطانية) والباقي إلى فرنسا وعرفت باسم (توغو الفرنسية) وفي عام 1922م وُضع القسمان تحت انتداب عصبة الأمم وبعد الحرب العالمية الثانية وضعا تحت وصاية الأمم المتحدة. وفي عام 1957م أُجري استفتاء شعبي باشراف الأمم المتحدة انضمت بموجبه التوغو البريطانية إلى ساحل الذهب الذي عرف فيما بعد بدولة غانا ، بينما نالت توغو الفرنسية الحكم الذاتي، ونالت استقلالها عام (1960م) وهي التي تعرف اليوم باسم (توغو) وأصبح "سيلفانوس أوليمبيو SylvanusOlympio" أول رئيس جمهورية عام 1961م.

الاستقلال:

في عام 1963م وقع إنقلاب عسكري وقتل "أوليمبيو" وتسلم الرئاسة مكانه "نيكولا غرونيتزكي Nicholas Grunitzky" الذي كان يقيم في المنفى باختياره في داهومي (بنين فيما بعد)، وأمر بإجراء الإنتخابات العامة وسمح للأحزاب كلها بالمشاركة فيها على قدم المساواة. وفي عام 1967م قامت القوات العسكرية بامرة العميد "إتين إيادِما Etienne Eyadema" بانقلاب لم ترق فيه دماء فحل المجلس الوطني وأُلغي الدستور وفرض حظر على الأحزاب ثم أعلن نفسه رئيساً للجمهورية. وفي عامي 1970م و1977م جرت محاولتي إنقلاب غير أنهما باءتا بالفشل. وفي عام 1979م جرت إنتخابات عامة جُدد فيها للرئيس "إيادِما" لمدة سبع سنوات أخرى ووُضع دستور جديد بعد 12 عاماً من تعطيل القديم. اهتز وضع الأمن الداخلي في عام 1985م حيث سُجن عدد كبير من بالمواطنين وغدا الحكم محط أنظار منظمة حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية. وفي أيلول (سبتمر) سنة 1986م توترت العلاقات بين توغو والدول المجاورة لها بعد الهجوم على منزل الرئيس وعلى محطة الإذاعة الوطنية إذ وجّهت أصابع الإتهام إلى غانا وبوركينا فاسو،

---

(1) لمزيد من المعلومات عنه راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث في الباب الرابع في هذا البحث.

فأمر 'إيادِما' بإغلاق الحدود البرية معهما، كما طلب الحماية من فرنسا. لبت حكومة باريس نداء 'إيادِما' وأرسلت إليه قوة لم ترابط في توغو إلا مدة محدودة لا تزيد على أيام. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1984م شهدت العاصمة 'لومِ' تظاهرة دولية كبرى إذ جرى فيها توقيع إتفاق دولي ضم 64 دولة من إفريقيا ومناطق البحر الكاريبي والمحيط الهادي ومجموعة السوق الأوروبية المشتركة. ويقضي الإتفاق بأن تقدم السوق الأوروبية المشتركة مبلغ 3،6 مليار دولار إلى مجموعة الدول النامية. كما عقدت توغو إتفاقية أمنية عام 1984م مع كل من نيجريا وبنين وغانا، وتحسنت العلاقة مع بوركينا فاسو عام 1987م ومع غانا عام 1988.

ومازال 'إيادِما' رئيساً للبلاد حتى الآن. وتوغو عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1997م.

جزر الرأس الأخضر

لمحة جغرافية وتاريخية واقتصادية:

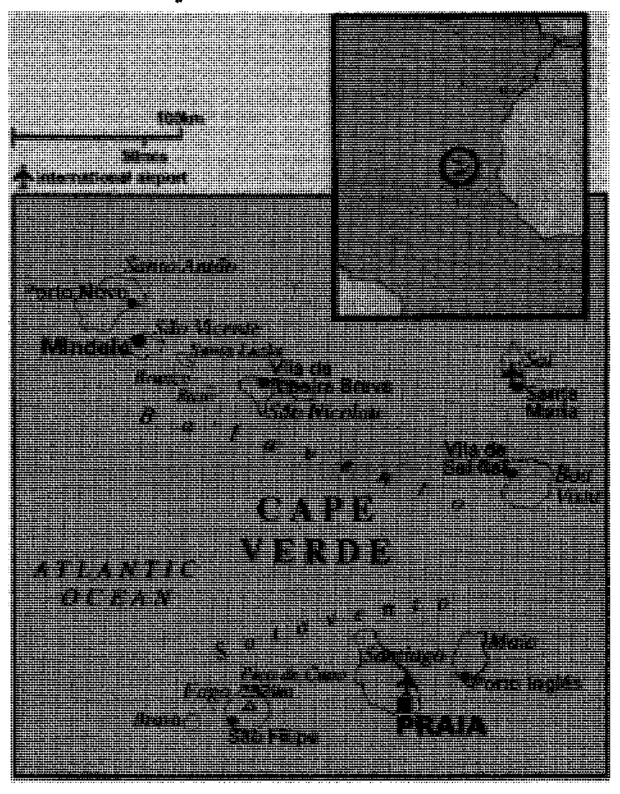
تقع جمهورية الرأس الأخضر في المحيط الأطلسي على بعد نحو 455 كلم عن عاصمة السينِغال داكار وتشكل أرخبيلاً من مجموعتين من الجزر (انظر الخريطة) مجموعة من عشر جزر كبيرة وأخرى من خمس جزر صغيرة غير مأهولة. والجزر الكبيرة تنقسم بدورها إلى مجموعتين 'بالافنتو Balavento' (أي أمام الريح) و 'سوتافنتو Sotavento' (أي في ظل الريح)، أهم الجزر 'سانتيغو Santiago' 'ساو فيسنتِ São Vicente' و'سانتو أنتاو Santo Antão' و'ساو نيكولاو São Nicolau'. مساحة كل الجزر4036 كلم^2. المناخ حار وجاف ومعدل الحرارة يترواح بين 20 و25 درجة مئوية. العاصمة هي مدينة 'برايا Praia' (94,757 نسمة)[1] وتقع على جزيرة سانتيغو، وهناك مدينة 'ميندِلو Mindelo' (62,970 نسمة)[2] وتقع على جزيرة ساو فيسنتِ. أما اللغة الرسمية فهي البرتغالية وهناك بعض اللغات الإفريقية المحلية. عدد سكان جزر الرأس الأخضر حسب إحصاء عام 1990 حوالي 341,491 نسمة،[3] 65٪ منهم من الخلاسيين (خليط برتغالي-إفريقي)

(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, p.200.

(2) المصدر السابق، ص 200.

(3) المصدر السابق، ص 200.

و34٪ مـن الـسود والباقـي من البيض.[1] أما بالنسبة للدين فهذه الدولة هي الوحيدة في غربـي إفـريقيا التي لا يوجد بها مواطنين مسلمين بكثرة إذ تبلغ نسبتهم حوالي 2,8٪ من السكان[2] وهناك 93٪ من سكانها من الكاثوليك والباقي من البروتستانت.[3]



اكتـشف الملاحـون الـبرتغاليون جـزر الرأس الأخضر عام 1456م، وبعد سنوات بدأ المستوطنون الـبرتغاليون وبعض الإنكليز والإسبان والإيطاليين يقيمون فيها. وقد عرفت الجـزر خـلال قـرون ثلاثـة لاحقـة الأمـن والاسـتقرار إلا مـن فترة من الجفاف والمجاعة ضـربت الأهالـي هـناك في أواخـر القـرن التاسـع عـشر. لكـن الجـزر استعادت أهميتها وازدهارهـا في القـرن العـشرين بـسبب الـنشاط الـتجاري البحـري الذي دار بين افريقيا وأوروبـا وأميركـا الجنوبـية. وفي مـسعى مـنها للإسـتقلال عـن البرتغاليين انضمت جزر

(1) الخوند، مج 8، ص 160.

(2) هـذه الـنسبة هي حسب Melton & Bauman (eds) المذكور في جدول أديان إفريقيا الغربية في الفصل الثاني للباب الأول من هذا البحث.

(3) **Africa south of the Sahara**, 2005, p.203.

الـرأس الأخـضر إلى غينـيا الـبرتغالية (التي عرفت فيما بعد باسم غينيا-بيساو) في حركة تحـررية مشتركة عرفت باسم 'الحزب الإفريقي لإستقلال غينيا والرأس الأخضر'[1]، ومنذ عـام 1963م بدأ ناشطوه بعملياتهم العسكرية في غينيا-بيساو. ومع استقلال غينيا-بيساو عـن البرتغال عام 1974م قررت قيادة الحزب العمل بشكل إنفصالي عن الشريك الغيني بـدلا مـن الـسعي للاتحـاد معه وذلك لعدم وجود عوامل مشتركة بين الطرفين باستثناء الاسـتعمار البرتغالـي. وفي الخـامس مـن تمـوز (يولـيو) عـام 1975م مـنحت الـبرتغال الاستقلال لجزر الرأس الأخضر، وفي عام 1980م وقع إنقلاب في غينيا-بيساو أسفر عن نهاية لكل حديث عن الحزب المشترك والوحدة بين البلدين. ورئيس البلاد الآن هو 'بِدرو بيرِس Pedro Pires' الذي انتخب عام 2001م.

بالـرغم مـن أن مـساحة الأراضـي المزروعة لا تتجاوز نسبة 10٪ من المساحة العامة بالإضـافة إلى تعرض البلاد لمواسم من الجفاف، ومع ذلك فان اقتصاد البلاد يرتكز على القطـاع الزراعـي وأهـم المنـتوجات الزراعية هي الذرة والبطاطا الحلوة وقصب السكر. وهـناك ثـروة محلـية تتمـثل في بـيع 'بوزولانا Pozzolana' وهو نوع من الصخور البركانية الأصـل الـضاربة إلى الحمـرة. ومـن النشاطات الاقتصادية الأخرى السياحة (حيث بلغ مـردودها عام 2003 ما مجموعه 119 مليون دولار أميركي أي ما يعادل 10٪ من الدخل الـوطني)[2] وصيد الأسماك وعائدات كل من مرفأ مدينة مينْدِلو بسبب موقعة المتميز بين إفـريقيا وأميركـا الجنوبـية وعائدات المداخيل الواردة من المهاجرين وخاصة في الولايات المـتحدة. والعملـة المـستعملة في جـزر الـرأس الأخضر هي: 'إسكودو Escudo'، وحصة الفـرد مـن الـناتج المحلـي الإجمالي هي 1500 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 72٪.[3]

(1) راجع أيضاً الفصل في الملحق عن غينيا-بيساو.

(2) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 197.

(3)**National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 82.

ساحل العاج

لمحة جغرافية:

اكتسبت هذه الجمهورية اسمها في بداية القرن 15م حين شرع البرتغاليون ومن ثم الفرنسيون في تجارة العاج هناك.



تقع ساحل العاج في وسط شمال غربي إفريقيا، وتبلغ مساحتها 463، 322 كيلو مترا مربعا، ويحدها من الشمال بوركينا فاسو ومالي ومن الغرب غينيا-كوناكري وليبريا ومن الشرق غانا ومن الجنوب المحيط الأطلسي. تتألف الأرض من هضبة غرانيتية قديمة في الشمال تصل إلى ارتفاع 1200 م في الغرب في إقليمي (مان) و(أودين) وتخترق الهضبة عدة أنهار تجري بين الشمال إلى الجنوب لتصبّ في المحيط الأطلسي، كما ان ساحل العاج تقع بين دائرتي عرض 20 و4-20و 10 شمالا. وهذا ما يجعلها تقع ضمن نطاق المناخ شبه الاستوائي في الجنوب والمداري في الشمال وتنتشر الغابة في الجنوب بعرض 300 كم،

أمـا الشمال فتقل كثافتها وتنتشر بينها حشائش (السافانا). يبلغ عدد سكان ساحل العاج حـسب إحصاء 2003م نحو 16,631,000 نسمة، وتصل الكثافة السكانية إلى 51,6 نسمة في الكلم²،[1] ويقدر عدد الأجانب في ساحل العاج بنحو 4 ملايين نسمة منهـم 300 ألف لبنانـي.[2] أشـهر القـبائل هـي: المانـدي، وسـينوفا، والديـولا في الشمال وهي بأغلبيتها مـسلمة، أمـا المـناطق الجنوبـية فأكـبر القـبائل هي: الأغنا، والأشانتي، الكرو والكوا كما تـوجد بعـض بطـون مـن قـبائل الفولانـي[3]، والبمبارا في الشمال ويبلغ نسبة المسلمين 30,1٪ بيـنما لا تـزيد نسبة المسيحيين 31,8٪ والباقي لا يزالون وثنيين.[4] اللغة الفرنسية هـي اللغـة الـرسمية في الـبلاد، ولكـل قبـيلة لغـتها الخاصـة. العاصمة هي "ياموسوكرو Yamoussoukro" (ابـتداءاً مـن عـام 1983م) وعـدد سـكانها حـسب إحصاء 1998 نحو 299,243 نسمة[5] وتشتهر بكاتدرائية "سيدة السلام" التي تعد من أكبر كنائس العالم وتتسع لحوالـي 7000 شـخص وطـرازها مطابـق لكاتدرائـية القديس بطرس في الفاتيكان، وقد دشنها البابا عام 1990م. ومن أهم المدن : أبيدجان: وهي العاصمة القديمة، عدد سكانها حـسب إحـصاء 1998 نحـو 2,877,948 نسمة[6] وهي من أهم موانئ غربي إفريقيا، بها جامعة كبيرة ومصفاة لتكرير النفط.و من المدن المهمة أيضاً: بواكِ Bouaké ودالو Daloa ومان Man.

الاقتصاد:

تحتل الأراضي المزروعة 28٪ من المساحة العامة للبلاد وتعد ساحل العاج ثالث دول العالم بإنتاج البنّ والكاكاو[7]، وتنتج أيضا الموز والرز والأناناس، وتستثمر الأخشاب من الغابـة، كمـا يـوجد في أرضها الحديد والبوكسيت، والقصدير والذهب والمنغنيز والماس. بالنسبة للصناعة فهي كثيرة ومتنوعة مثل تجميع السيارات، تكرير النفط، التبغ، الزيوت، الأقمـشة والاسمـنت. العملـة المستعملة في ساحل العاج هي: الفرنك الإفريقي، وحصة

---

(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 353.

(2) الخوند، مج 9، ص 60.

(3) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(4) راجع جدول الأديان في غرب إفريقيا الموجود في الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

(5) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 353.

(6) المصدر السابق، ص 353.

(7) الخوند، مج 9، ص 60.

الفـرد مـن الـناتج المحلـي الإجمالي هي 1500 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 49٪.[1]

انتشار الإسلام :

انتـشر الإسلام في ساحل العاج منذ أيام المرابطين، بواسطة الدعاة الذين وصلوا الى الأجـزاء الـشمالية، وذلـك في القـرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وبعدها أصـبحت الأجـزاء الـشمالية الغـربية تحت نفوذ مملكة (فوتا جالون) التي أسسها إبراهيم سامبيو في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، كما أن الأجزاء الغربية خضعت لمملكـة مالـي الإسـلامية أيـضا كما أن الأجزاء الشمالية كانت خاضعة لنفوذ (ساموري تـوري)[2] ولم يـتمكن المستعمر الفرنسي من السيطرة على المنطقة الشمالية إلا بعد هزيمة الـزعيم الإسـلامي الإمـام (سـاموري تـوري) في الـسنة 1898، ومن هذا نجد أن انتشار الإسلام كان في الأجزاء الشمالية.

الاستعمار:

في الـوقت الـذي كـان الإسـلام ينتـشر في الشمال طلع المستعمرون من الجنوب، إذ وصـل الـبرتغاليون إلى شـواطئ ساحل العاج في القرن الخامس عشر الميلادي، ثم تبعهم الفرنسيون، وقد عقد الفرنسيون عام 1843م معاهدة مع ملك (الأغنى) في منطقة البسام العظيم[3] Grand Bassam (التي تقع بالقرب من مدينة أبيدجان) وفرضت فرنسا بموجبها الحماية على تلك الأجزاء من البلاد، وبذا أصبحت المناطق التي تحمل اسم ساحل العاج اليوم كلها تحت الحماية الفرنسية ثم غدت مستعمرة فرنسية ومن ثم جزء من إتحاد إفريقيا الغربية الفرنسية Afrique Occidental Française[4]، واستمر ذلك حتى نشبت نار الحرب العالمية الأولى عام (1914م).

وفي عـام 1932م ضـمت فرنـسا إلى ساحل العاج مقاطعات من فولتا العليا (بوركينا

(1) **National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 82

(2) لمزيد من المعلومات عن هذا القائد راجع الفقرة 4.3.3 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(3) وصل التجار العرب إلى هذا الساحل وأطلقوا على الشاطئ حيث توجد بعض الصخيرات تشبه بما فيها من تراجع السفاة الضاحكة فأطلق على تلك المنطقة اسم 'البسام العظيم'. راجع: شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر: غربي إفريقيا، ط2، مج 15، بيروت:المكتب الإسلامي، 1997، ص 205.

(4) كـان هـذا الإتحـاد يـضم الـدول التالية: بنين وغينيا-كوناكري ومالي وساحل العاج وموريتانيا والنيجر والسينغال وبوركينا فاسو.

فاسو حالياً) وفي عام 1946م صارت ساحل العاج ضمن (الاتحاد الفرنسي) وبعد عام انفصلت عن فولتا العليا، ثم قامت بعد عشر سنوات أول حكومة وطنية تمتعت باستقلال ذاتي وأعلنت الجمهورية في ساحل العاج بعد أن وافقت على مشروع (ديغول)[1]، وفي عام 1960 م أصبحت جمهورية مستقلة ضمن الجماعة الفرنسية، وقبلت عضوا في الأمم المتحدة في ذلك العام أيضا وشغل "فِلكيس هوفويت بوانيي Félix Houphouët-Boigny" وهو الشخصية التي قادت حركة الإستقلال منصب رئيس الجمهورية.

كانت الوظائف بعد الإستقلال محصورة بالمسيحيين الذين تلقوا تعليمهم في مدارس الإرساليات التنصيرية تبعاً للسياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا في مستعمراتها كلها، ومن هذه السياسة أن فرنسا امتنعت عن فتح المدارس في الجزء الشمالي من البلاد الذي يغلب عليه الطابع الإسلامي فما كان على المسلمين إلا أن يلتحقوا بمدارس الإرساليات أو أن يبقوا في ظلامة الجهل ففضلوا الجهل على التخلي عن العقيدة. ولم يكن يسمح بتعليم اللغة العربية أول الأمر حتى في الكتاتيب الملحقة بالمساجد أو في المساجد نفسها، كما أُهمل القسم الشمالي من البلاد كون معظم سكانه من المسلمين.[2]

وفي المجال الاقتصادي شهدت ساحل العاج بعد الإستقلال الكثير من النمو والإزدهار حتى لُقب هذا الاقتصاد بالأعجوبة العاجية مما أدى إلى استقطاب عمال كثر أفارقة من خارج البلاد وخاصة من مالي وبوركينا فاسو. كما أن عدد مواطني ساحل العاج الذين شغلوا مناصب رفيعة المستوى في الحكومة والقطاع الصناعي يعد قليلاً جداً مما جعل الكثير من سكان ساحل العاج يشعرون بالإستياء نتيجة لذلك.

ومن جهة أخرى كان لساحل العاج عقب الإستقلال وامتداداً حتى أواخر الثمانينات دور خاص في استراتيجية الحكومة الفرنسية في إفريقيا. فبفضل مداخلة الرئيس "بوانيي" في القمة الفرنسية الأميركية في داكار عام 1977م طُرحت فكرة "كومنولث فرنسية" كرس هيمنة فرنسا على المجموعة الاقتصادية لإفريقيا الغربية بحيث يكون لها دور عسكري

(1) دعا الجنرال ديغول رئيس فرنسا عام 1958م المستعمرات الإفريقية والبلاد الموصى عليها إلى اختيار الطريق الذي يتفق مع مصالحها وهو إما الاستقلال غير المقيد أو الاستقلال مع البقاء ضمن نطاق الأسرة الفرنسية أو البقاء جزءاً من البلاد الفرنسية.

(2) شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر: غربي إفريقيا، ط2، مج 15، بيروت:المكتب الإسلامي، 1997، ص 209-210.

يستوجب إنشاء جيش موحد من الدول الفرنكوفونية. وقد اختيرت مدينة بواكِ في ساحل العاج لتكون مقراً لهيئة أركان هذا الجيش. إلا أن تغير الحكم في فرنسا في أيار 1981م دفع الحكومة الفرنسية الجديدة لصرف النظر عن مثل هذا المشروع السياسي العسكري ولكن مع الإستمرار بالإبقاء على علاقات مميزة بساحل العاج وبإفريقيا. وفي آذار (مارس) عام 1983م صادقت الجمعية الوطنية على مشروع قانون يقضي بنقل العاصمة من أبيدجان إلى مدينة ياموسوكرو مسقط رأس "بوانيي". وعلى صعيد العلاقات مع إسرائيل اجتمع اسحق شامير وزير الخارجية الإسرائيلي سراً في أواخر صيف 1982م برئيس ساحل العاج "بوانيي" وبحثا في تفاصيل العملية التي أعادت إسرائيل إلى إفريقيا واتفقا على إبقاء العلاقات الرسمية بين بلديهما مجمدة على رغم العلاقات الاقتصادية الوثيقة بينهما، وفي شباط (فبراير) عام 1986م استأنفت ساحل العاج علاقاتها مع اسرئيل بعد انقطاع دام ثلاث عشرة سنة.

في عام 1989م ادعت حكومة ليبريا أن قوات الثوار التي حاولت الإطاحة بالنظام القائم في بلادها قد دخلت من ساحل العاج، ولكن الرئيس العاجي قد نفى مساعدة المنشقين، كما ناشد الرئيس الليبيري في كانون الثاني (يناير) عام 1990م سلطات ساحل العاج طالباً منها تأكيدات بضمان سلامة نحو عشرة آلاف لاجئ فروا من بلاده إلى ساحل العاج في محاولةٍ للهرب من القتال الدائر بين القوات المسلحة الليبيرية والثوار. وفي شباط (فبراير) 1990م اندلعت مظاهرات طلابية وأُعلن عن أن الأجور تدنت بنسب تروواحت بين 15 و40٪ في آذار (مارس) من نفس العام فوقعت اضطرابات دموية في أبيدجان، وفي أيار (مايو) وافق الرئيس "بوانيي" على انشاء نظام سياسي متعدد. وفي 28 من تشرين الأول (اكتوبر) من عام 1990م جرت انتخابات رئاسية فاز بها الرئيس "بوانيي" في وجه منافسه "لوران غباغبو Laurent Gbagbo" زعيم الجبهة الشعبية العاجية Front populaire ivoirien التي تأسست عام 1982م. وبعد صدور تنائج الإنتخابات تقدمت هذه الجبهة بدعوى الطعون في الإنتخابات الرئاسية بحجة أن اللائحة الإنتخابية لم تنشر قبل عشرة أيام من الإقتراع كما ينص عليه القانون. وبعد الإنتخابات عُين "الحسن أوتارا Alassane Ouattara" رئيساً للوزراء. وفي أيار (مايو) 1991م اندلعت تظاهرات طلابية قمعتها السلطات بشدة وعنف دموي، وفي 1992م تجددت التظاهرات واعتقل "غباغبو" في آذار (مارس) من نفس العام وحكم عليه بالسجن لسنتين إلا أنه أُفرج عنه في آب (أغسطس) من نفس العام. وفي أوائل صيف 1993م غادر "بوانيي" إلى باريس في زيارة خاصة حيث أجرى عملية جراحية مما فتح باب الترجيحات والإحتمالات في ساحل

العاج بأن وفاة الرئيس أصبح قريباً جداً. وبالفعل ففي كانون الأول (ديسمبر) من نفس العام توفي "بوانيي" وبدأت بوادر الإنقسام على خلافته فما كان من "هنري كونان بِدي Henri Konan Bédié" رئيس مجلس النواب إلا أن أعلن أنه هو خليفة "بوانيي" وذلك طبقاً للقانون الذي يخول رئيس مجلس النواب أن يتسلم رئاسة الجمهورية في حال وفاة الرئيس وأن يكمل ولايته، إلا أن رئيس الوزراء "أوتارا" استقال من منصبه بعد أن رفض الإعتراف برئاسة "بِدي". واجه "بِدي" عدة تحديات كان أهمها إنخفاض الأسعار العالمية للبن والكاكاو وهما العماد الرئيسي لصادرات ساحل العاج، وعلى الصعيد الداخلي قام "بِدي" بتعيين مواليه مكان مؤيدي "أوتارا" الذين شن حملة تطهير ضدهم، وفي عام 1995م قام بعض أنصار "أوتارا" بالإنسحاب من حزب "بِدي" وأسسوا حركة جديدة تحت إسم "تجمع الجمهوريين Rassemblement des républicains" بزعامة "أوتارا" نفسه. كما اتهم عصر "بِدي" بالفساد وسوء الإدارة مما أدى إلى انخفاض حاد في المساعدات الخارجية عامي 1998م و1999م فوقع إنقلاب أبيض في كانون الأول (ديسمبر) من ذلك العام بقيادة الجنرال "روبير غوي Robert Gueï" الذي ألف حكومة اتحاد وطني ووعد بانتخابات عامة. وفي عام 2000م صدر دستور جديد حافظ على البنود التي تزيد من الخلافات بين الشمال المسلم والجنوب المسيحي والتي بدأت تظهر منذ وفاة "بوانيي". وفي نفس العام جرت الإنتخابات ولما ظهرت النتائج لصالح "غباغبو" ألغى "غوي" الإنتخابات مدعياً بوجود عمليات تزوير وأعلن نفسه الفائز. في مقابل ذلك تظاهر أنصار "غباغبو" في شوارع أبيدجان ووقعت اشتباكات مع حرس القصر الجمهوري. انضم عدد من الشرطة والجنود إلى المتظاهرين ضد الطغمة العسكرية الحاكمة مما أدى في النهاية إلى هرب "غوي" لخارج البلاد واستلام "غباغبو" السلطة بعد وقوع أعمال عنف سقط فيها مئات من القتلى فدعا "أوتارا" إلى التهدئه واعترف برئاسة "غباغبو". وفي أيلول (سبتمبر) من عام 2002م وبينما كان "غباغبو" في زيارة لإيطاليا قامت مجموعة من الجنود موالية للرئيس السابق "غوي" بمهاجمة مباني حكومية وعسكرية في أبيدجان ومدن أخرى فحصلت مواجهات بين القوات الحكومية والمهاجمين أسفرت عن مقتل "غوي" ووزير الداخلية. رفض المهاجمون الإستسلام مما وضع البلاد في أزمة خطيرة لم تشهدها منذ الإستقلال إذ انقسمت القوات المسلحة بين مؤيد للحكومة في الجنوب ومعاد لها في الشمال وقد حصل خلال الإشتباكات عمليات عنف ضد المسلمين القادمين من الشمال كما تم الهجوم على مقر إقامة "أوتارا" في أبيدجان فما كان من الأخير إلا أن لجأ إلى سفارتي ألمانيا وفرنسا ومن ثم فرّ إلى الغابون. وفي تشرين الأول (أكتوبر) من نفس العام تدخلت فرنسا وفصلت بين

الطـرَفين، وانـضم فـصيلان في غـرب الـبلاد إلى قـوات الشمال في أواخر تشرين الثاني (نوفمـبر) مـن العـام نفـسه. ولـتدارك الوضـع أرسلت "المجموعة الاقتصادية لدول غربي إفـريقيا" (المـؤلفة من السِنِغال وغانا وبنين وتوغو والنيجِر) قوات حفظ سلام إلى تعدادها 1500 عنـصر بالإضـافة إلى القـوات الفرنـسية الموجـودة هـناك فانتـشرت جمـيعها بـين المـتحاربين في كانـون الثانـي (يناير) من عام 2004م وفي أواخر هذا الشهر اجتمعت كل أطـراف النـزاع في "ماركوسـسيس Marcoussis" بالقـرب من باريس واتفقوا على تقاسم الـسلطة وانـشاء حكـومة اتحـاد وطني تضم جميع الأفرقاء، كما نص الإتفاق على إرسال مراقبين من الأمم المتحدة لضمان تطبيق هذا الإتفاق. وفي 4 تموز (يوليو) من عام 2003م وقـع الفـرقاء علـى إعـلان انتهاء الحرب والإعتراف بغباغو رئيساً للجمهورية، لكن عام 2004م شـهد خـروقات عـدة لإتفـاق "ماركوسسيس"، ففي 4 تشرين الثاني (نوفمبر) من ذلـك العـام قصفت طائرة حربية حكومية قاعدة عسكرية فرنسية في مدينة بواكِ في وسط الـبلاد. إدعـت الحكـومة العاجـية أن القـصف وقع بالخطا لكن فرنسا اعتبرته عن سابق تـصور وتـصميم فقامت بغارات جوية على معظم القواعد الجوية لساحل العاج فوقعت أعمـال عـنف وشـغب ضـد فرنـسا في أبـيدجان، ولم تنتهي موجة العنف إلا في 6 نيسان (أبريل) عام 2005 حين وقع إتفاق سلام في برتوريا عاصمة جنوب إفريقيا.

وفي الختام لا بد من ذكر أن ساحل العاج عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 2001م.

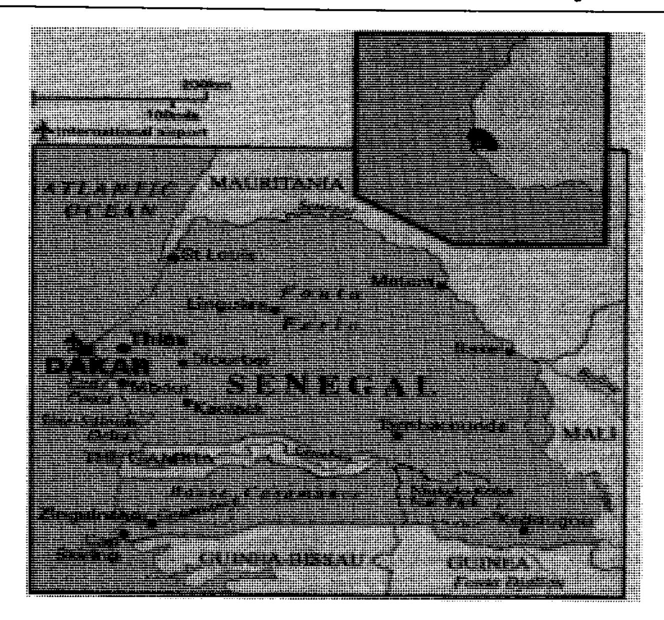
السنِغال

ثمة دراسات تؤكد أن العرب هم أول من كتب عن السِنِغال. فقد ذكرها الرحالة ابن حـوقل[1] في القـرن العاشـر ضـمن وصـفه لـسكان بلدة "تكرور" والتي زارها أثناء رحلته لمملكـة غانة. ولم يذكر المؤرخون إسم السِنِغال في كتبهم أو رحلاتهم لأنه اسم حديث لم يُعرف إلا في القرن التاسع عشر الميلادي. وقد أُطِلق على هذا البلد اسم "سِنِغال" نسبة إلى وادي نهـر "الـسِنِغال". وكلمـة "سِـنِغال" مـشتقة من إسم "زيناغا" أو "سنهادا" الذي أُطلق على البربـر الـصحراويين، أو مـن اسـم "سـونو غـال SunuGaal" ويعني في أحد لغات القبائل المحلية "زورقنا" لأنهم كانوا يستعملون زورقاً مصنوعاً من تجويف جذع شجرة.[2]

---

(1) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** في هذا البحث.

(2) الخوند، مج 9، ص 179.



لمحة جغرافية:

تقع السِنِغال في الشمال الغربي من إفريقيا، (راجع الخريطة) ويحدها من الغرب المحيط الأطلسي ومن الجنوب غينيا-كوناكري وغينيا-بيساو ومن الشمال موريتانيا التي تحد السِنِغال مع مالي من الشرق. وتخترق البلاد في الجنوب دولة غامبيا على شكل اصبع من المحيط الأطلسي شرقاً حتى وسط البلاد وبطول 325 كلم ومتوسط عرض حوالي 50 كلم. تبلغ مساحة السِنِغال حوالي 196722 كم^2 تقريبا، ويزيد طول الساحل على 600 كلم. تمتد البلاد بين خطي عرض 12، 12-20، 16 فهي ضمن نطاق المناخ المداري، وتكون الحرارة مرتفعة على مدار السنة، وتهطل الأمطار في فصل الصيف على حين يكون الشتاء جافا، وتتناقص الأمطار من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق ، فهي 2000 مم في الجنوب و500 مم في الشمال. أهم المدن:

داكار: تقع جنوب الرأس الأخضر وهي العاصمة وأكبر مدينة في البلاد من حيث عدد السكان الذي يبلغ حوالي 1,770,068 نسمة[1] ، أسسها الفرنسيون عام 1857م وهي الآن مركز صناعي وميناء مهم وعقدة مواصلات جوية خاصة مع أميركا الجنوبية، وبها جامعة عريقة هي جامعة "الشيخ أنتا ديوب Cheikh Anta Diop" أنشئت عام 1937م والتي تعد أقدم جامعة في غربي إفريقيا.

(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, p.964.

تيـيس Thiès: ثانـي كـبريات المدن السنغالية عدد سكانها حوالي 228,017 نسمة[1] بهـا صـناعات خفـيفة ويـستخرج بالقرب منها فوسفات الألمينيوم. تقع على بُعد 60كلم شرقي العاصمة.

كـوالاك Koalak: تقـع علـى بعـد 192 كلم جنوب شرق العاصمة. سكانها حوالي 199,023 نـسمة[2]، وهي قاعدة أحد بيوت الطريقة الصوفية التيجانية[3] التي يعد أتباعها الأكبر في السنغال.

سـان لـوي St. Louis: تقـع وسـط جزيرة في نهر السنغال وعلى مقربة من مصبه في شمالي البلاد على الحدود مع موريتانيا وتبعد 264 كلم من العاصمة. أسسها الفرنسيون عـام 1638م تخليداً لملكهـم لويس الرابع عشر. عدد سكانها حوالي 132,425 نسمة.[4] ومن المدن المهمة أيضاً: "زيغينكور Ziguinchor" و"مبور Mbour" و"بودور Podor".

السكان:

قُـدِّر عـدد سـكان الـسنغال عـام 2003م بحوالـي 10,095,000 نسمة، الكثافة 51.3 شخـصا في الكـيلومتر المـربع الـواحد،[5] وأشـهر القـبائل هـي: "الولوف" ويتواجدون في الساحل ويشكّلون أكثر من ثلث السكان، ثم هناك "السير Serere" و"التكولور" و"الماندينغ"[6] و"بول Peul" و"الفولاني"[7] و"الديولا" و"الساركوليه".

تـبلغ نـسبة المسلمين في السنغال 95٪[8] من مجموع السكان والباقي كاثوليك وأديان وثنـية. وتعدّ لغـة الولـوف هـي الـسائدة ولغة التجار، أما باقي المجموعات فلكلّ لغتها، واللغة الرسمية هي الفرنسية مع انتشار لا بأس به للغة العربية.

---

(1) المصدر السابق، ص 964.

(2) المصدر السابق، ص 964.

(3) لمزيد مـن المعلـومات عـن الطريقة التيجانية أنظر الفقرة: 2.3.3.1.2 من الباب الثالث للفصل الثاني في هذه البحث.

(4) **Africa south of the Sahara**, 2005, p.964.

(5) المصدر السابق، ص 964.

(6) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(7) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(8) لمزيد مـن المعلـومات عن نسبه المسلمين في هذا البلد راجع أيضاً الفقرة 1.2.8 من الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

الاقتصاد:

يعمل بالزراعة في السينغال حوالي 70٪ من السكان و12٪ في الصناعة و15٪ في الخدمات و3٪ في المناجم.[1] مما ينتج في السينغال: الفستق والذرة والقطن، والأرزّ، والصمغ العربي. وتربى الحيوانات ، كما أنها تنتج الفوسفات والألمنيوم. ويأتي صيد الأسماك في المرتبة الثانية بعد انتاج الفستق، إذ تشتهر السواحل المواجهة للسنغال وموريتانيا بأنها من أكبر المناطق التي تتكاثر فيها الأسماك بل من المواقع المشهورة بالصيد في العالم. ثم تأتي السياحة كركيزة ثالثة للاقتصاد وتعد سواحل السينغال وغاباتها أمكنة مناسبة للإصطياف وخاصة للأوروبيين.أما أهم الصادرات فهي الأسماك والفوسفات. والعملة المستعملة في السينغال هي: الفرنك الإفريقي، وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1580 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 39٪.[2]

دخول الإسلام:

بدأ الإسلام ينتشر في بلاد السنغال منذ أن أقبلت عليه قبائل تلك الديار وخاصة قبيلة صنهاجة التي انتشر فيها الإسلام منذ أيام عقبة بن نافع وكانت هذه القبائل تنتقل نحو الجنوب، وينتقل معها الإسلام ، وزاد هذا الانتشار أيام دولة الأدارسة التي قامت عام 172 هـ (788م)، إذ انضوت ديار الملثّمين[3] تحت ظلها وأصبحت جزءا من أملاكها. وعندما تحالفت قبائل الملثّمين البربرية مع بعضها بزعامة قبيلة "لمتونة"[4] بدأت هذه القبائل تتجه نحو الجنوب وساعدها في ذلك ضعف مملكة غانة[5] آنذاك، كما انتشر الإسلام نحو الغرب حيث كانت عدة ممالك في المنطقة أشهرها: مملكة بامبوك ومملكة التكرور، وهذه الأخيرة اعتنق ملكها الإسلام حوالي عام 416 هـ (1025م). انطلقت دولة المرابطين من جزيرة عند مصب نهر السينغال في القرن 11 الميلادي، وهاجمت القبائل المجاورة وأرغمتهم على الإسلام، وتوسعت هذه الدولة حتى قضت على مملكة غانة،

---

(1) الخوند، مج 9، ص 181.

(2) **National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 84.

(3) عُرفوا بالملثمين لأنهم كانوا يضعون اللثام ليلاً ونهاراً حضراً وبدواً ولعلهم اتخذوه إما اتقاءاً من البرد والحر ورمال الصحراء أو خدعة وتنكراً في الحروب.

(4) تعتبر قبيلة لمتونه من أشهر قبائل الملثمين التي هي فرع من الصنهاجة البربر.

(5) لمزيد من المعلومات عن هذه المملكة أنظر الفصل الأول من الباب الثالث في هذا البحث.

ونـشرت الإسلام بين قبائل الزنوج الوثنية، ومن هذه القبائل الفولاني[1] التي تحولت إلى الإسـلام حوالـي عـام 469 هـ (1076م) في مـنطقة الـسِنِغال. ومن أوائل القرن السابع الهجـري (الـثالث عـشر المـيلادي) وحتـى القـرن الحـادي عـشر الهجري (الخامس عشر الميلادي) كانت أرض السِنِغال ضمن مملكة مالي[2] الإسلامية، وإن كانت قبيلة "التوكلور" هـي صـاحبة الـنفوذ في مـنطقة الـسِنِغال تحـت إشـراف مملكة مالي الإسلامية حتى سنة 638 هـ (1240م) حـيث حكم الفولانيون الذين جاؤوا من "كانياغا"[3] حتى عام 751 هـ (1350م) وتلاهـم شـعب الولـوف الـذي اسـتمر حكمه حتى القرن التاسع حيث رجع الـتوكلور إلى الحكـم، وقـوي مركزهم إذ كانت مملكة مالي آخذة بالضعف، وكانت هذه الحكـومة كلـها تحـت إشرافها، وفي عام 1190هـ (1775 م) أسس الفولانيون[4] حكومة اتسعت رقعتها. وفي عام 1254 هـ (1838م) ظهر الحاج عمر الفولاني[5] فحاول التوجه نحـو الغـرب ولكـنه اصـطدم بالفرنسيين، وتمكنوا من القضاء على سلطاته عام 1282هـ 1864 م، وإن اسـتمر حكـم أبـنائه حتـى عام 1316هـ (1898م) حيث دخل الفرنسيون البلاد.[6]

التاريخ الحديث:

وصل بعض البحّارة الأوروبيين إلى نهر السِنِغال عام 747هـ (1346م) وزاروا الرأس الأخضر[7] ولكنهم لم يقيموا فيه وما يزال من الصعب القول في ما إذا كان النورمانديون أو الـبرتغاليون هـم أول الـذين نـزلوا علـى الـشاطئ الـسِنِغالي. وبعـد مائـة عام احتل الـبرتغاليون جزيـرة "أرغين Arguin"[8] إلا أنهم لم يهتموا كثيراً في تلك الفترة بالإتجار مع هـذه المـناطق الإفـريقية الغـربية بالمقارنة مع الهند. وفي القرن السابع عشر الميلادي احتل الهولـنديون جزيـرة "غـور Gorée" مقابل دكار. وفي نفس هذه الفترة تقريباً بدأ الفرنسيون بـدورهم يهـتمون بالـتجارة في مـناطق إفـريقيا الغربية، ففي عام 1659م شيد الفرنسيون

(1) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.
(2) لمزيد من المعلومات عن هذه المملكة أنظر الفصل الثاني من الباب الثالث في هذا البحث.
(3) تقع عند أعالي نهري السِنِغال والنيجر، وهي الآن في دولة مالي.
(4) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.
(5) لمزيد من المعلومات عنه أنظر الفقرة 4.3.2 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.
(6) شاكر محمود، وياغي، إسماعيل أحمد ، ص 224.
(7) يقع بالقرب من مدينة دكار.
(8) تقع تجاه ساحل موريتانيا الشمالي على بعد 80 كلم من الرأس الأبيض، وهي تابعة لموريتانيا الآن.

حصن "سان لوي St. Louis" عند مصب نهر السنغال، وفي عام 1677م أخذوا جزيرة "غور" من الهولنديين وأصبحت شواطئ بلاد السنغال بأيديهم. أما القوى الاستعمارية الباقية (الهولنديين والبرتغاليين والإنكليز) فقد انحصر وجودها بوكالات تجارية تقايض القبائل الساكنة على الشاطئ بالأصماغ العربية والذهب والعبيد والعاج والجلود مقابل منتوجاتها الأوروبية المختلفة.[1] ولم يكن المسلمون يدرون ما الاستعمار كما لم يكن لهم نوايا عدوانية ضد أي نوع من بني البشر، وما دام يعيش بالقرب منهم أناس وثنيون فما يضرهم لو أقام نصارى! حيث لم يكن تطبيق الإسلام كاملا عندهم، فقد دخلت قبائلهم في الإسلام حديثا، ومعلوماتهم لا تزال ضحلة.

وفي عام 1815م منع المؤتمرون في فينا عاصمة النمسا تجارة العبيد ولم تلغها فرنسا إلا عام 1848م أيام الجمهورية الثانية حين أصبح نابليون الثالث الأمير الملك.

وعندما تولى نابليون الثالث الحكم في فرنسا عام 1265هـ (1848م) وضع مشروعا للتوسّع داخل السنغال، وعين الجنرال "فدرب Faidherbe" حاكما على المنطقة فجرد حملات كبيرة لإخضاع المنطقة الداخلية، واشتبك مع الإمارات القائمة هناك بحروب دائمة واستمرت عشرات السنين انتهت بتوطيد السيادة الفرنسية واتخذت السنغال كقاعدة للعمليات الحربية الاستعمارية الفرنسية، فخلال الأعوام 1854م و1865م انطلق "فدرب" من سان لوي وتوغل في اتجاهين: إتجاه نحو وادي السنغال وإتجاه ثاني نحو مدينة دكار التي أسسها الفرنسيون عام 1857م ومنها إلى داخل البلاد حتى منطقة "كازامنس Casamance" في جنوب السنغال.

وفي عام 1895م أنشأت فرنسا ما سمي آنذاك الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية Afrique Occidental Française[2] التي ضمت المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا، وفي عام 1902م اتخذت داكار مقراً لهذه الحكومة بعد أن كانت سان لوي تحتل هذا المركز. وبفضل موقع داكار وميناءها إزدهرت المدينة في أوائل القرن العشرين حيث بلغ عدد سكانها حوالي مليون نسمة كما شهدت نزول أول المهاجرين اللبنانيين على أرض السنغال، ومما عزز موقع داكار الاقتصادي هو إنشاء خط للسكة الحديد بينها وبين مالي فانتعشت تجارة الترانزيت عبر ميناءها.

(1) الخوند، مج 9، ص 182.

(2) كان هذا الإتحاد يضم الدول التالية: بنين وغينيا-كوناكري ومالي وساحل العاج وموريتانيا والنيجر والسنغال وبوركينا فاسو.

وفي عام 1343 هـ (1925م) صدر مرسوم نُظِّم فيه أوضاع السنغال حيث أصبح سكان هذا البلد يحملون بطاقة الرعية الفرنسية، وينتخبون ولهم نّوابا عنهم في المجلس النيابي الفرنسي، فكانوا هم الزنوج الوحيدين الذين يتمتعون بمثل هذه الحقوق السياسية.

وعندما صدر مشروع ديغول[1] عام 1378 هـ (1958 م) أصبحت السنغال عضوا في الأسرة الفرنسية، لأنها صوتت إلى جانب القانون. وبعد عام انضمت إلى السودان الفرنسي ليؤلّفا "اتحاد مالي"، لكن ما لبث هذا الاتحاد أن انفصمت عراه في عام 1960 على أثر استقلال مالي، فأعلنت السنغال جمهورية مستقلة ضمن الأسرة الفرنسية في نفس العام انتخب "ليوبولد سنغور Léopold Senghor" رئيسا للجمهورية "ومحمد (أو مامادو) ضيا" رئيسا للوزارة لمدة خمس سنوات. وفي عام 1962م جرت محاولة إنقلاب قام بها ضيا ضد سنغور اعتبرت الأولى في إفريقيا السوداء انتهت باعتقال ضيا وأصبح بعدها سنغور يمثل السلطة التشريعية والتنفيذية، فجرا استفتاء على دستور جديد أيده الشعب. وكانت السنغال من أوئل الدول التي اعترفت باستقلال غينيا-بيساو عن البرتغال عام 1973 مما دفع الأخيرة لشن غارات جوية ضد ثوار غينيا-بيساو الذين يتمركزن داخل الأراضي السنغالية، فما كان من حكومة داكار إلا أن قدمت شكوي في الأمم المتحدة ضد البرتغال. وفي عام 1400 هجري (1980م) تنازل سنغور عن الرئاسة إلى "عبده ضيوف".

العلاقات مع غامبيا وموريتانيا[2]:

وفي عام 1402هـ (1982م) أعلن عن اتحاد بين غامبيا والسنغال باسم دولة "سنغامبيا"[3] ما لبث أن انحل عام 1989.

وفي نفس العام (أي 1989م) نشبت أعمال عنف وشغب ضد الموريتانيين في السنغال وضد السنغاليين في موريتانيا، وفي التفاصيل أن موريتانيا طردت ما بين 40,000 و75,000 مواطن موريتاني ينتمون إلى العرق الأسود[4] السنغالي رداً على قتل 10,000

(1) دعا الجنرال ديغول رئيس فرنسا عام 1958م المستعمرات الإفريقية والبلاد الموصى عليها إلى اختيار الطريق الذي يتفق مع مصالحها وهو إما الاستقلال غير المقيد أو الاستقلال مع البقاء ضمن نطاق الأسرة الفرنسية أو البقاء جزءاً من البلاد الفرنسية.

(2) أنظر أيضاً فقرة العلاقات مع السنغال في فصل موريتانيا من هذا الملحق.

(3) شاكر محمود وياغي إسماعيل أحمد ، **تاريخ العالم الإسلامي**، ط2، الرياض: مكتبة العبيكان، 1419هـ، ص 224-225-226.

(4) Human Rights Watch, "Mauritania", http://www.hrw.org/reports/1989/WR89/Mauritan.htm, 30/3/05

=

موريتاني في السينغال إثر حوادث عنف وشغب ضدهم وطرد السينغال لحوالي 300 ألف موريتاني[1] والاستيلاء على مبالغ مالية كبيرة كانت يملكها هؤلاء في السنغال ومن بينهم لبنانيين يحملون الجنسية الموريتانية، كما تم تعليق للعلاقات الدبلوماسية بينهما في إطار استمرار كل منهما المطالبة بالسيادة على الضفة اليمنى من نهر السينغال[2]. وقبل بدء النزاع كان السينغاليون السود يعبرون الحدود ويزرعون في الأراضي الزراعية في الجزء الموريتاني من حوض نهر السينغال وكان مربو الماشية الموريتانيون البربر والعرب يتوغلون داخل الأرض السينغالية بحثاً عن المراعي، لكن مع اندلاع الأزمة بين البلدين أصبح من الصعب جداً بل من المستحيل استمرار هذا التبادل في كسب العيش. وفي عام 1992 أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وبعد عامين اتفق وزيرا الداخلية في البلدين على فتح المعابر الحدودية إلى أن هذا الأمر ظل التعاطي معه بحذر فأصبحت المعابر تخضع لرقابة صارمة من الطرفين ووضعت شروط استثنائية بالنظر إلى ما كانت عليه الأوضاع قبل النزاع وعادية بالمقارنة مع العلاقات بين الدول في مختلف أنحاء العالم. فقد أصبح على السَنِغالي الداخل إلى موريتانيا والموريتاني المتوجه إلى السينغال أن يحمل معه أوراقه المدنية ومبلغ بقيمة 600 فرنك فرنسي أو ما يقابله من عملات دولية بعد أن كان المواطنون في كل من البلدين ينتقلون عبر الحدود دون أي ضابط.[3] وعلى العموم خفت حدة التوتر جداً بين الدولتين الآن حيث تقوم كل منهما بفتح صفحة جديدة مع الأخرى.

وعلى صعيد آخر زار البابا يوحنا الثاني السينغال في عام 1992 وفي عام 2000 استلم الرئاسة عبد الله واد.

قضية كازامنس:

وفي نهاية الحديث عن السينغال لا بد من الإشارة إلى مشكلة إنفصاليو إقليم "كازامنس" الذي يقع في الجنوب بين غامبيا وغينيا-بيساو (راجع الخريطة في نهاية الفصل عن

=

وانظر أيضاً: الطويل، نبيل، **المشردون في الأرض غالبية مسلمة**، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 2004، ص 153.

(1) **موريتانيا: الثقافة والدولة والمجتمع**، إعداد السيد ولد أباه، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، (سلسلة الثقافة القومية، 28) ص 128.

(2) الخوند، مج 9، ص 191.

(3) المصدر السابق، مج 9، ص 191.

السـينغال). فـبخلاف بقـية أجزاء السينغال كان أجزاء السينغال كان إقليم كازامنس يرزح تحـت نـير الاسـتعمار البرتغالـي مـنذ عام 1648م وتحول إلى مستعمرة فرنسية بعد مؤتمر برلين إثر إتفاق وقع بين البرتغال وفرنسا عام 1886م. وتعتبر قبائل "ديولا" التي تقطن ذلك الإقليم أقرب ثقافياً وتاريخياً وجغرافياً إلى سكان مناطق الحدود مع كل م غامبيا وغينيا- بيساو. يقد سكان هذا الإقليم بنحو مليون نسمة ويعيش من العام 1991 في حالة صراع مع القبائل الشمالية والحكومة للإنفصال عن الدول السينغالية. وما زال هذا الإقليم حتى الآن مصدر توتر للسينغال.

والسينغال عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1968م.

سيراليون

لمحة جغرافية:

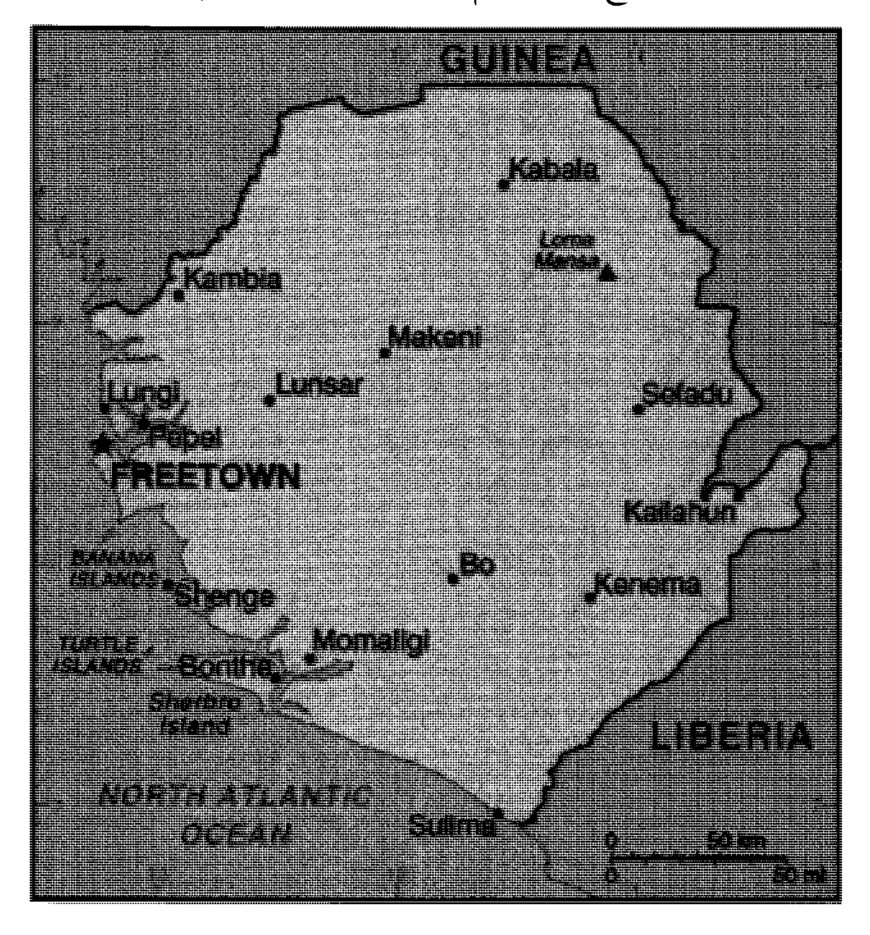
سـيراليون اسـم مـركب مـن كلمة برتغالية مؤلفة من جزأين وهي "سيرا" بمعنى الجبل و"لـيون" بمعنـى الأسـد، ويقول الرواة في أسباب تسمية هذه الأرض بهذا الإسم أن سفينة بـرتغالية مـرت عـام 1460م أمام رأس يحجز وراءه خليجاً من أمنع الموانئ وقد نتأ فوقه جـبل مكلـل بالأشـجار الكثيفة الخضراء فقال البحارة، وقد هالهم المنظر، "سيراليون (أي جـبل الأسـود)" لأنـه يـشبه راس الأسد، وقال رواة آخرون أن البحارة قالوا ذلك لأنهم سمعـوا أصـوات الأمواج ترتطم على الصخور كأنها زئير الأسد.[1] تقع سيراليون على الـشاطئ الغربـي لإفريقيا، ويحدها غربا المحيط الأطلسي، ويجاورها من الجنوب والجنوب الـشرقي: جمهـورية لـيبيريا ، ويجاورهـا شمالا وشرقا غينيا- كوناكري (أنظر الخريطة في الأسـفل). تـبلغ مـساحة سيراليون 71740 كلم^2، ويقدر عدد سكّانها بنحو خمسة ملايين نـسمة، ويـتكوّن سـكانها من خمس عشرة قبيلة لكل قبيلة لغتها الخاصة وزعيمها الخاص ومـن هـذه القـبائل : التمني، المندى، الفولا، اللمبا، مادينغ، كونو.. وغيرها مع العلم أن اللغـة الـرسمية هـي الإنكليزية. وهناك جالية لبنانية في سيراليون لها نفوذ اقتصادي قوي يقـدر عـددها بحوالـي 25 ألف لبناني.[2] تبلغ نسبة المسلمين في سيراليون حوالي 60٪.[3]

(1) حقي، إحسان، إفريقيا الحرة: بلاد الأمل والرخاء، بيروت: الكتب التجاري للطباعة وو التوزيع والنشر، 1962، ص:138-139.

(2) الخوند، مج 11، ص 119.

(3) المصدر السابق، مج 11، ص 119.

والمسيحيين 11,5٪ والباقي ديانات محلية.[1] أهم المدن: فريتاون، وهي العاصمة والميناء الرئيسي، وقد بلغ عدد سكانها عام 2003 حوالي 920,700 نسمة[2] وهم خليط من عدة إثنيات وقبائل إفريقية. أسس مدينة فريتان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ناشطون بريطانيون كانوا يدعون إلى إنشاء ملاذ آمن للسود الفقراء في بلادهم، وكانت تدار منها خلال القرن التاسع عشر معظم المستعمرات البريطانية في غرب إفريقيا.



ومن المدن الأخرى "بو" و"كوندو Koindu" و"كِمِنا Kemena". مناخ سيراليون ممطر واستوائي وتتراوح درجات الحرارة بين 25 و27 درجة مئوية باستثناء الشمال الذي يخضع لتغيرات كبيرة في الحرارة.

(1) راجع جدول الأديان في غرب إفريقيا الموجود في الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

(2) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 1006.

الاقتصاد:

تتوزع اليد العاملة في سيراليون كالآتي: 65٪ في الزراعة (و تساهم في 40٪ من الدخل العام)، و5٪ في الصناعة (و تساهم في 6٪ من الدخل العام) و20٪ في التجارة والخدمات (و تساهم في 41 ٪ من الدخل العام)، و10٪ في المناجم (تساهم في 14٪ من الدخل العام)[1] إذ يأتي الماس على رأس ثرواتها المنجمية وبعده البوكست والحديد والكروم، وتنحصر الصناعة بتصنيع المواد العذائية. تزرع البلاد الفول السوداني والنخيل الزيتي، والأرز، والذرة، والبندق، والكاكاو، وجوز الهند، والبن، والكاسافا، والموز، والحمضيات، والكولا والكتّان، والزنجبيل، وتستثمر الأخشاب من الغابة. والعملة المستعملة في سيراليون هي: ليونِ Leone، وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 500 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 31٪.[2]

انتشار الإسلام:

كان أهالي سيراليون يؤمنون بوجود دين وربّ يُعْبَد، لذا لم تكن هناك صعوبة تذكر لقبولهم الإسلام، فبجهد بسيط اعتنق عدد غير قليل الإسلام وهذا ساعد الدعاة كثيرا. وقد كانت سيراليون تابعة لإمبراطورية مالي الإسلامية،[3] وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي، وفي ذلك القرن بدأ الفولانيون[4] دخول هذه أرض "سيراليون" ونشروا تعاليم الدين الإسلامي بين أهلها بشكل فردي. واستمر هذا النوع من النشر إلى القرن السابع عشر الميلادي حيث استطاع الشعب الفولاني المسلم فتح بلاد فوتا جالون الإسلامية، وكان ذلك بقيادة "ألفا إبراهيم بن نوح باري" المعروف ب "كراموكو ألفا"[5] وهذه الكلمات كراموكو وألفا تطلق عند الفولانيين على كل من درس وتعمق في الدين. كان "كراموكو الفا" قائدا للجيش وإماما في آن واحد، وفتح بلاد الفوتاجالون وأقام حكم الله فيها بالكتاب والسنة خلال ثماني عشرة سنة، وعندما أضعفه المرض بايع قومُهُ "إبراهيم

(1) الخوند، مج 11، ص 120.

(2) **National Geographic Concise Atlas of the World** , p. 84.

(3) لمزيد من المعلومات عن هذه الأمبراطورية راجع الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(4) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(5) لمزيد من المعلومات عن هذا القائد راجع الفقرة 4.3.4 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

سوري باري[1] وذلك بعد أن قسم البلاد إلى تسع ولايات وتابع الإمام (سوري باري) الفتح، وفي عهده فتحت شمال سيراليون وانضم تلك البلاد إلى الدولة الإسلامية. هكذا ظلت سيراليون خاضعة لمملكة الفوتا جالون الإسلامية حتى جاء الاستعمار الفرنسي واستعمر فوتا جالون الإسلامية وسمّاها "غينيا" واستعمر البريطانيون "سيراليون" وأقاموا الحدود بينهما. وبالرغم أن المسلمين تنقصهم وسائل الدعوة، وان المبشرين لهم وسائل متعددة، ولهم دعم مادي ومعنوي إلا أن الدعوة لم تنقطع أو تتوقّف بل استمرّت إلى الآن. وقد بدأ تأسيس الجمعيات الإسلامية منذ الخمسينات. ففي عام 1946 جاءت فكرة إنشاء (جمعية المؤتمر الإسلامي للائمة) وتم إنشاؤها، وكانت همزة وصل بين الحكومة والمسلمين. وكان من بين أهدافها ترتيب وتنظيم شؤون المسلمين، كما كانت هناك جمعيات أخرى مثل (جمعية الدعوة الإسلامية)، (جمعية المسلمات)، (جمعية الأخوة الإسلامية). إلا أن (جمعية المؤتمر الإسلامي للأئمة) كانت من أهمها حيث إنها من خلال مباحثها – واجتماعاتها طرحت مسألة إرسال وفد للتعاليم، ووافقت الجمعية وأرسلت أول بعثة إلى الأزهر الشريف، وكانت تضم أربعة من الأئمة، وكان من بين هؤلاء الأئمة (الحاج جبريل سيس)، أمام مسجد تمنى المركزي، وكان من أنشط الناس في الدعوة وبنى مدرسة فور وصوله في العاصمة فريتاون وسماها المدرسة الإيمانية. وهناك شخصيات أخرى جاهدت وعملت المستحيل في نشر الدعوة الإسلامية في البلاد: أمثال: السيد (جبريل كمارا) المؤسس لمعهد جبريل الإسلامي بمدينة "كينما" السيد (أحمد يونس باه) مؤسس (جمعية بدر الدين الإسلامية)، وأمثال المجاهد الكبير الحاج (سليمان جالو) رحمة الله تعالى عليه. هذا الرجل من طلاب الأزهر الشريف بعد رجوعه إلى البلاد أسس مدرسة بنفسه بمساعدة ابن أخته الشهيد الحاج بصرى باري رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته وذلك في عام 1969م وسماها "المدرسة النورية الإسلامية" ومحل ذلك في محافظة صيفادو كونو، والحاج (سليمان جالو) من الدعاة المخلصين الذين لا يبالون لومة لائم، وطلابه الآن منتشرون في كل من الولايات المتحدة وكندا والسعودية، والكويت، وسوريا، ولبنان، وقطر، والسودان، وماليزيا، والمغرب، ومصر وغيرها. وقد انتقل إلى جوار ربه تعالى في يوم 18 أغسطس 1989م، اسكنه الله فسيح جناته. وفي نهاية عام 1974 زار وفد من (جمعية الدعوة الإسلامية) قرية في شمال البلاد وفي محاضرة واحدة اسلم 106 من أفراد قبيلة "لمبا" كانوا كلهم على دين المسيحية وهذا دليل قاطع على أن

---

(1) لمزيد من المعلومات عن هذا القائد راجع الفقرة 4.3.4 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

الأرض خصبة للدعوة، وفي الأنشطة الثقافية (جمعية أنصار الإسلام) في زيارة واحدة في عام 1979م أسلم كل أهالي قرية اسمها "يوكوما" في محافظة كونو بشرق البلاد، وكان أغلبهم يدينون بالمسيحية، وقلة كانوا وثنيين، وبنوا فيها مدرسة إسلامية ومسجدا[1].

التاريخ الحديث:

كان البحارة البرتغاليون أول الأوروبيين الذين نزلوا إلى المنطقة وتوغلوا فيها منذ أواسط القرن الخامس عشر الميلادي وأطلقوا اسم سيراليون (أي جبل الأسد) على البقعة التي تشغلها سيراليون حالياً. ومع بداية القرن السادس عشر الميلادي اتخذت السفن التجارية الأوروبية من هذه المنطقة محطة توقف لنقل المئات من السود الأفارقة إلى القارة الأميركية ضمن اطار تجارة الرقيق. وفي عام 1787م وصل إلى شواطئ سيراليون احد مناهضي تجارة الرقيق البريطانيين ويدعى"غرانفيل شارب Granville Sharp" وفي معيته 400 من المواطنين السود الأميركيين بعد حصولهم على حرياتهم، وقد قام "شارب" بإطلاق سراحهم في الساحل حيث أسس مستوطنة لهم عُرفت فيما بعد بإسم "فريتاون". وفي عام 1807م أصدرت بريطانيا مرسوماً يحرم تجارة الرقيق وفي العام التالي أصبحت المناطق الساحلية لسيراليون مستعمرة بريطانية، ثم ما لبث أن امتد النفوذ البريطاني تدريجياً إلى أعمال البلاد. وابتداءاً من عام 1815م أصبحت فريتاون أهم قاعدة بحرية بريطانية على الشاطئ الغربي من إفريقيا وعاصمة الممتلكات البريطانية في كل أنحاء إفريقيا الغربية. وفي عام 1896م أنشأت بريطانيا محمية لها في المناطق المجاورة وأصبحت هذه المحمية إلى جانب المستعمرة تشكل تقريباً ما يعرف حالياً بسيراليون. ومنذ عام 1896م وحتى عام 1961م بدأت سيراليون تتجه تدرجياً نحو الحكم الذاتي. وفي العام 1381هـ أي (1961م) حصلت البلاد على الاستقلال وجرت انتخابات عام 1387 هـ (1967م) غير أن نتائجها لم تكن حاسمة مما أدى إلى صراع على السلطة بين الفئات السياسية المختلفة. حفز هذا الوضع المؤسسة العسكرية التي قامت بانقلاب عسكري تم على اثره حل البرلمان وأوقف العمل بالدستور. غير أن الحكم العسكري لم يستمر طويلاً حيث تم اسقاطه عام 1968م وأُعلن عن قيام حكم مدني واستلم السلطة بعدها مباشرة "سياكا ستيفنز Siaka Stevens" زعيم الحزب المؤتمر الشعبي العام الذي أصبح زعيمه رئيسا للوزراء. وفي آذار من عام 1971م وقع انقلاب قُمع بمساعدة قوات من غينيا-كوناكري

---

(1) باه، محمد أحمد، **أخبار العالم الإسلامي**، العدد 118، 27 أغسطس، ص 12.

1971م وقد بقيت القوات الغينية في فريتاون حتى عام 1973م، وفي نيسان (أبريل) من عام 1971م تم ادخال تعديلات دستورية تم بمقتضاها اعتماد الشكل الجمهوري نظاماً للحكم، كما تم تنصيب "ستيفنز" رئيساً للجمهورية. وفي نيسان (أبريل) من عام 1973م انتخب "ستيفنز" مرة أخرى رئيساً للجمهورية وقررت الجمهورية البقاء في الكومنولث. جرت محاولة انقلاب جديدة في عام 1974م أثناء زيارة الرئيس "ستيفنز" لرومانيا فأُعلنت حالة الطوارئ واتخذ النظام مزيداً من الإجراءات القمعية في إطار أزمة اقتصادية خانقة. دعا "ستيفنز" إلى انتخابات عامة عام 1977م وجرت هذه الإنتخابات وسط أجواء دموية أعادت سيطرة الرئيس وحزبه على مقدرات البلاد. وفي عام 1985م ترك "ستيفنز" الحكم وخلفه "جوزف مومو JosephMomoh" القائد العام للقوات المسلحة الذي أزيح في انقلاب جرى في نيسان (أبريل) من عام 1992م وتسلم الحكم الكابتن "فالنتاين ستراسر ValentineStrasser" الذي أصبح رئيساً للبلاد، وكانت البلاد تعاني من حرب أهلية أشعلها ثوار "الجبهة الثورية المتحدة Revolutionary United Front" منذ بداية عام 1992م على الحدود مع ليبريا وأثرت سلباً على اقتصاديات سيراليون القائمة على الماس والذهب.

خُلِع "ستاراسر" من الحكم في كانون الثاني (يناير) عام 1996م عقب إنقلاب قاده الجنرال "جوليوس مادا بيو Julius Maada Bio" وفي شباط (فبراير) من نفس العام جرت انتخابات رئاسية وتشريعية بينما أعلن الثوار استمرارهم في القتال من دون الإعتراف بنتائج الإنتخابات. فاز بالإنتخابات الرئاسية الحاج "أحمد تيجان كباح" وهو دبلوماسي اشتغل في الأمم المتحدة لأكثر من 20 عاماً. وفي آخر تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1996م وقع الرئيس كباح وزعيم الجبهة الثورية الموحدة "فوداي سنكوح" في ابيدجان عاصمة ساحل العاج اتفاق سلام يضع حداً لحرب أهلية استمرت خمسة أعوام. أطاح انقلاب عسكري في أيار (مايو) عام 1997م بالرئيس "كباح" قاده "جوني كوروما Johny Koroma" الذي دعا الجبهة الثورية المتحدة للإنخراط في الحكومة، وبعد عشرة أشهر طُرد "كوروما" على يد قوات "مفرزة مراقبة وقف إطلاق النار التابعة للمجموعة الاقتصادية لدول غربي إفريقيا ECOMOG"[1] والتي تقودها نجيريا، وأُعيد "كباح" إلى الحكم. وفي كانون

(1) هذه المفرزة هي فرع من "المجموعة الاقتصادية لدول غربي إفريقيا والتي عرفت بالإنكليزية بإسم: Economic Community of West African States (ECOWAS). والتي ضمت كل من : بنين، بوركينا فاسو، جزر الرأس الأخضر، ساحل العاج، غامبيا، غانا، غينيا-كوناكري، غينيا-بيساو، ليبريا، مالي،

الثاني (يناير) عام 1999م أعادت الجبهة الثورية المتحدة الكرة مرة أخرى وحاولت الاستيلاء على الحكم وذلك بدعم من "تشارلز تِلبور" رئيس ليبريا المجاورة، لكن قوات ECOMOG تمكنت من صد تلك المحاولة. وبمساعدة المجتمع الدولي توصل الرئيس "كباح" و"سنكوح" زعيم الجبهة الثورية المتحدة إلى إتفاق سلام عقد في لوم عاصمة توغو بتاريخ 7 تموز (يوليو) عام 1999م تم بموجبه تعيين "سنكوح" نائباً للرئيس وإعطاء مراكز في الحكومة لأعضاء من الجبهة الثورية المتحدة، كما دعا الإتفاق إلى إنشاء قوة حفظ سلام دولية تحت إسم "مهمة الأمم المتحدة في سيراليون UNAMSIL" قوامها 6000 عنصر من قوات الكومنولث و5000 عنصر من الكتيبة النيجِرية التابعة لقوات ECOMOG. لكن قوات الجبهة الثورية المتحدة خرقت الإتفاق وعمدت إلى خطف أعضاء من UNAMSIL. وفي أيار (مايو) عام 2000م أطلقت عناصر تابعة للجهة النار على متظاهرين أمام منزل "سنكوح" في فريتاون فقتلت 20 شخصاً، ونتيجةً لذلك اعتقل "سنكوح" مع عدد من أفراد الجبهة وجُردوا من كل مراكزهم في الحكومة. تفاقم الوضع بين الطرفين المعادين مما استدعى عقد اتفاق سلام ثاني في أيار (مايو) عام 2000م. وُقِّع هذا الإتفاق في أبوجا عاصمة نيجِريا في تشرين الثاني من نفس العام، ومع ذلك استمر القتال. وفي أواخر عام 2000م دخلت قوات من غينيا-كوناكري إلى سيراليون لمهاجمة قواعد الجبهة الثورية المتحدة التي أُطلقت منها عمليات داخل غينيا-كوناكري ضد المواطنين المنحدرين من أصول ليبيرية، فعقد إتفاق سلام ثاني في أبوجا في أيار (مايو) من عام 2001م حيث تم نزع سلاح نحو 72000 مسلح. وفي 18 كانون الثاني (يناير) من عام 2002م أعلن الرئيس كباح إنتهاء الحرب الأهلية رسمياً، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام بدأ تقليص عدد قوات UNAMSIL العاملة في سيراليون. وما زال الرئيس كباح الرئيس الحالي لسيراليون.

وفي الختام لا بد من ذكر أن سيراليون عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1972م.

=

النيجِر، نيجِريا، السِنِغال، سيراليون، توغو، وكان هدف هذه المجموعة هو تعزيز التجارة والتعاون في غرب إفريقيا. أما الدول ألفت ECOMOG فكانت : غامبيا، غانا، غينيا-كوناكري، نيجريا، سيراليون.

غامبيا

لمحة جغرافية:

تبلغ مساحة غامبيا حوالي 11,300 كيلومترا مربعا وهي أصغر دول إفريقيا، وتشرف على المحيط الأطلسي من الغرب ويبلغ طول ساحلها ثمانين كيلومترا، وتحيط بها السنغال من الجهات الثلاثة الأخرى بطول الحدود التي تبلغ 740 كيلومترا ، فهي أشبه بوتد داخل السنغال على مجرى نهر غامبيا (انظر الخريطة)، ويبلغ عدد سكانها حوالي 1,364,507 نسمة، فتزيد بذلك الكثافة على 120 نسمة في الكيلو المتر المربع الواحد.[1] يشكل المسلمون حوالي 85٪ من السكان، وهناك 8٪ من الوثنيين وحوالي 5٪ بروتستانت و2٪ كاثوليك.[2] كما أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية هذا بالإضافة إلى اللغات المحلية، وهي لغة القبائل الكبرى، كالمادينغ،[3] والفولاني[4]، والولوف. العاصمة هي 'بانجول Banjul' وكان اسمها 'بانتورست Banthurst' قبل عام 1974م عدد سكانها حوالي 42,400 نسمة، وأهم المدن 'سيركوندا Serrekunda' القريبة من بانجول وهي أكبر مدينة في غامبيا حيث يصل عدد سكانها الى نحو 151,450 نسمة إذ تتألف من 9 بلدات صغيرة امتدت ونمت واتصلت مع بعضها البعض، وهناك أيضاً مدن 'بريكاما' وسوكوتا' و'جورجتاون' و'جزيرة جيمس James Island' الواقعة في نهر غامبيا (أنظر الخريطة الثانية) والتي اشتهرت بفضل رواية 'الجذور Roots' الشهيرة لمؤلفها 'ألكس هيلي Alex Haley' الذي وصف معاناة الأفارقة خلال ترحيلهم إلى أميركا في اطار تجارة الرق انطلاقاً من هذه الجزيرة.

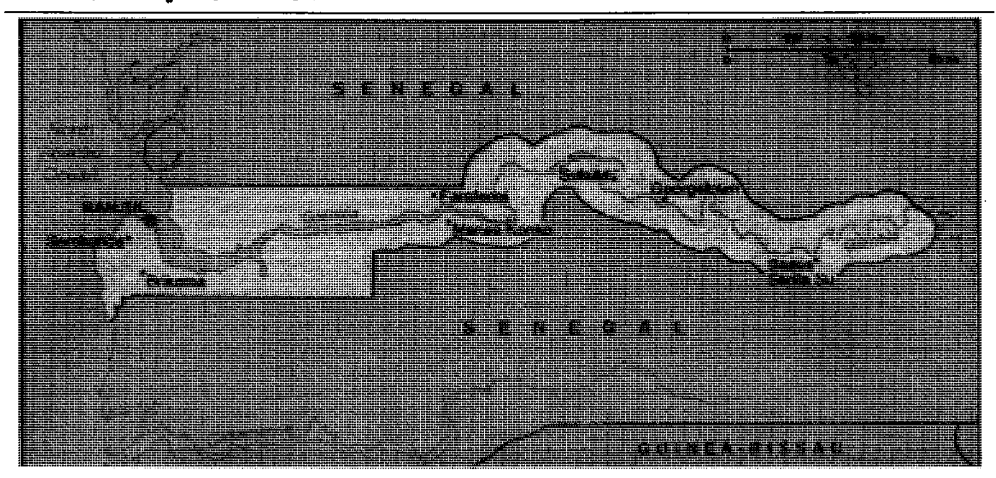
---

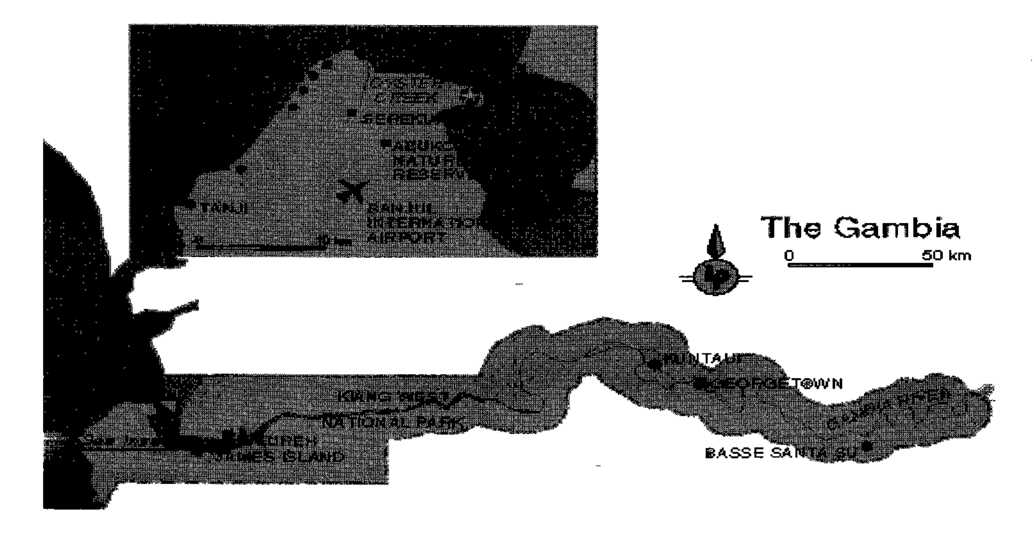
(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 482.

(2) الخوند، مج 13، ص 92. راجع أيضاً جدول الأديان في إفريقيا الغربية في الفصل الثاني للباب الأول من هذا البحث.

(3) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(4) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.





الاقتصاد:

يشتغل في الزراعة حوالي 70٪ من سكان غامبيا وتشكل الزراعة في غامبيا 32٪ من الناتج المحلي ويعمل فيها 79,3٪ من مجموع اليد العاملة[1]، وتغطي الأراضي المزروعة 27٪ من مساحة البلاد. أهم المزروعات: الفستق (42٪ من الأراضي المزروعة)، الذرة البيضاء (13٪من الأراضي المزروعة)،[2] والأرز والموز والمانغو والبابايا والبرتقال.

لا يوجد ثروات منجمية في غامبيا وصناعات ذات أهمية باستثناء بعض المشاغل

---

(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 478.

(2) الخوند، مج 13، ص 92-93.

الزيتية التي تحول الفستق الخام. ويشكل القطاع الصناعي 5٪ من الدخل العام ويعمل فيه 5٪ من اليد العاملة. كما شكل انتاج وتصدير السمك عام 2003 حوالي 3,1٪ من مجموع الصادرات للبلد.[1]

ومنذ العام 1994م أصبحت السياحة أكبر مصدر للعملة الصعبة في غامبيا، ومعظم السواح يأتون إليها من شمال غرب إفريقيا وخاصة السويد وبريطانيا الذين يزورون بشكل خاص جزيرة جيمس التي أعلنتها الأونسكو عام 2003 مركز تراث عالمي. وتنتشر السياحة البيئية في غامبيا حيث تبنى المخيمات خصيصاً للسواح لتسهيل هذا النوع من السياحة. وقد شكلت السياحة عام 2003 حوالي 6,6٪ من الناتج المحلي للبلاد.[2]

والعملة المستعملة في غامبيا هي: دالاسي Dalasi، وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1770 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 48٪.[3]

التاريخ:

إن تاريخ غامبيا هو نفسه تاريخ السينغال إذ أنها جزء منها، كما أن أول رباط[4] أقامه المسلمون عام 1040م لم يكن بعيداً عن أرض غامبيا، كما أنها كانت جزءاً من أمبراطوريات غانة[5] ومالي[6] وصنغاي[7] الإسلامية. وفي عهد الاستكشافات حين كانت غامبيا تدور في فلك امبراطورية مالي حل بها البرتغاليون في نحو القرن الخامس عشر الميلادي وبالتحديد عام 1455م ولكننا لا نعرف شيئاً كثيراً عن اتصالهم بها بعد ذلك باستثناء انطلاق بعثة برتغالية منها إلى بلاط امبراطور مالي موسى الثالث.[8] وفي أواسط القرن السابع عشر استقرت بها عدة شركات وتجار من أوروبا أغلبهم كان

---

(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 479.

(2) المصدر السابق، ص 480.

(3) **National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 83.

(4) اي قاعدة يرابط فيها المسلمون للجهاد ضد الكفار ويفرغون فيها للعبادة والتأملات الروحية وإصلاح خلق الفرد.

(5) لمزيد من المعلومات عن هذه الإمبراطورية الإسلامية، راجع الفصل الأول للباب الثالث في هذا البحث.

(6) لمزيد من المعلومات عن هذه الإمبراطورية الإسلامية، راجع الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(7) لمزيد من المعلومات عن هذه الإمبراطورية الإسلامية، راجع الفصل الثالث للباب الثالث في هذا البحث.

(8) الخوند، مج 13، ص 94.

يتعاطى تجارة العبيد، واعتباراً من عام 1807م صارت تلك الشركات تدار من المنطقة المسماة اليوم "سيراليون". وفي القرن الثامن عشر نزل بها البريطانيون والفرنسيون للاتجار معها ثم تنازل الفرنسيون سنه 1783م عن التجارة معها للبريطانيين وذلك بموجب معاهدة فرساي التي اعترفت للبريطانيين بحق ملكية قلعة جيمس ونهر غامبيا باستثناء مصنع فرنسي قائم على ضفة النهر الشمالية.[1] وفي عام 1816م وقعت كل من فرنسا وبريطانيا اتفاقية تولت من خلالها فرنسا أمر السِنِغال ووضعت بريطانيا يدها على غامبيا. وفي سنة 1821م أُلحقت غامبيا بحكومة سيراليون ولكن هذا الالحاق لم يطل بل فصلت عنها سنة 1843م وأصبحت مستعمرة لها إدارتها الخاصة، ثم عادت سنة 1886م واتحدت مع سيراليون ثم فصلت عنها عام 1888م. وفي أعقاب سلسلة من الإتفاقيات التي وقعتها بريطانيا مع زعماء القبائل أعلنت الحماية البريطانية على البلاد عام 1901م. وفي عام 1904م عقدت كل من فرنسا وبريطانيا معاهدة أخرى حيث انتهى النزاع بين الدولتين الاستعماريتين، فتنازل البريطانيون لفرنسا عن جزيرة "غور"، وتنازل الفرنسيون للبريطانيين عن منطقة واسعة على جانبي نهر غامبيا، وبذلك وجدت دولة غامبيا، وتحددت حدودها نهائيا. عمل المستعمرون على الخلاص من المسلمين بالإبادة أو الطرد أو التنصير، وعندما عجزوا عن ذلك كله توجهوا إلى تنصير الوثنيين والاستفادة منهم لمقاومة المسلمين، وقد نجحوا في ذلك نسبيا مع الوثنيين حيث بدأ الصراع بينهم وبين المسلمين الملتزمين في طرف آخر.

وفي عام 1962م اعلن الحكم الذاتي في البلاد وأصبح السير داودا جاوارا Dawda Jawara رئيساً للحكومة وباشر المفاوضات حول الإستقلال مع بريطانيا. وفي عام 1965م أعلنت غامبيا دولة مستقلة ذات نظام ملكي دستوري ضمن الكومنولث البريطاني برئاسة جاوارا، وفي عام 1970م جرى استفتاء وأعلنت البلاد جمهورية برئاسة جاوارا أيضاً. ومنذ ذلك الوقت لغاية عام 1994 عرفت البلاد استقراراً نسبياً تخلله بعض محاولات الإنقلابية الفاشلة. وفي عام 1981م أُعلن عن قيام اتحاد "سِنِغامبيا" الذي ضم غامبيا والسِنِغال، لكنه انفرط عام 1989م وعادت غامبيا مستقلة. وفي عام 1994م قاد الملازم "يحيى جامح" انقلاباً عسكرياً أطاح به بسلفه جاوارا. ومازال جامح رئيساً للبلاد حتى الآن. وغامبيا عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1974م.

---

(1) حقي، ص:167-168.

غانا

لمحة جغرافية:

تقـع غانا على الشاطئ الغربي من إفريقيا عند خليج غانا. يحدها من الشمال بوركينا فاسو وتوغو من الشرق وساحل العاج من الغرب والمحيط الأطلسي من الجنوب. مساحة غانـا 238,537 كلـم مـربع، وفي غانـا بحـيرة فولـتا المـشهورة الـتي تعتبر واحدة من أكبر البحيرات التي صنعها الإنسان في العالم. تمتد بحيرة فولتا في وسط وشرق غانا وهي الخزان المائـي الـذي يقـع خلـف سد "أكوسومبو Akosombo" على نهر فولتا. تبلغ مساحة بحيرة فولـتا حوالي 8,482 كلم^2 وقد تكونت بعد استكمال السد عام 1965م. بلغ عدد سكان غانا حسب احصاءات عام 2003 نحو 20,922,00 نسمة،[1] يتوزعون على قبائل واثنيات مـتعددة أهمها "الأكان" ويسكنون منطقة الغابات في غرب البلاد و"الداغومبا-مامبروسيس" في الـشمال و"الإيـوي" في الغـرب حـول بحـيرة فولـتا و"غـا Ga" في سهول أكرا وفي غابات الـشمال بالإضـافة إلى قـبائل "الغوان".[2] يشكل المسلمون 19,7٪ من السكان بينما يشكل المسيحيون 55,4٪ من السكان والباقي من الوثنيين.[3] أما اللغة الرسمية فهي الإنكليزية، كما أن هناك لغات ولهجات محلية عديدة.

المناخ:

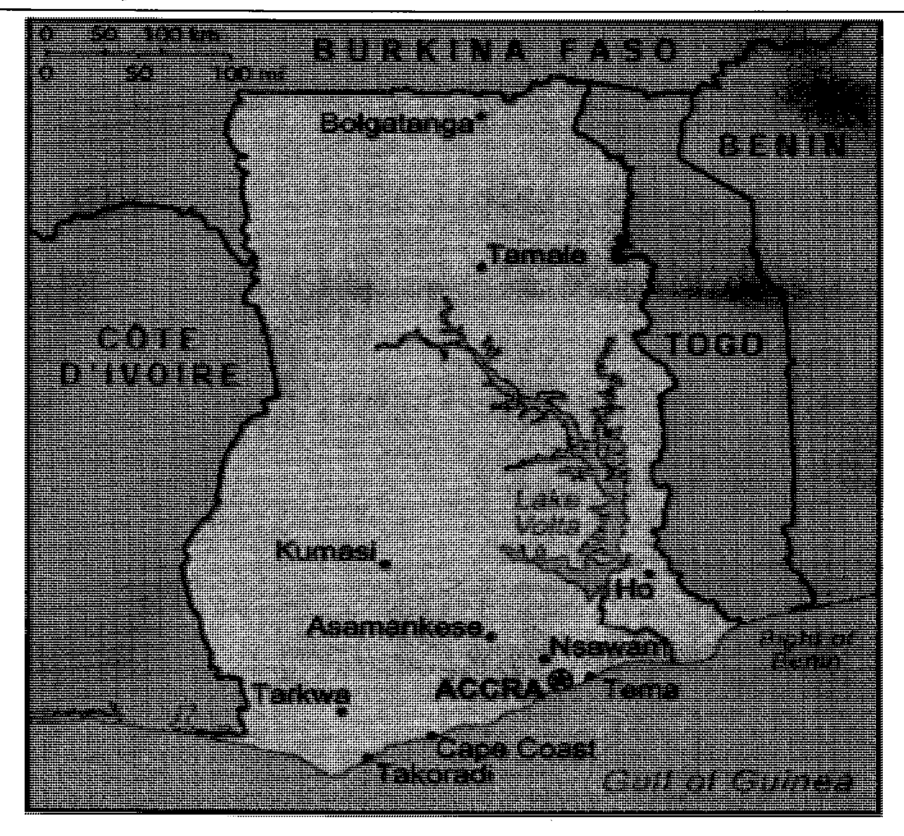
تقـع غانـا كلياً ضمن المنطقة الاستوائية ومعدل الحرارة السنوي يتراوح بين 26 و29 درجـة. وتـبلغ أدنـى درجـات الحـرارة في شمـال البلاد في شه كانون الثاني (يناير) وفي جنوب البلاد في شهر آب (أغسطس) وتسيطر أعلى درجات الحرارة في الشمال وذلك في شهر آذار (مارس). أما الرطوبة فهي مرتفعة طوال العام.

---

(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 504.

(2) الخوند، مج 13، ص 100.

(3) Melton, G J. & Baumann, M. (Eds), vol. 2, p. 547.



أهم المدن: أكرا، وهي العاصمة وعدد سكانها نحو مليون و700 ألف نسمة وهي ميناء ومركز تجاري هام. وتشكل أكرا مع مدينة ومرفأ "تِما Tema" منطقة متصلة من الأحياء المكتظة يزيد عدد سكانها عن ستة ملايين نسمة. وتبعد مدينة تِما حوالي 30 كلم شرقي أكرا وبها مصفاة لتكرير النفط وصناعات عدة كالألمنيوم والفولاذ والصناعات الكيماوية والنسيجية والغذائية. وقد بنيت هذه المدينة عام 1961م وكانت قبلاً قرية صغيرة للصيادين.[1] ومن المدن المهمة أيضاً "كوماسي" وتقع في وسط البلاد وتعد ثاني كبريات مدن غانا بعد أكرا، كما هناك مدن "تمالِ Tamale" في الشمال و"كيب كوست Cape Coast" الساحلية غرب أكرا.

الاقتصاد:

تعد الزراعة من القطاعات الاقتصادية المهمة في البلاد إذ شكلت مع صيد السمك والاستفادة من الغابات حوالي 39,2٪ من الناتج المحلي العام لسنة 2002م ويعمل بها

(1) الخوند، مج 13، ص 121.

أكثر من نصف السكان.[1] أهم المنتوجات الكاكاو والذرة وقصب السكر وجوز الهند والرز والموز والبرتقال. أهم الصناعات: الألمنيوم والمصنوعات الغذائية وتكرير النفط. وفي مجال الصناعة المنجمية تحوي غانا على كميات كبيرة من الذهب حيث بلغت غانا المرتبة 11 في انتاج الذهب في العالم عام 2000م.[2] وبالإضافة إلى الذهب يتواجد في غانا مناجم المانغنيز والبوكسيت والماس. العملة المستعملة في غانا هي "سِدي Cedi" وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1980 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 65٪.[3]

التاريخ:

اختلف تاريخ مملكة غانة القديمة[4] عن دولة غانا الحديثة، وقد إرتأينا أن نفرق بين الإثنين إملائياً بيحث تنتهي الأولى بالتاء المربوطة والثانية بالألف. فمملكة غانة كانت في جنوب ما يسمى اليوم موريتانيا ولا صلة لدولة غانا بها وقد سميت الدولة الحديثة باسم المملكة القديمة إعتزازاً بدورها التاريخي المجيد، وكانت البلاد تعرف قبل نيلها الإستقلال عام 1957م باسم "شاطئ الذهب" نظراً لما كانت تحويه من مخزون كبير للذهب. في القرن الثالث عشر الميلادي استقر شعب الأكان Akan في شمال ما يعرف اليوم باسم دولة غانا قادمين من الشمال الغربي لتلك المنطقة وأسسوا عدة دول أهمها: "بونو Bono" و"باندا Banda"، إلا أن أهم تلك مجموعة من ذلك الشعب كان "الأشنتي Ashanti" الذين استقروا في وسط غانا وأنشاوا امبراطورية مركزية بلغت أوجها خلال القرنين 18 و19 الميلاديين. وفي القرن الرابع عشر الميلادي قصد تجار من قبائل الماندينغ[5] تلك الدولة لشراء الذهب، وبين القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلاديين استقرت مجموعة من تلك القبائل في شمال غانا وأنشات دول "داغومبا Dagomba" و"مامبروسي Mamprusi" و"غونجا Gonja". وفي نفس الفترة تقريباً وصلت إلى غانا قبائل "غا Ga" و"إِوِ Ewe" من نيجريا واستقرت في الجنوب الشرقي لغانا.

---

(1) **Africa south of the Sahara**, 2005, p. 499.

(2) المصدر السابق، ص 501.

(3) **National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 83.

(4) لمزيد من المعلومات عن هذه الإمبراطورية راجع الفصل الأول للباب الثالث في هذا البحث.

(5) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

قدوم الاستعمار الغربي:

كان البرتغاليون من أوائل المستعمرين الذين وصلوا إلى تلك البلاد، ففي عام 1471م حط هؤلاء على شاطئ غانا واحتكروا تجارة الذهب وأطلقوا على تلك البلاد اسم "شاطئ الذهب". وفي القرن الخامس عشر الميلادي تنافس الفرنسيون والبريطانيون والدنماركيون والهولنديون البرتغاليين في تجارة الذهب والعبيد، وفي عام 1642م استولى الهولنديون على كافة معاقل البرتغاليين وحلوا محلهم. ومع بداية القرن 19 الميلادي ألغت الدول الأوروبية تجارة العبيد، وبسبب حرمانها من مدخول هام كانت تجنيه من افريقيا ونتيجةً لوجود تهديد على وجودها من قبل مملكة أشانتي قررت الدول الموجودة في شاطئ الذهب الإنسحاب من تلك المنطقة باستثناء بريطانيا التي تعاونت مع قبائل "فانتي" المحلية لإستئناف تجارة العبيد. وبين عامي 1873م و1874م اكتسح البريطانيون دولة أشانتي وأعلنوا شاطئ الذهب مستعمرة بريطانية وفرضوا نظام الحماية على دولة أشانتي والمناطق الشمالية عام 1901م. في عام 1957م استقلت شاطئ الذهب تحت اسم "غانا" وانضم إليها القسم البريطاني من توغو البريطانية المجاورة وأصبح "كوامِ نكروما Kwame Nkrumah" رئيساً للوزراء، وفي عام 1960م أصبحت غانا جمهورية ونكروما رئيساً لها. وبالرغم من الإنجازات التي حققها نكروما في بلاده على الصعيد التربوي والصحي وفي مجال انشاء سد فولتا والمجمع الكهربائي معه إلا انه في عام 1966م أطاحت مجموعة من العسكريين بالرئيس نكروما متهمينه بالديكتاتورية ونشر الفساد وسوء الإدارة الاقتصادية وبافلاس الدولة وبإقامة علاقات مع الدول الشيوعية وبالتدخل في الجيش. وفي عام 1969م انتخب رئيس جديد ما لبث أن أزاحه انقلاب عام 1972م، وكرت من بعدها سبحة الإنقلابات العسكرية حيث وقع انقلاب عام 1978م وعام 1979م وعام 1981م، وكان الأخير بقيادة "جون رولنغز John Rawlings" الذي انتخب رئيساً عام 1992م حيث وافق الناخبون على الدستور وأعلن عن انشاء جمهورية غانا الرابعة في العام التالي. وفي عام 2000م انتقلت السلطة وبشكل سلمي إلى "جون كوفور John Kufuor" الذي اصبح رئيساً للجمهورية، ومازال حتى كتابة هذه السطور في منصبه.

وفي الختام لا بد من أن نذكر أن غانا ليست عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي.

غينيا- بيساو

لمحة جغرافية:

هي دولة صغيرة في غرب إفريقيا تحدها السنغال من الشمال وغينيا-كوناكري من الشرق والجنوب والمحيط الأطلسي من الشرق بطول 160 كلم معظمه مستنقعات. تبلغ مساحة غينيا-بيساو حوالي 36,125 كلم² أي ما يقرب من مساحة فلسطين ولبنان معاً، ويتبعها عدد كبير من الجزر المتناثرة قرب الساحل بما فيها أرخبيل 'بيجاغوس Bijagos'. عدد سكان غينيا-بيساو نحو 1,493,000 نسمة[1]، وهم من قبائل (البول) و(الماندينغ)[2] ويعيش هؤلاء في داخل البلد وغالبيتهم مسلمون، وقبيلة (البالانت) ويعيشون في المناطق الساحلية. وتبلغ نسبة المسلمين 45٪[3] من مجموع السكان، بينما النصارى الكاثوليك لا تزيد نسبتهم على 14٪ والباقي من الوثنيين.[4] أما اللغة الرسمية فهي البرتغالية بالإضافة إلى اللغات المحلية مثل لغة قبائل البول والماندينغ والبالانت.

أهم المدن: بيساو Bissau وهي العاصمة والميناء الرئيسي وعدد سكانها حوالي 109,214 نسمة، وهناك مدينة بافاتا Bafatá وعدد سكانها حوالي 13,400 نسمة، ومدن غابو Gabú ومانساو Mansôa وفاريم Farim وكلها أقل من 10,000 نسمة.

تقع غينيا- بيساو بين خطي عرض 11-10و 12 ° فهي ضمن نطاق المناخ المداري الغني فتتراوح درجة الحرارة بين 27 ° في الفصل المطير، و30° في فصل الشتاء الجاف.

الاقتصاد:

يعمل في الزراعة نحو 70٪ من اليد العاملة التي تقوم بزراعة الأرز والفول السوداني والنخيل الذي يستخرج منه الزيت وجوز الهند، كما تنتشر تربية الأبقار والأغنام واصطياد الأسماك. وليس في غينيا-بيساو صناعة حقيقية ما عدا بعض المعامل الصغيرة لتعليب المواد الغذائية والزيوت. أما العملة الرسمية فهي: الفرنك الإفريقي وحصة الفرد

---

(1) **Africa south of the Sahara**, p. 555.

(2) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(3) لمزيد من المعلومات عن نسبه المسلمين في هذا البلد راجع أيضاً الفقرة 1.2.8 من الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

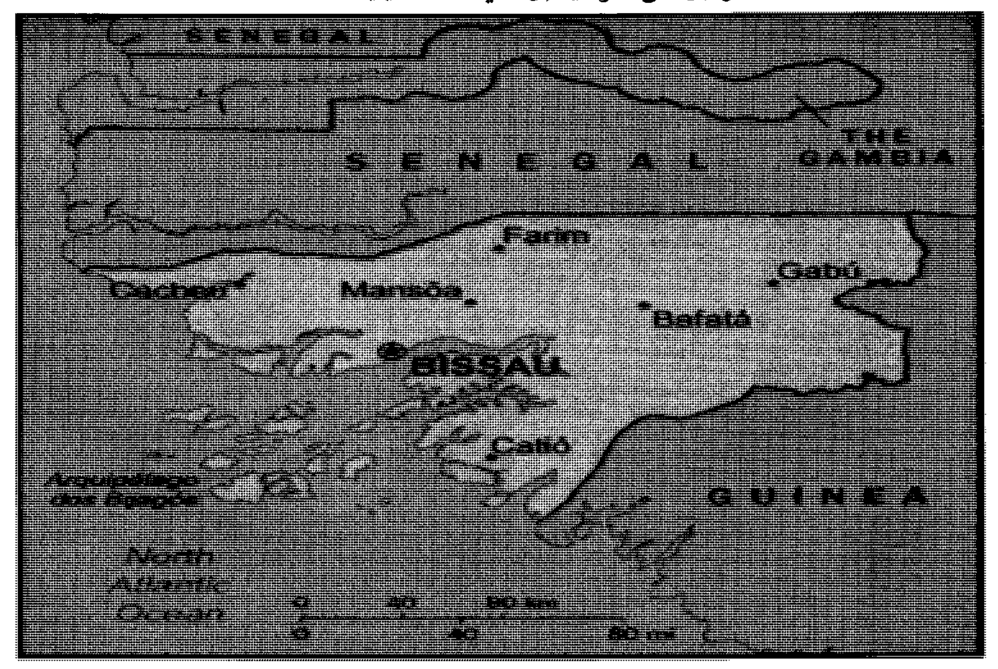
(4) **Africa south of the Sahara**, p. 561.

من الـناتج المحلـي الإجمالي هي 900 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابه هي 34٪.[1]

التاريخ:

انتشر الإسلام في هذا البلد منذ أيام المرابطين، بل وان حركتهم الإسلامية قد ولدت في أول رباط[2] أقيم على تخومها عام 1040م، ومنذ ذلك الحين والإسلام دين كافة الناس حيث أنها دخلت فيما بعد ضمن إمبراطورية مالي الإسلامية.[3]

وفي أواسط القرن الخامس عشر بدأ اهتمام البرتغال بسواحل غرب افريقيا، وفي عام 1446م لاقى أحد أبرز ضباطها ويدعى "نونو ترستاو Nuno Tristão" مصرعه حين حاول النزول في أرخبيل بيجاغوس. ولم يثن هذا الحادث عزيمة البرتغاليين بل عمدوا بعد ذلك إلى احتلال أراضي كافة أراضي غينيا-بسياو واستغلوها أبشع استغلال، إذ أصبحت مصدراً مهماً لتجارة الرقيق من افريقيا إلى أميركا اللاتينية.



(1) **National Geographic Concise Atlas of the World** , p. 83

(2) اي قاعدة يرابط فيها المسلمون للجهاد ضد الكفار ويفرغون فيها للعبادة والتأملات الروحية وإصلاح خلق الفرد.

(3) لمزيد من المعلومات عن هذه المملكة أنظر الفصل الثاني من الباب الثالث في هذا البحث.

وفي القرن السابع عشر الميلادي كان البرتغاليون ينقلون إلى أرض غينيا-بيساو القبائل الوثنية أو مجموعة نصرانية لتحل محل القبائل المسلمة التي تثور على الاحتلال الأوروبي، وأصبحت غينيا بيساو مستعمرة برتغالية منذ عام 1297 هـ أي (1879 م) منفصلة عن جزر الرأس الأخضر، واتفقت فرنسا والبرتغال بتحديد حدود غينيا بيساو عام 1886م . ولا تزال كما هي الآن وغدت عاصمتها بيساو منذ عام 1360 هـ -1941م.

الاستعمار:

وفي عام 1371 هـ (1951م) أصبحت المستعمرات البرتغالية تسمى الأراضي ما وراء البحار، وكل إقليم له حاكم عام، ويتمتع باستقلال ذاتي في الشؤون الإدارية والمالية وتخضع ميزانيته لاعتماد دور وزير شؤون الأراضي عبر البحار. بدأت حركة التحرر والإستقلال على يد "الحزب الإفريقي لإستقلال غينيا والرأس الأخضر"[1] والذي أسسه الزعيم "أميلكار كابرال Amílcar Cabral" عام 1956. وبعد سنوات من من تحضير الكوادر في غينيا-كوناكري بدعم من رئيسها أحمد سيكو توري باشر "كابرال" النضال وقامت ثورة في غينيا-بيساو عام 1382 هـ- 1963 م ضد البرتغاليين، وقد كان لها صداها الكبير في العالم، ولقد قمعت بشدة من قِبَل "سالازار" الذي تولى رئاسة وزراء البرتغال منذ عام 1350 هـ (1932م) حتى توفى عام 1389 هـ (1968م).

ومع بداية السبعينات تمكن الحزب من السيطرة على ما يقارب من ثلثي البلاد، وفي عام 1392 هـ (1972م) اعترف بالحزب الذي يطالب بالاستقلال من قبل لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة.[2] وفي العام التالي أغتيل أميلكار كابرال وانتخبت جمعية وطنية التي اعلنت استقلال البلاد برئاسة لويز كابرال أخ غير شقيق لأميلكار واعترفت بهذه الحكومة 70 دولة بالإضافة إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة. وقد اقترعت الولايات المتحدة ضد هذا الإعتراف وجاء موقفها هذا نتيجة لاتفاق سري بينها وبين البرتغال والقاضي بتجديد إيجار قاعد "لاجِس Lajes" في جزر الآزور[3] حيث كانت الولايات المتحدة تؤمن إمدادات دعمها لإسرائيل في حرب تشرين الأول (اكتوبر) 1973[4].

(1) راجع أيضاً في الملحق الفصل عن جزر الرأس الأخضر.

(2) شاكر، محمود وياغي، اسماعيل، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، ص 228.

(3) مجموعة من الجزر تقع في المحيط الأطلسي تتبع البرتغال وتبعد نحو 1350كلم عن البر البرتغالي.

(4) الخوند، مج 13، ص 189.

وفي نيسان من عام 1974م وقع انقلاب في البرتغال قامت بعده الحكومة الجديدة بالتفاوض مع الثوار في الحزب وتمخض عنها استقلال منفصل لغنينا-بيساو من جهة ولجزر الرأس الأخضر من جهة ثانية. وفي 10 أيلول (سبتمبر) من نفس العام اعترفت البرتغال باستقلال غينيا-بيساو.

الاستقلال:

ولمواجهة إعادة بناء البلاد التي خربتها الحرب الطويلة، عمد القادة الجدد يتقدمهم الرئيس لويز كابرال إلى انتهاج سياسة انفتاح غينيا-بيساو على الغرب. فتلقوا مساعدات مالية واقتصادية من بلدان السوق الأوروبية المشتركة والولايات المتحدة. وفي 14 تشرين الثاني 1980 قاد "جوا برناردو فيرا Joao Bernardo Vieira" انقلاباً عسكرياً مستفيداً من تدهور الأوضاع الاقتصادية وتململ بعض الناس منها، فأطاح بالرئيس لويز كابرال وفرض عليه الإقامة الجبرية.

حل النظام الجديد مؤسسات النظام السابق وأجهزته وأقام مجلس قيادة ثورة ترأسه فيرا نفسه. وفي عام 1994م أُعيد انتخاب فيرا رئيساً لمرة جديدة، وفي عام 1997م دخلت غينيا-بساو منطقة الفرنك الفرنسي وأصبحت عملتها الفرنك الإفريقي.

في حزيران 1998 بدأ تمرد عسكري أودى بحياة المئات وذلك بعد أن عزل الرئيس فيرا قائد الجيش. وفي أيار من عام 1999 أقصت مجموعة عسكرية الرئيس فيرا وأُلِّفت حكومة مؤقتة بقيت في السلطة لغاية شباط من عام 2000م حين استلم الحكم المعارض "كومبا يالا Kumba Yala" مؤسس حزب التجديد الإشتراكي وذلك بعد أن فاز في دورتين من الإنتخابات الرئاسية التي طغت عليها الشفافية. وقد بقي يالا في الحكم لغاية عام 2003 حين خلفه "هنريك روزا Henrique Rosa". وغينيا-بيساو عضو في منظمة المؤتر الإسلامي منذ العام 1974م.

غينيا- كوناكري

لمحة جغرافية:

تقع دولة غينيا-كوناكري في محاذاة الشاطئ الشرقي للمحيط الأطلسي، وفي الطرف الغربي للقارة الإفريقية، ويحدّها من الشمال السنغال وغينيا بيساو ومالي، والمحيط الأطلسي من الغرب، ومن الشرق: ساحل العاج، ومن الجنوب: ليبيريا وسيراليون.

(راجع الخريطة). تبلغ مساحة غينيا-كوناكري 245857 كلم مربع وعدد سكانها: حوالي 8,480,000 [1] نسمة، ويشكل المسلمون نسبة كبيرة[2] تصل بين 85٪[3] إلى 92٪[4].

تتألف غينيا-كوناكري من سهل ساحلي واسع كثير المستنقعات عند شاطئ الأطلسي، ويبدأ بالارتفاع تدريجيا نحو الداخل مشكّلا هضابا متوسّطة الارتفاع، تنتهي عند جبل فوتاجالون، وفي الجنوب الشرقي تمتد سلسلة جبال نيمبا (1752م). تخضع غينيا-كوناكري لمجموعة متنوعة من المناخات، وذلك بسبب واجهتها البحرية وطبيعتها الجبلية. ومرتفعات فوتاجالون هي منبع نهري السنغال وغامبيا اللذين يجريان في اتجاه الغرب، ونهري النيجر وباني اللذين يجريان في اتجاه الشرق. وتتمّع غينيا بالإضافة إلى ذلك بموارد منجميّة غنية جدا.



(1) **Africa south of the Sahara**, p. 530.

(2) لمزيد من المعلومات عن نسبة المسلمين في هذا البلد راجع أيضاً الفقرة 1.2.8 من الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

(3) المصدر السابق، ص 537.

(4) العبودي محمد بن ناصر ، من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري: رحلة وحديث في أمور المسلمين، الرياض: مكتبة الملك فهد، 1995 م- 1415 هـ ج2، ص 2001.

تقع غينيا بين خطّي عرض 7,10 و12,30 شمالا فهي ضمن النطاق المداري ذي الصيف الماطر والشتاء الجاف، وتهطل الأمطار بغزارة فتكون بمعدل أربعة أمتار في الغرب، و105 م على الهضبة وما يقرب من 700 مم في الحوض الداخلي[1].

أهم المدن: كوناكري، وهي العاصمة والميناء الرئيسي في البلاد، وتقع على جزيرة تتصل بجسر باليابسة، سكانها حوالي 1,092,000 نسمة[2]. وهناك مدينة كانكان حوالي 100,000 نسمة وتعني "حصن على النهر"، تقع شرقي البلاد وتشتهر بتجارة الماس. وبالإضافة إلى هاتين المدينتين هناك مدن نزِرِكور Nzérékoré وكينديا Kindia ولابِ Labé.

السكان:

معظم سكان غينيا-كوناكري ينتمون الى قبائل عريقة في إسلامها ذوات مكانة مرموقة في المنطقة منذ القدم، أما القبائل الرئيسية فيها هي : قبيلة فولاني، وقبيلة مالينكِ، وقبيلة الصوصو، كما توجد هناك بعض القبائل الغابية ومنها كيسي، وتوما.

الاقتصاد:

تعتمد غينيا-كوناكري على زراعة: الأرز ومنيهوت والفستق والقطن، كما أنها تربي الحيوانات: الأبقار والأغنام، وتصيد الأسماك، كما أنها تزرع الموز، وقصب السكر، والبطاطا، والحمضيات. أما الثروة المنجمية فيشكل النشاط المنجمي القطاع الاقتصادي الأهم في البلاد مثل بوكسيت (حيث تحوي على 30٪ من احتياط البوكسيت العالمي)[3]، ألمنيوم، الحديد، الذهب، الماس واليورانيوم. العملة الرسمية في البلاد هي: الفرنك الغيني أما حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1970 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 36٪.[4]

التاريخ: دخول الإسلام:

دخل الإسلام إلى غينيا من أربعة طرق:

أ – عن طريق الغزاة القائمين في مملكة مالي. وكانت غينيا جزءا من هذه المملكة.

---

(1) شاكر محمود، ياغي، إسماعيل احمد، التاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، ص 229

(2) **Africa south of the Sahara**, p. 530:

(3) المصدر السابق، ص 528.

(4) **National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 83.

ب- عن طريق التجّار المتجوّلين عبر القوافل التجارية الذين كانوا يأتون من المغرب حيث السكان كانوا يتأثّرون بدينهم ودخلوه.

ج- عن طريق المرابطين الذين كان مركزهم في موريتانيا، حيث نذروا أنفسهم للجهاد وإدخال الإفريقيين المجاورين لهم بالإسلام.

د- وعن طريق الدعاة الصوفيين من المواطنين في مملكة الماندينغ[1] والفولاني[2] الذين تأثّروا بالتجار المسلمين القادمين من شمال أفريقيا، وكان هؤلاء الصوفيون يقومون بدور هام في نشر هذا الدين الحنيف بين الشعب الإفريقي.

الاستعمار والاستقلال والتاريخ الحديث:

وصل البرتغاليون إلى سواحل غينيا في القرن التاسع، ودخل الفرنسيون أفرادا وبالحيلة إلى الداخل، ووصلوا إلى "تمبكتو" في دولة مالي اليوم، وقرّر الأوروبيون في مؤتمر برلين عام 1303 هـ (1885م)[3] أن هدفهم هو نشر الحضارة – حسب زعمهم- في القارة الإفريقية السوداء، وقررت فرنسا التوغل إلى الداخل، ودخلت قواتها مدينة "كوناكري" عام 1305 هـ (1887م) واضطر حاكم "فوتاجالون" قبول الحماية الفرنسية، إلا أن "ساموري توري"[4] قد أعلن الجهاد، وقاتل الفرنسيين حتى وقع قي أيديهم عام 1316هـ (1898م).

قبل ذلك أصبحت غينيا كوناكري مستعمرة فرنسية منفصلة عن السنغال عام 1308هـ (1891م)، وفي عام 1893 تحول اسمها إلى غينيا الفرنسية وبعد عامين انضمت لإفريقيا الغربية الفرنسية Afrique Occidental Française.[5]

وعندما أعلن ديغول مشروعه[6]، رفضت غينيا-كوناكري ذلك المشروع، وأبت الانضمام إلى الجماعة الفرنسية.

---

(1) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(2) للاطلاع عن "الفولاني" راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(3) لمزيد من المعلومات عن "مؤتمر برلين" راجع الفقرة 4.1.3 من الفصل الأول للباب الرابع في هذا البحث.

(4) لمزيد من المعلومات عن هذا القائد أنظر الفقرة: 4.3.3 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(5) كان هذا الإتحاد يضم الدول التالية: بنين وغينيا-كوناكري ومالي وساحل العاج وموريتانيا والنيجر والسنغال وبوركينا فاسو.

(6) دعا الجنرال ديغول رئيس فرنسا عام 1958م المستعمرات الإفريقية والبلاد الموصى عليها إلى اختيار الطريق الذي يتفق مع مصالحها وهو إما الاستقلال غير المقيد أو الاستقلال مع البقاء ضمن نطاق الأسرة الفرنسية أو البقاء جزءاً من البلاد الفرنسية.

وفي عام 1951م تأسس حزب سياسي هو "الحزب الديمقراطي الغيني"، وكان أحد أبرز قادته "أحمد سيكو توري Sékou Touré"، وهو مسلم وأديب معروف وحفيد "ساموري توري"، وقد أكد هذا الحزب على العناصر التي تجمع بين مختلف الاتنيات والقبائل الغينية. وعرف سيكو توري كيف يخاطب الشعب ببساطة وعفوية فكان يؤكد على الأخوة التي تجمع كل الناس وعلى المساواة بينهم فقاد البلاد إلى الاستقلال سنة 1958م وأصبح أول رئيس جمهورية لغينيا.

ولأن غينيا-كوناكري بزعامة سيكو توري وحزبه كانت متشبثة باستقلالها التام والناجز وغير المشروط بأي اتفاقية أو معاهدة ورافضة للبقاء داخل المجموعة الفرنسية فقد تركت فرنسا مستعمرتها هذه بصورة فظة إذ علقت فوراً كل المساعدات لها وأمرت الكوادر التقنية والإدارية الفرنسية بمغادرة غينيا في مدة أقصاها 48 ساعة كل ذلك من أجل إذلال هذه الجمهورية الفتية وإغراقها في فوضى عامة وتأديب زعيمها أحمد سيكوتوري.[1] وفي غمرة الحماس مع ولادة الإستقلال دعت الدولة للعمل الجماعي التطوعي تعويضاً عن فقدان الإعتمادات، فجاءت أولى المساعدات المالية من غانا والبلدان الأوروبية الإشتراكية.

وخلال السنوات الأولى للإستقلال امتص الإستهلاك الداخلي زيادة الإنتاج الزراعي وزادت البطالة في المدن، فعمدت الدولة إلى إغلاق الشركات التجارية الأجنبية وأممت بعض القطاعات المصرفية وزادت من مساهمة القطاع العام وأصدرت نقدها الوطني. وقد ردت الحكومة الفرنسية على هذا الاصلاح النقدي بمنع التبادل التجاري بين غينيا ومنطقة الفرنك الفرنسي التي ضمت معظم المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا، فكان على الفلاحين الغينيين تقديم تضحيات جديدة وجهود متزايدة، وكل ذلك بعد عقود طويلة من الاستغلال الاستعماري.

ومن المعالجات التي لجأت إليها الدولة للخروج من الركود الاقتصادي كان توسيع نطاق اللامركزية بإحداث تعاونيات قروية عُرفت باسم "السلطات الثورية المحلية" أُتبعت بقيادة الحزب الديمقراطي الغيني الذي أصبح الحزب الوحيد الحاكم.

لم يستطع نمو القطاع المنجمي أن يحسن من الوضع الاقتصادي العام للبلاد بشكل ملموس ولا من الوضع المعيشي للسكان، فدب التململ في أوساط الشعب وجرى

(1) الخوند، مج 13، ص 170.

العديد من المظاهرات ومنها مظاهرات نسائية احتجاجاً على الوضع المعيشي المتردي. وكان أمين عام الحزب الديمقراطي الغيني وهي الرئيس الغيني نفسه "أحمد سيكو توري" يتهم القوى المناهضة لحكمه الثوري بالتخريب الاقتصادي وبعض الكوادر المستفيدة داخل الحزب بالبورجوازية البيروقراطية، ويفسر الأحداث المعارضة لسياسة الحزب والنظام أنها مرحلة جديدة من المؤامرة الدائمة ضد الثورة. سيطر شبح هذه المؤامرة على الحياة السياسية في غينيا. فاعتقل الكثيرون بظروف غامضة وحوكم آخرون وصُفّي عدد من الأشخاص بتهمة التخريب. وفي عام 1960م نسب إلى القوى الرجعية والإقطاعية وإلى المخابرات الفرنسية تدبير مؤامرة ضد رئيس الدولة. وفي تشرين الثاني من عام 1961م لم ينج المثقفون الماركسيون من الإتهام، إذ ما لبثت العلاقات التي أقيمت عام 1959م مع موسكو ان تدهورت مما أدي إلى طرد السفير السوفياتي من كوناكري عام 1961.

وفي أيار 1969م حكم بالإعدام على اثنين من المساعدين السابقين لرئيس الدولة سيكو توري هما وزير الداخلية وكولونيل في الجيش وذلك على أثر تمرد عسكري محلي اعتبر بمثابه مؤامرة خارجية اشتركت فيها كل من الإمبريالية وساحل العاج ومالي والسِنِغال.

وفي 22 تشرين الثاني عام 1970 حدثت عملية إنزال في كوناكري قام بها بضع مئات من مهاجري "جبهة تحرير غينيا" يساندهم عسكريون برتغاليون من غينيا-بيساو لقلب نظام سيكو توري في غينيا وللقضاء على شخصيات من غينيا-بساو معادية للبرتغاليين. وعلى أثر فشل الإنقلاب بدأ النظام بعملية قمع شاملة قُدِّم على أثرها كثيرون إلى المحاكمة. وكانت موجة القمع هذه من التعسف لدرجة دفعت حوال مليونين من الغينيين إلى اللجوء إلى البلدان المجاورة.[1] وفي آذار من عام 1971م أرسل سيكو توري قوات إلى سيراليون لدعم النظام القائم فيها.

عادت الإضطرابات إلى غينيا-كوناكري عام 1976م، فقد أُعلن عن محاولة فاشلة لإغتيال رئيس الدولة وعدوان يهيء له مرتزقة انطلاقاً من حدود ساحل العاج والسِنِغال. ردت الحكومة باعتقال شخصيات كبيرة بينها وزير العدل وعدد كبير من أفراد قبيلة "البول" ووصل عدد المهاجرين الغينيين إلى نحو ربع السكان.

(1) الخوند، مج 13، ص 172.

على أثر هذه الأزمة الداخلية الاقتصادية والسياسية والعنصرية (بين قبائل المالينكِ التي ينتمي إليها الرئيس سيكو توري وقبائل البول الفولانية[1]) بدأ النظام الغيني ينتهج سياسة انفتاح على الغرب الذي كان بدوره يرى ضرورة وضع حد لقطيعة امتدت نحو عشرين سنه بينه وبين بلاد غنية بثرواتها الطبيعية. وهكذا فقد أُعيدت العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا عام 1975م بعد انقطاع كامل منذ العام 1965م. وفي العام نفسه أي 1975 وقعت غينيا-كوناكري إتفاقية 'لومِ' مع بلدان السوق الأوروبية المشتركة. ومقابل هذا الإنفتاح على الدول الغربية أخذت علاقات كوناكري تتدهور مع الإتحاد السوفياتي وخاصة عندما رفض سيكو توري عام 1978م تجديد منح الإتحاد السوفياتي بعض التسهيلات العسكرية.

لكن الانفتاح على الغرب لم يواكبه انفتاح على الجبهة الداخلية، فاستمر نظام الحزب الواحد واستمرت سياسة القمع ضد المعارضين في كل الإتجاهات. لكن الحالة الصحية لسيكو توري تدهورت تدهوراً خطيراً عام 1984م وأصيب بجلطة قلبية أوجبت نقله إلى الولايات المتحدة لإجراء عملية جراحية، لكنه توفي تحت العملية في 29 آذار من ذلك العام، وأجريت له مراسيم جنائزية مهيبة ورسمية شاركت فيها وفود أجنبية على أعلى المستويات. لكن ما كادت آخر الوفود الأجنبية المشاركة في الجنازة تغادر كوناكري وتبدأ الهيئات الحزبية والحكومية الموالية لخط سيكو توري تستعد لتعيين خلفاً له حتى فاجأ الجيش الجميع بانقلاب كان قد حُضر له منذ فترة. استلم الحكم نتيجة لذلك لجنة أطلقت على نفسها اسم 'اللجنة العسكرية للإصلاح الوطني Comité militair deredressement national' بقيادة العقيد 'الحسن كونتِ Lansana Conté' وهو من قبيلة الصوصو والعقيد 'ديارا تراوار Diarra Traoré'، فعين الأول نفسه رئيساً للجمهورية والثاني رئيساً للوزراء وتشكلت حكومة من عسكريين ومدنيين لتسيير دفة الحكم لفترة انتقالية. فتح النظام الجديد أبواب المعتقلات وأطلق سراح آلاف المعتقلين السياسيين وبدأت حملة تشهير واسعة ضد سيكو تروي وكبار معاونيه، كما قرر النظام الجديد إجراء محاكمات لكل من ارتكب تجاوزات في حكم سيكو توري ووعد بعدم اصدار أحكام بالإعدام معلناً قيام عهد جديد من الحرية، وبدأت أفواج الغينيين اللاجئين بالعودة من البلدان المجاورة.

وفي عام 1989م منحت فرنسا إعتمادات مالية لغينيا-كوناكري من أجل انشاء

(1) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

مشروع لتوليد الكهرباء بالطاقة المائية على نهر كوكور Konkouré، وفي العام التالي جرى استفتاء حول دستور جديد ينهي النظام العسكري ويسمح بالتعددية الحزبية فنال 98,7٪ من الأصوات. زار البابا يوحنا الثاني غينيا عام 1992م، وفي العام التالي جرت انتخابات رئاسية فاز بها الرئيس كونتِ، وقد قاطعت المعارضة هذه الإنتخابات التي وصمتها بالتزوير وممارسة العنف. وفي عامي 1998 أُعيد انتخاب كونتِ رئيساً للجمهورية أيضاً.

إلا أن الأوضاع في دول الجوار أثرت سلباً على غينيا-كوناكري، فخلال التسعينات من القرن العشرين دخل البلاد ما يقارب من 400,000 لاجئ من سيراليون هرباً من جحيم الحرب الأهلية هناك، وخلال عامي 2000م و2001م أغار الثوار الأجانب من داخل حدود ليبريا وسيراليون على القرى الغانية المحاذية للحدود فرد الجيش الغيني بهجوم معاكس عبر الحدود لوقف هذه الهجمات.

وفي عام 2003م أُعيد انتخاب كونتِ رئيساً للجمهورية ومازال في هذا المنصب حتى كتابة هذه السطور. وغينيا-كوناكري عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1969م وتربطها علاقات متينة بجميع الدول الإسلامية والعربية وتعتمد لديها سفارات الدول الإسلامية والعربية.

ليبريا

لمحة جغرافية:

تقع ليبريا في وسط غربي إفريقيا (انظر الخريطة بالأسفل) ويحدها من الشمال غينيا-كوناكري وسيراليون ومن الجنوب الغربي المحيط الأطلسي ومن الشرق ساحل العاج. واسم ليبريا مشتق من كلمة Liberty أي الحرية لأنها كانت ملاذ للسود الأحرار الذين أتوا من أمريكا. تبلغ مساحة ليبريا حوالي 111379 كلم^2 وبلغ عدد سكانها عام 2003م نحو 3,367,000 نسمة،[1] أغلبهم من الأفارقة إلى جانب أعداد محدودة من الأميركيين والأوروبيين واللبنانيين وبعض الهنود والآسيويين. تبلغ نسبة المسلمين في ليبريا حوالي 25٪[2] معظمهم من قبيلة المناندينغ[3]، أما المسيحيين فنسبتهم 39,8٪ والباقي من

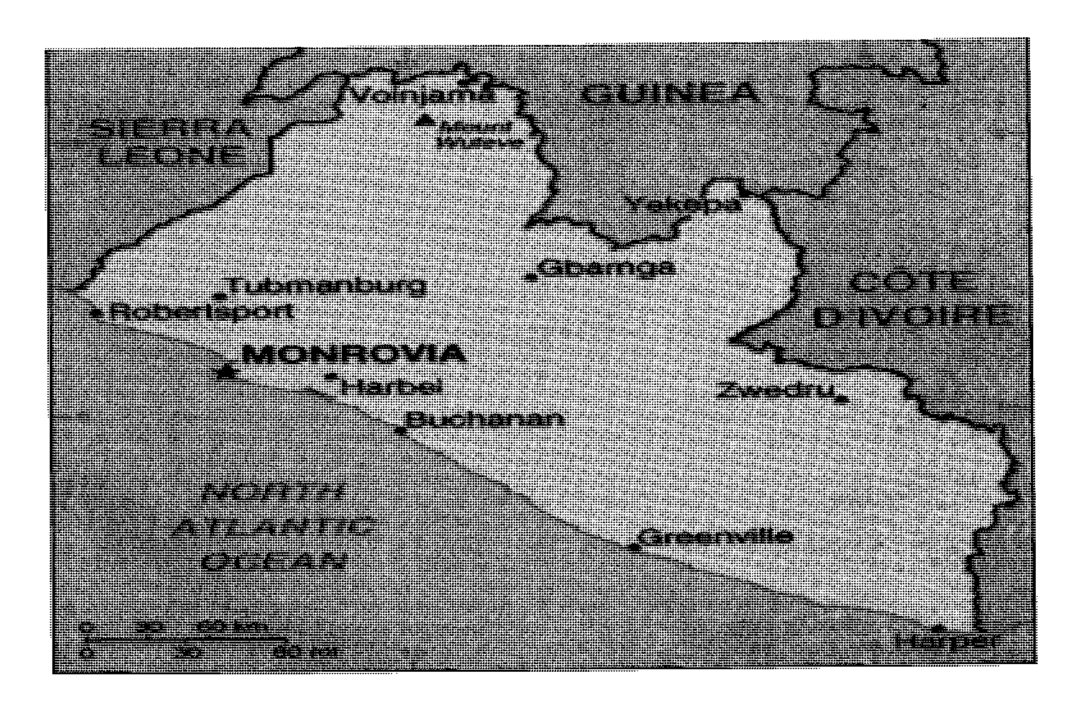
---

(1) **Africa south of the Sahara**, p. 637.

(2) Abdellatif, Sabir, "Liberian Muslims and the African Napoleon", IslamOnline, www.islam-online.net/English/artculture/2003/09/article06.shtml, 24/6/2005.

(3) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

الوثنيين[1]، اللغة الرسمية هي الإنكليزية فضلاً عن بعض اللغات المحلية. مناخ ليبريا حار ورطب ويبلغ متوسط درجة الحرارة السنوية 27 درجة مئوية، وتكثر في البلاد الحشائش والأراضي الزراعية بجانب مساحات واسعة من الغابات. العاصمة هي مدينة مونروفيا Monrovia وقد بلغ عدد سكانها عام 2003 نحو 550,200 نسمة[2]، أسست عام 1822م من قِبَل الأفارقة العبيد الذين أُعْتِقوا وقدموا من الولايات المتحدة تحت رعاية "جمعية الاستعمار الأميركية"، وقد دُعيت هذه المدينة بهذا الإسم نسبة إلى الرئيس الأميركي آنذاك "جيمس مونرو James Monroe" أحد أعضاء هذه الجمعية. يبلغ عدد المسلمين في مونورفيا حوالي 15,000 نسمة لديهم خمس مساجد فقط مقابل 43 كنيسة للمسيحيين.[3] ومن المدن أيضاً: زويدرو Zwedru (عدد سكانها 35,000) وبوكانان Buchanan (عدد سكانها 27,000 نسمة) وهاربر Harper (سكانها 20,000 نسمة).[4]



(1) لمزيد من المعلومات عن نسبه المسلمين والمسيحيين في هذا البلد راجع الفقرة 1.2.8 من الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

(2) **Africa south of the Sahara**, p. 637.

(3)Abdellatif, Sabir, "Liberian Muslims and the African Napoleon", IslamOnline, www.islam-online.net/English/artculture/2003/09/article06.shtml, 24/6/2005

(4) **Africa south of the Sahara**, p. 637.

الاقتصاد:

تساهم الزراعة في 35٪ من الناتج القومي ويعمل بها 55٪ من اليد العاملة بينما يعمل في الصناعة 10٪ من اليد العاملة وتساهم في 10٪ من الناتج القومي ويعمل في قطاع الخدمات 20٪ من اليد العاملة ويساهم في 10٪ من الناتج القومي، أما قطاع المناجم فيساهم في 20٪ من الناتج القومي ويعمل به 15٪ من اليد العاملة.[1] أهم المنتوحات الزراعية: الكسافا والأرز وقصب السكر والبن والكاكاو إلا أن أهمها المطاط التي تتولى زراعته شركات أجنبية تستخدم الأساليب الحديثة والأيدي العاملة الوطنية. وتوجد في ليبريا مساحات واسعة من الغابات التي يتم استغلالها في قطع الأخشاب وتصديرها، كما يعتبر صيد السمك قطاعاً ناشطاً وحيوياً في البلاد. أهم الصناعات هي: الإسمنت وتكرير النفط والمشروبات الروحية. أما العملة الرسمية فهي: الدولار الليبيري وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1100 دولار أميركي أما نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة فهي 38٪.[2]

التاريخ:

يعود معظم تاريخ مواطني ليبريا الأوائل إلى سلالات أتت من ممالك منطقة الساحل[3] بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر الميلاديين. وقد وصل الإسلام إلى ليبريا مع قبائل الماندينغ المسلمة منذ قيام مملكة غانة[4]، وقد كان هذا الانتشار ضعيف ولم يصل إلى المناطق الساحلية. في عام 1480م اكتشف البرتغاليون المناطق التي قامت عليه مدينة مونروفيا لاحقاً، وكان البرتغاليون يتاجرون في العاج والبهار ويعود إليهم تسمية البلاد "شاطئ الحبوب" نسبةً إلى نوع من البهارات يدعى "مالاغوتا" سموه "حبوب الجنة". ومع استمرار انتشار الإسلام على الوتيرة البطيئة حدث تطور سلبي للمسلمين هناك تجلى عام 1822م حين وطّن الأميركيون عبيد زنوج نصارى أُعتقوا في أميركا. ففي أواخر القران الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين زاد تخوف بعض الأميركيين البيض من وجود الأفارقة المحررين بين ظهرانيهم لأن وجودهم ربما أشاع شعوراً بالتذمر

---

(1) الخوند، مج 18، ص 88.

(2) **National Geographic Concise Atlas of the World**, , p. 83.

(3) للتعريف بمنطقة الساحل انظر الفقرة 1.2.2 من الفصل الثاني للباب الأول.

(4) لمزيد من المعلومات عن هذه الدولة راجع الفصل الأول من الباب الثاني في هذا البحث.

وعدم الرضا بين أولئك الأفارقة، كذلك كان هناك بعض البيض ممن كان يرفض تمازج الأفارقة المحررين في المجتمع الأميركي. فأسس مجموعة من الأميركيين البيض ما سمي "جمعية الاستعمار الأميركية" عام 1816م، وكان هدف هذه الجمعية هو إعادة المحررين إلى إفريقيا، بينما كان يأمل آخرون بأن يقوم السود المحررون بدور المبشرين والداعيين للدين المسيحي في القارة الإفريقية بحيث يكون هدف هؤلاء السود هو إنشاء مملكة يسوع في إفريقيا ومن ثم تصبح الكنائس في ليبريا تابعة للكنائس الأم في الولايات المتحدة، لذلك لم يعد غريباً أن كل رؤساء ليبريا حتى عام 1980م هم أساقفة،[1] كما كان من أهداف توطين هؤلاء السود سبب سياسي مهم ويتمثل في رغبة الولايات المتحدة قيام دولة على الشاطئ الإفريقي الغربي تعمل من خلالها على إيقاف محاولات التغلغل البريطانية والفرنسية في القارة.[2] وفي عام 1821م وصل أول المستوطنين الأميركيين السود إلى ما يسمى اليوم مدينة مونروفيا، وبعد شهور قليلة نزلت أول دفعة من 80 رجلاً أميركياً-إفريقياً واشتروا من وجهاء القبائل المحلية أماكن لمساكنهم وأقاموا على الساحل. لكن سرعان ما اندلعت بين الوافدين والسكان الأصليين بما فيهم المسلمين مجابهات دامية تم خلالها استعمال الأسلحة النارية الأميركية، ولم يستطع ساموري توري[3] (الذي أسس دولة إسلامية في أعالي النيجر) مساعدة المسلمين القاطنين جنوب دولته بما فيهم مسلمي ما يسمى اليوم بدولة ليبريا وذلك بسبب إنشغاله في حروبه الضارية مع فرنسا. ومن جهةٍ ثانية كان المستوطنون الأميركيون السود جاهلين بالقارة الإفريقية وبعادات أهلها فضلاً عن تمسكهم بعاداتهم التي اكتسبوها في الولايات المتحدة، فقط واجه هؤلاء المستوطنون العديد من الصعوبات كان أبرزها عدم وجود الغذاء الكافي وموت بعضهم بسبب تفشي الأمراض. وبمساعدة الأسطول الأميركي فرض القادمون الجدد أنفسهم وتم عبور المرحلة التأسيسية بنجاح وبُنيت مراكز للمرافق العامة للمستوطنين أعطيت في مكان أطلق عليه فيما بعد اسم مونروفيا تكريما لرئيس الولايات المتحدة الأميركية "جيمس مونرو James Monroe" الذي كان داعية لتحرير العبيد. ثم أصبحت هذه المستعمرة الصغيرة تحمل اسم "ليبريا" نسبة إلى كلمة حرية، وكان يديرها مندوبون عن "جمعية الاستعمار الأميركية" وكانوا جميعاً من الأميركيين البيض، لكن في عام 1841م عُين عليها حاكم أسود هو "جوزف

---

(1) Abdellatif, Sabir, "Liberian Muslims and the African Napoleon", IslamOnline, www.islam-online.net/English/artculture/2003/09/article06.shtml, 24/6/2005.

(2) الخوند، مج 18، ص 89.

(3) لمزيد من المعلومات عن هذا القائد راجع الفقرة 4.3.3 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

روبرتز" وكانت ليبريا في ذلك الوقت مجرد مدينة-دولة لا تتجاوز حدودها مدينة مونروفيا. وفي عام 1847م قرر قادة المستوطنون في مونروفيا بعد حصولهم على موافقة السلطات الأميركية وتشجيعها لهم تحويلها مع أراضٍ شاسعة حصل عليها المستوطنون إلى دولة حرة في 26 تموز (يوليو) من ذلك العام حيث وضعت لها دستوراً جمهورياً يشبه كثيراً دستور الولايات المتحدة الأميركية، كما اعتمدت علماً وطنياً هو نسخة منقولة عن العلم الأميركي وانتخب "جوزف روبرتز" رئيساً للجمهورية، ومعه دخلت ليبريا التاريخ إذ لأول مرة وبعد انتداب دام 25 سنة حكم خلالها البيض اعتلى قمة السلطة رجل أسود رغم كونه من السود الأمركيين الأصل.

وفي عام 1848م قام الرئيس "روبرتز" بزيارة للولايات المتحدة وأوروبا ليعلن دخول بلاده عالم الأمم المستقلة. وقد كانت مهمة صعبة في الولايات المتحدة التي لم يكن من السهل لديها في ذلك الوقت القبول بوجود مبعوث دبلوماسي أسود في واشنطن، ولم تقبل بذلك إلا في عام 1862م، أما بريطانيا ومن بعدها فرنسا فقد اعترفتا بالدولة الإفريقية الجديدة المستقلة وأرسلتا بواخر حربية إلى شواطئ تلك الدولة في محاولة لربطها بهما عسكريا ومساعدتها على حماية نفسها.[1] في هذا الوضع وجد المسلمون أنفسهم في تلك الدولة ضمن مثلث معادٍ ورهيب، فمن جهة كان الفرنسيون يسيطرون على غينيا وساحل العاج ومن جهة ثانية كان البريطانيون يحكمون قبضتهم على سيراليون، وكل هذه الدول الإفريقية تحيط بليبريا، ومن جهةٍ ثالثة استقر المستوطنون السود الجدد في المنطقة الساحلية التي كانت تستقبل الإرساليات التبشيرية لتنطلق بعد ذلك إلى كافة إفريقيا الغربية، وقد وضعت هذه الإرساليات يدها على 80% من مدارس ليبريا بينما ظل الباقي تحت إدارة الدولة. وبالإضافة هذه التحديات حُرم المسلون من الوصول إلى الوظائف الحكومية التي ظلت حكراً على المستوطنين السود كما انتشر في المجتمع الإسلامي الجهل والفقر بين المسلمين في ليبريا وقد وصل الجهل إلى الأمور الدينية حيث كان الرجال يتزوجون أكثر من 4 نساء، إلا أن انتشار الطرق الصوفية وخاصة الطريقة القادرية[2]عزز الحماس الديني وحافظ على استمرار الوعي الإسلامي في تلك المنطقة.[3]

(1) الخوند، مج 18، ص 90.

(2) للاطلاع على الطريقة القادرية راجع الفقرة: 2.3.3.1.1 من الفصل الثالث للباب الثاني في هذا البحث.

(3)Abdellatif, Sabir, "Liberian Muslims and the African Napoleon", IslamOnline, www.islam-online.net/English/artculture/2003/09/article06.shtml, 24/6/2005.

واجهت ليبريا حتى الحرب العالمية الثانية عدة مشاكل أهمها التوتر بين القبائل المحلية والحكومة عندما كانت الأخيرة تحاول مد سلطتها عليها، ولم تنته هذه التوترات إلى حوالي عام 1930م. وأما المشكلات الأخطر فكانت الحدود مع الدول المجاورة التي كانت تحت السيطرة الفرنسية (ساحل العاج وغينيا-كوناكري) أو البريطانية (سيراليون)، ولم تنته مشكلات الحدود بصورة نهائية إلا بعد أن نالت تلك الدول الإفريقية الثلاث استقلالها حيث تم تثبيت الحدود كما رسمت في المرحلة الاستعمارية.

وفي عام 1926م وافقت حكومة ليبريا على تأجير مساحات شاسعة من أراضيها إلى شركة "فايرستون" الأميركية لزراعة المطاط. وقد كانت قيمة الإيجار هذه تشكل مصدر دخل مهماً للدولة بجانب استيعاب المزارع للعديد من الأيدي العاملة في ليبريا.

في عام 1944م استلم "وليام توبمان William Tubman" سدة الرئاسة في ليبريا وظل في منصبه حتى عام 1971م. باشر "توبمان" ولايته بالإهتمام بتصفية كل الخلافات بين الأقليات ذات الأصل الأميركي وبين الأكثرية من السكان الأصليين حيث منح هذه الأكثرية الحق في الإنتخاب والتعيين في المراكز الحكومية، كما تحسن وضع المسلمين حيث تم إنشاء المؤتمر الإسلامي لليبريا عام 1960م.

اقتصادياً اعتمد الرئيس "توبمان" سياسة الباب المفتوح فجرت عمليات استثمار مناجم الحديد والكاوتشوك وانشئ مطار دولي ومرفأ حديث في مونروفيا وشبكة مواصلات متكاملة. سياسياً شاركت ليبريا في مؤتمر سان فرانسيسكو 1945م وأصبحت مع أثيوبيا الدولتين الإفريقيتين الوحيدتين اللتين كانتا بين الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة.

بعد وفاة "توبمان" عام 1971م خلفه نائب الرئيس "وليام تولبرت William Tolbert" وهو من الليبريين الأميركيين. وقد حاول "تولبرت" أن يمشي على خطى سلفه "توبمان" في المنحى الاقتصادي لكن واجهته العديد من المشكلات حين انخفض سعر الحديد الخام والمطاط مما انعكس أثره سلباً على اقتصاد ليبريا. كما أن زيادة أسعار الأرز في عام 1979م تسببت في إحداث شغب وتظاهرات شعبية احتجاجاً على هذه الزيادات. إزاء هذا الوضع المتردي قامت مجموعة صغيرة من العسكريين في العام التالي بانقلاب عسكري وقتلوا الرئيس "تولبرت" واستولوا على الحكم ونصبوا "صمويل دو Samuel Doe" رئيساً للبلاد، وكان "دو" أول رئيس ليبري لا ينتمي إلى المستوطنين السود. وفي آب (أغسطس) من عام

1983م أعاد "دو" علاقات ليبريا الدبلوماسية مع إسرائيل ثم قام بزيارتها وعقد إتفاقاً للتعاون من ضمنه إرسال مستشارين عسكريين اسرائيليين لتدريب الجيش الليبيري.[1] وفي عام 1984م أصدرت الحكومة العسكرية دستوراً جديداً في البلاد سمح بإعادة عمل الأحزاب السياسية، وفي العالم التالي جرت إنتخابات عامة لاختيار رئيس للدولة ومجلس تشريعي ففاز بها "دو" وحزبه وقد اتهم كثيرون من المعارضة الحكومة بالغش والتزوير في تلك الإنتخابات. وقد شهدت الفترة التي تلت الإنتخابات انتشار الفساد وزيادة في انتحاك حقوق الإنسان وتوتر عرقي بين القبائل، ومن جهةٍ أخرى انخفض مستوى المعيشة إلى معدل لم يشهده منذ السعينات.

الحرب الأهلية:

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1985م قام قائد جيش سابق يدعى "توماس كيوونكبا Thomas Quiwonkpa" بغزو البلاد من سيراليون المجاورة وتمكن من ان يحتل قسماً من العاصمة لكن محاولته اجهضت وتم إعدامه في منروفيا. وفي 24 كانون الأول (ديسمبر) من عام 1989م قامت مجموعة من الثوار بقيادة "تشارلز تِيلور Charles Taylor" بغزو ليبريا من ساحل العاج وبعد ستة أشهر وصل الثوار بمساعدة ليبيا إلى ضواحي منروفيا، وسرعان ما تطور النزاع إلى حرب أهلية انتهت عام 1996م تقاتلت فيها أطراف ليس من أجل السيطرة على الدولة فقط بل من أجل وضع اليد على موارد البلد وخيراتها. وقد تميزت هذه الحرب بوحشيتها وبالإساءة إلى المواطنين حيث وقعت عدة حوادث نهب وسرقة وتعذيب وقتل وحتى إغتصاب، وقد بلغ عدد القتلى حوالي 200,000 شخص، كما أفرزت هذه الحرب أيضاً عدداً هائلاً من النازحين والمهجرين قُدِّر بمليون شخص.

مسار الحرب الأهلية:

في آب (أغسطس) من عام 1990م تدخلت قوات من "مفرزة مراقبة وقف إطلاق النار التابعة للمجموعة الاقتصادية لدول غربي إفريقيا ECOMOG"[2] حيث سيطرت

---

(1) الخوند، مج 18، ص 92.

(2) هذه المفرزة هي فرع من "المجموعة الاقتصادية لدول غربي إفريقيا والتي عرفت بالإنكليزية بإسم: Economic Community of West African States (ECOWAS). والتي ضمت كل من : بنين، بوركينا فاسو، جزر الرأس الأخضر، ساحل العاج، غامبيا، غانا، غينيا-كوناكري، غينيا-بيساو، ليبريا، مالي، النيجر، نيجريا، السنغال، سيراليون، توغو، وكان هدف هذه المجموعة هو تعزيز التجارة والتعاون في =

على ميناء مونروفيا ومنعت قوات "تِيلور" من السيطرة على البلاد، إلا أنه في أيلول (سبتمر) من نفس العام تم أسر الرئيس "دو" وإعدامه بمساعدة ECOMOG، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام أيضاً وُقع في بماكو عاصمة مالي على اتفاق لوقف إطلاق النار حيث وافقت جميع الأطراف على إنشاء حكومة مدنية وإجراء انتخابات، وبناءاً عليه نصبت دول مجموعة ECOWAS[1] الدكتور "أموس سوير Amos Sawyer" رئيساً مؤقتاً للبلاد. رفض "تِيلور" التعاون مع "سوير" واستأنف القتال، ومنذ ذلك الوقت وحتى عام 1996م تورطت عدة أطراف في الحرب الأهلية في ليبريا تخللها توقيع عدة إتفاقات لوقف أطلاق النار كان آخرها في آب (أغسطس) من ذلك العام في أبوجا عاصمة نيجِريا، وفي العام التالي انتخب "تِيلور" رئيساً للجمهورية.

ذيول الحرب الأهلية:

مضت أربعة شهور على تولي "تِيلور" الرئاسة من دون أن يجدد أو يباشر أي عملية لإعادة البناء، وحتى أواسط عام 1998م عاد نحو 26,000 فقط من المهجرين قسراً إلى خارج البلاد من أصل مليون نازح ولاجئ هجرتهم الحرب، كما انتهج "تِيلور" سياسية معادية للمسلمين فقتلت قواته الكثير منهم وحاول جاهداً تنصير مسلمي ليبريا.[2] وفي عام 1998م اتهمت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا الرئيس "تِيلور" بدعم متمردي "الجبهة الثورية الموحدة" في سيراليون[3] فكان من جراء ذلك أن توقفت كل مساعدة مالية مما له الأثر البالغ على الوضع المعيشي في البلاد خاصة ان البنى التحتية البلاد ما زالت في حالة متردية جداً. وفي أيار (مايو) من عام 2001م بدأ عملياً تطبيق العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على ليبريا نتيجة الدعم العسكري الذي كان يقدمة "تِيلور" لمتمردي "الجبهة الثورية الموحدة" في سيراليون وتضمنت العقوبات حظراً على شحن الأسلحة وعلى تجارة الماس وإغلاق أجواء ليبريا في وجه الملاحة الجوية. وفي آب (أغسطس) من عام 2003م وبضغوط دولية وأميركية استقال "تِيلور" ورحل إلى منفاه في نيجِريا وتم انتخاب رجل الأعمال "غيود بريانت Gyude Bryant" رئيساً لحكومة لبيريا المؤقتة.

=

غرب إفريقيا. أما الدول ألفت ECOMOG فكانت : غامبيا، غانا، غينيا-كوناكري، نيجريا، سيراليون.

(1) لمزيد من المعلومات عن هذه المجموعة راجع الهامش السابق.

(2) Abdellatif, Sabir, "Liberian Muslims and the African Napoleon", IslamOnline, www.islam-online.net/English/artculture/2003/09/article06.shtml, 24/6/2005.

(3) لمزيد من المعلومات عن الوضع في سيراليون راجع فقرة التاريخ الحديث من الفصل المتعلق بهذه الدولة.

وفي ختام الفصل عن ليبريا لا بد من الإشارة إلى ان هذه الدولة ليست عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي وبها أكبر محطة تجسس أميركية في كل إفريقيا.(1)

مالي

لمحة جغرافية:

تقع مالي في قلب إفريقيا الغربية وهي من الدول المغلقة التي ليس لديها منافذ على البحر، يحدها من الغرب السنغال وموريتانيا التي تبدو كالزاوية في وسط مالي ومن الجنوب غينيا-كوناكري وساحل العاج، ومن الشرق بوركينا فاسو والنيجر ومن الشمال الجزائر (راجع الخريطة). تبلغ مساحة مالي 1,240,278 كلم^2، فهي إحدى دول أفريقية الواسعة المساحة. تتألف أرضها من هضبة يبلغ معدل ارتفاعها 500م، تستوي في أقسامها الشمالية والشمالية الغربية في حين ترتفع في أجزائها الشمالية الشرقية قرب حدود الجزائر والنيجر، وكذلك ترتفع في جهاتها الجنوبية والجنوبية الغربية قرب حدود غينيا-كوناكري وساحل العاج ويفصل بين هذين القسمين من المرتفعات الجزء الأوسط من الهضبة المستوية المعروفة باسم هضبة "ماندينغ Manding" والتي يجري فيها نهر النيجر، وتنحدر المياه نحو كلا الجانبين وتكون أخفض نقطة في الوسط عند مدينة "تمبكتو"، وفي المنطقة المنخفضة تكثر المستنقعات وخاصة في فصل الصيف، ويجري نهر السنغال في الغرب نحو الشمال الغربي مع انحدار قليل للأرض ويكون بين مجرى النهرين مرتفع قليل من الأرض هو جزء من هضبة ماندينغ وتكون بعض المناطق المنخفضة في الشمال قرب الحدود مع موريتانيا والجزائر تؤول إليها بعض السيول .

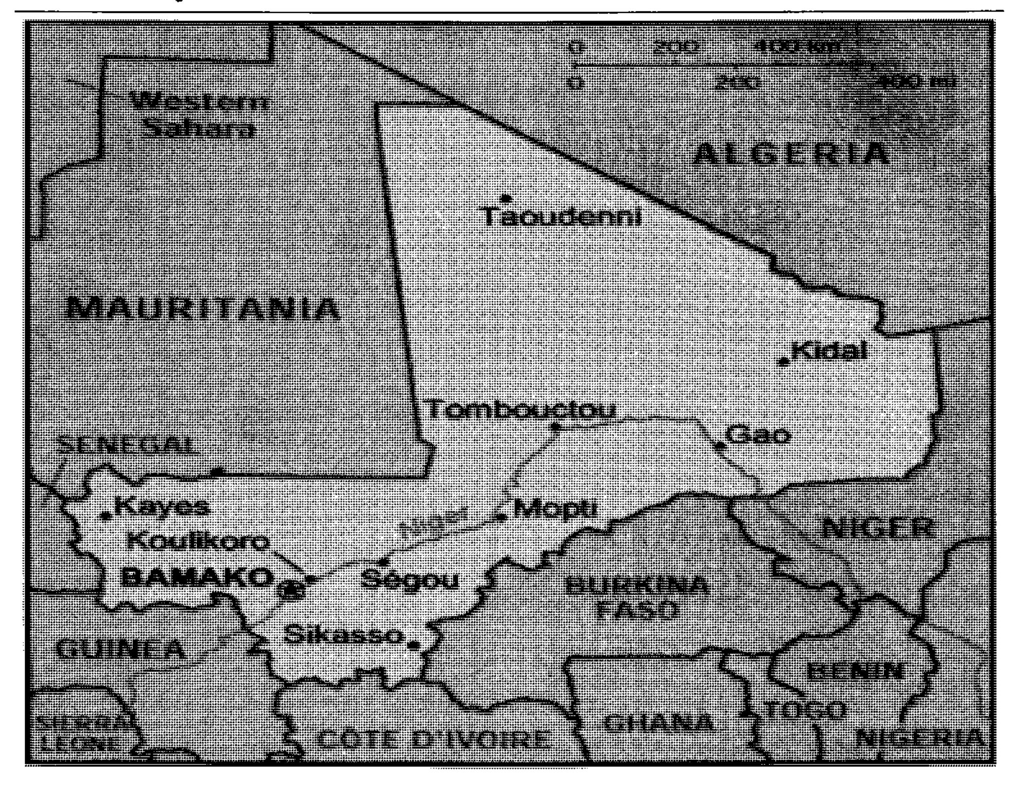
أهم المدن:

باماكو: وهي العاصمة وعدد سكانها يقارب المليون. ومن المدن المهمة تمبكتو وغاو وجني التي تعد مراكز التراث المالي لما تحويه من آثار إسلامية تعود إلى الفترات الذهبية لأمبراطورية مالي الإسلامية(2)، وبالإضافة إلى هذه المدن هناك مدن مهمة أيضاً مثل سيغو وسيكاسو وكايس وموبتي.

---

(1) Abdellatif, Sabir, "Liberian Muslims and the African Napoleon", IslamOnline, www.islam-online.net/English/artculture/2003/09/article06.shtml, 24/6/2005.

(2) لمزيد من المعلومات عن هذه الدولة راجع الفصل الثاني من الباب الثالث في هذا البحث.



المناخ:

تمتد مالي بين خطي عرض 10 و25 ، وبذا تكون ضمن نطاقين كبيرين هما:

1) النطاق السوداني: وتمتد بين خطي 10 و18، وتكون الحرارة مرتفعة طيلة العام، وتتراوح كمية الأمطار بين 250-500مم تهطل خلال سبعة أشهر وهي أشهر الصيف التي تمتد من نيسان (أبريل) الى تشرين الأول (أكتوبر)، وتكون الأنهار الأخرى جافة ، وهي الأكثر حرارة، وتزاد الأمطار في المنطقة الجنوبية، والجنوبية الغربية حيث يبلغ معدلها 750-1200مم.

2) النطاق الصحراوي: ويمتد بين خطي عرض 18- 25، ويمتاز بشدة الحرارة، وقلة الأمطار التي لا يزيد متوسطها على 250 مم، تهطل في خلال الصيف، وتتناقص كلما اتجهنا شمالا، وتقل مدتها فلا تهطل في مدينة تمبكتو أكثر من 100 مم في شهري تموز (يوليو) وآب (أغسطس) فقط.

السكان:

يقدر عدد سكان مالي بحوالي 10,500,000 نسمة، وتتركّز الغالبية العظمى في الجزء

الجنوبي من البلاد وخاصّة على ضفاف نهر النيجر ثم حول نهر السنغال. والشعب المالي مجموع فسيفساء من القبائل أهمها:

1- الماندينغ،[1] وتقدر نسبتهم من 40٪ من مجموع السكان، ويطلقون عليهم عدة أسماء مثل: مليل، مالي، مليت، وانقاره، السوننكي، أو الديولا، المالنكي، الماندي.

2- قبيلة الصنغاي: وهم زنوج، يعيشون عند ثنية نهر النيجر، وتبلغ نسبتهم 12٪ من السكان ويعملون بصيد السمك.

3- الفولاني[2]: ويشكّلون 10٪ من سكان البلاد.

4- البرنو.

5- البامبارا: وهي أحد فروع الماندينغ.

6- التوكلور: تعيش في الغرب قرب السنغال.

7- الموشى: تعيش في جنوب البلاد قرب بوركينافاسو.

8- السينوفو: وتقطن أيضا قرب ساحل العاج وبوركينافاسو عند أعالي النيجر ونهر فولتا، وتشكل 3.5 ٪ من سكان بلاد مالي.

9- الماركاكا: ويشكّلون 6٪ من السكان.

10- الدوجون: ويشكّلون 3.5 ٪ من السكان.

11- الطوارق: ويعرفون باسم الملثّمين وهم في شمال البلاد.

كما توجد هناك مجموعة صغيرة من العرب يعيشون بالقرب من تمبكو.

تبلغ نسبة المسلمين في مالي نحو 93٪[3] على حين تبلغ نسبة النصارى 1٪ فقط من السكان. ولكل مجموعة من القبائل لغتها الخاصة، واللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية، وقد فرضت بعد دخول الفرنسيين.

الاقتصاد:

تعتمد مالي في اقتصادها على الزراعة، التي تقوم على ضفتي نهري النيجر والسِنِغال

(1) لمزيد من المعلومات عن الماندينغ راجع الفقرة: 3.2.1.1 في الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(2) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

(3) لمزيد من المعلومات عن نسبه المسلمين في هذا البلد راجع الفقرة 1.2.8 من الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

ويزرع في مالي الأرز، والفول السوداني، والدخن، والقطن، كما تزدهر في مالي تربية الحيوانات، وصيد الأسماك، ويوجد بها من المعادن: الحديد، والذهب، والبوكسيت، كما يوجد الماس والملح. أهم الصادرات: الذهب والقطن والماشية والأسماك والفستق والماس. أما العملة الرسمية فهي: الفرنك الإفريقي وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 840 دولار أميركي أما نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة فهي 38٪.[1]

التاريخ :

قامت في التاريخ عدة إمبراطوريات وممالك في المنطقة التي تشملها اليوم دولة مالي، دانت أكثرها بالإسلام الذي دخل مالي عبرها، ومن هذه الإمبراطوريات: إمبراطورية غانة، وإمبراطورية مالي، وإمبراطورية صنغاي وغيرها، وكل هذه الإمبراطوريات لها دور كبير في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، وكان مركز هذه الإمبراطوريات في مالي.[2]

الاستعمار:

بدأ تغلغل فرنسيين إلى مالي في حوالي العام 1880، وقد جوبهوا بمقاومة الإمام ساموري توري[3]، إلا أن فرنسا أتبعت وجودها ببعثات متوالية حتى تم الاستيلاء الكامل على البلاد عام 1898م حين تم القضاء على حركة ساموري توري، وقد أطلق الفرنسيون على هذه المناطق اسم "السودان الفرنسي SoudanFrançais" ثم ضموها إلى سلطة حكومتهم المسماة "الحكومة العامة لإفريقيا الغربية الفرنسية Afrique Occidental Française"[4] التي أقاموها في العام 1895م وضمت كل المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا. وفي عام 1904م أصبحت هذه الأراضي تعرف بإسم "مستعمرة النيجر-السنغال العليا" وكانت عاصمتها في البدء مدينة "كايس Kayes" ثم حلت محلها مدينة باماكو عام 1908م. في العام 1920م أعاد الفرنسيون اسم السودان الفرنسي وكانوا اقتطعوا في العام 1919م جزءاً من الأراضي الواقعة في الشرق بعد إنشاء فولتا العليا (بوركينا فاسو حالياً). أما المناطق الشمالية التي كان يقطنها شعب "المور" (أو الموريتانيون) فقد أعطتها

(1) **National Geographic Concise Atlas of the World**, , p. 83.

(2) لمزيد من المعلومات عن هذه الإمبراطوريات راجع الفصول: 1 – 2 - 3 من الباب الثالث في هذا البحث.

(3) لمزيد من المعلومات عن هذا المجاهد راجع الفقرة 4.3.3 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(4) كان هذا الإتحاد يضم الدول التالية: بنين وغينيا-كوناكري ومالي وساحل العاج وموريتانيا والنيجر والسنغال وبوركينا فاسو.

فرنسا لموريتانيا عام 1945م، وفي عام 1946م غير الاستعمار الفرنسي من صيغة استعماره للبلاد حيث بدأ يعتبرها من ضمن "أقاليم ما وراء البحار" في اطار الإتحاد الفرنسي.

وفي عام 1377 هـ (1957م) عقد مؤتمر في باماكو يضم إقليم إفريقيا الغربية، وقد اعترف هذا المؤتمر بحق تقرير المصير، واعترفت فرنسا بذلك لأنها خشيت اندلاع ثورة في البلاد، كما حدث في الجزائر اذ كانت الثورة مشتعلة هناك. وأصدر رئيس وزراء فرنسا يومذاك قانون الإصلاح الإداري الذي ينصّ على إجراء انتخابات في كل إقليم لتأسيس جمعيات عامة تتولى تشكيل الوزارة، فنال السودان الفرنسي حكمه الذاتي. وفي عام 1378 هـ (1958م) جاء الجنرال ديغول إلى حكم فرنسا وعرض مشروعه[1] فوافقت عليه أغلب الأقاليم ، فأعلن عن قيام الجمهورية السودانية الفرنسية التي كانت ضمن المجموعة الفرنسية، وألغيت وظيفة الحاكم، وتشكلت الوزارة برئاسة (موديبوكيتا) وفي عام 1379هـ (1959م) تم اتحاد بين السودان الفرنسي (مالي) والسنغال أطلق عليه اسم مالي، وانتخب "موديبوكيتا" رئيسا لهذا الاتحاد، ونال الاستقلال ضمن المجموعة الفرنسية عام 1380هـ (1960م)، ولكن لم يلبث أن حل الاتحاد بعد ثلاثة أشهر من قيامه، وأعلن السودان الفرنسي نفسه جمهورية مستقلة استقلالا تاما، مع الاحتفاظ باسم (مالي).

انتخب "موديبو كيتا Modibo Keita" رئيسا للجمهورية عام 1961 م وجرت مفاوضات مع فرنسا بشأن القواعد العسكرية في مالي. وفي عام 1968 م انتهت مدة رئاسة موديبوكيتا، وقد نحي عن الحكم بعد حركة عسكرية قادها الملازم الأول "موسى تراوارِ Moussa Traoré" الذي ينتمي إلى أسرة تراواري التي حكمت مدة مملكة مالي.[2] بقيَ تراوارِ في الحكم لغاية 26 آذار (مارس) عام 1991 حين وقع انقلاب عسكري وتم اعتقاله وحكم عليه بالإعدام ثم خفض هذا الحكم إلى السجن المؤبد عام 1997م. تميز عهد تراوارِ بالمصاعب والمشاكل الاقتصادية فضرب الجفاف البلاد عدة سنوات كما تخلت فرنسا عن مساعداتها الاقتصادية ووقعت اشتباكات مع الطوارق طالبين باستقلال ذاتي في منطقتهم "أزواد" التي تقع في شمالي مالي. وفي 31 آذار من نفس العام عين المجلس

(1) دعا الجنرال ديغول رئيس فرنسا عام 1958م المستعمرات الإفريقية والبلاد الموصى عليها إلى اختيار الطريق الذي يتفق مع مصالحها وهو إما الاستقلال غير المقيد أو الاستقلال مع البقاء ضمن نطاق الأسرة الفرنسية أو البقاء جزءاً من البلاد الفرنسية.

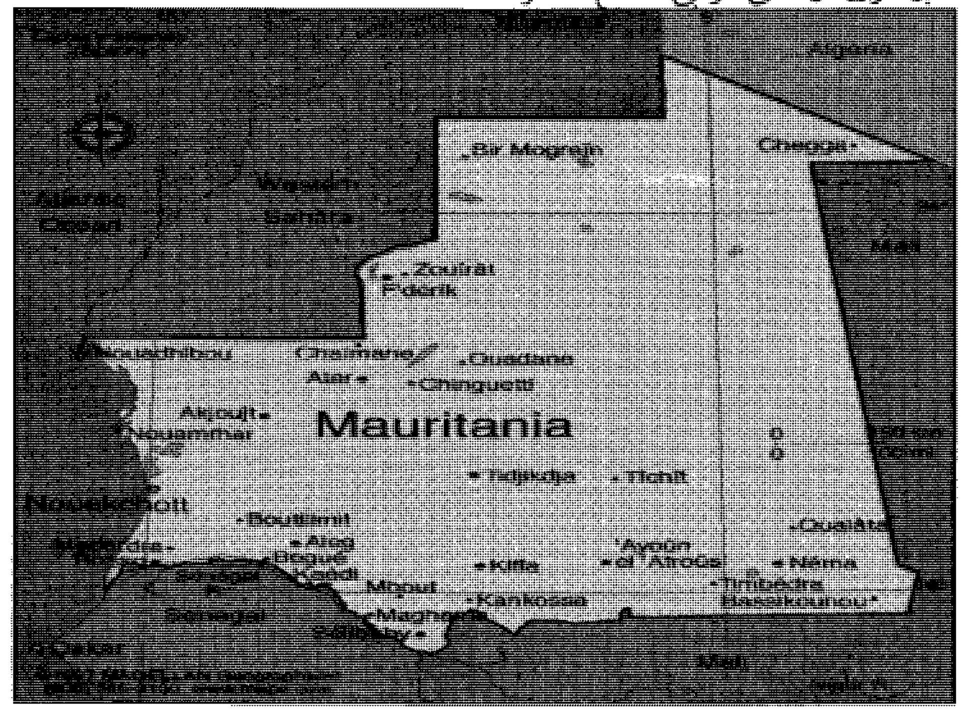
(2) شاكر، محمود، وياغي، إسماعيل أحمد، ص 209.

العسكري قائده أحمد توماني توري رئيساً للجنة المؤقته للسلم الأهلي، وفي شباط (فبراير) من عام 1992م جرت انتخابات تبوأ فيها "ألفا عمر كونار" رئاسة الجمهورية وأعيد انتخابه عام 1997 بالرغم من وجود اعتراض من المعارضة على ذلك. أما في عام 2002 فلم يدخل كونار معركة الرئاسة بل فاز بها الجنرال أحمد توماني توري الذي كان رئيساً للبلاد بين عامي 1991 و1992.

ومالي عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1969م.

موريتانيا

موريتانيا دولة عربية كانت تعرف بالماضي باسم "بلاد شنقيط" نسبة إلى مدينة شنقيط التي تعني "عيون الخيل"، وظلت تعرف بهذا الإسم إلى أن استولى عليها الفرنسيون في مطلع القرن العشرين فأطلقوا عليها اسم موريتانيا وتعني "بلاد المور"،[1] وكان أقصى جنوب شرقي موريتانيا جزءاً مهماً من أمبراطورية غانة[2] حيث تواجد فيه عاصمة تلك الأمبراطورية وتدعى "كومبي صالح" المندثرة الآن.



(1) للتعريف بشعب المور راجع الفقرة 1.2.6.4 من الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

(2) لمزيد من المعلومات عن هذه الأمبراطورية راجع الفصل الأول من الباب الثالث في هذا البحث.

لمحة جغرافية:

تقع موريتانيا في غربي إفريقيا ويحدها من الشمال الجزائر والصحراء الغربية ومن الغرب الصحراء الغربية أيضاً والمحيط الأطلسي بشاطئ طوله 600كلم، أما من الجنوب فيحدها السينغال (حيث يشكل نهر السينغال الحدود بين البلدين) ومالي وتحد الأخيرة موريتانيا من الشرق أيضاً (راجع الخريطة في الأعلى). تبلغ مساحة موريتانيا 1,030,700 كلم^2 وبلغ عدد سكانها عام 2003م حوالي 2,893,000[1] نسمة أما اللغة الرسمية فهي العربية مع انتشار واسع للفرنسية ولغات السود المحلية مثل السونينكي والولوف. أهم المدن:

نواكشوط: وهي العاصمة، وكلمة "نواكشوط" تتألف من مقطعين: "نواك" وتعني باللغة البربرية (قريب) و"شوط" وهي عربية محرفة تعني (الشاطئ) أي أن معنى تلك المدينة أنها البلدة القريبة من الشاطئ وقيل أيضاً أن "نواك" تحريف لكلمة "نوق" العربية وتعني الجِمال أي أن البلدة هي شاطئ الجِمال.[2] أُسست نواكشوط عام 1958م وبلغ عدد سكانها عام 2000م حوالي 588,195 نسمة[3]، وتعتبر الميناء الرئيسي للإستيراد فقط وهو مرتبط بالمدن الرئيسية بشبكة من الطرق المعبدة.

نواذيبو: تقع على الحدود مع الصحراء الغربية وبلغ عدد سكانها عام 2000م حوالي 72,337 نسمة[4]، وهي أهم ميناء في موريتانيا نظراً إلى الحركة التجارية الواسعة التي تشهدها أرصفته وخصوصاً في مجال تصدير الأسماك وفي مجال تقديم الخدمات البحرية للبواخر وتزويدها بالمحروقات والمواد الغذائية وأعمال الصيانة.

قايدي: بلغ عدد سكانها عام 2000م حوالي 34,000 نسمة[5]، تقع في الجنوب على نهر السينغال، وتعتبر مركزاً سياسياً للمناطق الجنوبية. تشتهر بالزراعة وبثروتها الحيوانية.

زويرات: أنشئت عام 1958م وتقع في شمال غربي البلاد قرب الحدود مع الصحراء الغربية، بلغ عدد سكانها عام 2000م حوالي 34,000 نسمة[6]، وهي أهم موقع منجمي

---

(1) **Africa south of the Sahara,** p. 731.

(2) مؤمن، ص 357.

(3) **Africa south of the Sahara,** p. 731.

(4) المصدر السابق، ص 731.
(5) المصدر السابق، ص 731.
(6) المصدر السابق، ص 731.

في موريتانيا ويربطها بميناء نواذيبو خط حديدي.

نعمة: تقع في أقصى جنوب شرق موريتانيا على بعد 1100 كلم عن نواكشوط، وهي قسمين: نعمة القديمة ونعمة الحديثة.

وبالإضافة إلى تلك المدن هناك المدن الصحراوية التاريخية التي أضفتها منظمة الأونسكو عام 1997م إلى لائحة التراث العالمي، وهذه المدن هي: وادان (تقع ووسط البلاد)، وولاتة (في الجنوب الشرقي) وشنقيط (في وسط البلاد وتسمى باللغات الأجنبية Chinguetti) وتشيت (في وسط البلاد أيضاً).

تتميز موريتانيا بمناخ حار وجاف، وتختلف درجات الحرارة اختلافاً كبيراً من جهة إلى جهة أخرى، ففي الصحراء تنخفض الحرارة من 38 درجة مئوية أثناء النهار إلى سبع درجات فقط خلال الليل. وتتراوح درجة الحرارة المئوية الشهرية في نواكشوط بين 33 في شهر أيلول (سبتمر) إلى 12 في شهر كانون الثاني (يناير). أما الساحل الموريتاني المشرف على المحيط الأطلسي فيكون أكثر اعتدالاً في حرارته حيث تنخفض درجة الحرارة هناك إلى 20 درجة مئوية خلال الصيف.

الاقتصاد:

موريتانيا دولة فقيرة يعتمد اقتصدها على الزراعة وتربية الحيوانات وصيد الأسماك الذي يعتبر من أحد أهم القطاعات الاقتصادية في البلاد، بينما لا تشكل الصناعة إلا قطاعاً صغيراً من اقتصاد موريتانيا. أهم المزروعات: التمور والبطاطا الحلوة والذرة والفستق، أما في مجال الثروة المنجمية فتشتهر موريتانيا بمناجم الحديد والنحاس. العملة الرسمية في البلاد هي "الأوقية" وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 1,800 دولار أميركي كما تصل نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة إلى 41٪.[1]

التاريخ القديم:

يبدو من الآثار التي عثر عليها في موريتانيا أن البلاد كانت قبل بضعة آلاف من السنين تتمتع بمناخ يختلف كلياً عن مناخها الحار الجاف الحالي، فكانت تسقط فيها الأمطار وكان بها أنهار. ومع هذا التغيير في المناخ تتحولت معظم أراضي موريتانيا في العصر الحجري إلى صحراء فإنكفأ عدد كبير من السكان إما شمالاً نحو الشمال الإفريقي

(1) **National Geographic Concise Atlas of the World** , p. 83.

ومصر أو جنوباً نحو المناطق الإستوائية، أم من بقي أو استقر في موريتانيا فتحول إلى الزراعة والبداوة.[1] وفي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد خضعت موريتانيا لسيطرة الرومان الذين حولوها إلى إهراءات حبوب لتمويل روما وأدخلوا إليها عدة زراعات وحاولوا نشر العقيدة المسيحية. وفي عام 429م غزا الواندالیون (أو الفانداليون)[2] موريتانيا وعبثوا في البلاد تخريباً وفساداً، وفي عام 534م تمكن البزنطيون من طرد الونداليين والحلول محلهم، وفي القرن السابع الميلادي وصل الإسلام إلى تلك الديار بعد طرد البيزنطيين منها.

التاريخ الإسلامي:

دخل الإسلام موريتانيا من المغرب منذ القرن السابع الميلادي أبان ولاية موسى بن نصير (640م-716م) على شمالي إفريقيا في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. إلا أن هذا المد الإسلامي لم ينتشر في أقصى جنوب شرقيّ موريتانيا الذي ظل وثني في رعاية أمبراطورية غانة[3]. وكان المسلمون في موريتانيا في ذلك الوقت يتألفون من العرب والصنهاجة البربر الذين عرفوا أيضاً بالملثمين[4]. وفي عام 990م تمكنت غانة من استعادة مدينة "أوداغست"[5] (Audaghost) التي تتحكم في طرق التجارة بين غرب وشرق وشمال إفريقيا، وكانت هذه المدينة حاضرة مهمة لمملكة اسلامية تحكمها قبيلة من الصنهاجة الملثمين البربر تدعى "لمتونة" انتزعتها من غانة في وقت سابق، إلا أن انتكاسة أصابت هذه المملكة الإسلامية بعد وفاة ملكها عام 960م، فاستفادت غانة من هذه النكسة وأخذت بالثأرها منها[6]. وفي منتصف القرن 11 الميلادي، حين وصلت مملكة غانة إلى أوج عظمتها، كانت لها عاصمتان منفصلتان العاصمة الأولى للوثنيين وكانت تسمى "الغابة -El

(1) الخوند، مج 19، ص 271-272.

(2) ينتمي الواندالیون Vandals إلى قبيلة جرمانية بربرية قدمت من شمال وشرق أوروبا واجتاحت الأمبراطورية الرومانية الغربية في أوائل القرن الخامس الميلادي مما ساعد على سقوط هذه الأمبراطورية.

(3) لمزيد من المعلومات عن هذه الأمبراطورية راجع الفصل الأول من الباب الثالث في هذا البحث.

(4) عرفوا بالملثمين لأنهم كانوا يضعون اللثام ليلاً ونهاراً حضراً وبدواً ولعلهم اتخذوه إما اتقاءاً من البرد والحر ورمال الصحراء أو خدعة وتنكراً في الحروب.

(5) تقع الآن في جنوب موريتانيا.

(6) شلبي، مج 6 ص 105.

Ghaba'[1] وهي المقر الإداري الرسمي للمملكة، وفيها يعيش الملك وبلاطه، وكبار الوزراء ورجال الدين. أما العاصمة الثانية حيث كان يقطن المسلمون فهي مدينة 'كومبي صالح' جنوب شرقي موريتانيا.

في منتصف القرن العاشر الميلادي ظهر المرابطون[2] في ما يسمى اليوم بموريتانيا والسنغال على يد الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي. هاجم المرابطون مملكة غانة عام 1056م واستبسلوا فيها استبسالاً عظيماً وألحقوا بهذه المملكة هزيمة نكراء ومن ثم استولوا على أوداغست في نفس العام وأعلنوا الجهاد ضد الوثنية فأسلمت بعض القبائل الزنجية وتحالفت مع المرابطين. وفي عام 1076م أعاد المرابطون الكرة وهاجموا غانة فسقطت مدينة 'كومبي صالح' عاصمة غانة وضمها المرابطون إلى أراضيهم. قَبِل ملك غانة -و كان يدعى 'تانكامِنين'- الدخول في الإسلام والخضوع لسلطان المرابطين، وبإسلامه دخل الكثير من رعاياه في الإسلام وأصبحت غانة جزءاً من دولة المرابطين وأصبح سكان غانه من قبائل السوننكي الزنجية مسلمين بل وشديدي الحماسة لنشر الإسلام، وتفرغ بعضهم للدعوة وأضحت كلمة 'سوننكي' مرادفة لكلمة داعية، كما كثرت المساجد وعم تعليم القرآن الكريم وقواعد الدين واللغة العربية وألحق كل مسجد بمدرسة وغدت اللغة العربية اللغة الوحيدة للعبادة والثقافة والتجارة[3]، وبذلك تكون كل موريتانيا قد خضعت لسيطرة المرابطين. وفي عام 1146م خلف 'الموحدون' دولة المرابطين في السلطة بعد أن احتلوا عاصمتها مراكش ثم مدوا نفوذهم إلى الأندلس. وفي عام 600هـ - 1203م هاجم ملك قبائل الصوصو الذي كان زعيماً لتكتل ممالك زنجية وثنية مدينة كومبي صالح عاصمة غانة واستولى عليها وضم مملكة غانة إلى امبراطوريتهم الناشئة. وقد هرب عدد من المسلمين والتجار من مدينة كومبي صالح إلى الصحراء وأسسوا مركزاً تجارياً جديداً في بلدة 'ولاته'[4] إلى الشمال الشرقي من كومبي صالح. وفي عام 638هـ -1240م سار حاكم دولة مالي[5] المسلم ويدعى سوندياتا (أو كما عُرف باسم 'ماري جاطة') نحو كومبي صالح واحتلها ودمر ما تبقى منها[6] وأسس دولة إسلامية من قبائل الماندينغ لمع

---

(1) عرفت بهذا الإسم لكثرة الأشجار التي تحيط بها (شاكر، محمود ونافذ أيوب بيلتو، ص 29).

(2) لمزيد من المعلومات عن المرابطين راجع الفقرة 3.1.8 من الفصل الأول للباب الثالث في هذا البحث.

(3) شاكر، محمود، ونافذ أيوب، بيلتو ، ص 33.

(4) تقع الآن في جنوب شرق موريتانيا.

(5) لمزيد من المعلومات عن هذه الدولة راجع الفصل الثاني للباب الثالث في هذا البحث.

(6) شاكر وبيلتو، ص 36.

نجمها بين القرنين 11 و13 الميلاديين وبسطت نفوذها على معظم أراضي مملكة غانة المنهارة التي شكلت جنوب موريتانيا الحديثة، ومن بعد انهيار مملكة مالي خضعت معظم الأراضي التي كانت تابعة لها في موريتانيا إلى دولة صنغاي الإسلامية[1] التي استقلت عن تلك المملكة عام 1420م. أما باقي أرجاء موريتانيا التي لم تخضع لمالي فقد ظلت تحت سيطرة دولة الموحدين لحين سقوطها عام 1269م. ورث المرينيون دولة الموحدين وأصبحت موريتانيا تابعة لهم، وخلال القرن 13 الميلادي أخرج "أبو يوسف يعقوب المريني" سلطان المغرب من بلاده جماعة من القبائل الهلالية العربية[2] تدعى "بنو معقل" فاتجهت جنوباً واستقرت في موريتانيا والصحراء الغربية. وقد اتصلت هذه الجماعة بالقبائل والعشائر المحلية للتخلص من سيطرة المرينيين والإستئثار بإدارة شؤون تلك المنطقة،[3] وكان من نتيجة هذا الاتصال أن انضم إلى "بنو معقل" الكثير ممن دخلوا في حمايتهم فتكاثر عددهم وتوزعوا إلى قبائل وعشائر كان أكبرها "بنو حسان" الذين أصبحوا ابتداءاً من القرن الخامس عشر الميلادي أصحاب الأمر والنهي في موريتانيا وأخذت القبائل العربية والبربرية وخاصة الصنهاجة في المخالطة والمصاهرة. ولعل أكبر وأهم أثر لبني حسان أنهم نشروا اللغة العربية في موريتانيا واللهجة العربية لا تزال تُعرف اليوم بالحسانية ويتكلمها أربعة أخماس سكان البلاد. ويرى الرحالة لون الإفريقي[4] الذي عاش في القرن السادس عشر الملادي أن وحدة الدين وتماثل الأنماط المعيشية بين بنو معقل وصنهاجة الصحراء ساعدت على ذوبان الفوارق اللغوية والحضارية فضلاً عن أثر الميراث الإسلامي لحركة المرابطين على هذا الصعيد.[5] ومن الملاحظ أن ظاهرة التعريب سادت سكان المنطقة وهي أثر مهم من آثار الهجرات الحسانية حيث شملت الجانب النَّسبي، فقد حرصت معظم القبائل على ربط نفسها بإحدى القبائل العربية ذات الشأن في التاريخ الإسلامي هذا إذا لم تربط بالنسب النبوي الشريف، وهذه الرغبة الجامحة في شرف الانتساب من الناحية السياسية والإجتماعية تعبّر عن الحرص على تسويغ شرعية المشاركة في الحياة السياسية والصعود في السلم الإجتماعي.[6]

---

(1) لمزيد من المعلومات عن هذه الدولة راجع الفصل الثالث للباب الثالث في هذا البحث.

(2) قدمت قبائل الهلالية إلى المغرب العربي من صعيد مصر بأمر من الخليفة الفاطمي في القرن الحادي عشر الميلادي.

(3) موريتانيا: **الثقافة والدولة والمجتمع**، ص 65.

(4) للاطلاع على ترجمة حياته أنظر باب **فهرس الأعلام** من هذا البحث.

(5) موريتانيا: **الثقافة والدولة والمجتمع**، ص 69.

(6) المصدر السابق، ص 69.

التنافس الاستعماري الأوروبي على موريتانيا:

كان البرتغاليون أول من استولى على بعض جهات من موريتانيا خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). وقد أغرتهم تجارة الصمغ والذهب والرقيق فأسسوا مراكز تجارية لهم وبقوا في البلاد قرابة قرنين. نافس البرتغاليين في التجارة مع موريتانيا كل من فرنسا وبريطانيا وهولندا ، إلا أن الأخيرة انسحبت من حلبة الصراع على تلك المنطقة عام 1727م اثر توقيع معاهدة "لاهاي" في 13 كانون الثاني (يناير) من ذلك العام والتي أقرت تنازل هولندا عن المطالبة بجزيرة "أرغين Arguin"[1] والإعتراف لفرنسا بالسيادة على سواحل المنطقة مقابل ليس فقط تنازل الفرنسيون عن المطالبة بتعويضات على الأضرار التي لحقت بهم من جراء نزاعهم مع هولندا بل دفعهم للأخيرة تعويضات عن ذلك النزاع. وهكذا ظلت المنافسة محصورة بين فرنسا وبريطانيا، وقد عمدت فرنسا إلى عقد اتفاقيات مع حكام موريتانيا وإلى مساعدة أحدهم ضد الآخر، بينما حاول البريطانيون مد نفوذهم إلى داخل موريتانيا عن طريق المعاهدات والإتفاقيات لحماية تجارتهم.

الغزو الفرنسي:

تعرضت موريتانيا ابتداءاً من النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي لحملات استكشافية فرنسية متعددة استهدفت التعرف إلى الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية والسياسية في البلاد. إلا أن هذه الحملات انحرفت في كثير من الأحيان عن هدفها الإستكشافي وتحولت إلى عمل عسكري استعماري أزال التغلغل البريطاني وثبت النفوذ الفرنسي في موريتانيا، ففي عام 1854م قام الحاكم الفرنسي المقيم في السِنِغال "فدِرب Faidherbe" بتسيير حملة عسكرية على عشيرة "الطرازة" الحسانية والمقيمة على الضفة اليمنى لنهر السِنِغال بحجة إعادة الأمن للمنطقة وتأمين حركة تجارة الصمغ. وقد استطاعت فرنسا أن تفرض شروطها على أمير الطرازة وذلك بجعل منطقة تلك العشيرة محمية فرنسية. وفي النصف الثاني من ثمانينات القرن التاسع عشر قررت فرنسا احتلال موريتانيا وإلحاقها بشكل مباشر بمستعمراتها في افريقيا الغربية، فأوفدت الدبلوماسي "كزافييه كوبولاني XavierCoppolani" الملم باللهجات العربية والمحلية للقيام بدراسة ميدانية تمهد الطريق للاستعمار المباشر. قدم "كوبولاني" دراسته مرفقة باقتراح انشاء

---

(1) تقع تجاه ساحل موريتانيا الشمالي على بعد 80 كلم من الرأس الأبيض، وهي تابعة لموريتانيا الآن.

"موريتانيا الغربية" تحت لواء فرنسا تتخذ في ما بعد قاعدة للتوسع الفرنسي في بلاد المغرب. وفي كانون الأول (ديسمبر) من عام 1899م صدر قرار حكومي يقر تلك الفكرة، ولاسكات اسبانيا اتفقت الدولتان سنة 1900م على أن يمتد الفوذ الإسباني إلى الصحراء الغربية شمال الرأس الأخضر. تعهد "كوبولاني" بتحقيق مخططه سلمياً فتمكن عام 1902م من توقيع مع أمير عشرة الطرازة على معاهدة الحماية الفرنسية إلا أنه فشل في عقد تلك المعاهدة مع عشائر أخرى، فجهز "كوبولاني" حملة عسكرية إلى وسط موريتانيا لإحتلالها لكنه لم يفلح في مهمتة فطالب عام 1905م باحضار قوة نجدة يقودها النقيب "فرِرجان" Frèrejean" فجوبهت بمقاومة يقودها أحد شيوخ الصحراء الغربية ويدعى "الشيخ ماء العينين" حيث تمكن من صد الفرنسيين حيث شن المقاومون عملية اقتحام لمقر "كوبولاني" وأردوه قتيلاً، كما أرسل سلطان المغرب "مولاي عبد العزيز" فيلق لنجدة ودعم الشيخ لكن تَراجُع هذا السلطان بضغط من الفرنسيين وحجم الإمدادات الفرنسية المتواصلة وخيانة بعض القبائل كل هذه التطورات أدت إلى تراجع حركة المقاومة، لكن "الشيخ ماء العينين" واصل نضالة في المغرب لادراكه بأن تغيير الحكم في المغرب من شأنه أن يساعد على تحرير موريتانيا. وفعلاً تمكن المغاربة بتأثير من ثورة "الشيخ ماء العينين" من إطاحة السلطان عبد العزيز وتنصيب أخيه السلطان عبد الحفيظ الذي سرعان ما تخلى عن عزمه لطرد الغزاة، فواصل الشيخ ماء العينين ثورته ونصب نفسه سلطاناً واتجه إلى فاس في حزيران (يونيو) عام 1910م وكاد أن يحتلها لولا تدخل الجيش الفرنسي، وفي تشرين الأول (أكتوبر) من نفس العام توفي "الشيخ ماء العينين" فحمل مشعل الثورة من بعده ابنه "الهيبة" الذي احتل منطقة "السوس" جنوب المغرب ثم احتل مراكش وأسر فيها القنصل الفرنسي. إلا أن المندوب الفرنسي في المغرب الجنرال "ليوتي Lyautey" جهز حملة كبرى وتمكن من استعادة مراكش فتراجع "الهيبة" إلى موريتانيا حيث اعتمد في ثورته هناك على القبائل إلى أن توفي عام 1919م. في هذه الأثناء أحكمت فرنسا قبضتها على موريتانيا وفي عام 1920م أعلن الفرنسيون تحويل موريتانيا إلى مستعمرة ملحقة إدارياً بأراضي غرب إفريقيا الفرنسية ومركزها الإداري مدينة سان لوي في السنِغال ضمن ما يسمى بالإتحاد الفرنسي. وفي عام 1946م حولت فرنسا موريتانيا إلى مقاطعة فرنسية ما وراء البحار لها الحق في ترشيح نائب واحد يمثلها في الجمعية الوطنية الفرنسية. وفي عام 1956م أنشأت فرنسا في موريتانيا مجلساً حكومياً رئيسه فرنسي ونائب رئيسه موريتاني، وكان أول من شغل منصب نائب رئيس هذا المجلس هو المحامي "مختار ولد داده" الرئيس المستقبلي لموريتانيا.

الاستقلال:

منذ نيل المملكة المغربية استقلالها عام 1956م وهي تطالب بضم موريتانيا إليها على أنها جزء لا يتجزأ من أراضيها. لكن "مختار ولد داده" عارض هذه الفكرة وأخذ يرفع شعار استقلال موريتانيا ويمهد له. فأقنع فرنسا بإنشاء مدينة نواكشوط لتكون عاصمة موريتانيا المستقبلية فتأسست هذه المدينة عام 1958م. وفي 28 آذار (مارس) منحت فرنسا الإستقلال لموريتانيا وسُميت "جمهورية موريتانيا الإسلامية" برئاسة "مختار ولد داده". وفي عام 1969م اعترفت الحكومة المغربية بموريتانيا كدولة مستقلة ذات سيادة.

خلّف الفرنسيون عند انسحابهم من موريتانيا وضعاً حرجاً على الصعد الاقتصادية والإجتماعية والسياسية. فالوضع الاقتصادي منهار والبنى التحتية هزيلة حيث لم ينشئ المستعمر أي موانئ أو طرق في بلاد مترامية الأطراف قليلة الموارد ومحدودة السكان،[1] فظل أسلوب الإنتاج على حاله منذ العهد الفرنسي وظل أبناء الشعب باستثناء قلة من أبناء زعماء القبائل المتعاونين مع فرنسا قابعون في الفقر والجهل والمرض، وجل ما كان من اقتصاد في البلاد كانت تسيطر عليه رؤوس الأموال الفرنسية. وعلى الصعيد الإجتماعي ورث الموريتانيون الآثار السلبية لسياسة فرنسا في التفرقة العنصرية في البلاد، إذ كبت الفرنسيون مشاعر العرب لفترة طويلة وطمسوا الثقافة العربية خاصة حين أبعدت فرنسا موريتانيا عن أقطار المغرب وألحقتها بدول افريقيا الغربية الفرنسية وهي خطوة لاقت الترحيب من الزنوج الموريتانيين فنشأ بين هؤلاء والعرب الموريتانيين توتر ونفور. أما الوضع السياسي فكان أكثر صعوبة وتعقيداً فلم تكن هذه الدولة الجديدة تستند إلى تجربة تاريخية قريبة وذلك لانعدام تراث الدولة المركزية بعد تفكك الدولة المرابطية، كما لم يكن بإمكان القيادة الجديدة التي تسلمت مقاليد السلطة أن تستند أيضاً إلى زخم نضالي وطني كما هو الحال في باقي البلاد في شمال وغرب إفريقيا[2] بل اعتبرت موريتانيا كياناً مصطنعاً ووسيلة مبتكرة تحافظ بها فرنسا على مصالحها.[3]

تجاه هذا الواقع، انبرى رئيس الدولة "مختار ولد داده" يعمل على توطيد أركان الدولة بدءاً من مؤسساتها الرسمية، فقامت الجمعية الوطنية (البرلمان) عام 1960م، وفي أواخر شباط (فبراير) عام 1961م وُضِع أول دستور للدولة الجديدة وبعده بشهور قليلة جرت

(1) موريتانيا: الثقافة والدولة والمجتمع، ص 102.
(2) المصدر السابق، ص 102.
(3) الخوند، مج 19، ص 277.

أول انتخابات لرئاسة الجمهورية فاز بها المرشح الوحيد "مختار ولد داده"، وفي كانون الأول (ديسمبر) عام 1961 انعقد مؤتمر لتوحيد كل المنظمات السياسة سُمي "مؤتمر الوحدة الوطنية الموريتانية" وبنتيجته توحدت كل المنظمات في حزب واحد هو "حزب الشعب الموريتاني" برئاسة رئيس الجمهورية "مختار ولد داده" فأصبح هذا الحزب هو الحزب الحاكم، فتم بذلك إبطال التعددية السياسية إذ ألغى أول مؤتمر لهذا الحزب عام 1963م جميع امتيازات الأمراء ومشايخ القبائل[1] كما جرت محاولة لإنشاء "الجبهة الوطنية الديمقراطية" في آب عام 1964م بادرت الحكومة لحلها وعُدل الدستور في 1965م بحيث أصبح ينص رسمياً على ان "حزب الشعب الموريتاني" هو الحزب الوحيد في البلاد، ونتيجة لذلك التحقت الأحزاب والحركات المعارضة بحزب الشعب الموريتاني عام 1975م.

قضية الصحراء الغربية:

في 14 أيلول (سبتمبر) عام 1975م جرت مباحثات في مدريد بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا انتهت بموافقة اسبانيا على انهاء استعمارها للصحراء الغربية التي يحدها من الشمال المغرب ومن الجنوب والشرق موريتانيا كما تحدها الجزائر من الشمال الشرقي بحدود قصيرة جداً تبلغ حوالي 40 كلم. وقد احتفظت اسبانيا في هذا الاتفاق بحق إقامة قواعد عسكرية على شاطئ الصحراء وبحق الصيد في مياهها الاقليمية والحصول على 60٪ من فوسفات الصحراء، كما اتفقت كل من المغرب وموريتانيا على تقسيم الاقليم بموجب اتفاقية عقدت بينهما لتخطيط الحدود.[2] إلا أن هذه الخطة المغربية-الموريتانية-الإسبانية اصطدمت بمقاومة كل من الحكومة الجزائرية وجبهة تحرير "بوليساريو" وهي حركة عسكرية وسياسية في الصحراء الغربية تتألف من سكان هذه الصحراء. وقد انبثق رفض الجزائر لهذه الإتفاقية من موقفها القائل أن الإطار الوحيد لتصفية الاستعمار في الصحراء الغربية يبقى داخل الأمم المتحدة وعلى أساس حق تقرير المصير، ومن جهتها أعلنت جبهة البوليساريو في 27 شباط (فبراير) عام 1976م عن قيام "الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية" على الأراضي التي تسيطر عليها وبدأت بتركيز عملياتها العسكرية ضد الموريتانيين الذين واجهوا صعوبات كثيرة مما أدى إلى إطاحة بالرئيس الموريتاني "ولد دادة" في تموز (يونيو) عام 1978م ومجيء الحكم العسكري بقيادة "المجلس

---

(1) موريتانيا: الثقافة والدولة والمجتمع، ص 105.

(2) الخوند، مج 11، ص 190.

العسكري للإصلاح الوطني" برئاسة العقيد "مصطفى ولد محمد سالك" الذي علق الدستور وحل الجمعية العمومية. وفي شباط (فبراير) عام 1979م حل "سالك" "المجلس العسكري للإصلاح الوطني" وأنشأ مكانه "المجلس العسكري للإنقاذ الوطني" وفي أيار (مايو) من عام 1979م عُين العقيد "خونة ولد هيدالة" رئيساً للوزراء وفي حزيران (يونيو) استقال "سالك" على خلفية النزاع في الصحراء الغربية وخلفه العقيد "محمد ولد لولي"، وفي آب (أغسطس) وقع "ولد هيدالة" اتفاقاً في الجزائر مع جبهة البوليساريو أعلنت فيه موريتانيا أنه لا مطالب لها في الصحراء الغربية.

عودة قصيرة للحكم المدني:

في كانون الثاني (يناير) عام 1980م أطاح رئيس الوزراء "ولد هيدالة" بالرئيس "لولي"، وألف حكومة مدنية في كانون الأول (ديسمبر) برئاسة أحد الاقتصاديين الشبان ويدعى "سيد أحمد ولد بنيرة" ولم تضم الحكومة الجديدة سوى عسكري واحد هو وزير الدفاع كما روعي في تشكيلها التنوع العرقي للبلاد فضمت 9 عرب و6 زنوج، وفي تموز (يونيو) من ذلك العام ألغت موريتانيا العمل بنظام الرق والإستعباد.

في عام 1981م تقدم الزعيم الليبي معمر القذافي بمشروع إقامة دولة موحدة بين موريتانيا والجمهورية الصحراوية (التي أعلنتها جبهة البوليساريو عام 1976م) ترتبط بحلف وثيق مع كل من الجزائر وليبيا. عمل رئيس الوزراء الموريتاني "سيد أحمد ولد بنيرة" على إنجاح المشروع لكن أغلبية الضباط في "المجلس العسكري للإنقاذ الوطني" في موريتانيا وعلى رأسهم "معاوية ولد سيد أحمد طايع" رئيس الأركان العامة لم توافق على المشروع الليبي، فأقال رئيس الجمورية رئيس الوزراء "بنيرة" وعين محلة "معاوية ولد سيد أحمد طايع" رئيساً للوزراء.

انقلاب ولد طايع:

في 12 كانون الأول (ديسمبر) عام 1984م وقع انقلاب أبيض في موريتانيا بقيادة رئيس الوزراء "ولد طايع" أثناء تواجد الرئيس "هيدالة" في بوروندي لحضور القمة الفرنسية الإفريقية. بدأ "ولد طايع" حكمه بإعادة التوازن لعلاقات موريتانيا مع المغرب والجزائر، فقرر الإنسحاب من الصراع على الصحراء الغربية بعد أن كانت موريتانيا قد اعترفت بالجمهورية الصحرواي أيام سلفه "هيدالة" في شباط (فبراير) من عام 1984م. وفي عام 1985م أعلنت موريتانيا عن ترسيم نهائي لحدودها مع الجزائر.

التوتر العرقي:

منذ بداية حكمه عام 1984م اتخذ "ولد طايع" اجراءات تصب في مصلحة التعريب على مستوى الإدارة والإعلام والتعليم. وقد تزامن هذا التوجه مع تزايد نقمة حركة "قوى تحرير الزنوج الأفارقة في موريتانيا" (إختصارها بالفرنسية FLAM فلام). وفي نيسان (أبريل) عام 1986م أعلنت وثيقة طالبت فيها بإعلان حرب مفتوحة على العنصر العربي "الأجنبي الغريب الوافد على موريتانيا بإسم الإسلام" مدعية أنه يمارس اضطهاد الزنوج واستغلالهم. وعلى الرغم من أن الوثيقة لم تجد تجاوباً يذكر في أوساط الأقليات الزنجية الموريتانية إلا أنها وزعت على نطاق واسع في البلدان الأوروبية والإفريقية.[1] وفي تشرين الأول (أوكتوبر) من عام 1987م أعلن النظام اكتشاف مخطط انقلابي كانت مجموعة من ضباط "فلام" تعتزم تنفيذه. وقد تلت هذه الحادثة اعتقالات واسعة في صفوف "فلام" فامتثل أمام المحكمة 51 عنصراً من الحركة وحكم على ثلاثة ضباط منهم بالإعدام بينما أدين أربعون بأحكام متفاوته في الصرامة.[2]

العلاقات مع السِنِغال[3]:

انعكس التوتر العرقي في موريتانيا على وضع العرب الموريتانيين في السِنِغال، فبين 28 و30 نيسان عام 1989م اندلعت أحداث شغب وتقتيل واسعة في المدن السِنِغالية ذهب ضحيتها ما يزيد على عشرة آلاف موريتاني من بينهم لبنانيون يحملون الجنسية الموريتانية، بينما تم ابعاد الناجين منهم وناهز عددهم 300 ألف رجعوا إلى بلدهم من دون أي ممتلكات فشكلوا عبئاً إضافياً على الاقتصاد الموريتاني الهش،[4] كما تم تعليق للعلاقات الدبلوماسية بين البلدين في إطار استمرار كل منهما المطالبة بالسيادة على الضفة اليمنى من نهر السِنِغال[5]. وقبل بدء النزاع كان السِنِغاليون السود يعبرون الحدود ويزرعون في الأراضي الزراعية في الجزء الموريتاني من حوض نهر السِنِغال وكان مربو الماشية الموريتانيون البربر والعرب يتوغلون داخل الأرض السِنِغالية بحثاً عن المراعي، لكن مع اندلاع الأزمة بين البلدين أصبح من الصعب جداً بل من المستحيل استمرار هذا

(1) موريتانيا: **الثقافة والدولة والمجتمع**، ص 127.

(2) المصدر السابق، ص 127-128.

(3) أنظر أيضاً فقرة العلاقات مع غامبيا وموريتانيا في فصل السِنِغال من هذا الملحق.

(4) موريتانيا: **الثقافة والدولة والمجتمع**، ص 128.

(5) الخوند، مج 9، ص 191.

التبادل في كسب العيش. وفي عام 1992 أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وبعد عامين اتفق وزيرا الداخلية في البلدين على فتح المعابر الحدودية إلى أن هذا الأمر ظل التعاطي معه بحذر فأصبحت المعابر تخضع لرقابة صارمة من الطرفين ووضعت شروط استثنائية بالنظر إلى ما كانت عليه الأوضاع قبل النزاع وعادية بالمقارنة مع العلاقات بين الدول في مختلف أنحاء العالم. فقد أصبح على السِنِغالي الداخل إلى موريتانيا والموريتاني المتوجه إلى السِنِغال أن يحمل معه أوراقه المدنية ومبلغ بقيمة 600 فرنك فرنسي أو ما يقابله من عملات دولية بعد أن كان المواطنون في كل من البلدين يتنقلون عبر الحدود دون أي ضابط.[1] وعلى العموم خفت حدة التوتر جداً بين الدولتين الآن حيث تقوم كل منهما بفتح صفحة جديدة مع الأخرى.

الإصلاحات الدستورية:

في نيسان عام 1991م أعلن "ولد طايع" عن طرح دستور جديد للبلاد يضمن الحريات العامة ويسمح بتكوين أحزاب سياسية غير محدودة العدد ويصون الصحافة والتعبير عن الرأي ويقترح انشاء مجلس نواب منتخب ومجلس للشيوخ ينتخب بالإقتراع غير المباشر (عن طريق المجالس البلدية)، تمت المصادقة على الدستور الجديد في استفتاء جرى في 12 تموز (يوليو) من نفس العام بنسبة تجاوزت 97٪ من الأصوات.[2] ومن مميزات الدستور الجديد التأكيد على الهوية العربية الإسلامية الإفريقية لموريتانيا، كما يعلن الإسلام ديناً للدولة ويعتبره مصدراً للتشريع، وفي 25 تموز (يوليو) صدرت قوانين ومراسيم سمحت بتعدد الأحزاب وبحرية الصحافة، وفي 24 كانون الثاني (يناير) عام 1992م انتخب "ولد طايع" رئيساً للجمهورية كما فاز الحزب الجمهوري الحاكم في الإنتخابات البلدية التي جرت عام 1994م.

الاصطدام مع الأصوليين:

شهدت الأشهر الثلاثة الأخيرة من عام 1993م حملة واسعة ضد اسلاميين أصوليين (استجوابات، اعتقالات، ترحيل) بعدما شعرت السلطات بالقلق من تزايد نشاط الدعاة الأجانب والجماعات الإسلامية المحلية يضاف إليه حادث الإعتداء على اسقفين كاثوليكين. وفي 20 أيار (مايو) عام 1994م وصلت العلاقة بين النظام والإسلاميين

(1) المصدر السابق، مج 9، ص 191.

(2) موريتانيا: **الثقافة والدولة والمجتمع**، ص 129-130.

الأصوليين إلى درجة متقدمة من التوتر عندما انتقد امام المسجد الجامع في نواكشوط خلال خطبة عيد الأضحى المضايقات التي يتعرض لها الدعاة الإسلاميون في موريتانيا مشيراً إلى أن الغرب يعمل على نشر المسيحية واليهودية بينما يوصف المسلمون بالتطرف إذا نشروا الإسلام، كما حمل على القوانين الوضيعة داعياً إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد. وفي 25 أيلول (سبتمبر) من نفس العام اعتقلت أجهزة الأمن الموريتانية عشرات الأشخاص المشتبه في انتمائهم إلى التيار الإسلامي فيما أعلن وزير الداخلية عن اكتشاف تنظيمات سرية إسلامية تخطط لزعزعة النظام في البلاد.[1]

العلاقات مع الكويت والعراق:

في 28 نيسان (أبريل) عام 1994م أنهى وزير الخارجية الكويتي زيارة لموريتانيا اعتبرتها الحكومة الموريتانية فرصة لمحو آثار موقفها الداعم للعراق خصوصاً أن الكويت كانت من أكبر ممولي مشاريعها قبل حرب الغزو العراقي. وكان النظام الموريتاني قد ارتبط بعلاقات قوية مع العراق وصلت إلى حد التحالف منذ الأزمة الموريتانية السنغالية عام 1989م والتي أعلن أثناءها العراق وقوفه إلى جانب موريتانيا وقدم لها السلاح والمال، وبدورها جسدت موريتانيا تحالفها مع العراق أثناء حرب الخليج الثانية في الإمتناع عن التصويت في الجامعة العربية والوقوف معه أيام الحرب. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1995م مثل أمام محكمة في نواكشوط عدداً من قيادات حزب البعث الموريتاني الموالي للعراق كانت السلطات اعتقلتهم معلنه اكتشاف مؤامرة عراقية، كما طردت نواكشوط السفير العراقي لديها. وكان رائجاً لدى الرأي العام أن السلطات بادرت إلى تصفية البعثيين لهدف واحد هو إرضاء الغرب والإعتذار للكويت وتوتير العلاقات مع العراق بهدف التخلص من بقايا الموقف في حرب الخليج الثانية.[2]

ولد طايع رئيساً لولاية جديدة:

فاز الرئيس "ولد طايع" بالإنتخابات الرئاسية الثانية التي جرت في عام 1997م فيما أعلنت المعارضة التي قاطعت الإنتخابات أن السلطات تلاعبت بالنتائج لإعطاء الانطباع بأن الناخبين لم يستجيبوا إلى دعوتها للمقاطعة.

---

(1) الخوند، مج 19، ص 282.
(2) المصدر السابق، مج 19، ص 285.

العلاقات مع إسرائيل:

يعود تاريخ العلاقات الموريتانية الإسرائيلية إلى 6 تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1995م حين شارك وزير الخارجية الموريتاني "محمد سالم ولد الأكحل" في تشييع جثمان رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق اسحق رابين. وخلال المؤتمر الأوروبي المتوسطي الذي عقد في برشلونة في اسبانيا بين 27 و28 من نفس الشهر وقعت موريتانيا على اتفاق مع اسرائيل ينص على الاعتراف بها وإقامة علاقات معها من خلال فتح أقسام لرعاية المصالح داخل السفارة الإسبانية في كل من نواكشوط وتل أبيب. وفي أيار (مايو) من العام التالي فتحت موريتانيا بعثتها الدبلوماسية في تل أبيب. وفي تشرين الأول (اكتوبر) من عام 1998م زار وزير الخارجية الموريتاني إسرائيل وعقد محادثات مع رئيس وزرائها بنيامين نتانياهو. وفي 28 تشرين الأول (اكتوبر) عام 1999م أعلنت كل من نواكشوط وتل أبيب رسمياً إقامة علاقات دبلوماسية كاملة وذلك خلال مراسم أقيمت في واشنطن برعاية وزيرة الخارجية الأميركية "مادلين أولبرايت" ووقع أثناءها وزيرا خارجية موريتانيا واسرائيل (الإسرائيلي دافيد ليفي والموريتاني أحمد ولد سيد أحمد) اتفاقاً بشأن تبادل السفراء. وبذلك أصبحت موريتانيا ثالث دولة في جامعة الدول العربية تقيم علاقات دبلوماسية كاملة مع اسرائيل بعد مصر والأردن. وبعد اسبوع من اقامتها لعلاقات كاملة مع اسرائيل أي في 4 تشرين الثاني (نوفمبر) قطعت موريتانيا علاقاتها الدبلوماسية مع العراق بعد يوم من حظر حزب الطليعة الوطنية القريب من بغداد. ويحلل المراقبون هذه الخطوة الموريتانية بمراهنة الأخيرة على استدراج مساعدات خارجية وأميركية ودولية خصوصاً وأن الأزمة الاقتصادية في موريتانيا كانت آخذة في التفاقم منذ انقطاع المساعدات الخليجية عنها بعد حرب الخليج الثانية إضافة إلى تراجع المساعدات الفرنسية والأوروبية.[1]

في نيسان عام 2000م زار سبعة برلمانيين اسرائيليين وموظف كبير في وزارة الخارجية الإسرائيلية العاصمة الموريتانية وعقدوا جلسة عمل مغلقة مع برلمانيين موريتانيين رأسهم الأمين العام للحزب الجمهوري الديمقراطي الحاكم "محمد يحظية ولد الحسن". ولم يصدر بيان ختامي ولكن نقل عن مصادر اسرائيلية أنه تم تشكيل جمعية برلمانية مشتركة من أجل السلام. ومنذ الأيام الأولى للانتفاضة الفلسطينية (أيلول 2000) شهدت نواكشوط سلسلة من التظاهرات الاحتجاجية على التطبيع مع إسرائيل ودعماً للانتفاضة. وما أجج

(1) المصدر السابق، مج 19، ص 291

هذه التظاهرات هو إعلان وزير الإعلام الموريتاني بعد مؤتمري القمة العربية والإسلامية أن موريتانيا لن تحذو حذو دول عربية قطعت علاقتها مع اسرائيل تضامناً مع الانتفاضة. وفي 13 آذار (مارس) عام 2001م استقبلت نواكشوط وفداً اسرائيلياً برئاسة الأمين العام لوزارة الخارجية، كما أرسلت في أيار (مايو) من نفس العام وزير الخارجية "داه ولد عبدي" إلى اسرائيل حيث التقى آريل شارون ووزير الخارجية شمعون بيرز. وفي 8 تشرين الأول (أكتوبر) عام 2002م استقبل الرئيس ولد طايع شمعون بيرز. ومع بدء العمليات العسكرية الأميركية-البريطانية ضد العراق في آذار (مارس) عام 2003م عمت المظاهرات موريتانيا مطالبةً الحكومة الموريتانية بقطع علاقاتها مع إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا، فردت نواكشوط باعتقال بعثين واسلاميين وأطلقت تحذيراً تعلن فيه أنها سوف تغلق كل مسجد يستعمل لأغراض سياسية أو لبث الكراهية ضد اليهود.[1]

توتر الوضع الداخلي:

في 8 حزيران (يونيو) عام 2003م جرت محاولة انقلاب فاشلة اتهم ولد طايع الإسلاميين بضلوعهم فيها بالرغم من أن بعض المصادر أشارت إلى أن سبب هذه المحاولة الانقلابية هو خلافات قبلية.[2] وفي 9 آب (أغسطس) عام 2004م أعلنت الحكومة الموريتانية أنها اكتشفت مؤامرة للإطاحة بولد طايع فاتهمت نواكشوط كل من ليبيا وبوركينا فاسو بتدبيرها بالرغم من نفي هاتين الدولتين لهذه التهمة، كما قامت الحكومة الموريتانية باعتقال 30 شخصاً من القوات المسلحة، لكن بعض أركان المعارضة اعتبر أن الحكومة اختلقت هذه المؤامرة للتخلص من بعض العناصر المعادية لولد طايع الموجودة في الجيش.[3]

انقلاب 3 آب 2005:

وفي 3 آب عام 2005 استفاقت موريتانيا على انقلاب عسكري أطاح بالرئيس ولد طايع الذي كان في الرياض لتقديم التعازي بالعاهل السعودي الملك فهد بن عبد العزيز. وقد أعلن الانقلابيون عن تشكيل المجلس العسكري للعدالة والديمقراطية بقيادة العقيد علي ولد محمد فال، وسيحكم هذا المجلس البلاد لمدة سنتين. في السياق نفسه

---

(1) **Africa south of the Sahara,** p.722- 723.

(2) المصدر السابق، ص 723.

(3) المصدر السابق، 724.

أعلن المجلس العسكري للعدالة والديمقراطية حل البرلمان واستمرار العمل بدستور 20 تموز (يوليو) لعام 1991 الذي سيكمله ميثاق المجلس العسكري. وفيما كان تنفيذ الانقلاب جارياً وصل ولد طايع إلى مطار نيامي عاصمة النيجر. وعُرف عن العقيد "فال" أنه أحد المقربين من ولد طايع وانه قاتل إلى جانبه لدى تسلمه السلطة إثر الانقلاب العسكري عام 1984. وفي 6 آب أعلن المجلس العسكري عن تقليص مهمته إلى عام واحد يتم خلاله إعادة بناء المؤسسات الرسمية عن طريق انتخابات عامة، وفي اليوم التالي قرر المجلس العسكري إطلاق سراح سجناء إسلاميين كان قد احتجزهم النظام السابق.

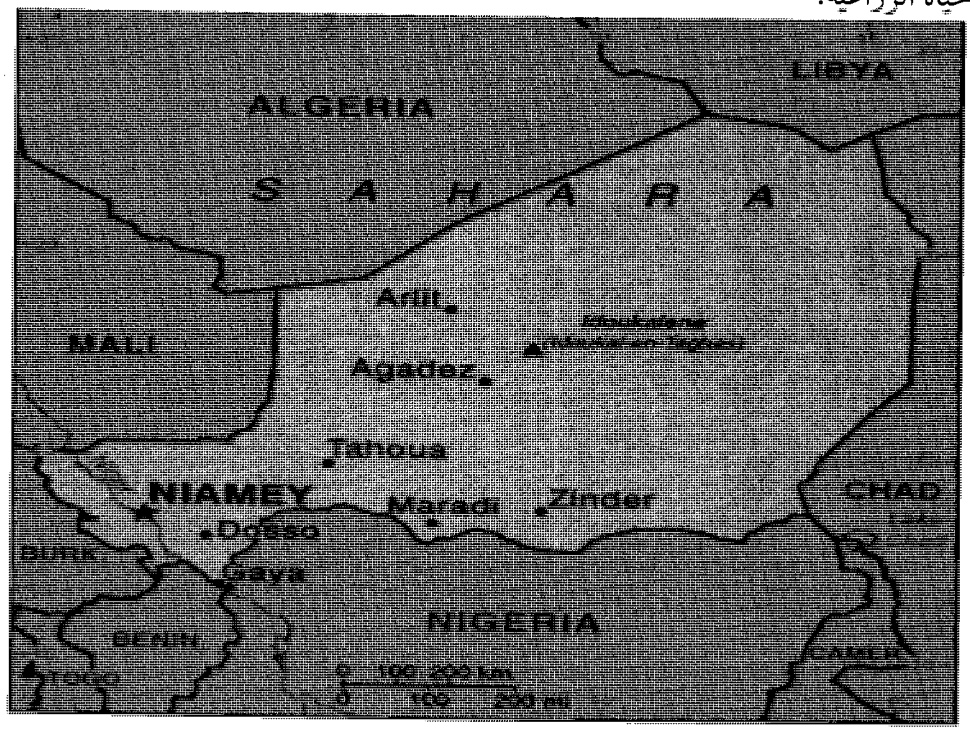
وفي الختام لا بد أن نذكر أن موريتانيا عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1968م.

النيجر

لمحة جغرافية:

تقع النيجر في شمال غربي القارة الإفريقية ولا منفذ لها على البحر، يحدها من الشمال الجزائر وليبيا ومن الشرق تشاد ومن الجنوب نيجريا وبنين ومن الغرب كل من مالي وبوركينا فاسو (راجع الخريطة). مساحة النيجر 1.267.000 كلم^2، وهي من الدول التي تشغل مساحة واسعة في القارة الأفريقية وتتألف من هضبة واسعة يبلغ معدل ارتفاعها 365م عن مستوى سطح البحر، ويصل أقصى ارتفاع في الوسط 200م ومتمثلا في كتلة هضبة "آير Aïr" ذات الصخور القديمة، ومن هذه الكتلة تميل الأرض نحو الغرب والجنوب الغربي حيث تجرى أودية جافة باتجاه مجرى نهر النيجر الذي يخترقها في الجنوب الغربي، كما تميل نحو الجنوب الشرقي باتجاه بحيرة تشاد حتى وادي (دليا). أما المنطقة الشرقية والمحصورة بين المرتفعات الوسطى والشمالية فتمتد منطقة واسعة تغطيها الرمال التي تعرف بالعرق الكبير، وتقوم وسط هذه الرمال سلسلة من الواحات تمتد من الشمال إلى الجنوب، تصل بينها طريق تصل أيضا بين البلدان المتوسطية في الشمال وبين بحيرة تشاد، وكذلك توجد الرمال في الجهات الغربية التي تقطعها الحدود السياسية. أما في أقصى الشمال الشرقي وعلى مقربة من الحدود الليبية فهناك نجدين الأول نجد يسمى "حمادة مانغوني" ويعرف بالفرنسية "Hamada Mangueni" والنجد الثاني هو نجد "دجادو Djado" الذي يشمل عددا من الواحات الصغيرة. أما في الجنوب فتنخفض الأرض

وتنبسط وتقلّ المظاهر الجبلية وتزداد الأودية وتظهر آثار المياه فيها وتقوم المدن وتسود الحياة الزراعية.[1]



وكان لموقع النيجر أثر عظيم في تأثرها في الماضي بالعرب والبربر وبنفوذ الأمبراطوريات العظمى الإفريقية التي ظهرت في تلك المنطقة في القرون الوسطى أمثال مملكات مالي وصنغاي وكانم.[2]

أهم المدن "نيامي" وهي العاصمة وعدد سكانها حسب احصاء 1988 حوالي398,265 نسمة[3] وتقع في أقصى جنوب غربي البلاد على نهر النيجر، وهناك مدن: زندر (حوالي 120,000 نسمة) ومارادي (حوالي 112,00 نسمة) وتاهوا Tahoua (حوالي 51,600) وأغاديس Agadez (حوالي 50,000 نسمة).

المناخ :

تقع النيجر بين خطّي عرض 12 و23° إذ يمر مدار السرطان من نقطة التقاء الحدود

(1) شاكر محمود، وياغي، إسماعيل أحمد ، **التاريخ العالم الإسلامي المعاصر**، ص 211-212
(2) لمزيد من المعلومات عن هذه الأمبراطوريات راجع الباب الثالث من هذا البحث.
(3) **Africa south of the Sahara**, p. 827.

الليبية – الجزائرية – النيجرية، وبذا فإن النيجر تشتمل على منطقتين مناخيتين هما:

أ – منطقة السفانا في الجنوب بين خطي عرض 24 و12 عند الحدود الجنوبية، وخط عرض 18 شمال مدينة أغاديس وتنمو في هذه المنطقة الحشائش القصيرة، كما توجد مجموعات من الشجيرات مثل: الباؤباب[1]، والماهوغاني Mahogany،[2] وتكون الحرارة مرتفعة طيلة العام، ويبلغ معدل كمية الأمطار 217 مم في مدينة زندر و750 في مدينة نيامي، وموسم الأمطار هو فصل الصيف بين حزيران وأيلول.

ب – منطقة الصحراء في الشمال بين خطّي عرض 18–30 و23 وتكون الحرارة مرتفعة طيلة العام، وتتباين درجاتها بين الليل والنهار، وقلّما تهطل الأمطار، إذ يتبخر أكثرها قبل سقوطه على الأرض، ولا تهطل إلا على المناطق المرتفعة، ولا تنمو إلا بعض الحشائش الجافّة، ونبات الترب الملحية، إثر هطول الأمطار، وتنمو في بطون الأودية الجافة بعض الشجيرات الصحراوية.[3]

السكان:

لما كانت المنطقة الجنوبية هي البقعة التي تتوافر فيها المياه بسبب الأمطار لذا فهي الجزء المأهول فيه حيث تتواجد المدن الرئيسية مثل نيامي العاصمة وزندر ومارادي وتاهوا ودوسو وهي مراكز النشاط البشري. عدد سكان النيجر نحو 11 مليون و900000 نسمة وبذا لا تزيد الكثافة على 9,4 أشخاص في كلم^2 الواحد[4]، وهي كثافة قليلة جدا، وتعد من الكثافات القليلة في العالم.[5] يدين 98٪[6] من السكان بالإسلام ويتوزع الباقون على أديان وثنية والمسيحية الكاثوليكية.

أما أشهر القبائل في النيجر هي: الهاوسا والفولاني،[7] والسنغاي، والغرما،

(1) شجر استوائي عريض الجذع، ويسمى بالإنكليزية Baobab

(2) شجر خشبه صلب بني ضارب إلى الحمرة يصنع منه الأثاث الفاخر.

(3) شاكر محمود، وياغي، إسماعيل أحمد ، **التاريخ العالم الإسلامي المعاصر** ، ص 212-213.

(4) **Africa south of the Sahara**, p. 827.

(5) شاكر محمود، وياغي، إسماعيل أحمد ، **التاريخ العالم الإسلامي المعاصر**، ص 213-214.

(6) لمزيد من المعلومات عن نسبه المسلمين في هذا البلد راجع أيضاً الفقرة 1.2.8 من الفصل الثاني للباب الأول في هذا البحث.

(7) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

والملثّمون، وكل هذه القبائل من المسلمين ولكلّ لغتها الخاصة، أما اللغة الفرنسية فهي الرسمية، واللغة العربية منتشرة بين الأوساط الشعبية وعند أهل العلم من المسلمين. وهناك خصوصية لغوية في النيجر، فالفرنسية رغم أنها رسمية لا يتكلمهما أكثر من 8٪ من السكان، فالنيجر لا تملك أي لغة خاصة بها ولها حق المشاركة في جميع اللغات، وذلك انعكاساً لظاهرة تاريخية وجغرافية محورها أن البلاد كانت ولا تزال ملتقى الطرق التجاري والسكاني وكذلك اللغوي، ففي النيجر لغات منتشرة في 15 بلداً افريقياً منها نيجريا وبوركينا فاوسو ومالي وتشاد بالإضافة الى العالم العربي واللغة العربية لغة الدين والقرآن الكريم.[1]

الاقتصاد:

تعتمد النيجر على الزراعة، فتزرع الذرة الصيفية، والدخن، والبندق، والكاسافا، كما يصطاد السمك من نهر النيجر، وكذلك تربّي الحيوانات كالأغنام والماعز والأبقار والحمير والخيول. ولقد اكتشفت ثلاثة مناجم لليورانيوم (1968م) اثنان منها شمال مدينة أغاديس وثالثها بالقرب من مدينة "أرليت Arlit" على بعد 210 كيلومترات شمال أغاديس. وفي عام 1978م وبفضل الثروة التي حملها اليورانيوم لخزينة الدولة ألغت الحكومة الضريبة على المداخيل بالإضافة إلى إلغاء الرسم المفروض على الماشية منذ عام 1974م، فجاء هذان الإجراءان ليخففا من نزوح سكان الأرياف إلى المدن.[2] وأتت النيجر عام 2005 في المرتبة العالمية الثالثة في إنتاج اليورانيوم بعد كندا وأوستراليا حيث وفر هذا المعدن عام 2003 ما يقارب 32٪ من العملة الصعبة للبلاد.[3] كما يوجد في النيجر القصدير والتنغستين، وتعد واحة (بيلما) من أشهر مناطق الملح. إلا أن المشكلة التي يعاني منها هذا البلد هي بُعد الموانئ، وهي في الوقت نفسه لا تتبعها لأن البلد مغلقة لا منافذ لها على البحر، غير أن الملاحة في نهر النيجر تكون صالحة بين شهري أيلول (سبتمبر) وآذار (مارس) وبذلك يصبح للنيجر منفذ على البحر من خلال مرفأ "بورت هاركور Port Harcourt" في نيجريا. العملة الرسمية في البلاد فهي الفرنك الإفريقي وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 820 دولار أميركي وتصل نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة في البلاد إلى 15٪.[4]

---

(1) الخوند، مج 20، ص 25.
(2) المصدر السابق، مج 20، ص 28.
(3) **Africa south of the Sahara**, p. 824.
(4) **National Geographic Concise Atlas of the World** , p. 83.

التاريخ :

لقد توغل الرومان جنوب الصحراء ولما جاء المسلمون كانوا يجتازون المنطقة إلى بحيرة تشاد، فنشروا الإسلام في كل مكان حلّوا فيه عن طريق الدعوة والتجارة، وفي القرن الخامس الهجري استطاع الملثّمون إخضاع الأجزاء الشمالية إليهم، كما فعلت الهوسا في بقية المناطق. فبدأ الإسلام يصل في كل مكان بين الجماعات المستوطنة هناك.

وفي عام 921 هـ (1515م) سار جيش غاو من مملكة صنغاي[1] بقيادة أسكيا محمد الأول واستطاع إخضاع تلك الدويلات وتمكن من دخول مدينة أغاديس ولكنه انسحب فيما بعد، وعادت الإمارات إليها.

وكذلك حاولت قبيلة "غرما" مع قبائل بدوية أخرى من المنطقة الشمالية، وتمكنوا بزعامة الطوارق أن يقيموا تكتّلات قوية في هضبة "آير" وان يقفوا ضد الفولانيين الذين بدءوا يتدفقون إلى المنطقة في بداية القرن الثامن عشر الهجري، إلا أن الزعيم الفولاني "عثمان بن فودي"[2] قد استطاع إخضاع الدويلات الهوسا إلى سلطانه في المدة الواقعة من 1219 – 1225 هـ كما استطاع خلفاؤه الاحتفاظ بزمام الأمور كونهم زعماء دينيين. وفي عام 1300 هـ (1882م) وصل إلى المنطقة الموفدان من قبل الحكومة البريطانية، وهما المقدم (دنهم) والملازم (كلابرتن) لمعرفة المكان وقد التقيا بابن عثمان بن فودي. وفي عام 1308 هـ (1890 م) اتفقت فرنسا وانكلترا على تعيين الحدود واقتسام مناطق النفوذ بينهما، وكانت النيجر من نصيب فرنسا، فأرسلت حملة تمكنت من السيطرة على الأجزاء الجنوبية من النيجر، ولكنها لاقت مقاومة عنيفة في الشمال من قبل قبائل الطوارق، ولكن التعاون الإنكليزي-الفرنسي في العمليات العسكرية قد خفّض من شوكة المقاومة واستطاعت فرنسا في عام 1341هـ- 1923 م ان تسيطر على جميع البلاد وصارت مستعمرة لها في ذلك العام.

ولقد شكل عام 1377هـ (1957م) سكان النيجر أوّل حكومة وطنية، وصوّتت إلى جانب مشروع ديغول[3] عام 1378 هـ (1958م) وشكّلت حكومة جديدة برئاسة

---

(1) لمزيد من المعلومات عن مملكة صنغاي انظ الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(2) لمزيد من المعلومات عن هذا الزعيم راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

(3) دعا الجنرال ديغول رئيس فرنسا عام 1958م المستعمرات الإفريقية والبلاد الموصى عليها إلى اختيار الطريق الذي يتفق مع مصالحها وهو إما الاستقلال غير المقيد أو الاستقلال مع البقاء ضمن نطاق الأسرة الفرنسية أو البقاء جزءاً من البلاد الفرنسية.

"هامانـي ديوري" زعيم الحزب التقدّمي النيجري. وفي عام 1379 هـ (1959م) كانت هناك رابطـة لتنـسيق الـسياسية الاقتصادية الخارجية بين النيجر وساحل العاج، وفولتا العليا ، وداهومـي (بنين حالياً)، وكان "هاماني ديوري" رئيسا لها، وكان ذلك بالتناوب سنويا. فقد حصلت النيجر على الاستقلال عام 1380 هـ (1960م).

وبين عامي 1968م و1974م هبط منسوب الأمطار مما تسبب في تلف الزرع والقضاء علـى الماشـية، وحالت صعوبة المواصلات ووجود مراكز التموين في مناطق نائية واتساع المـناطق المـنكوبة دون إيـصال المـساعدات الخارجـية والعامة والخاصة إلى المنكوبين. وقد تخلل هذه الفترة إكتشاف اليورانيوم عام 1970م فبدأ العالم يهتم ويسمع عن النيجِر.

لـن تـتمكن حكومة "هاماني ديوري" من مقاومة تفاقم أزمة الجفاف، فازاحها انقلاب عـام 1974م واسـتلم الـسلطة نفر من العسكريين برئاسة الكولونيل سيني كونتشي. ومن حسن حظ الحكومة الجديدة أن الأحوال الطبيعية تحسنت في تلك السنة مما أفسح في المجال أمامهـا لتنفـيذ بعـض الإجـراءات ضـمن ظـروف اقتـصادية واجتماعـية مـشجعة كحل الأحـزاب ورفـع الأجـور. وعلـى الصعيد الخارجي توجهت سياسة الحكومة شطر عدم الإنحـياز فمتـنت علاقاتهـا بنيجِـريا والجزائـر وليـبيا وقـدمت البلدان العربية وخصوصاً الـسعودية مـساعدات في حـين حافظـت فرنـسا وبلـدان السوق الأوروبية المشتركة على علاقات مميزة مع النيجِر.

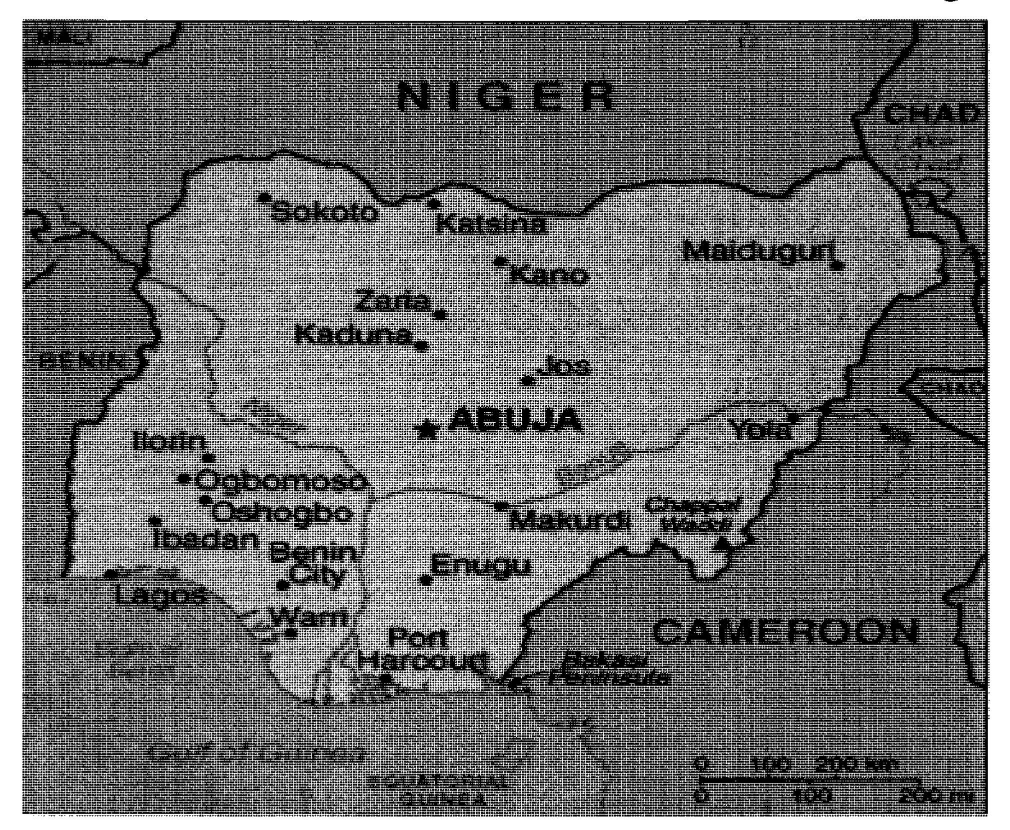
وفي عـام 1983م وقعـت محاولـة انقـلاب فاشـلة وتـشكلت على أثرها حكومة جميع أعضائها من المدنيين برئاسة حميد الغبيد. وفي عام 1987م توفي الكولونيل كونتشي فخلفه رئيـساً للمجلـس العـسكري الحـاكم الكولونـيل علـي سيبو الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهـورية. ومنذ ذلك الوقت وحتى عام 2005م عرفت البلاد حركات تمرد وانقلابات واضـطرابات. والرئيس الحالي هو مامادو (محمد) تندجا. والنيجِر عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1969م.

نيجِريا

لمحة جغرافية:

نيجِـريا دولـة فدرالـية مؤلفة من 31 ولاية تقع في غرب إفريقيا بين دائرتي عرض 4 و14 شمـالا. تـبلغ مـساحة نيجِـريا 923768 كـيلو مترا مربعا، وتشرف في الجنوب على المحيط الأطلسي بساحل طوله 853 كيلومترا، وتحدّها ثلاث دول وهي: بِنين من الغرب،

والنيجِر من الشمال، والكاميرون من الغرب، أما تشاد فإن الحدود بينهما مائية داخل بحيرة تشاد التي تقع في أقصى الشمال الغربي لنيجِريا، كما أن جزءا من حدودها مع النيجر ومع الكاميرون هي حدود مائية داخل بحيرة تشاد أيضا (راجع الخريطة). يبلغ عدد سكان نيجِريا حسب تقديرات 2003م حوالي 124,000,000 نسمة، وتعتبر أكبر دول القارة الإفريقية سكانا، وبذلك تكون الكثافة السكانية 134,2 شخصا في الكيلو المتر المربع الواحد.[1]



المناخ:

يسود المناخ المداري معظم أنحاء نيجِريا، وهو دافئ في معظم أوقات السنة، غير أن المناطق الشمالية أكثر حرارة وجفافاً من المناطق الجنوبية. يبلغ متوسط درجة الحرارة اليومية في الشمال نحو 29° م إلا أن درجة الحرارة اليومية قد تصل إلى 38° م، أما متوسط درجات الحرارة في أواسط نيجِريا والمرتفعات الشرقية فأقل بكثير وذلك بسبب الارتفاع

(1) **Africa south of the Sahara**, p. 861.

الشديد عن مستوى البحر، أما في الجنوب فيبلغ المتوسط السنوي لدرجات الحرارة حوالي 27° م. وبالنسبة للأمطار فانها أكثر في الجنوب ويستمر موسم المطر من نيسان (أبريل) حتى تشرين الأول (أكتوبر) إلى أنه يستمر لمدة أطول في الجنوب.

أشهر القبائل:

تعيش في نيجيريا عدة قبائل، ولكن خمسة منها كبيرة وهي التي يحدث بينها الصراع، وهي:

1- الهاوسا: وتعيش في الشمال وتشكل 40٪ من مجموع السكان وأغلبيتها ينتمون إلى الإسلام.

2- الفولاني[1]: وتعيش في الشمال وتشكل 10٪ من مجموع السكان وهي قبيلة مسلمة ومنها حكام الإقليم الشمالي وأمراؤه.

3- الكانوري: وتنتقل في الشمال الشرقي كما أنها تشكل 10٪ من مجموع السكان وهي أيضا مسلمة.

4- الإيبو: وتعيش في الإقليم الشرقي، وتشكل 79،5٪ من مجموع السكان، وأكثر أفرادها ينتمون إلى النصرانية، وهذا كان تحت تأثير الاستعمار الصليبي، وإرساليته التنصيرية، وقد أخذ الإسلام بالانتشار بينهم على نطاق ضيق.

5- اليوربا: وتعيش في الإقليم الغربي وتشكل 18،7٪ من مجموع السكان، كما أن سكانها من المسلمين قد تجاوزوا النصف وقلة من النصارى .

كما أن هناك مجموعات صغيرة مثل الكالابار، والأكوجا، وأكثرها في الجنوب ضمن أراضي الإقليم الشرقي.

ترتب على سياسات الحكم المباشر والفدرالية الهشة على أساس أقاليم محددة عرقياً كما طبقتها بريطانيا، التي استعمرت نيجربا، بهدف زيادة التوترات العرقية وتمهيد الطريق أمام المحاولات الإنفصالية والحروب الأهلية. وطوال عهد الاستعمار البريطاني ظلت البنية الإقطاعية لإمارات الشمال كما هي بل ان أرستقراطية الفولاني حظيت بتأييد البريطانيين وفي حين أن التنظيمات القبلية للمجموعات الجنوبية أقبلت على التعليم الغربي وفي مرحلة مبكرة الأمر الذي سهل سيطرتها على الاقتصاد الحديث. وهكذا

(1) للاطلاع عن 'الفولاني' راجع الفقرة 1.2.6.3 في الفصل الثاني من الباب الأول.

ظهرت فجوة عميقة بين الشمال والجنوب، فالشماليون على رغم تخلفهم الاقتصادي وقلة تأثيرهم بالتعليم والثقافة الغربية فقد احتفظوا بالسلطة السياسية، أما الجنوبيون فكانت لهم قوة اقتصادية هائلة ولا سيما بعد ظهور النفط الذي أضحى منذ عام 1972م المصدر الرئيسي للدخل القومي وهو ما شجعهم على المطالبة بقد أكبر من السلطة.[1]

يتوزع النيجيريون بين مسلمين 43٪ ويتركزون في الشمال، ومسيحيين 34٪ في الوسط والجنوب و19٪ وثنيين.[2] أما اللغة الرسمية فهي الإنكليزية، لكن كل قبيلة لها لغتها الخاصة.

أهم المدن:

أبوجا Abuja: العاصمة الفدرالية للبلاد انشئت عام 1976م إلا أنها لم تصبح جاهزة من ناحية المباني والإدارة إلا في عام 1991م حين بلغ عدد سكانها حوالي 107,069 نسمة.[3] وقد اختيرت أبوجا لتكون العاصمة بسبب موقعها في وسط البلاد وبسبب الإزدحام في لاغوس العاصمة السابقة وافتقارها الى المساحة التي يمكن أن تمتد عليها.

لاغوس Lagos: وهي أكبر مدينة في نيجريا والعاصمة الفدرالية القديمة لغاية عام 1991م. بلغ عدد سكانها حسب احصاءات عام 1991م حوالي 5,195,247 نسمة[4]. يقع جزء من لاغوس على اليابسة وجزء آخر منها يمتد على أربع جزر. ولاغوس أهم مراكز البلاد الاقتصادية وهي مركز تجاري وصناعي هام حتى أنها تعتبر العاصمة الاقتصادية للبلاد، إلا أنها فريسة نمو ديمغرافي عشوائي يفرض عليها مشكلات إجتماعية واقتصادية خطيرة.

كانو Kano: عدد سكانها حسب احصاءات عام 1991م حوالي 2,166,554 نسمة، وهي عاصمة ولاية كانو. تؤلف قبائل الهوسا-الفولاني حوالي 90٪ من سكان مدينة كانو وأما ديانة الأكثرية فيها فهي الإسلام حيث تضم نحو 2000 مسجد. ومن معالم مدينة كانو الشهيرة أبواب وأسوار قديمة يعود بناؤها لأكثر من 800 عام، كما هناك قصر الأمير محمدو رومفا (1462-1499) والمسجد الجامع. وبها أيضاً معامل الصباغ التي لا

---

(1) الخوند، مج 20، ص 35.

(2) المصدر السابق، مج 20، ص 35.

(3) **Africa south of the Sahara**, p. 861.

(4) المصدر السابق، ص861 .

زالت من الصناعات المشهورة في المدينة والتي يعود تاريخها إلى تجارة عابري الصحراء.

إيبدان Ibadan: تقع في جنوب غربي البلاد، وقد بلغ عدد سكانها عام 1991 حوالي 1,835,300 نسمة[1]، وهي مركز إداري وتجاري وزراعي وبها جامعة كبيرة.

بورت هاركورت Port Harcourt: تقع على فرع من دلتا نهر النيجر وقد بلغ عدد سكانها عام 1991 حوالي 703,421 نسمة[2]، وهي من المرافئ المهمة في نيجريا كما تعتبر مركز اقتصادي وصناعي خصوصاً للصناعات النفطية.

إيلورين Ilorin: يعني اسمها في لغة اليوروبا "مدينة الفيلة". تقع في جنوب غربي البلاد، وقد بلغ عدد سكانها عام 1991 حوالي 532,000 نسمة[3]، وهي مركز تجاري هام وتشتهر بالصناعات الغذائية وصناعة التبغ.

سوكوتو Sokoto: تقع في شمالي غربي البلاد وقد بلغ عدد سكانها عام 1991 حوالي 329,640 نسمة[4]، تشتهر بصناعة الإسمنت والجلود وزراعة الفستق والتبغ والقطن. تاريخياً كانت سكوتو عاصمة دولة ابن المجاهد عثمان فوديو[5]، وكانت الدولة تضم عدداً من الإمارات المستقلة استقلالاً ذاتياً.

ومن المدن المهمة أيضاً "كاودنا Kaduna" و"بنين سيتي Benin City" و"زاريا Zaria".

الاقتصاد:

تنتج البلاد الأرز، والذرة، والكاسافا، والفول السوداني، والقطن، وخاصة في الشمال، والموز، والمطاط، والنخيل الزيتي، والكولا، والكاكاو في الجنوب ، كما تعد نيجيريا مصدّرة للنفط ، وهي من دول الأوبيك وتنتج كذلك القصدير. ونيجريا دولة غنية جداً بثرواتها الطبيعية حتى قيل أنها ان أنتجت أطعمت إفريقيا كلها.[6]

أما شبكة المواصلات في البلاد فهي جيدة لأنها تمتلك الطرق المعبدة والسكك الحديدية الجديدة. وتقوم فيها الملاحة النهرية والبحرية وفيها مطارات دولية كثيرة في كل

---

(1) المصدر السابق، ص 861.

(2) المصدر السابق، ص 861.

(3) المصدر السابق، ص 861.

(4) المصدر السابق، ص 861.

(5) لمزيد من المعلومات عن هذا المجاهد، راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع من هذا البحث.

(6) الخوند، مج 20، ص 35.

الولايات الفدرالية.

العملة الرسمية في البلاد هي 'نيرا Naira' وحصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هي 840 دولار أميركي ونسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة هي 57٪.[1]

التاريخ:

يرجح المؤرخون أن أول حضارة معروفة لشعب قَطَن نيجِريا هي حضارة شعب 'نوك Nok' التي ازدهرت في وسط البلاد بين القرنين السادس قبل الميلاد والثالث الميلادي. ومنذ ذلك الوقت وحتى قدوم الإسلام إلى تلك الأصقاع في القرن العاشر الميلادي[2] دخلت عدة قبائل إلى المنطقة منها اليوروبا وإيبو والهوسا واستقر البعض منهم في الشمال والبعض الآخر في الجنوب لذلك يمكن أن نلاحظ فروقا في التاريخ بين الأقسام الشمالية والجنوبية لنيجِريا، فقد انتشر الإسلام في الشمال الشرقي بين قبائل الكانوري التي أنشأت دولة كانم[3] في القرن التاسع الميلادي، كما بدأت قبائل الهاوسا تتحول إلى الإسلام في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وانتشر بينهم انتشارا واسعا في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، وكان لهذه القبائل سبع إمارات،هي كانو، رانو، زاريا، دورا كاتسينا، غوبير، زامفارا.[4]

ومنذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) بدأت قبائل الفولاني تتدفق من الغرب وتقيم شمالي نيجِريا، وتختلط بشعوب الهوسا، وقد كثر عددهم. وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري (نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين) ظهر بينهم الإمام عثمان بن فودي[5] الذي وحّد شعب الفولاني وفرض سيطرته على الهوسا واتخذ من مدينة (سكوتو) قاعدة له وتلقب (أمير المسلمين) وعمل على نشر الإسلام وقاوم إمارة (غوبير) الوثنية، وانضم تحت لوائه الهوسا والفولاني على حد سواء، وتوزّعت فيما بعد إمارته بين أخيه (عبد الله)، وابنه (بيلو) ، وتوفي (عثمان) عام

---

(1) **National Geographic Concise Atlas of the World**, p. 83

(2) مؤمن، ص 399.

(3) لمزيد من المعلومات عن هذه الدولة راجع الفصل الرابع في الباب الثالث من هذا البحث.

(4) لمزيد من المعلومات عن هذه الدول راجع الفصل الخامس من الباب الثالث في هذا البحث.

(5) لمزيد من المعلومات عن هذا الإمام وحركته راجع الفقرة 4.3.1 من الفصل الثالث للباب الرابع في هذا البحث.

1817م بعد أن غزا مملكة اليوربا[1] وعمل على نشر الإسلام ضمن منطقة الغابات، وبقيت أسرته تحكم شمالي نيجِريا، وان كانت قد ضعفت بعد ذلك وجاء الإنجليز مستعمرين من الجنوب.

أما في الجنوب فقد قامت مملكة اليوربا التي امتدت من مصب نهر النيجر حتى بلاد الدهومي (بِنين حاليا)، وانتشر الإسلام فيها نتيجة الاحتكاك مع الفولانيين، كما قامت مملكة بِنين في أقصى الجنوب.

الاستعمار البريطاني لنيجِريا:

وصل المستعمرون البرتغاليون عام 1483م إلى خليج بِنين الذي أصبح قاعدة للتجارة بين بلاد اليوربا وأوروبا، وكانت التجارة الأساسية هي العبيد. ووصل بعد ذلك الإنجليز إلى نيجِريا في عام 1553م. وعندما مُنِعت تجارة الرقيق في انكلترا عام 1807م اقتصر التبادل التجاري بين البريطانيين والسكان الأصليين على زيت النخيل والعاج. لكن المستكشفين البريطانيين في تلك الفترة ركزوا على مجر نهر النيجِر، فوصل أولاً المستكشف "مونغو بارك Mungo Park" بين عامي 1805م و1806م[2] وتبعه بعد ذلك المستكشفون "هيو كلابرتون Hugh Clapperton" و"دكسون دنهام Dixon Denham" و"والتر أودني Walter Oudney" بين عامي 1822م و1825م الذين وصلوا إلى قبائل الهوسا، وفي عام 1830م وصل الأخوان "لاندر Lander" إلى دلتا نهر النيجِر[3] بعد اكتشاف معالم النهر وروافده. أنشأ الإنكليز بعد ذلك طريقاً للتوغل من سواحل نيجِريا على المحيط الأطلسي إلى داخل مجرى النيجِر فأقاموا علاقات تجارية مع تلك المقاطعات. وبعد التجار جاء المبشرون، ففي عام 1846م أقيمت أول كنيسة للتنصير الاسكتلندي في مدينة "كالابار Calabar" على ساحل المحيط الأطلسي قرب الحدود مع الكامرون. وفي منتصف ذلك القرن اتسع نشاط الإرساليات التبشيرية ليشمل معظم مدن الجنوب بما فيها مدينة إبادان.

في عام 1861 م ضم البريطانيون مدينة لاغوس إلى ممتلكاتهم ووضعت تحت إمرة الحاكم البريطاني لسيراليون عام 1866م بدعوى تنسيق محاربة الإتجار بالرقيق. وفي سنة 1874م انتزعت لاغوس من سيراليون وضمت إلى ساحل الذهب (غانا فيما بعد)

---

(1) لمزيد من المعلومات عن هذه الدول راجع الفقرة 3.5.2 من الفصل الخامس للباب الثالث في هذا البحث.

(2) **Oxford Atlas of Exploration**, London: Octopus Publishing Group, 1997, p. 69.

(3) المصدر السابق، ص 71.

وظلت جزءاً منها حتى عام 1886م عندما أُسِّست مستعمرة ومحمية لاغوس فتوسع من بعد ذلك نشاط التجار المستعمرين والمنصرين من لاغوس وعلى ضفاف مجرى نهر النيجر نحو الداخل. وعندما اشتدت المنافسة بين الشركات الاستعمارية الفرنسية والألمانية والإنكليزية دُمجت عام 1879م الشركات التجارية البريطانية في شركة واحدة هي "شركة إفريقيا المتحدة United African Company" يرأسها السير "جورج غولدي George Goldie" التي احتكرت التجارة عبر مجرى نهر النيجر وخصوصاً تجارة زيت النخيل، وفي عام 1882م تغير إسمها إلى "الشركة الوطنية الإفريقية National African Company" وفي عام 1886م أعيد تغير اسمها أيضاً وأصبحت تعرف باسم "شركة النيجر الملكية Royal Niger Company"[1] لتوسيع رقعة تجارتها مع شمال البلاد لتشمل سوكوتو، ثم منحت الحكومة البريطانية هذه الشركة امتيازاً خاصاً لممارسة القانون والقضاء في المنطقة التي تعمل بها. وكانت سنة 1885م قد شهدت إنشاء "محمية أنهار الزيت Oil Rivers Protectorate" الممتدة من لاغوس حتى الكامرون وذلك لتجنب أي تمدد لدول أوروبية أخرى في تلك المنطقة بعد انعقاد مؤتمر برلين المتعلق بغرب إفريقيا[2] كما قامت محمية أخرى شملت بلاد اليوروبا، وفي عام 1889م تسلمت الحكومة البريطانية السلطات الإدارية بعد أن ألغت الإمتياز المعطى للشركة. وفي سنة 1897م ضمت بريطانيا بِنين إلى محمية بلاد اليوربا وفي العام التالي وقع البريطانيون معاهدة مع فرنسا بشأن الحدود الغربية بين منطقتي النفوذين. أعلنت بريطانيا قيام محمية نيجريا الشمالية عام 1900م وعينت "فردِريك لوغارد Frederick Lugard" مندوباً سامياً لها على تلك المحمية. وتم احتلال سوكوتو وكانو عام 1903م، أما برنو فلم يتم احتلالها إلا في عام 1906م، ثم جمعت بريطانيا عام 1914م بين مستعمرة لاغوس ومحمية الجنوب ومحمية الشمال تحت سلطة لوغارد.

الاستقلال:

في الأول من تشرين الأول عام 1960م أعلن استقلال نيجريا ضمن رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث)، وفي عام 1961م انضم الجزء الشمالي من القسم البريطاني في الكامرون المجاورة إلى نيجريا، وفي عام 1963م وافق المجلس النيابي النيجيري على دستور

(1)"Eastern Nigeria",http://www.geocities.com./CapitolHill/Rotunda/2209/Eastern Nigeria. html#(5), 19.4.05.

(2) لمزيد من المعلومات عن هذا المؤتمر راجع الفقرة 4.1.3 من الفصل الأول للباب الرابع في هذا البحث.

الجمهورية وأعلن قيام جمهورية اتحادية ضمن الكومنولث، وبموجب هذا الدستور تنازلت ملك بريطانيا عن رئاسة دول نيجِريا، وتقرر أن يتم انتخاب الرئيس من قِبل أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب جميعهم وأن تكون مدة رئاسته خمس سنوات، أما الرئيس فكان "نامدي أزيكيوي Nnamdi Azikiwi".

في 15 كانون الثاني (يناير) 1966م قام بعض ضباط الجيش ينتمي معظمهم لقبيلة تقطن في جنوب البلاد وتدعى "إيبو" بالإطاحة بالحكومات المركزية والإقليمية وقتلوا رئيس الوزراء "أبا بكر تفاوة بالِوا" وكلا من رئيس وزراء الإقليمين الشمالي والغربي، وصادف أنه كان الرئيس "أزيكيوي" خارج البلاد. إلا أن قائد الجيش اللواء "أغويي إيرونسي Aguiyi Ironsi" والذي ينتمي أيضاً إلى قبيلة إيبو سيطر على الإنقلاب وأعلن قيام حكومة عسكرية وعلق الدستور. سرت إشاعات نتيجة ذلك أن هذا الإنقلاب هو مؤامرة قامت بها قبيلة الجنوب وأن "إيرونسي" كان أداة بيد الإيبو. وفي شهر أيار (مايو) من نفس العام قام "إيرونسي" بإلغاء النظام الاتحادي للبلاد وأنشأ حكومة مركزية قوية وعين عدداً من كبيراً من الإيبو مستشارين مما أثار مخاوف كثير من الشماليين من أن تؤدي تلك الإجراءات إلى سيطرة الإيبو على البلاد بكاملها، وسرعان ما أدى ذلك إلى اضطرابات في الشمال قتل فيها الآلاف من الإيبو. وفي تموز (يوليو) من ذلك العام وقع إنقلاب قام به بعض ضباط الجيش من الشماليين وقتلوا "إيرونسي" وأصبح "يعقوب غاون Yakubu Gowon" (و هو من قبيلة الهوسا الشمالية) رئيساً للحكومة العسكرية الجديدة. وفي أيلول (سبتمبر) أعاد "غاون" النظام الفدرالي ودعا إلى مؤتمر دستوري يعقد في لاغوس لبحث مستقبل نيجِريا. في هذه الأثناء وقعت مجازر ضد عدة آلاف من عناصر قبيلة الإيبو الذين بقوا في الشمال على أيدي قوات من قبيلة الهوسا، أما من نجا من الإيبو فهرب إلى المقاطعة الشرقية حيث موطن تلك القبيلة. استغلت وسائل الإعلام الغربية هذه الحوادث فصوروها على أنها طائفية بين الهوسا المسلمين والإيبو المسيحيين مع العلم أن الذين قاموا بالانقلاب جلهم من المسيحيين الشماليين لكن أخذتهم العصبية القبلية إذ انتقلوا إلى المعسكرات واحداً بعد الآخر يقتلون الضباط الذين ينتمون لقبائل الإيبو. وفي هذا الجو المتوتر عرقياً انسحب ممثلو الإيبو من المؤتمر الدستوري في لاغوس واجتمع "غاون" مع رئيس الإقليم الشرقي المقدم "أودميغو أوجوكو Odumegwu Ojukwu" وذلك في غانا. وافق "غاون" على لامركزية قوية في السلطة الفدرالية، لكن الاتفاق لم يدخل حيز التنفيذ.

في عام 1967م استبدل "غاون" الأقاليم السياسية الأربعة للبلاد بإثنتي عشرة ولاية لإعطاء بعض المجموعات العرقية الصغرى قوة سياسية أكبر. رفض "أوجوكو" تقسيم الإقليم الشرقي إلى ثلاث ولايات، كما طلب من جميع قبائل الإيبو في كل مكان وجدوا فيه أن يعودوا إلى الإقليم الشرقي وحدثت مجزرة مروعة في مدينة "أونيتشا" بالإقليم الشرقي ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين وأبناء قبيلة الهوسا القاطنين في ذلك الإقليم. انتقل الخبر إلى الشمال معقل الهوسا وحصل انتقام من المواطنين الإيبو. ولم يتوقف النزاع عند هذا الحد فقام "أوجوكو" بإعلان الإقليم الشرقي جمهورية مستقلة باسم "بيافرا".

حرب بيافرا:

تبلغ مساحة بيافرا حوالي 75 ألف كلم^2 وكان عدد سكانها آنذاك (أي عام 1967م) 14 مليون نسمة بينهم 8 ملايين من الإيبو ويدين معظمهم بالكاثوليكية.[1] اعتبرت الحكومة المركزية مشروع بيافرا بأنه حركة انفصال، فأصدرت الأوامر إلى القوات العسكرية بالتوجه إلى "إينوغو Enugu" عاصمة الإقليم الشرقي لانهاء الحكم الإنفصالي بعد أن اتهمت بريطانيا والولايات المتحدة بتقديم التسهيلات لتجار السلاح الغربيين بتزويد حكومة بيافرا الإنفصالية بالمعدات الحربية والأسلحة. بدأت الحرب بين الفريقين في 30 حزيران (يونيو) من عام 1967م وأحرزت في البداية القوات الإنفصالية التقدم في الإقليم الغربي. لكن القوات الإتحادية تغلبت في النهاية وانهارت المقاومة الإنفصالية في أيلول (سبتمبر) عام 1969م وأخذت قوات بيافرا تتراجع وباتت لا تسيطر على أكثر من 8 آلاف كلم^2 خصوصاً أن الإقليم الشرقي استقبل ما يزيد على المليون من الإيبو الذين فروا من سائر أنحاء البلاد،[2] ودخل الإتحاديون مدينة "إينوغو" في 10 كانون الثاني (يناير) سنة 1970م وغادر زعيم الإنفصاليين " أوجوكو" البلاد واستسلم الإنفصاليون. ظهر أوجوكو بعد أسبوع في ساحل العاج وهي إحدى الدول الإفريقية التي اعترفت بدولة بيافرا الإنفصالية إضافة إلى جنوب إفريقيا وروديسيا[3] كما أن فرنسا كانت تعطف على الحركة الانفصالية وتسعى لدعمها. قطعت نيجريا علاقاتها مع هذه الدول ثم استؤنفت في تشرين الأول (اكتوبر) سنة 1971م.

---

(1) الخوند، مج 20، ص 37.
(2) المصدر السابق، مج 20، ص 37.
(3) المصدر السابق، مج 20، ص 38.

بدأت المؤسسات الغربية والتبشيرية تتحدث عن المذابح الجماعية وعن المجاعات في الإقليم الشرقي وأذاعت أنه فد مات بالحرب والمجاعة مابين 500,000 إلى مليون شخص جلهم من قبائل الإيبو، وبدأت ترسل المساعدات إلى الإقليم الشرقي، وأخيراً أعلن "غاون" أن نيجِريا ترفض هذه المساعدات أنها ستتكفل بالأمر وأن كل ما تتحدث به الدوائر الأجنبية إنما هو عار عن الصحة وليس هناك من مجاعة بالشكل الواسع الذي تصوره الدعايات والإذاعات وأن عفواً سيصدر عن الذين غُرِّر بهم واشتركوا بحركة الانفصال.

سلسلة الانقلابات والحكم العسكري:

بعد حرب بيافرا وخلال سبعينات القرن العشرين كانت الصناعات النفطية النامية توفر لنيجِريا مورداً مهماً للثروة. وقد مكنت عائدات النفط الحكومة من تخطيط برامج تنموية لتحسين مستوى المعيشة للشعب، وكان من بين الأهداف الرئيسية لتلك البرامج إنشاء الصناعات التحويلية وإقامة المدارس وتحسين وسائل النقل. ولكن بالرغم من ذلك ظلت نيجِريا تعاني من المشاكل السياسية. ففي تموز (يوليو) من عام 1975م وبينما كان الرئيس النيجِري "غاون" يحضر مؤتمر قمة منظمة الوحدة الإفريقية المنعقد آنذاك في أوغندا قامت مجموعة من ضباط الجيش بالإطاحة بالحكومة واتهموها بالفساد وبالتأخير في الوفاء بوعدها من ناحية إعادة الحكم المدني، وقد وضع الانقلابيون الجدد اللواء "مرتضى الله رحمة محمد" -الذي عرف باللغات المحلية باسم "مرتالا رامات محمد Murtala Muhammed"- رئيساً للدولة وقائداً عاماً للقوات المسلحة. شن النظام الجديد حملات نشطة ضد الإهمال والفساد وأعلن جدولاً زمنياً تفصيليا للإنتقال من الحكم العسكري إلى الحكم المدني واقترح تشكيل حكومة مدنية في الأول من تشرين الأول (اكتوبر) من عام 1979م. ومهما يكن من أمر فقد اغتيل اللواء "مرتضى الله" في محاولة إنقلابية أخرى جرت في 13 شباط (فبراير) سنة 1976م، لكن المحاولة باءت في الفشل وخلف "مرتضى الله" الفريق "أولوسِغون أوباسانجو Olusegun Obasanjo" الذي وعد بتنفيذ برنامج سلفه لتسليم الحكم للمدنيين في الموعد المقرر له وبإستعمال عائدات النفط لتنمية اقتصاد البلاد، كما أنشأ سبع ولايات جديدة ليصبح مجموع عدد ولايات نيجِريا 19 ولاية.

وفي عام 1977م تم افتتاح جمعية عمومية تأسيسية لمناقشة الدستور الجديد المقترح، وفي أيلول (سبتمبر) 1978م صدر الدستور الجديد وتم إلغاء حالة الطوارئ وأُنهي الحكم العسكري كما أُلغي الحظر على النشاط السياسي وسجلت الهيئة الإنتخابية خمس مجموعات على أنها أحزاب سياسية في عام 1979م، وفي نفس العام أيضاً تم انتخاب

حكومة مدنية لتحل محل الحكومة العسكرية وأصبح "شيخو شاغاري Shehu Shagari" رئيساً للجمهورية الذي أُعيد انتخابه في آب (أغسطس) سنة 1983م. وفي كانون الأول (ديسمبر) من نفس السنة قام انقلاب عسكري بقيادة اللواء "محمد بخاري Muhammadu Buhari" وتشكلت إدارة عسكرية جعلته رئيساً للدولة. وقد اتهم "بخاري" الحكومة السابقة بالفساد وسوء الإدارة والتزوير في الانتخابات. وفي آب (أغسطس) عام 1985م جرى انقلاب جديد بقيادة اللواء "إبراهيم بابا نغيدا Ibrahim Babangida" الذي أصبح رئيساً للحكومة العسكرية. وفي حزيران (يونيو) سنة 1993م جرت انتخابات رئاسية كانت نتائجها لغير صالح "بابا نغيدا" فقام الأخير بتجميدها مما أدى إلى حدوث اضطرابات أضطر بعدها "بابا نغيدا" لتقديم استقالته وسلم السلطة إلى رجل الأعمال "ارنست شونِكان Ernest Shonekan" الذي استقال في تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1993م وتسلم السلطة وزير الدفاع الجنرال "ساني أباشا Sani Abacha". بادر "أباشا" إلى تعليق العمل بالمؤسسات الديمقراطية وزاد من تشدد الحكم العسكري في مواجهة القوى المعارضة مما أثار موجة تنديد دولية وفرض عقوبات على نيجِريا وتعليق عضويتها في الكومنولث عام 1995م. إلا أن "أباشا" أبدى بعض المرونة في مجال تطبيق الديمقراطية، ففي عام 1996م قررت السلطات النيجِرية تشريع العمل لخمسة أحزاب، وفي آذار عام 1997م في انتخابات مجالس المجموعات المحلية. وعلى الصعيد الإسلامي وقع "أباشا" في حزيران (يونيو) 1997 مع حكام سبع دول إسلامية (هي: مصر – تركيا – باكستان – بنغلادش – ماليزيا – اندونيسيا – إيران) في استنبول على اتفاقية تقضي بإنشاء "مجموعة الدول الإسلامية الثمانية" للبحث في التعاون الاقتصادي والإجتماعي بينها. كذلك سجل نجاح دبلوماسي لأباشا في ما يتعلق بمبادرات نيجِريا إزاء الأوضاع في سيراليون وليبريا. بقي "أباشا" في الحكم لغاية وفاته في 8 حزيران عام 1998م، وفي اليوم التالي أصبح الجنرال "عبد السلام أبو بكر" رئيساً للدولة.

عودة الحكم المدني:

نجح الجنرال "عبد السلام أبو بكر" في إشاعة جو من التفاؤل بما وعد به من مبادرات دمقراطية وسياسية واقتصادية، ودعا زعماء المعارضة اللاجئين إلى الخارج للعودة للبلاد. وفي 27 شباط (فبراير) جرت الإنتخابات الرئاسية وفاز بها الجنرال المتقاعد "أولوسِغون أوباسانجو Olusegun Obasanjo" من قبيلة اليوروبا القاطنة في جنوب غربي البلاد والذي حكم البلاد بين عام 1976م و1979م. عرف عهد هذا الرئيس إنفراجات واسعة في مجال

الديمقراطية وحقوق الإنسان، لكن الحوادث الطائفية عكرت صفو الهدوء في البلاد. ففي عـام 1999م أعلن حاكم ولاية زامفارا في الشمال عن تطبيق الشريعة الإسلامية في أوجه مجـال حـياة المسلمين في هـذه الـولاية، وسـرعان ما لحق به ستة حكام لولايات مجاورة، رفض المسيحيون هذه الإجراءات فجرت أعمال عنف في كانو وكادونا اسفرت عن حرق مـساجد وكنائس ومقتل المئات خصوصاً في صفوف المسيحيين من قبائل الإيبو واليوروبا التي ردت بأعمال ثأرية في الجنوب ضد السكان المسلمين من قبائل الهوسا، وفي الأول من تـشرين الأول (أوكتوبـر) عـام 2001م أعلـن الـرئيس أوباسـانجو عن تأليف لجنة للأمن الداخلي لمعالجة العنف الطائفي في البلاد.

وفي عام 2003م أعيد انتخاب أوباسانجو رئيساً للجمهورية.

ونيجريا اليوم عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ العام 1986م.

فهرس الأعلام(1)

ابن بطوطة أبو عبد الله محمد: رحالة ومؤرخ مسلم مشهور ولد في طنجة بالمغرب عام 703هـ - 1304م وقام بثلاث رحلات استغرقت زهاء 29 عاماً زار خلالها الحجاز ومصر والشام والعراق وفارس واليمن والبحرين وإفريقيا الشرقية وآسيا الصُغرى والقسطنطينية والقرم والهند والصين وأفغانستان ثم رجع عن طريق جزيرة سومطرا في إندونيسيا وعاد إلى المغرب ثم إلى غرناطة فزار من بعدها غرب إفريقيا وبالتحديد ما يعرف اليوم بدول مالي والنيجر وغرب موريتانيا وشرق الجزائر وذلك بين عامي 753هـ - 1352م و754هـ - 1353م . وابن بطوطة دقيق الملاحظة أمين الوصف والرواية. له كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف أيضاً بإسم رحلة ابن بطوطة والذي تُرجم إلى عدة لغات أوروبية. توفي في مراكش عام 779هـ - 1377م. (أنظر: توتل، ص 78 والموسوعة العربية العالمية مج 4، ص 458).

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي: رحالة عربي وجغرافي ولد في الموصل ولا يُعرف التاريخ الصحيح لميلاده. جاب العالم الإسلامي من المشرق إلى المغرب وعاش في قرطبة سنوات طويلة. من مؤلفاته كتاب المسالك والممالك. توفي نحو 977م. (أنظر: توتل، ص 169 والموسوعة العربية العالمية مج 9، ص 562-563).

ابن خلدون، عبد الرحمن: مؤرخ وفيلسوف وسياسي وعالم اجتماع، ولد في تونس عام 1332م، درس المنطق والفلسفة والتاريخ والفقة والقرآن والحديث. تقلد عدة مناصب سياسية هامة في تونس والمغرب والأندلس منها سفيراً لابن الأحمر صاحب غرناطة عند ملك قشتالة، وقد أظهر كفاءة سياسية فائقة في إدارة هذه المناصب. لكنه ما لبث أن توجه إلى القاهرة عام 784هـ - 1382م وكانت المركز الإسلامي في ذلك الوقت، ثم زار الأماكن المقدسة في الحجاز عاد ثانية إلى القاهرة حيث درّس في الأزهر وتولى قضاء المالكية حتى وفاته فيها عام 1406 ميلادية. ولما حاصر تيمولنك دمشق قصده ابن خلدون راجياً انقاذ المدينة لكنه أخفق. وابن خلدون عالم دقيق الملاحظة راجح العقل بعيد النظر في أحكامة التاريخية وهو أول من وضع علم الإجتماع على أسسه الحديثة حيث خرج بنظرياته الإجتماعية حول العصبية وقيام وسقوط الدول وأعمارها

(1) مبوب هجائياً.

وأطـوارها. ألـف في فلسفة الإجتماع وفلسفة التاريخ لم يصلنا منه إلا مقدمة كتاب العبر المشهورة بمقدمة ابن خلدون. (أنظر: معلوف، لويس وتوتل، فردينان، القسم الثاني، ص 179 والموسوعة العربية العالمية، مج 10 ص 131).

ابـن عـبد الحكـم، عبد الرحمن: من مؤرخي مصر الإسلامية، توفي في الفسطاط سنة 870م. مـن مؤلفاته فتوح مصر والمغرب. (أنظر: معلوف، لويس وتوتل، فردينان، القسم الثاني، ص 336).

ابن الوردي، زين الدين عمر: ولد عام 1289م في معرة النعمان وتوفي في حلب سنة 1348م. أديـب نحـوي ولغـوي ومـؤرخ وفقيه. من مؤلفاته تتمة المختصر في أخبار البشر وديـوان فيه اللامية المعروفة. (أنظر: معلوف، لويس وتوتل، فردينان، القسم الثاني، ص 565).

أحمـد بابـا التنبكتي: هـو أحمد بن أحمد بن عمر التكروري ولد عام 1556م - 963هـ (حـسب كـتاب معجـم المـؤلفين لكحالـة)، فقيه مالكي ومحدث ومؤرخ من أهل تنبكتو بمالـي، أصـله من الصنهاجة البربر. عارض احتلال المراكشيين لدولته فقبض عليه واقتيد مكـبلاً إلى مـراكش سـنة 1002هـ وظـل معتقلاً حتى عام 1004هـ فأقام في فاس وتوفي في تنبكـتو (عـام 1036هـ حـسب الموسـوعة العربية العالمية أو عام 1032هـ - 1623م حسب كـتاب معجـم المؤلفين لكحالة)، من مؤلفاته كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج وهو كـتاب تـراجم وكـتاب الـتحديث والتأنـيث وكـتاب النكت المستجادة في مساواة الفاعل للمبـتدأ في شـرط الإفـادة وكتاب فوائد النكاح على مختصر الوشاح المنسوب للسيوطي. (أنظر: كحالة، مج 1، ص 145-146 والموسوعة العربية العالمية مج 7، ص 201).

الإدريـسي (الـشريف)، أبـو عـبد الله محمود: ولد عام 1099 في سبته على الساحل المتوسـطي للمغـرب وتـوفي بهـا إمـا عام 1153 (حسب معلوف وتوتل) أو عام 1165م (حـسب الموسـوعة العـربية العالمـية). درس في قـرطبة وبرع في الجغرافيا حتى اعتبر عالمًا جغـرافياً لـه سـبق بعـيد في علـم الخـرائط وهـو أول من رسم خريطة للعالم على أسس سليمة. دعاه روجر الثاني ملك النورمان إلى صقلية فكتب الإدريسي كتاب كتاب روجار أو نـزهة المـشتاق في إختراق الآفاق الذي حوى خرائط. (أنظر: معلوف، لويس وتوتل، فردينان، القسم الثاني، ص 10 والموسوعة العربية العالمية مج 1، ص 379).

بابا، أحمد التنبتكي، أنظر: أحمد بابا التنبكتي.

البكـري، عـبد الله: جغـرافي ورحالـة أندلـسي ولد نحو 1009م في في نواحي إشبيليا

بالأندلس، توفي في قرطبة عام 1094م. له 12 مؤلفاً منها كتاب المسالك والممالك فيه وصف البلاد المعروفة من المسلمين في القرن 11 الميلادي وكتاب معجم ما استعجم الذي يعتبر من أهم مؤلفات البكري وهو بمثابة مرحلة انتقالية بين اللغة والجغرافيا ومرتب وفق الترتيب الهجائي . (أنظر: معلوف، لويس وتوتل، فردينان، القسم الثاني، ص 81 والموسوعة العربية العالمية، مج 5 ص 31).

التنبكتي، أحمد بابا، أنظر: أحمد بابا التنمبكتي.

التيجاني، أبو العباس أحمد: مؤسس الطريقة التيجانية، ولد عام 1737 في في قرية عين ماضي في صحراء الجزائر، درس العلوم الشرعية وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة والمدينة ووهران. أنشأ طريقته عام 1782 في قرية أبي سمغون بالجزائر ثم صارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة منها انتشرت إلى إفريقيا الغربية. توفي عام 1815م ودُفِن بزاويته في فاس، أبرز آثاره كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني الذي قام بجمعه تلميذه علي حرزام عام 1799م - 1214هـ . (أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص 125).

الجيلاني، عبد القادر: مؤسس الطريقة القادرية في التصوف. ولد في جيلان بشمال إيران عام 1078م، ثم إنتقل إلى بغداد عام 1095م فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ وتَفَقّهَ وسمع الحديث وقرأ الأدب. عمل في التدريس والإفتاء في بغداد سنه 1133 وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب. عُرف الجيلاني بالتواضع وبالتسامح الديني وحب الجار والشفقة على الفقراء، وكان لا يقوم قط لأحد من العظماء ولا أعيان الدولة ولا ألم بباب وزير ولا سلطان. توفي في بغداد عام 1166م، من مؤلفاته الفتح الرباني وكتاب الفيوضات الربانية (أنظر: الزركلي، مج4، ص 171- 172 وعياد، ص 279-283).

حرازم، علي: اسمه الكامل علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي، من أتباع الطريقة التيجانية وأحد تلامذه الشيخ التيجاني مؤسس الطريقة، لا يُعرف عنه الكثير سوى أنه كان حياً عام 1799 وهو العام الذي انتهى فيه من جمع كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني تأليف الشيخ التيجاني نفسه. تاريخ وفاة علي حرازم في المدينة المنورة ما زال مجهولاً كذلك تاريخ تأليفه لكتاب الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمدية التيجانية. (انظر: كحالة، مج 7،

ص 57 والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص 125).

الخوارزمي: هو أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، رياضي وفلكي ومؤرخ وجغرافي من أهل خوارزم (تسمى اليوم "خيوه" وتقع في جمهورية أوزبكستان قرب الحدود مع تركمنستان)، وهو من معاصري الخليفة العباسي المأمون. يعتبر الخوارزمي مؤسس علم الجبر وما يسمى باللغات الأوروبية (Algorism)، ومن مؤلفاته الجبر والمقابلة والزيج وكتاب العمل بالأسطرلاب، لكن ما يهمنا من مؤلفاته في هذا البحث هو مجموعة من الصور والخرائط للسماء والأرض أعدها نزولا على طلب المأمون، ومن هذه الخرائط كتاب صورة الأرض وهو مخطوط محفوظ في ستراسبورغ. لا يُعرف تاريخ مولد الخوارزمي كما أن تاريخ وفاته غير محقق لكن من المرجح أن يكون بين 844 و847 . (أنظر:

Wiedemann, E, "Al-Kh^{w}arizmi", Encyclopaedia of Islam, Leiden: E. J. Brill, 1927, v.4, p.912-913.)

الساحلي، أبو إسحق: ويعرف أيضاً بالطويجن، مهندس معماري وأديب من بلاد غرناطة بالأندلس، خرج من أرضه في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) يجول في بلاد الشرق. وفي طريقه إلى الأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج كان لقاؤه بالسلطان "منسى موسى" سلطان مالي فدعاه الأخير إلى بلاده وقَبِل الدعوة ورجع مع سلطان مالي وشارك في النهضة المعمارية بمالي وذاع صيته في أرجاء السودان الغربي لِما أدخله من ابداعات معمارية. توفي في تمبكتو ودُفن فيها. (أنظر: الدالي، الهادي مبروك، "مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام"، في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي،

http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html. (2004/7/13).

السعدي، عبد الرحمن بين عبد الله بن عمران: عالم دين ومؤرخ مملكة صنغاي في غرب إفريقيا، ولد عام 1595م في مدينة تمبكتو في مالي حيث تعلم على يد والده وبعض علماء المدينة أمثال الفقيه المالكي "أحمد بابا"، ثم انتقل للعمل في مدينة "جني" (وهي في مالي أيضاً) التجارية ثم عاد إلى تمبكتو وشغل منصب إمام مسجد سنكوري فيها. قاسى السعدي وأسرته من طغيان ولاة مراكش لفترة من الزمن، وفي عام 1646م استدعاه حاكم تمبكتو ليكون وزير خارجيته وقد أُكره على مرافقة هذا الباشا في عدة رحلات فاستفاد السعدي منها في توسيع معلوماتة عن مملكة صنغاي التي لم يكن يعرف عنها

شيئا. ثم استقر رأيه على أن يكتب تاريخاً لوطنه سماه تاريخ السودان استهله بتبيان التاريخ القديم لقبائل الصنغاي ومالي والطوارق ولكل من مدينتي جني وتمبكتو. توفي في مدينة "غاو" المالية عام 1656م. (أنظر: دائرة المعارف الإسلامية. نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي [وآخ] . القاهرة : مطبعة الاعتماد ، 1933، مج 11، ص 411-412 وقدّاح، نعيم. إفريقيا الغربية في ظل الإسلام. مراجعة عمر الحكيم. دمشق: مكتبة أطلس، (مقدمة، 1960)،(سلسلة الثقافة الشعبية؛6)، ص 46.

سكيرج، أحمد: من أتباع الطريقة التيجانية، ولد في فاس عام 1878م ودرس في مسجد القرويين وعين مدرساً فيه. تولى القضاء وزار عدد من مدن المغرب. توفي عام 1943م وله كتاب كشف الحجاب عمن تلاقى مع التيجاني من الأصحاب. (أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص 126).

السنوسي، محمد بن علي: مؤسس الطريقة السنوسية وتنسب إليه الدولة السنوسية التي قامت في ليبيا. ولد في مدينة مستغانم الجزائرية عام 1787م، تعلم على يد علماء مسقط رأسه ثم ارتحل إلى فاس ودرس الصوفية وعين مدرساً بالجامع الكبير فيها. جاب مناطق الصحراء واعظاً ودارساً لأحوال الطرق الصوفية وتجول في كثير من البلدان الإسلامية من بينها مكة، لما عاد إلى برقة أقام بالجبل الأخضر وبنى الزاوية البيضاء فيها بالإضافة إلى عدة زوايا في شمال وغرب ووسط إفريقيا. انتشرت طريقته وارتابت الحكومة العثمانية منه فانتقل إلى واحة جغبوب بجنوب ليبيا حتى توفي عام 1850م مخلفاً وراءه نحو أربعين كتاباً ورسالة. (أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مج 13، ص 156).

السيوطي، جلال الدين: ولد في القاهرة عام 1445م ونشأ يتيماً. حفظ القرآن وهو دون السنه الثامنة من عمره. نبغ في التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع واللغة. سافر إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب. أهم مؤلفاته: طبقات الحفاظ وطبقات المفسرين. توفي عام 1505م. (أنظر: توتل ص: 280).

الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن: مؤلف ونحوي ولغوي ولد عام 1181م في مدينة "شريش" بالأندلس (تدعى اليوم Jerez de la Frontera) ورحل من الأندلس إلى الشام ومصر وعاد فتوفي بشريش عام 1222م. من تصانيفه (اختصار نوادر أبي علي القالي) و(شرح مقامات الحريري) وله (رسائل في العروض) ومجموعة من (قصائد العرب المشهورة) . وشرح كتاب (الإيضاح لأبي علي الفارسي) وكتاب (الجمل) للزجاجي. (أنظر: دائرة المعارف الإسلامية. نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي [وآخ].

القاهرة : مطبعة الاعتماد ، 1933، مج 13، ص 242 وكحالة، مج 10، ص191).

العاقب (القاضي)، ابن القاضي محمود بن عمر: قاضي وفقيه ولد في تمبكتو عام 913هـ (1507م) وتوفي عام 991هـ (1583م)، يعتبر من أعظم قضاة تمبكتو وأكثرهم عدلاً وإجتهاداً.

العمري، ابن فضل الله: ولد في دمشق عام 1300م وتعلم فيها. كتب السر للسلطان الناصر محمد بن قلاوون المملوكي في مصر. توفي عام 1384م. أهم مؤلفاته مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. (أنظر: توتل، ص 359)

الفزاري، محمد بن إبراهيم: توفي نحو 797م ، أول فلكي مسلم وأول من عمل أسطرلاباً في الإسلام، عاش في العراق وترجم للخليفة المنصور كتاباً من الهند عن علم الفلك. (أنظر: توتل، ص 390 والموسوعة العربية العالمية مج 17، ص 352).

القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي: ولد في قلقشندة قرب قليوب بمصر عام 1355م وترجع شهرته في الجغرافيا إلى مصنفه الموسوعي الضخم صبح الأعشى في صناعة الإنشا الذي يشمل وصفاً جغرافياً لنواحي مصر والشام والدول التي لها علاقة مصر مع التركيز على النظامين السياسي والإداري. توفي عام 1418م. أنظر: (معلوف، لويس وتوتل، فردينان، القسم الثاني، ص 422 والموسوعة العربية العالمية، مج 18 ص 286).

كعت، محمود أبو الثناء محمود بن عمر: فقيه ومؤرخ وقاضي مدينة تمبكتو في مالي. ولد عام 1463م وله كتاب التاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، وهو كتاب مهم يعتبر مصدراً أساسياً في التاريخ السياسي والإجتماعي والثقافي لمملكة صنغاي، وقد اعتمد عليه المؤرخون الفرنسيون في تأريخ غرب إفريقيا. توفي عام 1548م. (أنظر: قدّاح، نعيم، ص 38 والموسوعة العربية العالمية، مج 7 ص 201) .

ليون الإفريقي: (1483م – 1526م) هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي، جغرافي ومؤرخ ورحالة. زار إفريقيا الغربية في أوائل القرن السادس عشر. وقد أسره القراصنة في إحدى رحلاته في البحر المتوسط عام 1517م وقادوه إلى روما حيث أكره على إعتناق المسيحية وعُمِّد باسم ليون الإفريقي. وقد عمل في روما معلماً للعربية. له وصف إفريقيا وهو مترجم إلى الإيطالية والفرنسية. (أنظر:قدّاح، ص43 الهامش رقم 1).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: مؤرخ وجغرافي ورحالة

نـشأ في بغداد وولد فيها في بداية القرن الرابع الهجري ويرتفع نسبه إلى الصحابي عبد الله ابن مسعود. قام المسعودي برحلات طويلة فزار فارس والهند وسيلان (سريلانكا حالياً) والـصين وآسيا الوسطى وآسيا الصغرى وبلاد الشام وفلسطين وسواحل إفريقيا الشرقية وجزيـرة مدغـشقر وجزيـرة العرب. وضع المسعودي فيما رآه وسمعه عشرات المؤلفات مـنها: مـروج الـذهب ومعـادن الجوهـر وكتاب أخبار الأمم من الغرب والعجم وكتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وهذا يقع في 30 جزءاً. توفي بالفسطاط بمصر عام 957م. (أنظـر: معلـوف، لـويس وتـوتل، فـردينان، القـسم الثاني، ص 497 والموسوعة العربية العالمية، مج 23 ص 248).

المغيلي، محمد بن عبد الكريم التلمساني: فقيه ومفسر ومحدث ومتكلم منطقي، رحل إلى السودان الغربي لنشر أحكام الشرع وقواعده، وكان من أتباع الطريقة البكائية المتفرعة من الطريقة القادرية وعمل على نشر البكائية في الصحراء الكبرى. توفي في توات بالقرب مـن تلمـسان في الجزائـر عام 909هـ - 1503م. من تصانيفه: البدر المنير في علوم التفسير ومصباح الأرواح في أصول الفلاح وشرح الجمل في المنطق. (أنظر: كحالة، مج 10، ص 191 وشلبي، مج 6، ص 212-213).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر: مؤرخ وجغرافي لبناني الأصل من حـارة المقارزة في مدينة بعلبك، ولد في القاهرة عام 1365م واشتهر بتدوينه التاريخ بدقة. زادت تـصانيفه علـى مائتي مجلد منها: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار وهو كتاب جغـرافي اشـتهر باسم خطط المقريزي، وفي التاريخ له اغاثة الامة بكشف الغمة او تاريخ المجاعـات في مـصر وكـتاب البـيان والإعـراب عما في أرض مصر من الأعراب وكتاب تاريخ باء الكعبة. توفي عام 1441م . (انظر: الموسوعة العربية العالمية مج 23، ص 559).

الهمذاني، أبو بكر أحمد ابن الفقيه: ولد في همذان بإيران، جغرافي ومحدث، ألّف بعد مـوت الخلـيفة العباسـي "المعتـضد" كتاب البلدان وصف فيه الأرض والبحر وبلاد الصين والهـند والعـرب ومـصر والـشام والعراق والمغرب وبيزنطة، توفي حوالي 902م. (أنظر: معلوف، لويس وتوتل، فردينان، القسم الثاني، ص 391).

ياقـوت الحموي: هو أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. أصـله من بلاد الروم (أي آسيا الصغرى حين كانت تحت حكم البيزنطيين)، ولد حوالي عـام 1178م، أُسِر صغيراً واشتراه تاجر من بغداد اسمه عسكر بن ابراهيم الحموي فرباه وعلمه شغله بالأسفار ثم عتقه. جال ياقوت في مدن إيران والعراق والشام ومصر، راجع

المكاتب ويعود الفضل إليه في جمع مواد لولاه لكانت ضاعت علينا. من مؤلفاته كتاب معجم الأدباء من نحاة ولغويين وقراء وعلماء الأخبار وكتاب معجم البلدان الذي يُعتبر أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي في العصورالوسطى، وهو جامع للرحلات والجغرافيا في صورها الفلكية والوصفية واللغوية، وقد اعتمد في اعداده على الكتب الجغرافية السابقة على رحلاته التي قام بها، كما أن لهذا الكتاب قيمة أدبية كبيرة لما فيه من الشواهد الشعرية، ولياقوت مصنفان جغرافيان هما المشترك وضعاً والمفترق صعقاً والكتاب الثاني هو مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع. توفي عام 1229. (أنظر: معلوف، لويس توتل، فردينان، القسم الثاني، ص 572 والموسوعة العربية العالمية مج 27، ص 286).

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: كاتب عباسي ومؤرخ وجغرافي لا يُعرف تاريخ ميلاده. أقام في أرمينيا ثم رحل إلى الهند ومصر وبلاد المغرب. توفي عام 897م، من مصنفاته البلدان وهو كتاب في الجغرافيا والتاريخ وكتاب التاريخ الذي انتهى به حتى خلافة المعتمد على الله العباسي عام 872.(انظر: معلوف، لويس وتوتل، فردينان، القسم الثاني، ص 575 والموسوعة العربية العالمية مج 27، ص 308).

المراجع

أ- باللغة العربية:

1- المطبوعة:

- القرآن الكريم.
- الآلوري، آدم عبد الله. **الإسلام في نيجريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني**. ط2. دون مكان: دون ناشر، 1398هـ.
- إبراهيم، عبد الله عبد الرزاق. **المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 1409 هـ- 1989م ، (سلسلة عالم المعرفة، عدد 139).
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. تحقيق على المنتصر الكتاني. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1975.
- الإدريسي (الشريف)، أبو عبد الله محمود. **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس: مأخوذه من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. ليدن: بريل، 1968.
- بانيكار، مادهو. الوثنية والإسلام : **تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب أفريقيا**. ترجمه أحمد فؤاد بلبع، ط 2 ، الكويت: المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
- باه، محمد أحمد. **أخبار العالم الإسلامي**. العدد 118، 27 أغسطس، ص 12.
- بكر، سيد عبد المجيد. **الأقليات المسلمة في إفريقيا**. مكة المكرمة: إدارة الصحافة برابطة العالم الإسلامي، 1405هـ، (سلسلة دعوة الحق)

• البكـري، أبـو عُبـيد. **المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب وهو جزء من كـتاب المسـالك والممالـك**. بغـداد: مكتـبة المثنـى (دون تاريخ) .العنوان الأصلي:

• **Description de l'Afrique Septentrionale** par Abou -Obeid -el -Bekri, texte Arabe revue sur quatre manuscrits par Le Bon de Slane, Alger: Imprimerie du gouvernement, 1857.

• جـارا، الحـسن عمـر الفـاروق. **الاوضـاع الـسياسية وانعكاسـاتها علـى المسلمين في غـرب إفـريقيا**. (رسـالة إعـداد لنـيل شـهادة الماجـستير في الدراسـات الإسـلامية عـام 1994 م – 1995 م .1415 هـ - 1416 هـ)، بيروت: المعهد العالي للدراسات الإسلامية، المقاصد.

• الجمـل، شـوقي وعـبد الله، إبـراهيم. **تـاريخ إفـريقيا الحديث والمعاصر**. الدوحة: دار الثقافة، 1987.

• "جوامـع تمبكـتو". **الموسـوعة العـربية العالـمية**. الـرياض: مؤسـسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996، مج 8، ص546.

• جـوان، جوزيـف. **الإسـلام في ممالـك وإمـبراطوريات إفـريقيا السوداء**، ترجمه مختار السويف. بيروت: دار الكتب الإسلامية، 1984م - 1404هـ.

• حسن، حسن إبراهيم. **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**. ط2. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963.

• حـسن، عيـسى عـبد الظاهـر. **الدعـوة الإسـلامية في غرب إفريقيا وقيام دولـة الفولانـي**. الـرياض: إدارة الـثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1401هـ -1981م.

• حقـي، إحـسان. **إفـريقية الحـرة: بـلاد الأمـل والـرخاء**. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، 1962.

• الخريجـي، منـصور عـبد العزيـز. **الغـزو الثقافي للأمة الإسلامية: ماضيه وحاضره**. ط2، مزيدة ومنقحة. الرياض: دار الأصمعي للنشر والتوزيع،

1420هـ.

- خضر، عبد العليم عبد الرحمن. "الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا". **رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة**. السنة السادسة عشر العدد 182 عام 1418 هـ، ص118 .
- خليل، عماد الدين. **مأساتنا في أفريقيا: وثائق من تاريخنا المعاصر**. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981.
- الخوارزمي، ابو جعفر بن موسى. **صور الارض من المدن والجبال والبحار والجزائر والانهار**. فينّا: مطبعة أدولف هولز هوزن، 1926.
- الخوند، مسعود. **الموسوعة التاريخية الجغرافية**. 20 مجلد. بيروت: الشركة العالمية للموسوعات، 1994-2004.
- **دائرة المعارف الإسلامية**. نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي [وآخ]. القاهرة: مطبعة الاعتماد، 1933.
- دافيدسون، بازيل. **أفريقيا تحت أضواء جديدة**. ترجمة محمد أحمد. بيروت: دار الثقافة، 1959.
- دلافوس، موريس ."سنغاي" . **دائرة المعارف الإسلامية** . نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وآخ.. . القاهرة : مطبعة الاعتماد ، 1933 . مج 12 ، ص 265-267.
- الزركلي، خير الدين. قاموس الأعلام: **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. ط2. القاهرة : مطابع كونستاتوماس، 1954-1959.
- زكي، عبد الرحمن. **الإسلام والمسلمون في أفريقيا**. القاهرة: د. ن.، 1389هـ.
- زكي، عبد الرحمن. **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**. القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر، 1961.

- سانا، صالح عبد الله. **مدخل قضايا المسلمين في غرب إفريقيا**. د.م.: القارئ العربي للتوثيق والإعلام والتأليف والتراث والنشر، د. ت.
- السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله. **تاريخ السودان**. انجى: مطبعة بردين، 1898.
- سوالمية، محمد عبد الرحمن. **تمبكتو: جوهرة تغمرها بالرمال**. بيروت: مطبعة المتوسط، 1986.
- شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي: غربي إفريقيا**، جزء 15. ط 2 . بيروت: المكتب الإسلامي، 1997.
- شاكر، محمود. **نيجيريا**. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1971، (سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، رقم 2).
- شاكر، محمود وبيلتو، نافذ أيوب. **مالي**. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986،(سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، رقم 14).
- شاكر، محمود وياغي، إسماعيل أحمد. **تاريخ العالم الإسلامي**. ط2. الرياض: مطبعة العبيكان، 1419هـ.
- شلبي، أحمد. **موسوعة التاريخ الإسلامي**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1981- 1982.
- "الصوفية". **الموسوعة العربية العالمية**. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996، مج 15، ص201.
- الطحان، مصطفى محمد. **حاضر العالم الإسلامي**. الكويت: المركز العالمي للكتاب الإسلامي، 1992.
- طرخان، إبراهيم علي. **امبراطورية البرنو الإسلامية**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1975.
- طرخان، إبراهيم علي. **امبراطورية غانة الإسلامية**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970.

- طرخان، ابراهيم علي. **دولة مالي الإسلامية: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
- الطويل، نبيل. **المشردون في الأرض غالبية مسلمة**. بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 2004.
- العبودي، محمد بن ناصر. **من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري: رحلة وحديث في أمور المسلمين**. الرياض: مكتبة الملك فهد، 1995 م 1415هـ .
- العقيلي، أحمد محمد. **أمة التجارة : دور التجارة في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**. الرياض: دار المؤتمن، 1419هـ.
- عمر، حسين. **موسوعة المصطلحات الاقتصادية**. ط2. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1967.
- عياد، أحمد توفيق. **التصوف الإسلامي: تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره**. القاهرة: مكتبة الأنجلوالمصرية، 1970.
- عيساوي، أحمد. **"الإعلام العربي والإسلامي والتحدي الحضاري المعاصر في قارتي آسيا وإفريقيا في قرن العولمة"**. التقوى. العدد 147، حزيران 2005، ص 44-47.
- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. **حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا**. القاهرة: جامعة القاهرة، د.ت.
- "فولتا العليا، جمهورية" ، **موسوعة السياسة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986، مج 4، ص 641-649.
- قدّاح، نعيم. **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**. مراجعة عمر الحكيم. دمشق: مكتبة أطلس، (مقدمة، 1960)،(سلسلة الثقافة الشعبية؛6).
- القلقشندى، أبو العباس احمد. **صبح الاعشى**. القاهرة : المطبعة الاميرية، 1913 - 1938.

- قيقانو، أنطون بشارة. **جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية**. بيروت: د.ن.، 1966.
- كاني، أحمد محمد. **الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا**. د.م.: مكتبة الزهراء للإعلام العربي، 1407هـ .
- **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار: وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**. لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري (12م). نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد. الإسكندرية: مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958.
- كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية**. دمشق: مطبعة الترقي، 1957- 1961.
- كعت، محمود. **تاريخ الفتاش في اخبار البلدان، والجيوش واكابر الناس**. باريس: مكتبة اميركا والشرق، 1964.
- لوشاتلييه، أ. **الغارة على العالم الإسلامي**. لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
- مؤمن، مصطفى. **قسمات العالم الإسلامي**. بيروت: دار الفتح، 1974.
- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. **بحوث ودراسات في الشورى والتربية والإمارة**. عمان: مؤسسة آل البيت، 1407هـ.
- محمود، حسن أحمد. **قيام دولة المرابطين: صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957.
- مسعود، جمال عبد الهادي محمد ورفعت، جمعة وفاء محمد. **أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ إفريقيا**. ط2. القاهرة: دار الوفاء، 1407هـ.
- المصري، جميل عبد الله محمد. **حاضر العالم الإسلامي**. ط5. الرياض: مكتبة العبيكان، 1421هـ.
- معلوف، لويس وتوتل، فردينان. **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**. ط

15 . بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1956.

- **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**. جمعها وعلق عليها وقدم لها صلاح الدين المنجد. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1963.
- موريتانيا: **الثقافة والدولة والمجتمع**. إعداد السيد ولد أباه. ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000. (سلسلة الثقافة القومية،28).
- **موسوعة السياسة**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.
- **الموسوعة العربية العالمية**. 30مج. الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1996.
- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**. ط2. الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1989.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي. **الأقلّيات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة آلامها وأملها**. الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1999.
- النشرة الدولية لأبحاث التنصير سنة1998. **البلاغ**. عدد1454، 29/ 7/ 2002،ص 17.
- الهزايمة، محمد عوض. **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه السياسية**. عمان: دار عمار، 1997.
- هيكل، محمد حسين. **حياة محمد**. ط9. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1965.
- ياقوت الحموي. **معجم البلدان**. بيروت: دار بيروت، 1957.

2- الإلكترونية:

- الجهني. مانع بن حماد. "التنصير في إفريقيا: الأهداف والوسائل وسبل المواجهة".
http://www.khayma.com/happy-family/Files003/000004.html, (8.12.2004).
- "حملة إنجيلية تهدف إلى تنشيط التنصير بدولة ليبيريا".
http://www.islammemo.cc/news/one_news.asp?IDnews=62391,(16.4.2005).
- الدالي، الهادي مبروك. "مدينة تمبكتو: مركز حضاري هام". في العلاقة بين مملكة مالي

الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي.

http://azwade.jeeran.com/tombouctou.html. (13.7.2004).

- "سلطنة صنغاي". www.altumbacty.com/songay.htm.(13.7.2004).
- شبكة كلمة الحق. "مسلمو ساحل العاج".

http://www.rightword.net/Anuke/modules.php?name=News&file=article&sid=2608.25 /2 /2005

- الشاب، علي. "عثمان بن فوديو ... شيخ الصوفية المجاهدة".

www.islamonline.net/arabic/famous/2003/11/articles01.SHTML, (15.9.2004)

- عبد الله، أبو إسلام أحمد. "تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا".

http://www.khayma.com/happy-family/Files003/000008.html,(8.12.2004)

- العودة، سلمان بن فهد. "وسائل المنصرين".

http://alsalafyoon.com/SalmanAldah/Tanseer1.htm,(22.8.2003)

- محمد، الخضر عبد الباقي. "التجديد والإصلاح الديني في غرب إفريقيا".

http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?id=102&catid=105&artid=4096,(15/9/2004).

- محمد سالم بن الخليفة. "الحاج عمر الفوتي وحركته الإصلاحية، 1795-1864".

www.rayah.info, 1/12/2004.

- موسى، محمد البشير أحمد. "الغارة الصّليبيّة على تشاد".

http://www.alnahwi.com/resultmak_w.asp?itemid=116. (6.10.2004).

- "وللكنيسة دور". http://ansary.jeeran.com/islame.html,(30.3.2005).

ب- باللغات الأجنبية:

1- المطبوعة:

- "Africa". **World Book Encyclopedia**. Chicago: World Book, 2000, v.1,p.98.

- **Africa south of the Sahara, 2005**.34th ed. London:Europa Publications, 2004.
- "Berlin West Africa Conference". **The New Encyclopædia Britannica: Micropædia**. 15ed. London: Encylopædia Britannica, 2002, vol. 2, p. 138.
- **Callot, Y. "Sahil". Encyclopaedia** of Islam. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1995, v. VIII, pp. 836-838.
- 'Cameroon'. **Encyclopedia Americana.** Danbury:CT: Grolier Incorporated, 1995, v. 5, p. 283.
- Conrad, D. C. "Mansa Musa". **Encyclopaedia of Islam**. New edition, 1991, v. 6, pp. 421-422.
- Cohen, S, (ed). **The Columbia Gazetteer of the world** New York: Columbia University, press, 1998.
- Cornevin, R. "Fulani ". **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, pp.939-943.
- Cornevin, R. "Ghana". **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, pp.1001-1003.
- Crystal, D.**An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages**. London: Penguin Books, 1992.
- Davidson, Basil. **The Lost Cities of Africa**. Boston: Little, Brown, 1970.
- Fage, J. D. **An Atlas of African History**. Maps drawn by Maureen Verity. 2nd edition. New York: Africana Publishing Company, 1978.
- Fage, J.D."Ghana: Precolonial period". **Encyclopedia Americana**. Danbury: CT: Grolier Incorporated, 1995, v. 12, p 716.
- Fage, J. D. "Mali Empire". **Encyclopedia Americana**. Danbury: CT: Grolier Incorporated, 1995, v. 18, p. 176.
- Griffiths, I. Ll. **The Atlas of African Affairs**. 2nd ed. London: Routledge, 1994.
- Hiskett, M. "Hausa". **Encyclopaedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1971, v. 3, pp. 275-283.
- Johnston, H. A. S. **The Fulani Empire of Sokoto**. London: Oxford University Press, 1967.
- Labouret, Henri. "Mali". **Encyclopaedia of Islam**. Leiden: E.J. Brill, 1954, v.5, pp. 203-204.
- Levi-Provençal, E. "Moors". **Encyclopaedia of Islam.** New edition. Leiden: E. J. Brill, 1965, v.7, pp. 235-236.
- Levinson, David. **Ethnic Groups Worldwide: A Ready Reference Handb-ook.** Phoenix, Arizona: Oryx Press,1998. Levtzion, N."Mali". Encyclopaedia of Islam. New edition. Leiden: E. J. Brill, 1991, v .6, p. 257-261.

- Lystad,A."Fulani". **Encyclopedia Americana**. Danbury:CT:Grolier Incorporated 1995, v. 12, p. 153.
- "Mali". **The New Encyclopædia Britannica: Micropædia**. 15ed. London: Encyclopædia Britannica, 2002, vol. 7, p. 735.
- Melton, G.J.& Baumann, M.(Eds). **Religions of the World**: A Comprehensive Encyclopedia of Beliefs and Practices. Santa Barbara, California: ABC-CLIO, 2002.
- Nanji, Azim A. (ed.). **The Muslim Almanac**. New York: Gale Research Inc., 1996.
- **National Geographic Concise Atlas of the World**. Washington, D.C: National Geographic Society, 2003.
- **Oxford Atlas of Exploration**. London: Octopus Publishing Group. 1997.
- Panikkar, K. M. **Serpent and Crescent**. New York: Asia Pub. House, 1963.
- Rodinson, M., "Ahmadu Lobbo". **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E. J. Brill, 1960. vol. 1, p. 303.
- 'Shehu Ahmadu Lobbo'.**The New Encyclopædia Britannica: Micropædia**. 15ed. London: Encylopædia Britannica, 2002, vol. 10, p 716.
- Trimingham, J. P. **A History of Islam in West Africa**. London: Oxford University Press, 1962.
- Reichmuth, S. "Yoruba". **Encyclopaedia of Islam**. Leiden: E.J. Brill, 2002, v.11, p. 337-338.
- Van der Laan, L. "Migration, Mobility and Settlement of the Lebanese in West Africa", In: **The Lebanese in the World: A Century of Emigration**, edited by Alebert Hourani and Nadim Shehadi. London: The Centre for Lebanese Studies, 1991, pp 530-547.
- Van Sertima, Ivan. **They came before Columbus**. New York: Random House, 1976.
- Wiedemann, E. "Al-Kh^{w}arizmi". **Encyclopaedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1927, v.4, pp. 912-913.
- Yver, G."Kanem". Encyclopaedia of Islam. Leiden: E.J. Brill, 1927, v.4, pp. 540-541.

2- الإلكترونية:

➢Abdellatif, Sabir. "Liberian Muslims and the African Napoleon". IslamOnline. www.islam-online.net/English/artculture/2003/09/article06.shtml. (24/6/2005).

➢Adams, Nazif. "History of the Ancient Nation of Ghana".

www.ibsa-inc.org/ghana.htm. (16/9/2003).

➢"Africa, to 1500: West Africa".
www.fsmitha.com/h3/h15-af.htm. (2/7/2002).

➢"Ahmadu's Jihad 1818".
http://www.onwar.com/aced/data/alpha/fahmadu1810.htm.(1/3/2005).

➢"Bojador, Cape". Encyclopædia Britannica.
www.britannica.com/eb/article?eu=82605. (1/8/2003).

➢"Cash Crop". http://en.wikipedia.org/wiki/Cash_crop. (19/11/2004).

➢"Civilizations in Africa: Mali" .
www.wsu.edu:8080/~dee/CIVAFRCA/MALI.HTM. (14/5/2003).

➢"Diamonds, Corruption and the Lebanese Connection".
www.expotimes.net/backissuesnov2/nov002300.htm. (4/5/2003).

➢"Eastern Nigeria".
http://www.geocities.com/CapitolHill/Rotunda/2209/Eastern_Nigeria.html#(5). (19/4/2005).

➢"Fulani Holy War: 1804-1810".
www.onwar.com/aced/data/uniform/usman1804.htm. (11/2/2005).

➢Human Rights Watch, "Mauritania".
http://www.hrw.org/reports/1989/WR89/Mauritan.htm. (30/3/2005).

➢"Imperial Africa". empAθos Nation Library.
www.geocities.com/cjmasonm/Africa/afempire.html. (21/8/2003).

➢"Internet Puppet Theater: Timbuktu".
www.internetpuppets.org/afrtimbuktu.html. (14/7/2004).

➢"Kanem, Bornu and the Hausa State ", A History of Africa,
http://xenohistorian.faithweb.com/africa/af05.html#Chad.(22.10.2004).

➢Khair, Z. " The world-class University of Sankore, Timbuktu".
www.muslimheritage.com. (17/5/04).

➢Kiabou, B. "Timbuktu: The Mythical Site".
whc.unesco.org/whrview/article7.html. (20/11/2002).

➢Mansa Musa (1312-1337)
www.purpleplantmedia.com/bhp/pages/mansamusa.shtml. (14/5/2003).

➢McDonald, K. C. "The road to Timbuktu, Wonders: Sankore Mosque".
http://www.pbs.org/wonders/Episodes/Epi5/5_wondr6.htm. (5/5/2004).

➢Reuss, Prinz Heinrich VII. "Historical Briefing for Berlin West Africa

➢Conference healing process".
http://www.peaceworks.org.uk/prayer/reports/. (18.11.2004).

➢"Le Royaume Peul de Macin".
http://www.geocities.com/infomali/Histoire/diina.htm. (28/2/2005).

➢Salloum, Habib. "Mansa Musa: An African builder".
www.expressionsofsoul.com id66.html. (14/5/2003).

➢"Le Sénégal: histoire et géographie: Le Royaume de Ghana".
www.chez.com/afroweb/sen_his.htm#GHANA. (8/8/2003).

➢"The Sokoto Caliphate in Modern Nigeria".
http://www.webstar.co.uk/~ubugaje/scng.html. (11/2/2005)

➢"Statistics on the Muslims' Population around the World".
http://islamicweb.com/begin/results.htm. (24/6/2002).

➢"Timbuktu" . http://fp.thesalmons.org/lynn/wh-timbuktu.html. (16/7/2004).

➢Thornton, Ted. "The Fulani Jihad".
www.nmhschool.org/tthornton/fulani_jihad.htm. (11.2.2005).

➢Timbuktu Educational Foundation. "History of Timbuktu".
www.timbuktufoudation.org/history.html. (20/5/2004).

➢"Timbuktu, Mali",
www.historychannel.com/classroom/unesco/timbuktu/mansamoussa.html.
(23/1/2004).

➢"Timbuktu the El Dorado of Africa".
http://africanhistory.about.com/library/weekly/aa031901a.htm(7/29/2004).

➢"Timbukut University". www.timbuktuuniversity.com (19/5/2004).

➢Touré, Abdourahamane Hasséye. "Les universités tombouctiennes: grandeur et

➢décadence". TAMPA No. 1, 1996, pp: 6-10.

www.arts.uwa.edu.au/MotsPluriels/MP1299aht.html. (11/20/2002).

- Xavier University of Louisiana. "Hausa Origins (to ca. 1000)". http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Hausaland/HausaOrigins01.htm (2/11/2004).
- Xavier University of Louisiana. "Hausa Origins (to ca. 1000)". http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Hausaland/HausaOrigins02.htm (2/11/2004).
- Xavier University of Louisiana. "Hausa Origins (to ca. 1000)". http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Hausaland/HausaOrigins03.htm (2/11/2004).
- Xavier University of Louisiana. "Kanem-Bornu Origins (ca. 750-1075)". http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/KanemOrigins01.html. (19/8/2004).
- Xavier University of Louisiana. "Kanem-Bornu Origins (ca. 750-1075)". http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/KanemOrigins02.html. (19/8/2004).
- Xavier University of Louisiana. "The Rise of the Sefuwa (ca. 1075 - 1280)" http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/Sefuwa01.html (19/8/2004).
- Xavier University of Louisiana. "The Rise of the Sefuwa (ca. 1075 - 1280)" http://webusers.xula.edu/jrotondo/Kingdoms/Kanem_Bornu/Sefuwa05.html. (19/8/2004).



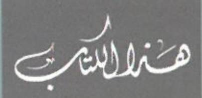
فهرس المحتويات

AL-MUSLIMŪN FĪ ǦARB IFRĪQIYAH

(Moslems in West Africa *History and civilization*)

by
Muḥammad Fāḍil ᶜAli Bāri
and
Saᶜīd Ibrāhīm Kraydiyyah

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon



تُعد غرب إفريقيا منطقة إسلامية وإن كانت تنخفض نسبة المسلمين في بعض أجزائها التي تُعد دولاً الآن إلى دون النصف، ولكن إذا اعتبرنا المنطقة جزءاً واحداً فإن نسبة المسلمين ترتفع إلى النصف تقريباً، وذلك بسبب انتشار الإسلام على نطاق واسع في أجزاء كثيرة من تلك المنطقة. وتشكل الدراسات الإسلامية عن ماضي الإسلام وحاضره ومستقبله في إفريقيا الغربية حلقات متصلة، فتاريخ الدعوة الإسلامية في القارة السوداء هو نفسه التاريخ الحضاري الناضج لهذه القارة، فهي بالدعوة الإسلامية افتتحت لنفسها صفحات التاريخ، وسارت في موكب الحضارة الإنسانية وارتبطت بالعالم الإسلامي من حولها.

دخل الإسلام غرب إفريقيا في القرن العاشر الميلادي، وخلال القرون الوسطى نشأت هناك إمبراطوريات إسلامية لعبت دوراً بارزاً في نشر الدعوة وتأسيس صرح الأمة الإسلامية في تلك الأصقاع. وما أن حلّ القرن الخامس عشر الميلادي حتى افتتحت البرتغال الاستعمار الأوروبي لغربي إفريقيا، وكان دافع البرتغاليين هو العداوة الشديدة للمسلمين والحصول على ذهب غينيا وتأمين طريق التجارة مع الهند. وبعد البرتغاليين جاء الإسبان والفرنسيون والبريطانيون ونفثوا سموم الاستعمار في غرب القارة السوداء فاسحين المجال لجمعيات التبشير بممارسة نشاطها هناك وقد بقي المستعمرون على أرضها لغاية النصف الثاني من القرن ٢٠م حين بدأوا ينحسرون عن كل أرجاء القارة الإفريقية ومنها القسم الغربي مخلفين وراءهم إرثاً ثقيلاً من التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكان التبشير بشقيه الكاثوليكي والبروتستانتي الرفيق الدائم لهذا الاستعمار متذرعاً بهداية الناس تارة وبنشر المدنية تارة أخرى مستغلاً جهل وحاجة الناس، فانتشرت المسيحية في غرب إفريقيا لكن ما زال أتباعها حتى الآن أقل عدداً من المسلمين.

ومع بداية الفترة الاستعمارية لغربي إفريقيا كان ساحل هذه المنطقة بدءاً من جنوب موريتانيا وحتى بنين مصدراً رئيسياً للبرتغاليين «لاصطياد» الأفارقة ونقلهم بسفن بنيت بشكل خاص حيث كانت مقسمة تقسيماً أفقياً على هيئة رفوف عرض كل منها ٣ أقدام يرص فوقها الرقيق وأيديهم مصفدة، وكانت الرحلات شاقة وطويلة تستغرق من ٥ إلى ٨ أسابيع وكلفت الأفارقة العديد من الضحايا حيث مات الكثير منهم أو ألقي بهم أحياء في عرض البحر بعد تعرضهم لأمراض مستعصية. وبعد اكتشاف القارة الأميركية تحول بيع سكان غرب إفريقيا إلى هذه القارة الجديدة ولم تتوقف هذه الممارسات إلا في عام ١٨٣٣ حين ألغيت تجارة الرقيق كلياً.

وقد اتبع الباحثان في هذا الكتاب المنهج العلمي الاستقرائي، فتتبعا أخبار غربي القارة من المصادر القديمة الموثوقة والمراجع والاحصائيات الحديثة وأوزنا بينها، وذكرا ما اتفقت عليه دونما اختلفت فيه، وحاولا عزو كل قول لصاحبه بأمانة علمية وتجرد في النقل. وقد عادا في هذا البحث إلى مراجع عدة بعضها مطبوع كالكتب والدوريات والآخر إلكتروني، أما لغات المراجع فكانت العربية والإنكليزية والفرنسية.

وقد قُسم البحث إلى أربعة أبواب وملحق وفهرس أعلام وثبت بالمراجع.


ISBN 978-2-7451-5437-8
90000
9 782745 154378

Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah


Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
دار الكتب العلمية®
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
هاتف12 / 11 / 804810 5 961+
فاكس 804813 5 961+
ص.ب. 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com